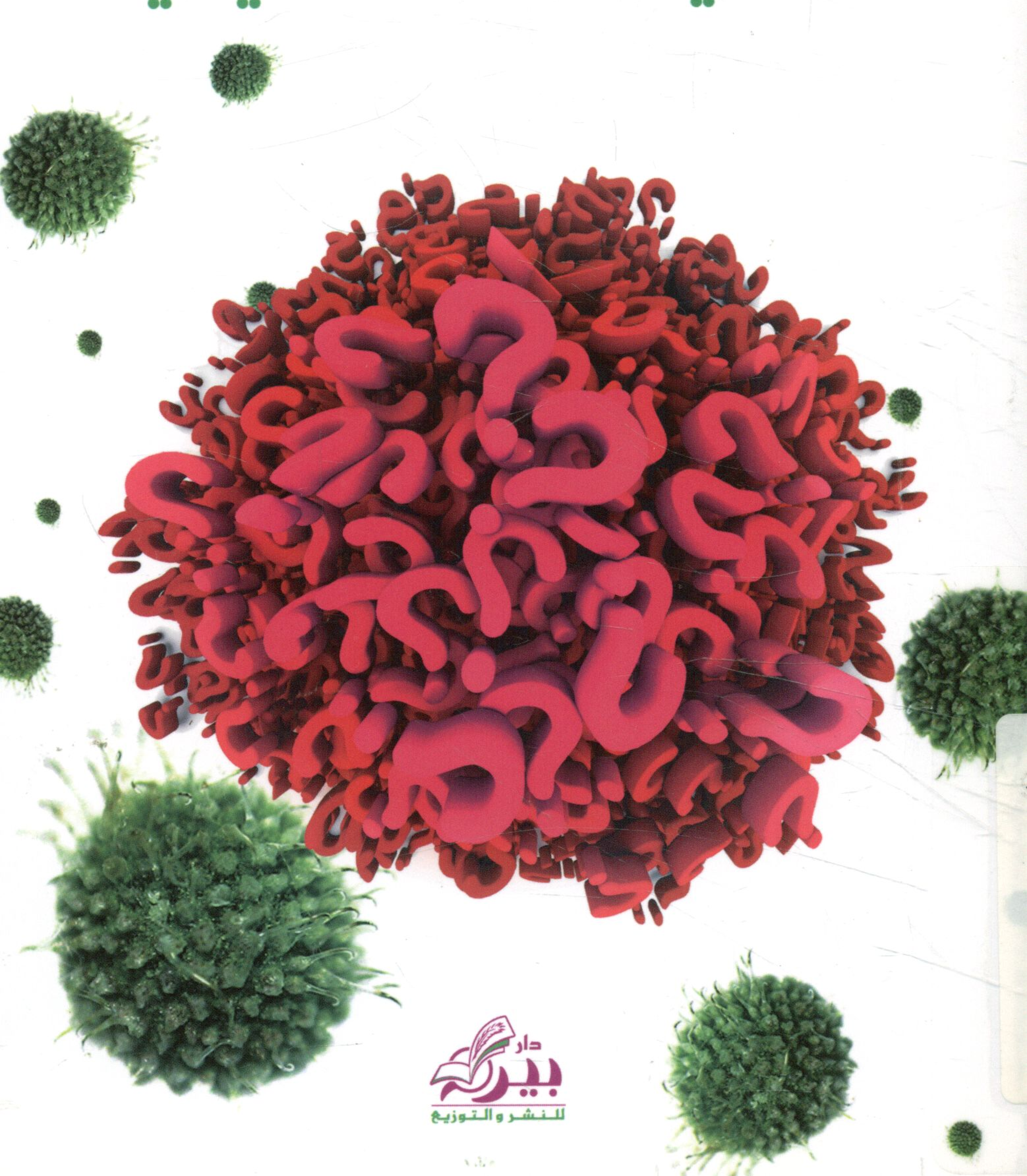
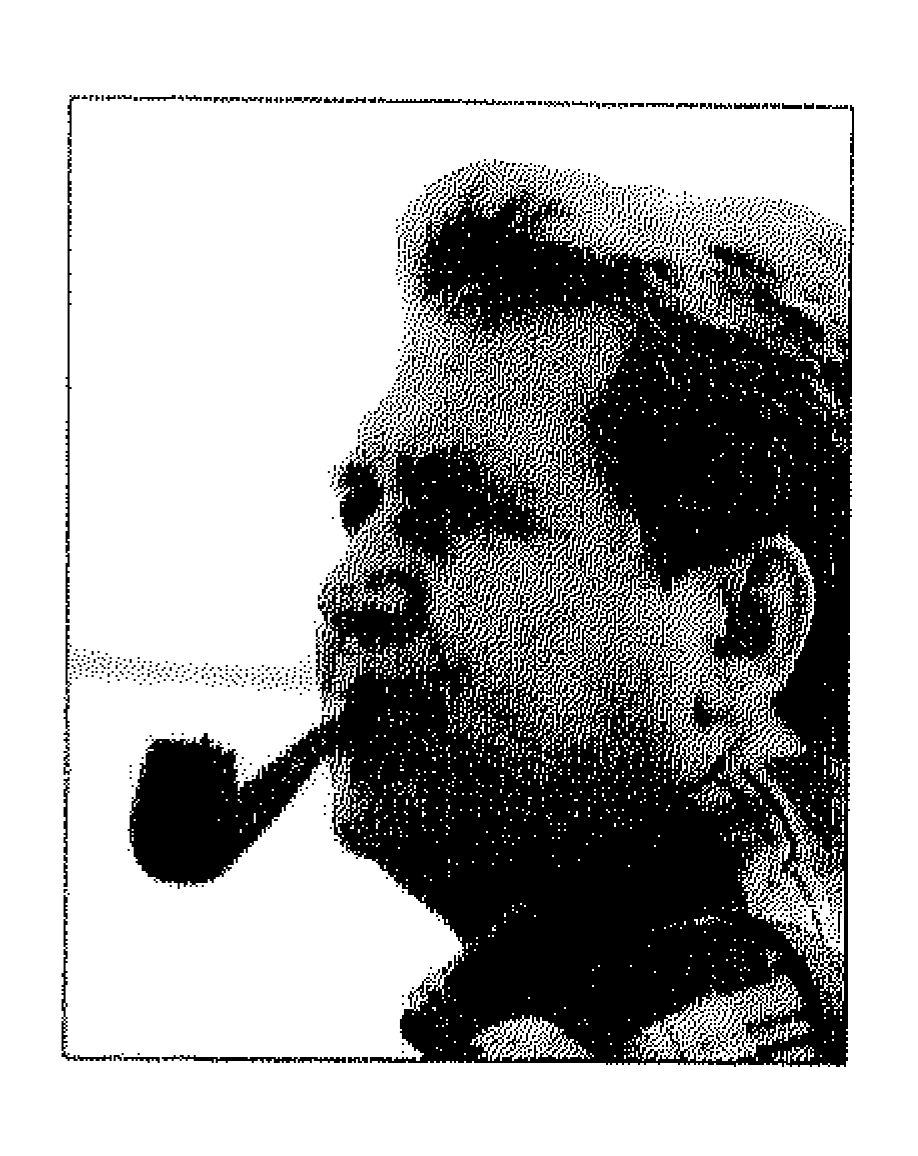
هادي دانيال

مؤامرة الربيع العربي

القضية الفلسطينية





هادي دانيال: من مواليد -1956 اللاذقية / سورية
صدر له:
* الأعمال الشعرية (2003-1973)
صفاقس، تونس. دار صامد للنشر 2006
وتتضمن في مجلد واحد 12 مجموعة شعرية كانت قد صدرت منفردة في كل من بيروت و تونس ودمشق.
* كمائن الورد والنبيذ - شعر - دار صامد للنشر 2009.
* مجلد (الحوارات) دار صامد للنشر 2006
* المسرح العربي على ركح قرطاج - نقد ثقافي - دار نقوش عربية - تونس 1997.
* غضب الشمس - غدر الكلاب و حكمة الحمير - قصتان للأطفال - دار نقوش عربية - 1998.
* أسئلة الأدب التونسي - نقد ثقافي - دار نقوش عربية -2008.
* حميد سعيد وعيا شعريا مقاوما - نقد ثقافي - دار نقوش عربية - 2009.
* قراءاتي في الأدب التونسي - نقد ثقافي - دار نقوش عربية - 2009.
*فلسطين المبدعة / قراءة في الابداع الفلسطيني - نقد ثقافي -دار نقوش عربية -تونس 2009
*أسئلة الفكر التونسي - نقد ثقافي - دار نقوش عربية 2010.
*الرياح بين جناحي / شعر -دار نقوش عربية 2010.
*ربيع متأخر -شعر-دار نقوش عربية 2011.
*ثورات الفوضى الخلاقة - سلال فارغة - فكر سياسي - دار نقوش عربية 2011.
*حروب المصالح الصهيوأمريكية - محرقة البشرية - فكر سياسي - دار نقوش عربية 2011.
*حوار مع السينما - السّم في الصورة- نقد ثقافي - دار نقوش عربية 2012.
*خريف من أجل حطابي السماء / شعر -دار نقوش عربية 2012.
*سوريا التي غيرت وجه العالم / فكر سياسي -دار نقوش عربية 2013.

مؤامرة الربيع العربي

القضية الفلسطينية

الكتاب:مؤامرة الربيع العربي:القضية الفلسطينية
الكاتب: هادي دانيال
النوع الأدبي: فكر سياسي
السحب: 1000 نسخة
الطبعة الأولى 2014
الناشر: دار بيرم للنشر والتوزيع، طريق سيدي منصور كلم4
حبانة1 زنقة بودية ص.ب139 -3094 صفاقس
الهاتف/الفاكس: 74874979
المطبعة: المغاربية للنشر والتوزيع
التصميم الداخلي و الغلاف: عادل التليلي
ر. د. م. ك: 6-22-865-9938-978

هادي دانيال

مؤامرة الربيع العربي

القضية الفلسطينية

مقدمة

خلال زيارتِهِ إلى تونسَ في الثلثِ الأخيرِ مِن شَهْر نوفمبر/تشرين الثاني 2011جَمَعَني إلى سيادة الأخ محمود عبّاس رئيس منظمة التحرير الفلسطينيَّة لقاءٌ أَمَّنَهُ لِيَ أخي الأعَزّ سعادة السفير المُناضِل «سلمان الهرْفي» ، بصِفَتِي عضْواً ناشِطاً في مؤسساتِ المُنَظَّمةِ منذ واحِدٍ وأربعينَ عاماً.

كانَ الغَرَضُ مِن هذا اللقاء في مقرِّ إقامة الرئيس الفلسطينيّ بِقَصْرِ الضِّيافَةِ التُّونِسيّ في ضاحيَةِ «قمّرْت» البحريّة إهداءَهُ نسْخَتَيْن من كتابَيْن لِي صَدَرا بتونسَ في تلك الفَتْرَة هُمَا : (حُروبُ المَصالِح الصهيو - أمريكيّة : مَحْرَقَةُ البَشَرِيَّة) و(ثَوراتُ الفوضى الخلّاقة : سِلالٌ فارِغَة).

وَما أن جَلَسْتُ إلى جِوارِ الأخ الرئيس حتى دَخَلَ عَلينا شابٌّ مِن مُرافِقِيهِ فارِداً بَينَ ذِراعَيْهِ صحيفةً أُسبوعيّة تونسيّة على مَقالٍ نَشَرَتْهُ الصحيفةُ لي بِعَدَدِها الصادِر في ذلك اليوم بعنوان « لِماذا تَسْتَثْنِي واشنطن وأتْبَاعُها الشَّعْبَ الفلسطينيَّ مِن نَعيمِ الرّبيعِ العَرَبيّ المَزْعُومِ؟»».

قالَ المُرافِقُ الشّاب بابتِسامَةِ الظّافِرِ :

- «سيادَة الرئيس ، الأخ هادي نَشَرَ اليومَ في هذه الصحيفة مقالاً يقولُ فيه إنَّ (الربيعَ العرَبيّ) كانَ يجبُ أن يبدَأ مِن فلسطين ، وأنَّ الشَّعْبَ الفَلسطينيَّ هُوَ الأولى بالدَّعْمِ كَي يَصْنَعَ رَبيعَه»!.

امْتَصَّ السيِّدُ الرئيسُ «المُفاجأة» بسُرْعَة ، وَوَجَّهَ كلامَهُ إليَّ بهدُوء ، قائلاً :

- «لقد نَصَبَ شبابٌ خيامَهُم أمامَ مقرّ الرّئاسة في رام الله رافعينَ شعارات «ربيعيّة» ، وقد أمَرْتُ عَناصِرَ الرّئاسةِ بأن يَدَعُوا الشبابَ وشأنَهُم ، فَلْيَنْصِبُوا خِيامَهُم ويُمارِسُوا حَقَّهُم الدِّيمُقراطِيّ . . .».

وقبلَ أن يُواصِلَ الأخُ الرئيسُ كلامَه ، رَشَقْتُ بابتسامَة الشابَّ السَّعيدَ بأنَّه قَبَضَ عَلَيَّ مُتَلَبِّساً ب«جريمَةٍ حِبْرِيَّة» كما تَهَيَّأ له ، قُلْتُ للأخ أبي مازن :

- «سيادَة الرئيس ، الفكْرَةُ الرئيسَةُ في المَقال ، هِيَ أنَّهُ إنْ كانَ الغَرْبُ وأتباعُهُ في المَنطِقةِ حَريصِينَ حَقّاً على حُقوقِ الإنسانِ العَرَبيّ في الكرامةِ والدّيمقراطيّةِ ، فَقَد

كانَ أَوْلى بِهِم أَن يَدْعَمُوا الشَّعْبَ الفلسطينيّ لِنَيْل حُقوقه التي تَنْتَهِكُها «إسرائيل»، وأوَّل هذه الحُقُوق العَيْش بكرامَة وديمقراطيَّة في دَولة مُستَقلّة ذات سيادة داخل حدُود حزيران / جوان 1967 وعاصِمتُها القدس الشريف».

فابْتَسَمَ الأخُ الرئيسُ ، وقال :

- «نَعَم ، هذهِ فِكرَةٌ صائبة».

وَبَعْدَ سَنَوات (2014/1/14) قال الرئيسُ أبو مازن إنَّ « الربيعَ العربي أضرَّ كثيرًا بالقضية الفلسطينية وحَجَبها عن واجهة الأحداث العربية الهامة»، بل وذهب إلى أن « هذا الحراك الذي شهدتْهُ عدة دولٍ عربية ما كان إلا ليصرفَ نظرَ العالم عن الصّراع العربي - الفلسطيني ضدّ الاحتلال الإسرائيلي، الذي هو القضية الأساس للعرب كافة».

وأكَّدَ الرئيس الفلسطيني - خلال حضوره ضيفا على برنامج «ضيف خاص» بالقناة الثانية المغربية على هامش اجتماع لجنة القدس والتي اختتمت أعمالها قبل يوم من هذا التصريح بمراكش - أنَّ الربيع العربي «لم يأتِ إلا بعدم الاستقرار لِعدَد كبيرٍ من الدولِ العربية ، وعدد آخر ينتظر عدم الاستقرار» ، ناعِتاً ما جرى ويَجري في العالَم العربيّ ب «الفوضى».

إذَنْ ، بَدْءاً من كتابيَ (ثَورات الفوضى الخلّاقة : سلالٌ فارغة) مروراً بأشقّائه (الربيع العرَبي يَتَمَخَّضُ عن خريفٍ إسلاميٍّ بغُيُوم صهيُونيّة) و (أوهام الربيع العربي : الوَعْيُ القطيعِيّ) وُصُولاً إلى (سوريا التي غَيَّرَتْ وَجْهَ العالَم) نَبَّهْتُ إلى أنَّ الهَدَفَ النِّهائيّ مِن مؤامَرَةِ «الرَّبيع العَربيّ» هُوَ تَصفية القضيّة الفلسطينية ، وذلكَ بإقامَة ما يُسَمَّى « الشرق الأوسط الكبير « الذي يُرادُ منه السيطرة المُطلَقَة على مصادر النّفط والغاز وحماية أمْن الكيان الصهيونيّ ، وأن يُفْضي إلى «دَولةِ إسرائيل اليهوديّة» وفي ظِلِّها تَلْطأ «دُوَيلة غزَّة» الإخوانيّة.

فإذا كانَ جورج بوش الأب وبَعْده الإبن ، قد حَاوَلا أن يَرْشيا العَرَبَ مُقابلَ سُكُوتِهِم عن تَدْمير العِراق واحْتلاله بإيجاد حَلٍّ للصِّراع العَرَبيّ - الإسرائيليّ وجَوهره (القضيّة الفلسطينيّة) ، مِن خَلالِ مؤتَمَر مدريد ، وَمِن ثَمَّ مَقُولة «الدَّولَتَيْن» الأمريكيّة ، فإنَّ المؤامَرَةَ التي بدَأَتْ بالحَرب على أفغانستان فالعِراق ، استُؤنِفَتْ بتَنْفيذِ سيناريو التدمير الذاتيّ ، انطِلاقاً مِن تونس ،وَتَمَّ تَظهِيرُهُ على هذا المُستَوى

بتَغييب فلسطينَ كقضيّة مركزيّة عن الخطاب الرسميّ لِوُكَلاءِ ما يُسَمّى «الربيع العربي» الذي تَحَوَّلَتْ الرِّئاساتُ والحُكوماتُ التي نَجَمَتْ عَنْه إلى «مُنَظَّمات غير حُكوميّة» تُنَسِّقُ وتتبادَلُ «الخبرات» مع «شقيقاتِها» في الضفَّة الغَربيّة (مصطفى البرغوثي مثلا) وفي أراضي ال 48(رائد صلاح رئيس الحركة الإسلاميّة المُرَخَّص لنَشاطِها من الحكومة الإسرائيليّة وَصاحب الدعوة إلى الزَّحْف من فلسطين المحتلة إلى سوريا لِتحرير الأخيرة مِن «الاحتلال البعْثي»!) ، كما فَعَلَتْ الرئاسةُ التُّونسيّة مُتَجاهلَةً مُنَظَّمة التّحرير الفلسطينيّة المُمَثِّل الشرعي والوحيد للشّعب الفلسطينيّ ، بَل إنَّ الرئاسةَ التونسيَّة المؤقَّتة حرصَتْ على تَمَلُّق كلّ ماهُوَ يهُوديّ فَهَرْوَلَ المَرزوقي إلى مَتْحَف الكنائس اليهُودي وتناوَلَ طَعامَ الغداء في بيت اليهود عسى الصُّوَر التي التُقِطَتْ له ثَمَّةَ ، ترفَعَ مِن رَصيدِه في الدَّوائر الغربية الصهيونيّة.

وفي ذاتِ التَّوَجُّهِ ، وَتطاوُلاً مِنْها على الشَّرعيَّة الفلسطينيّة لم تَجِدْ حركةُ النَّهْضة غَضاضةً في دَعْوَةِ «اسماعيل هنيّة» رئيس حكومة «حماس» المُقالَة في قِطاع غزَّة لِزيارةِ تونس واسْتقبالِه مِن الحزب الحاكم وَمِن حكومةٍ يَتَرَبَّع قِياديٌّ من حركة النهضة على رأسِها ، بل إنَّ حركة النهضة أمْعَنَت في «استثمارٍ» رخيص لفلسطين وَقضيَّتِها عندما لجأتْ إلى مَركز مَزعوم يحملُ اسمَ «القدس» بغْيَةَ تَرميم شَتات تنظيم «الإخوان المسلمين» ، فَجَعَلَتْ مِن هذا الاسم غِطاءً لاجتِماعٍ عَقَدُوَه في تونس.

(أكدت صحيفة «تانيت برس» الألكترونية التونسية يوم 2014/1/16أنّه بعد أن كشف الصحفي المصري علي عبد الرحيم بالوثائق عن «تحضيرات لانعقاد اجتماع قيادي للتنظيم الدولي لجماعة الإخوان المسلمين في تونس خلال هذا الأسبوع برعاية حركة النهضة الاسلامية الحاكمة و يحضره عدد من القيادات الإخوانيَّة في العالم،تبيَّن أنّ الجِّهة المنظِّمة للمؤتمر هي «المركز المغاربي للتنمية المقدسية» وهو مركز علمي تأسس العام 2012 و يقع في إحدى الأحياء الراقية غرب العاصمة التونسية (المنزه) و يعمل على «إنشاء صندوق لدعم سكان حي المغاربة في القدس» على حد تعبيره ،غير أن بعض المراقبيين يتهمون المركز بأنه «غطاء قانوني لنشطات حركة حماس الفلسطينية في تونس ، وَكشفَ مِن خلال وثائق حَصلَ عليها من مصادر سريّة عن الشخصيات المشاركة في المؤتمر والدَّور المشبوه الذى تقوم به تركيا في دعم جماعة الاخوان حيث تم دعوة 42 شخصية عربية وإسلامية من مصر والأردن وسوريا وفلسطين وأندونيسيا وإيران وسيريلانكا ولبنان وإقليم كردستان»). ولأنَّ حركة النّهضة تمسكُ بِخُنّاقِ المجلس التأسيسي التونسي المُوكَل إليه وَضْع دستور للجمهورية

التونسيّة ، فقد ضَغَطَتْ بشدَّة كَي لا يَتَضمَّن هذا الدّستور بنْداًيُجَرِّمُ التَّطبيعَ مع الصّهيونيّة وكيانها العنصُريّ في فلسطين المُحتلّة ، إذْعاناً منها لالتزام رئيسها «راشد الغنوشي»أمامَ منظّمة «الإيباك» الصهيو - أمريكية خلال حَجِّه السياسيّ إلى واشنطن في 30نوفمبر/تشرين الثاني 2011، بأنْ لا تَتَسَرّب إلى الدستُور التونسي الجديد كلمة واحِدة تُسيءُ إلى الصهيونيّة و»إسرائيل».

ومِن تَداعياتِ هذا اسلوك «النّهضاوي» رَفْع علم «إسرائيل» على سَطْح مطعم، قُرْبَ المجلس التّأسيسي التونسي ، فَحَسْبَ خَبَرٍ لصحيفة «الشروق» التونسية يوم 2014/4/18 جاءَ فيه: «قرَّرتْ الدائرة الجّناحية الثّامنة في ساعة متأخرة من ليلة أمس الأوَّل سَجْن صاحب مطعم بمنطقة باردو بالعاصمة (التونسية)مدة ثلاثة اشهر ونصف وذلك على خلفيّة شكاية رفعها ضده أَحَدُ المسؤولين ببلدية باردو من أجل تِهم هضْم جانب موظف عمومي بالقول.

وكان المُتَّهم حضر أمامَ هيئة المحكمة بحالةِ سراح علْماً أنَّ الأبحاثَ انطلقت في قضيّة الحال إثر هدْم بلديّة الجِّهة لجزءٍ من مطَعم المّتهم باعتبار أنه بعد أحداث 14 جانفي(كانون الثاني2011) تولى بناءَ جزء من مطعمِه دون القيام بالإجراءات القانونية اللاّزمة.

وقد أسفرت الحادثة عن مناوشة بين صاحب المطعم وأحد المسؤولين بالبلدية الذي رفع شكاية إلى النيابة العمومية فقررت إحالة المشتكى به على أنظار المجلس الجناحي الذي أدانه من أجل تهم هضم جانب موظف عمومي أثناء قيامه بمهامه».

وكانت الصحيفة نفسها قد نشرت خبَرا في عددها يوم 2014/4/5 تحْتَ عنوان «رفع علم إسرائيل فوق مطعم بباردو بالقرب من المجلس التأسيسي « الخبرَ التالي نصّه:

«علمتْ «الشروق أون لاين» أن صاحب مطعم بمنطقة باردو قام برفع علم إسرائيل فوق مطعمه كردة فعل على هدم الشرطة البلدية أوَّل أمس لجزء من مطعمِه بُنِيَ بعد الثَّورة دون احترام الإجراءات القانونيّة المعمول بها .

وأكد مَصدر أمنيٌّ تونسيّ لـ «الشروق اون لاين» أنَّ العلم الإسرائيلي بقي يرفرف حوالي 10 دقائق فوق المطعم الذي لا يبعدُ كثيراً عن مقر المجلس التاسيسي، مِمّا أثار غضبَ المواطنين وكادت تحصل مواجهات مع صاحب المطعم الذي تم إيقافه

بعد هذه الحادثة».

واللافت في الخبر الأول أنّ المحكمة التونسية لم تُشِرْ في مُقاضاة صاحب المطعم إلى رفعه عَلَمَ الكيان الصهيوني وكأنّ ذلك لا يُعَدُّ جريمة في القانون التونسي خاصة وأن العلمَ الإسرائيلي رُفِعَ على مقربة من المجلس «الوطني» التأسيسيّ التونسي الذي رفض نوّابُه «الوطنيون» إدراجَ بنْدٍ في الدستور التونسي الجديد يُجَرِّمُ التطبيعَ مع الصهيونيّة وكيانها «إسرائيل» .

وبذلكَ مَهَّدَتْ حَرَكَةُ النّهضة لأنْ تُجاهرَ حُكُومَةُ «مَهْدي جُمعَة» بأنَّ دُخُولَ إسرائيليّينَ بجوازاتِ سَفَر إسرائيلية إلى التراب التونسي أمْرٌ لا يَحُول دُونَه حائلٌ دُستُوريٌّ أو قانُونيّ ، بل يَدْعَمُهُ «عرْفٌ» عَمَلَتْ بِهِ حُكوماتُ الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي وحُكومتا حركة النهضة برئاسة كُلٍّ من «حَمّادي الجبالي» و«علي العْرَيِّض»عندما سَمَحَتْ جَميعُها لإسرائيليين بدُخُولٍ غَيْر مُعْلَن إلى تونس ، بل ومَهَّدَتْ لوزيرة سياحة «جمعة» بأن تُفاخرَ قبلَ اسْتيزارها بأنّها سَبَقَ لها أنْ زارت «إسرائيلَ» ، وَما أن آلَتْ إليها حقيبةُ وزارةِ السياحة حتى صَرَّحَتْ بأنَّ «الإسرائيليّينَ مُرَحَّبٌ بهم في تونس»، وشهد الإعلامُ التونسيّ حَمْلَةً ديماغوجيّة تَضليليّة لإقناع الجمهُور التونسي خاصّة بأنّه إذا أثيرَتْ حفيظة «إسرائيل» فإن الإقتصاد التونسي لنَ تقومَ له قائمة!.

وهنا تجدر هذه المُلاحظة : إذا كانَ بنكُ «إتش . أس. بي.سي» قد أكّدَ أنَّ «انتفاضات الربيع العربي» سَتُفْقدُ «دُوَلَ الشرق الأوسط» نحو 800ألف دولار من الناتج الاقتصادي في نهاية عام 2014 بسبب ما تواجهُه تلكَ الدُّوَل من صُعُوبات في استعادَة الاستقرار، وأنّ الناتجَ المحلّي الإجمالي للدُّوَلِ السبع الأكثر تأثّرا (مصر، تونس، ليبيا ، سوريا، الأردن ، لبنان، البحرين) سيكون في الفترة المذكورة أقلّ بنسبة 35بالمئة ممّا كان سَيُسَجِّله لَو لم تحدثْ تلكَ «الانتفاضات» سنة 2011، فإننا نُدركُ جانباً من الهدَف الاقتصادي الصهيو-أمريكِي لهذا «الربيع العربي» الذي تؤكِّدُهُ مُحاوَلَةُ رَبْطَ الاقتصاد التونسي(السياحة مَثَلاً) بِكَسْبِ رِضا «إسرائيل»والدّوائر الصهيونيّة العالميّة ، الذي تسعى إليه حكومة «مهدي جمعة» كما لَمْ تُخْفِ تصريحات الأخير ووزيرته «كربول» ، فكيف إذا أضفنا إلى ذلك كوْنَ الأدوات الزراعيّة والملابس والأدوية تُصْنَع في «إسرائيل» ويتمّ ترويجها هنا بغطاءٍ فرَنسيّ؟!. (قال «مُعزّ الجودي» المتصّ التونسي في الإقتصاد إنّ في السوق التونسية «بضائع

مُستوَرَدَة من إسرائيل سواء مُباشَرَة أو عَبْر تعليبها في دُوَل أوربيّة واستيرادها على الرغم من المُقاطَعَة « - صحيفة «الشروق» التونسية عدد يَوم 2014/6/17 - ص15) هذا إن لم نُعِرْ الإهتمامَ اللازم لخَبَرٍ أوردَتْه إذاعة «شمس إف إم « التونسية يوم 2014/5/2بأنّ أحَدَ المُربين بمدرسة أولاد النصير الريفية التابعة لمعتمدية بوحجلة من ولاية القيروان التونسية عثر علي أقلام خشبية ملونّة بحوزة تلاميذ وتلميذات السنة الأولى ابتدائي كُتبَ عليها «أحب إسرائيل» باللغةِ الإنكليزيّة ،تُباعُ في الأسواقِ التونسيّة الموازية!.

وَقَبْلَ ذلك قاطعَ الاتّحادُ العام التونسي للشغل تظاهرة زيت الزيتون التي أقيمَتْ يوم2014/1/5 بولاية «المهدية» التونسية والتي ينظمها المعهد الوطني للبحوث الزراعية بتونس بالتعاون مع جمعية العمل الديمقراطي والتنمية بالمهدية ، وذلك بسبب مشاركة الكيان الصهيوني في هذه التظاهرة التي تأتي في إطار «مَشروع النظام الغذائيّ المتوسطيّ وتثمين المواد الغذائية التقليدية» وذلك تحت إشراف والي المهدية محمد الناجم غرسلي .

واعتبَر الإتحادُ العام التونسي للشغل أنَّ هذه التظاهرة تندرج ضمن التطبيع مع الكيان الصهيوني.

وصرَّح «عبد الله العش» كاتب عام الإتحاد الجهوي للشغل بولاية المهدية لإذاعة «م ف م» التونسية اليوم السبت 2014/1/4بأنَّ مايُسمّى «مشروع النظام الغذائي المتوسطي» هو تنظيمٌ أو شبكة متوسطية مشروعُها أساسا هو مُحاولة جَرّ الدول العربية إلى التطبيع مع «إسرائيل» ، والإتحاد العام التونسي للشغل انطلاقا من ثوابتِه ومبادئه يُناهِض ويُقاوم التطبيعَ مع الكيان الصهيونيّ ، ولذلك قاطعَ هذه التظاهرة التي تشارك فيها «إسرائيل» في تونس .

وإذا كانَ هذا الواقع الجديد قد جَعَلَ «مُجاهداً» تونسيّا اسمه «مهدي بن سيف الزّيدي» يعترفُ بأنّه دَخَلَ الأراضي السوريّة عن طريق القدس ، ليتسَلّلَ من دمشق إلى حَلب فالرقّة لِقتالِ حزب «البي كي كي» الكرديّ قبلَ أن يعتقله «لواء التوحيد»، فإنَّ مُحاوَلَةَ تقنين التطبيع مع الكيان الصهيوني استَبْدَلَتْ الدّعوة العربيّة التقليديّة إلى مُقاطَعَة «إسرائيل» ، بالدّعوة إلى مقاطعة الفلسطينيين، فشيخ الفتنة «يوسف القرضاوي» الذي لم يُعْلِن رأياً بشأنِ الزياراتِ المُتَبادَلة بين القيادات القطريّة والقيادات الإسرائيلية ، لدرجةِ أنّ الدّوحة أرسَلَتْ مساعدات عَيْنِيَّة لِبناء المستوطنات الإسرائيليّة

على أنقاض بيوت وحقول الفلسطينيين في القدس (أولى القُبلَتين وثالث الحَرَمَيْن) ، لم يَتَرَدَّدْ في إصْدار فَتْوى حَمقاء وَمَشبُوهة تُحَرِّم زيارةَ الفلسطينيين في أراضي السلطة الفلسطينيّة التي لاتسيطر عليها «حماس».

وفي الوقتِ نفسه باتَ جَلِيّاً أنَّ ماشهده «مُخَيَّم اليرمُوك» وغيره مِن المخيّمات الفلسطينيّة في سوريا ولبنان مِن مُحاوَلات تدمير وتهجير «إخوانيّة» عبْر «حركة حماس» كان يرمي إلى «تفكيك» حقّ العَوْدَة وإلْغائه باعتِماد خطّة لتَهجير سكّان مُخَيَّم اليرموك وسواه إلى بَعْضِ الدُّوَلِ العربيّة وبَعْض دُوَلِ أمريكا الجَنوبيّة.وبذلك يُحَقِّقون ما كتَبَه الصهيوني «آفي شاليم» سنة1948 بخصوص اللاجئين الفلسطينيين: « إمّا أن تستوعبُهُم مناطِق أخرى أو أن يُسْحَقوا ... بعضهم سيموت ، ومُعْظَمُهم سَيَتَحَوَّل إلى ذَرّاتِ تُرابِ بَشَري ونِفايات مُجْتَمَع ، وبعضهم سينخرط بالطبقاتِ الأكثر فَقْراً في الدول العربيّة «.

وعلى منوال «آفي شاليم» نَسَجَ مُقْتَرَحٌ إسرائيلي - خليجي لِتَوطين الفلسطينيين في الهواء - كي لا نقولَ في الفراغ - أي في شققٍ مِن عماراتِ «دُبَيّ» الشّاهِقة ، انتِقاماً مِن علاقةِ الفلسطينيّ الاستثنائيّة بأرضِه! .

وفي ليبيا تَجَلّى الحُضورُ الصهيونيُّ بالدَّوْرِ الميدانيّ الذي أدّاهُ «القِياديّ» الصّهيُونيّ «برنار هنري ليفي» انطلاقاً مِن غرفة عَمَليّاتِ «ثُوّار الناتو» في بنغازي ، وَتَقَمُّص إهاب الحَمام الزّاجل بِحَمْلِه رسالة شَهيرة مِن رئيس أوَّل «مجلس حُكم «ليبيّ (ثوريّ) بَعْدَ انهيار نظام الرئيس الشهيد معمّر القذّافي إلى رئيس الكيان الصّهيوني «شيمون بيريز» يُطَمْئنه فيها على مُستَقبل العلاقات الليبيّة - الإسرائيليّة ، وتَبَجَّح «ليفي» هذا في لقاء على شاشة تلفزيون إسرائيليّ جَمَعَه إلى «ليفني» بأنّه يخدم مَصالحَ الصّهيونيّة و «إسرائيل» ، وسيُواصِلُ هذه المهمّة التي «كَلَّفَ بها نفسَه؟» في سوريا. ولأنّه يَرى نَفْسَهُ عَرّاباً و»قابِلَةً» لـ»ثورة الناتو» التي وُلِدَتْ على يَدَيْه

أسْرَعَ إلى إنقاذ ما صَنَعَتْ يَداه ، حين شَعَرَ أنّ «نيراناً صديقة» بصَدَد أن تَحرِقَ أو تَحْلِقَ لحيَتَها الإخوانيّة ،فَحَضَر»برنار هنري ليفي» مؤخراًولكن « بتكليفٍ مِن الاتّحاد الأوربّي هذه المرّة!» جلسات المُفاوضات التي احتضنتها قاعدة معيتيقة الجويّة الليبية وشارك فيها ممثل عن دولة خليجية وقادة «ثوّار الزنتان - مصراتة - طرابلس - غرفة عمليات الثوار» وممثلون عن اللواء «خليفة حفتر» ، وأعطى «برنار ليفي» تعليمات للحضور الذين كان من ضمنهم أيضا «عبد الحكيم بلحاج» عضو

الجماعة الليبية المقاتلة ، بأن يتمّ التوافق على إعادة «علي زيدان» إلى منصبه السابق كرئيس للحكومة الليبية ومَنْح منصب القائد الأعلى للجيش ووزارة الدفاع للواء «خليفة حفتر» ، وتكليف «عبد الحكيم بلحاج» بجهاز الأمن الداخلي والشرطة. إلّا أنّ فيلسوف الشرّ الصهيوني «ليفي» لم يَنْجَحْ هذه المرَّة لأنَّ واشنطن وَضَعَتْ «فيتو» على «عبد الحكيم بلحاج» الذي قد يكون مُتَوَرِّطاً في مَقْتَل سفيرها وعشرةٍ من «المارينز» في بنغازي.

وفي «اليَمَنِ السَّعيد» عَجَّ خِطابُ «تَوَكُّل كرمان» ابنة القياديّ الإخواني ووَزير الشؤون القانونيةِ الأسبق وعضو مجلس الشورى اليمني عبد السلام خالد كرمان ، وهِيَ عضوة مجلس شورى «اللجنة المركزية» لحزب التجمع اليمني للإصلاح الذي يمثل تيارَ «الإخوان المسلمين» في اليمن « لمناسبة تَسَلُّمِها سنة 2011جائزة نوبل للسلام بالكلام على كُلِّ ما يخطر أو لايخطر في بال ، بدُون أن تُشيرَ ولو إشارة عابرة إلى الأرضَ التي يَذبح الصهاينةُ فيها السلامَ ورمُوزَه والتَّواقين إليه كُلّ يوم ، إلى فلسطين والمظلمة التاريخيّة التي يَرزَحُ الشعبُ الفلسطينيُّ تَحْتَ وطأتها العُنصُريّة الاستيطانيّة الإباديّة منذ قُرابة السبعين عاماً، فاقْتَصَرَ نشاطُ هذه الرُّوَيْبضة اليَمَنيّة على الدِّفاع المُستَميت عَن عَبَثِ «الإخوان» المُسلمين بشؤونِ العِبادِ والبلادِ في تونس وليبيا ومصر.

وفي أرْضِ الكنانة لم يقتصر تواطؤ الإخوان المسلمين مع الكيانِ الصهيونيّ على تأكيد التزامِهِم باتّفاقيّات كامب ديفيد ، ولا على رسالة «محمد مرسي»سيّئة السّمعة إلى «عزيزه وصديقه العظيم فخامة شيمون بيريز رئيس دولة إسرائيل» الذي وعدَه «مرسي» في رسالته هذه بأنه «سيبذل صادقَ الجّهد ليكون أهْلاً لعطف فخامته وحسْن تقديرها» ، بَل جاوَزَ ذلكَ إلى استعدادِهم للانخراطِ في تنفيذ مَشروعِ البروفيسور الإسرائيلي «يهوشَع بن آريه» رئيس الجامعة العبْريّة السابق ، لابتِلاعِ الضفَّةِ الغَرْبيّةِ وإقامَة «دَولة غزَّة» في شبهِ جزيرةِ سيناء.

لقد نَشَرَتْ صحيفةُ «الوطن» المصرية على مَوقِعها في العاشرِ مِن أيلول/ سبتمبر2013مَشروعاً أمريكيّاً - إسرائيلياً لتصفيةِ القضية الفلسطينيّة ، أعَدَّهُ البروفيسور الإسرائيلي»يهوشَع بن آريه» وسَرَّبَه دبلوماسيّون

غَربيُّون ، و» يتلخَّصُ المشروعُ الأمريكي - الإسرائيلي لتبادُلِ الأراضي بين مصر وفلسطين وإسرائيل، في أن تتنازل مِصرُ للفلسطينيين عن رَفح والشيخ زويد

لتتمدّدَ غزَّة إلى حُدودِ مدينة العريش، مُقابل أن تحصلَ مِصْرُ على أراضٍ مُماثلة فى صحراءِ النقب، ومميزات خاصّة تتمثل فى إقامةِ شبكة طرُق أهمّها طريق يربطُ بين مصر والأردن والسعودية ويُوصل الحجيجَ المصريين إلى مكة المكرمة، فضْلاً عن مَنح مميّزات لِمصر منها ضخٌّ نقديٌّ يتراوحُ بين 100 و150 مليار دولار، بجانب محطة تحلية مياه ضخمة مموَّلة من البنك الدولي تُغطي العجزَ الكبيرَ في المياهِ الذي سيتسبب فيه سدُّ النهضة الإثيوبيّ

وفى المُقابل، تحصلُ «إسرائيلُ» على مساحات تصِلُ من 40 إلى 60% من أراضي الضفة الغربية، مع مَنح الفلسطينيين قِطعاً بديلة فى صحراءِ النقب بحيثُ تُحافظ على المستوطناتِ الإسرائيلية فى الضفة وتمنحُها الشرعيّة الدولية والقبولَ العالميّ.

وتضمَّنت نسخة مُلخَّص المشروع التنفيذي التي حصلت عليها «الوطن» المصرية ثلاثَ خرائط أوليّة، تُحدِّد بدقة الأراضيَ التي سيتمّ تبادُلها وخرائطَ الطرُق والممرَّات الآمنة، وخطوطَ البترول، المُقترَحة كمُميّزات للدول الأربع المستفيدة منه، وهي: مصر، و «إسرائيل»، والأردن، وفلسطين. وَتُظْهرُ الخريطَةُ «دَولةَ غزَّة» على شكلِ ساطور: قَبْضَتُهُ خارطةُ غَزَّة الحالية وَشَفْرَتُهُ القاطِعَةُ المُرَبَّعُ الذي سَيُقْتَطَعُ مِن سيناءَ لِيُلْحَق بالقِطاع .

وبدأ الملخَّصُ التنفيذيّ للمشروع بمقدّمة عامّة جاء فيها، أنَّ حلَّ الدولتين هو السبيلُ الوحيد لحلِّ الصِّراع الإسرائيليّ - الفلسطينيّ، ويُمكن أن يكونَ الخطُّ الأخضر المحدَّد من عام 1949 إلى عام 1967 بمثابة أساسِ حُدودٍ بين الدَّولتين، لكن هناك حاجة إلى تبادُل الأراضي، لأنّ غزّة ليست كياناً قابلاً للحيَاة على المدى الطويل، سواء كان اقتصادياً أو ديموغرافياً، كما أنّ مصر تواجه تحدّيات داخلية ضخمة اقتصادياً وديموغرافياً، و «إسرائيل» غير قادرة على تهجير 250 ألف مُواطِن يعيشون فى الضفة الغربية، بينما تمتلكُ مِصرُ مساحات واسعة من الأراضي غير المأهولة، لكنّها لا تملك مواردَ كافية لتطويرِ هذه المساحات، كما أنّ مصْرَ وفلسطين والمجتمعَ الدوليّ لهم مصالح خاصة سياسيّة واقتصادية فى الوُصولِ إلى حَلٍّ سلميّ طويلِ الأجَل للنِّزاع.

وحدَّد المُلخَّصُ التنفيذيُّ للمشروعِ مرحلتين للتنفيذ، الأولى: تبادُل الأراضي بين الفلسطينيين والإسرائيليين.. وقال «آريه»، فى هذه المرحلة، إنّه بُناءً على مبادرةِ

القمّة العربية فى بيروت، وكذلك المُبادرات الإسرائيلية والفلسطينية المختلفة يُمكن أن تكون الغالبية العظمى من الضفة الغربية تابعة لفلسطين، كما يَحصَل الفلسطينيّون على مساحة تقدَّر بنحو 100 كيلومتر جنوبَ غربيّ صحراء النقب مع ممرٍّ يربط بين مصر والأردن، وفى المقابل تحصَل «إسرائيل» على منطقةٍ مُماثِلة مِنَ الأراضي فى الضفة الغربية.

أما المرحلة الثانية فهى: تبادُل الأراضي بين مِصر وفلسطين و «إسرائيل»، ويقولَ «آريه» إنّه يُمكن التوصُّل لاتفاقٍ لِضمٍّ بَعض مئات الكيلومترات مِن شمالِ سيناء إلى فلسطين من حدودِ غزّة مع مِصر إلى مدينة العريش، وفي المُقابل تحصَل مِصرُ مِن «إسرائيل» على بعض مئاتِ الكيلومترات فى جنوبِ غربيّ صحراء النقب ومَمَرٍّ برّيّ يربطُ مِصر مع الأردن».

ولقد فاتَحَ «بن آريه» الولايات المتحدة وتركيا وقطر بمشروعه الذي وافَقَ عليه «الإخوانُ المسلمون» في مصر باجتماع عُقِدَ في واشنطن قَبْلَ أَنْ يُكافأ «الإخوانُ» مُقَابل مُوافقتِهم على هذا المَشروع بالوصُولِ إلى السلطةِ في القاهرة ، وتمكينهم مِن القبْضِ على دفّة الحكم في تونس لقاءَ وَفاءِ الغنّوشي بوعودِهِ التي قطَعَها أمامَ اللوبي الصيوني الأمريكي «إيباك» ، وعلى هذا الوَتَرِ كان يَعزفُ الجنرال الإسرائيلي «سامي توردجمان» في الشبكة الثانية للتلفزيون الإسرائيلي يوم 2013/9/24عندما أكّدَ على أنّ حركة «حماس» تعرفُ كيفَ تضمنُ الأمْنَ في قطاعِ غزَّة ، و»لا أجدُ بديلاً عن السلطة التي تُمارِسُها حماس» بَعْدَ أن صَدَحَ في مِصدَحِ الشبكة ذاتها :» ما نريدُهُ هُو الهُدُوء والأمْنِ في قطاعِ غزّة !. إنّ حركة حماس التي تملك حالياً السلطة في هذه المنطقة تعرفُ كيفَ تَقومُ بذلكَ وَهِيَ قادِرَة عَليه».

وبناءً على هذه الثِّقة أنيطَ بحركة «حماس» الدّور الأساس في محاوَلة تدمير الدّولة المصريّة ، وهذا لَفَتَ إليه وزيرُ الداخليّة المصري «محمد ابراهيم» في مَطلعِ عام 2014عندما أشار إلى أنّ «حماسَ» قَدَّمَتْ لكوادرِ في «الإخوان» دَعْماً لوجستيًّا وَدَرَّبَتْهُم على مُخْتَلَفِ أنواع الأسلحة في معسكَراتٍ تَتْبَع «كتائبَ القسّام» ، مؤكّداً وُجود أدلّة في وزارة الداخليَة المصرية على ارتباطَ «أنصار بيت المقدِس» التي تبنَّتْ مُعْظَمَ الأعمال الإرهابيّة في مصر منذ عَزْل «محمد مرسي» في صَيْفِ 2013، بحركة «حماس»، وبين هذه الأعمال تفجير مديريّة أمْن الدّقهليّة.

إذَنْ ، عندَما يُعْلِنُ جَنرالٌ إسرائيليّ مُتقاعِد ومُتَفَرِّغ للحَرب النّفسيّة غبْطَتَه بهذا

«الربيع العربي» ويقول إنّه كان « ربيعاً إسرائيليّاً ب» بامتياز» ، لأنّه أراحَ «إسرائيلَ»من «الخَطر العربيّ» الذي كانَ يَتَمَثَّل - على حَدِّ تعبيرهِ في محاضرةٍ قَدَّمها في «النّرويج» - بحَلِّ الجيش العراقي عشيّةَ احْتلال العراق ، وبما يَجري لإضعافِ الجَّيشين السوري والمصري ، كانَ يؤشِّرُ حقيقةً لَايجدي الهروبُ منها بسلوكِ النّعامة.

ولأنَّ تدميرَالدَّولةَ السورية والتخلُّصَ مِن جيشها الباسل وقيادتها الوطنيّة تُشكِّل جسْرَ العُبُور الصهيو - أمريكي إلى تفتيتِ المنطقةِ ووضْع الأُسُسِ لإقامَةِ الشرق الأوسط الكبير مُرُوراً بالقضاءِ على المُقاومة في لبنان وفلسطين وَفَرْض الَاعتراف بيَهوديَّةِ «الدولة الإسرائيلية « على قيادَة منظمة التحرير الفلسطينية ، لذلكَ كلّه أعلنتْ «إسرائيل» مُعاضَدَتَها ما يُسَمّى «المُعارَضَة السوريّة المسلحة» التي انضمَّ مُقاتلو «حماس» إلى صفوفِها على امتداد نقاطِ الاشتباك مع الجيش العربي السوري ، وتَسَلَّلَ ضُبّاطُ «المُوساد» والإعلاميّون الإسرائيليون إلى أراض سوريّة تُسَيْطرُ عليها الجماعاتُ التكفيريّة المُسَلَّحة ، واعترَفَتْ «إسرائيل» بتلقّي المئات مِن جَرْحى ما يُسَمّى «الجيشُ الحُرّ» العلاجَ في المستشفياتِ الإسرائيليّة ، وسَعَتْ تل أبيب إلى إقامةِ منطقةٍ عازِلَة مُحاذية للجولان المحتل على غرار الشريط الحدودي اللحْدي على حدودِها مع لبنان في العقدَين الأخيرَيْن من القَرْن المُنْصَرِم ، ومَدَّتْ المُسَلّحين التكفيريين بالأسلحة الإسرائيليّة على أنواعِها ، بينما خطابُ مايُسمّى «المُعارَضة السّوريّة» ليس فقط خَلا مِن أيّ إشارة إلى القضيّة الفلسطينيّة ، بل عَجَّ بعبارات واضحة تَتَعَهَّد بعَقد الاتّفاقات وإقامة العلاقات مع الكيان الصهيونيّ فَوْرَ وُصُولِها إلى الحكم ، والتّخَلّي لتل أبيب عن الجولان السوريّ المحتلّ أو اقتسامه معها في أحسَن الأحوال، ناهيكَ عن ظُهُور رُمُوزها في «الكنيست» أو على وسائل الإعلام الإسرائيلية المختلفة بدءاً مِن «فؤاد الغادري» وليس انتهاءً ب «كمال اللبواني» ، مُعْلِنَةً أنّ «إسرائيلَ» ليس فقط لم تَعُدْ عَدُوّاً بل أصبَحَتْ عند هذه الرموز الخيانيّة «صَديقاً» تطلبُ منه المؤازَرَة وتستَقوي به على الدّولة الوطنيّة السورية . وباتَ مَن كانَ يَلتَحفُ بعَباءاتِ حَمَدَيّ الدَّوحَة وبَنْدَر الرِّياض ، يَتَسَوَّل الظُّهُورَ في صورةٍ فوتوغرافيّة أوتلفَزيّة مع مسؤولٍ صُهيُونيّ كجَواز سَفَرٍ لِلحُصُول لاحِقاً على لُجُوءٍ سياسيّ في كندا أو أوستراليا باسْمٍ مُسْتَعار.

(بين 15 و 19 من شهر آب /أوت 2013 عُقِدَ في العاصمة التشيكيّة «براغ» مؤتمر سنوي خاص بالشرق الأوسط تحت عنوان " مؤتمر الشرق الأوسط للأمن والتعاون الإقليمي " وحضرته عشرات الشخصيات الإسرائيلية واليهودية الموالية

لـ"إسرائيل" حول العالم. وهذا المؤتمر احتفل بحضور ضَيْف جديد وحليف عزيز على قلب "إسرائيل" هو سفير الائتلاف السوري المعارض في واشنطن «نجيب الغضبان»! وحضر «الغضبانُ» المؤتمرَ الذي عقد في براغ «ممثلاً رسمياً» للائتلاف السوري المُعارض كما قدمته اللجنة المُوكلة تنظيم المؤتمر، وجلس في قاعة المؤتمر إلى جوار عشراتِ المسؤولين الإسرائيليين أمثال السفير «دوري جولد» سفير "إسرائيل" في الأمم المتحدة أثناء الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982 والجنرال في سلاح الجوِّ الإسرائيلي «إسرائيلِ أوران» والجنرال في الجيش الإسرائيلي «يوسي هاتسور» والجنرال الإسرائيلي أيضاً «يوري ساغي» . وكانت «بسمة قضماني» التي شغلتْ منصِبَ نائب رئيس «المجلس الوطني السوري» العميل عام 2012 قد حضرتْ هذا المؤتمر في دورتِه التي عُقدَتْ في شباط /فبراير عام 2012 في الولايات المتحدة الأمريكية. وهذا المؤتمر الدولي السنوي يُقيم في جامعة «الدوحة» أيضا مؤتمراً مُماثلاً كل عام تحت عنوان "اثراء الشرق الأوسط" ويعقد بالتزامن مع فوروم الدوحة الدولي. ما هو مؤتمر الشرق الأوسط للأمن والتعاون الإقليمي؟ - هو مؤتمر ينظمه مرتين سنوياً (شتاء وصيفا) مركز تطوير الشرق الأوسط CMED في جامعة كاليفورنيا لوس أنجلوس UCLA بالولايات المتّحدة الأمريكية - كانت تستضيفه الحكومة اليونانيّة في أثينا لكنه نُقل إلى براغ في جمهورية التشيك بسبب الاضطرابات الماليّة في اليونان - يُعقد هذا المؤتمر السرّي بدون أيّ إعلانات أو دعايات وتحت حراسة أمْنيّة مشددة ويعملُ المشاركون في مجموعات متخصصة لمناقشة مواضيع تتعلق بالأَمْن الإقليمي، أمن الخليج، ترويج الثقافة الديمقراطية، الاقتصاد والأعمال، السلام الفلسطيني - الإسرائيلي، السلام العربي - الإسرائيلي وغيرها . - خلال هذا المؤتمر يتم عقد اجتماعات سرية بين مجموعات مختارة من الخبراء والمستشارين والأكاديميين لمناقشة قضايا السلام وحقوق الإنسان ومبادرات التطبيع السياسية والتحدّيات الأمنية ومخاطر الإرهاب ومشاريع إقتصادية مشتركة بين مشاركين من "إسرائيل" وفلسطين وسورية ولبنان والأردن والعراق ومصر والجزائر وتونس وكِيانات خليجية وخاصة البحرين والكويت والسعودية مع التركيز خلال السنوات الثلاث الأخيرة على إرهاصات وتداعياتِ مُؤامرَةِ الربيع العربي.و تموِّل هذا المؤتمر الولايات المتحدة الأمريكية و"إسرائيل" وحكومات أوروبية عدة منها اليونان، سويسرا، فرنسا، التشيك، ألمانيا. - عدد المشاركين بين 500 و700 شخص معظمهم خبراء وباحثون عرب من دول الشرق الأوسط بالاضافة إلى تركيا وروسيا ودول أوروبية ونسبة الاسرائيليين 50% من إجمالي المشاركين. ويشارك فيه صهاينة مثل: دوري غولد (مستشار

نتنياهو)، الجنرال أمرام ميتزنا، الجنرال داني ياتوم، الجنرال عامي أيالون، الكولونيل إيتامار يعار، الجنرال إسرائيلا أورون، الجنرال ناثان شاروني، الجنرال يوري ساغي، الجنرال أليك رون، شاؤول شيموني، كوبي هوبرمان، شيمون شامير، يوري دوري، نافا ماشيش، شلومو غور، داليا رابين، يورام ميتال، أوديد دوفرات، يهودا بن معير، الجنرال دوف تماري، وغيرهم كثيرون. - يحضر هذا المؤتمر مشاركون سوريون معظمهم يحملون جنسيات أجنبية منهم: عمر العظم، مرهف جويجاتي، نجيب غضبان، سلام كواكبي، فرح الأتاسي، وائل ميرزا، بسمة قضماني، وغيرهم).

وعلى الرُّغم من أنَّ بَعْض «أصدقاء» سوريا انتَهَزُوا فرصَةَ الإنهيار العربيّ الرسميّ لعَقْد صَفْقَة باتَتْ مُعْلَنَةً مع الولايات المُتّحدة الأمريكيّة (الشيطان الأكبر) وقَطر والسّعوديّة عَبر سُقُوط السّمسار العُمَاني وَمَسْقَطه ، إلا أنّ صُمُودَ سوريا شَعباً وجَيْشاً ودَولةً وقيادَةً ،جَعَلَ مِن دمَشْقَ إضافةً إلى كَونِها عاصمةً إقليميَّةً ، عاصمَةً للصِّراع الدوليّ بين قوى الخير وقوى الشَّرّ ، وعلى أسوارِها وفي خَنادِقها تتكَبَّدُ الإمبرياليةَ الأمريكية والأوربيّة والصهيونيّة العالمية والرجعيّة التركيّة والخليجيّة الخسارَةَ الفادحَةَ تلو الأخرى ، بِحَيْثُ باتتْ أدوَاتُ الربيع الصهيو - أمريكي تتَخَبَّطُ في صِراعات بَيْنيَّة نَجَمَ عَنْها انقسامٌ جَعَلَ السّعوديّة والإماراَت والبحرين في مُواجَهَة قطر وتركيا والإخوان المسلمين ، كما جَعَلَ «جبهةَ النّصرة» في صِراعٍ دامٍ مع «داعش» تارةً ومع «الجبهة الإسلامية» و»الجيش الحرّ» تارةً أخرى.

وفي هُرُوبٍ أرْعَن إلى الأمام ، وَكَمُحاوَلةٍ لمُعاقَبَة موسكو على وقْفَتِها الثابتَة إلى جانبِ الدّولةِ السوريّة ، زَجَّتْ قُوى الربيع الصهيو-أمريكي بِرَمْزِها «برنار هنري ليفي» وضبّاط «الموساد» و»السي . آي . إي» وأجهزة المرتزقة الأمريكية «بلاك ووتر» في أوكرانيا لإطاحَة نظامِها الشّرعيّ وَتَسليم دَفّة الحكم في «كييف» لتنظيماتِ النّازيّة الجديدة في أوكرانيا ، لكنّها ، وإنْ حَصَدَتْ مِن ذلك تَغْذية المَشروع الصهيوني الاستيطاني بآلاف اليهود الأوكرانيين الذين هاجروا إلى الكيان الصهيوني في الأشهر الأخيرة ، إلا أنّها أتاحت للاتحاد الروسي أن يستعيد أجزاء غالية مِن الأراضي والمدن الروسية التي كان «خروشوف» قد ضَمَّها إلى أوكرانيا بسلطته السوفياتيّة ، كما أتاحت للزعيم الروسي «فلاديمير بوتين « أن يضاعف شعبيّته بين الروس وبين العديد مِن شُعُوب العالم.

إذَن ، وكما قال الباحث الفلسطيني»عبد الهادي العجلة» مدير المعهد الكندي

للدراسات الشرق أوسطيّة في حوار مع صحيفة «المغرب» التونسية (2014/4/9): «إن مايسمّى الربيع العربي أضاف المزيد من العراقيل أمامَ القضيّة الفلسطينية ، نتيجة المُتغيّرات الإقليميّة التي رافقَتْ رياحَ التغيير والانقسامات داخلَ البلدان العربيّة ذاتها، وانقسامها وضبابيّة مَواقفها تجاه الملفّ الفلسطيني ، يُمكنُنا القَوْل إنَّ الربيع العربي خَذَّلَ الفلسطينيين حيث انشغَلَ العربُ بثوراتِهم ، واليوم يُمكننا الإعتراف بنجاح أمريكا وابنتها المدللة ،إسرائيل، في إخراج العالم العرَبي مِن دائرةِ الصِّراع لتُعْطِي تسميَةً جديدة للقضيّة الفلسطينيّة وهي :الصِّراع الفَلسطيني - الإسرائيلي ، بدَلاً مِن: الصّراع العربي - الإسرائيلي».

لكنَّ النَّتيجة التي خلص إليها «العَجَلة» قد تبدو «مُسْتَعْجلَةً» ذلك أنّ هذه «الحقيقة» مؤقّتة ، مادامتْ مؤامرةُ الربيع العرَبيّ لم تصل إلى أهدافِها الأهمّ والتي لن تصلها مادامت الدولة الوطنيّة السورية قلعة للمُقاوَمة والمُمانَعة ومادامَ الجيش العربيّ السوريّ سورا عظيما صَلْداً شاهِقا تنكَسِر على صَخْرِ صُمُودِهِ أعْتى المؤامرات الكونيّة.

دماءُ شعبنا الفلسطينيّ سالَتْ مِن ظهرِ غَزّةَ بخنجريْن مِن خاصِرَتَيْها وخنْجَر سَرَطانِيّ ثالث مِن بين أضلاعها : خنْجَرُ «إسرائيل» وخنْجَرُ التَّواطُؤ العربيّ (بقبضَة مصريّة وَحَدَّيْن سُعوديّ إماراتيّ)، وخنْجَرُ المُتاجَرَة الإخوانيّة الحَمساويّ القَطَريّ التركيّ ، ومَرَّةً أخرى تَصْرَخُ الضحيّة التاريخيَّةُ من خُنْجُرَة البَراءَة الفلسطينيَّة ، خُنْجَرَة الطفُولَة المَسْحُولَة على مدارِج الجامعَة الأعرابيّة ، ومؤتَمَر التآمُر الإسلاميّ ومُنَيْظَمَة عَدَم الإنحياز إلى الحَقّ وَمُنَظَّمَةِ الأُمَم المُتَّحِدَةِ في وَلائها للباطِلِ الصهيُونيّ : يا وَحْدَنا !.

*تونس2014/7/16

مؤامَرة الربيع العربي تستهدف مخيّمات الفلسطينيين في سوريا والبعض يُحاوِل استثمارَ مُعاناتهم!

على مَدى سَبْعَة عُقودٍ تَقْريباً وسكّين الغدْرِالصَّدِئة لم تُغادِر الخاصرَةَ الرَّخْوَة لقَضيّتِهم / قضيَّتِنا ، وَمِن «عَشاءٍ أخير» إلى آخَر يَتَناسَلُ دَمُهُم ولَحمُهُم / دَمُنا وَلحمُنا، فَهُم قَبْلَنا ومَعنا وبَعْدَنا الأُضْحيَةُ القَوْميَّةُ المَرْكَزيّة ، على مَوائد أخوَتِهم في العِرْقِ والدِّين والإنسانيّة. فَدَمُهُم / دَمُنا يَفيضُ نبيذاً مُعَتَّقاً عن كؤوسٍ تَرْفَعُها الأكُفُّ أنْخاباً وَلَحمُهُم /لَحمُنا يُلاكُ مِزَقَ خبْزٍ مُقَدَّس ، وكُلّ فَجْرٍ يَسْقُطُ عليْهم وإيّانا مِن أرْحام الليالي المُجْهَضَةِ تَقترِحُ عليهم الدِّيَكَةُ نشيداً بديلاً عَن نشيدِهم الوَطَنيّ تَعْزِفُهُ حَناجِرُها احْتِفاءً بِرَفْعِ أجسادِهم على خَشَبَةٍ احْتُطِبَتْ مِنَ الغابِ الذي ما فَتِئَ يَفرضُ قانُونَهُ علينا جَميعاً نَحْنُ أحْفاد يَسُوع الفلسطينيّ.

ولئن اعْتادَ الفلسطينيُّون أن يكونوا مُخْتَبَراً لمَظالِم التاريخ منْذ أن سَرَقَ الغَرْبُ يَسُوعَنا لِيَشنَّ علينا حَرْباً باسْم الصَّليبِ الذي شُبِحَ ابنُ مَرْيَمِنا عليه ، فإنَّ عَدالَةَ التّاريخ شُلَّتْ منذ سَطا هذا الغَرْبُ على أرْضِنا

سَطْواً مُسَلَّحاً ليَهَبَها إلى ضَحِيَّتِه المُعاصِرَة عَساهُ يُرْضِي بِها ضَميرَهُ المُتْعَب غَيْرَ آبِه بأنَّهُ جَعَلَ مِن الشَّعْب الفلسطينيّ ضَحيَّةَ ضَحيَّته هُوَ، فأصبَحَ مُستَقبَلُ الفلسطينيّ رَهينَ مُعادَلة مُعَقَّدَة وكأنَّ قَدَرَ الفلسطينيّ أن يُكافِحَ جِيلاً بَعْدَ جيل رافِعاً رايَةَ الأمَلِ بأنْ يَجِدَ بأشكالِ مُعاناتِه الدَّامِيَةِ حَلاًّ لِهذه المُعادَلة.

وإذا كانَ هذا الغَرْب لم يُجْلِ عن فلسطيننا جُيُوشَهُ إلا بَعْدَ أن سَرْبَلَها بِقُطْعانِ المُستَوطِنين الصَّهاينة الذين جَعَلُوا مِن إلغاءِ وُجُودِ الفلسطينيِّينَ شَرْطاً لتأكيد وُجُودِهِم، فإنّهُ حَشَدَ إلى جانب صَنيعَتِه الصّهيونيّة التي تَكَفَّلَ برعايَتِها بَدْءاً مِن أوَّلِ مُسْتَوطَنَة بُنِيَتْ في غَفْلَة مِن أجدادِنا العَرَب والفلسطينيِّين وُصُولاً إلى آخِرِ شِبْرٍ يَرْنُو هذا الكيانُ الغاصِبُ الوُصُولَ إليهِ لإقامةِ «دَولَةِ إسرائيلَ اليهُودِيَّة» حَشَدَ أتباعهُ مِن أنْظِمَة وتَنظيماتٍ في المَنْطِقةِ كي يَخصَّ الفلسطِينيِّينَ بسلسلةٍ مِن المَجازِرِ الإبادِيَّة، التي جابَهَها شَعْبُ الجبَّارين دائماً بمُعجزَةِ طائر الفينيق الذي يَنْبَثِقُ مِن رَمادِهِ مُعْلِناً وِلادَتَهُ مِن جَديدٍ بُعَيْدَ كُلِّ مَجْزَرَةٍ «يطْمَئِنُّ» بِها الجَزَّارُونَ على بَقاءِ سُلطانِهِم.

وَعندَما راكَمَ الشَّعْبُ الفلسطينيُّ نِضالاته وتَضحياته في مَسارٍ تاريخيٍّ مَلحَمِيٍّ تراجيديٍّ في آنٍ مَعاً، لِيَبْني صَرْحاً يُعَبِّرُ عَن وُجُودِهِ وَتَطلُّعاتِهِ ويَرْسَمَ مَلامِحَ مُسْتَقبَلِهِ فارضاً على العالم الإعتراف بهذا الصّرْح (منظّمة التحرير الفلسطينيّة) مُمَثِّلاً شرعيَّاً وحَيداً لهُ يَقُودهُ على طريقِ استعادَةِ حُقوقِهِ المَشروعة في العَودة وتقريرِ المَصير وإقامَة دَولته المُستقلّة ذات السِّيادَة على تُرابِهِ الوطَنِيّ وَعاصِمَتها القُدْس الشَّريف، وَباتَ هذا الصَّرْح بِمَثابَةِ العمودِ الفَقَريّ لأرْخَبيلٍ نضاليٍّ هائلٍ يَنْشَطُ لِتَحقيقِ مَشْرُوعٍ وَطَنِيّ يَسْتَنِدُ مَوضُوعِيَّاً إلى كُلِّ القُدراتِ العَرَبيّة

والإقليميَّة والدّوليّة التي تَجِدُ في مَشْروعِ الهَيْمَنَةِ الصّهيو أمريكي خَطَراً على مَصالحِ واستِقرار وازدِهار شُعُوب المنطقةِ والعالم ، وَضَعَ الأعداءُ إمْبِرياليِّينَ وصَهاينة وأتباعاً رَجعيِّين خطَّتَهم الشرِّيرَة لِتَدمير المنطقة وإقامة «الشرق الأوسط الكبير» كي يطمئنُّوا نِهائيًّاً ليسَ فقط على وَضْعِ مَنابعِ الطّاقة تَحْتَ سَيْطَرَتِهِم وَحْدَهُم ، وعلى حِمايةِ أمْنِ «إسرائيل» ، بل على تأمِينِ شُرُوطِ إقامَةِ «دَولة إسرائيل اليهوديّة» بِتَصفِيَةِ الصِّراعِ العرَبي - الإسرائيلي وَوأْدِ المَشروع الوطني الفلسطيني.

ولذلك حرصتْ قيادة منظمة التحرير الفلسطينية على تَحييدِ المُخَيَّمات الفلسطينيّة والجاليات الفلسطينيّة عَنْ حراكاتِ وفوضى وحُروب «الربيع العربي» الداخليّة والخارجيّة وَعْياً مِنها بأنَّه يُراد للمشروع الوطني الفلسطيني أن يكونَ جزْءاً مِن رَمادِ هذه المحرقةِ الهائلة التي أُلْقِيَتْ إليها شُعُوبُ وَدُوَل وجُيُوشُ المنطقة ، لذلك دعا الرئيس الفلسطيني محمود عباس مِراراً إلى «عدم التدخل في ما يجري في تونس وليبيا ومصر وغيرها من الدول وبالذات في سورية» ، إلّا أنّ أدوات تنفيذ هذا المخطط التدميري الإرهابيّة التكفيريّة تَمَكَّنَتْ مِن العُثور على «حصانِ طروادة» يقفزُ بِها فَوْقَ الأسوار الوطنيّة التي حرَصَتْ القيادة الشرعيَّة الفلسطينيّة على تحصينِ المُخَيَّماتِ بها كي لا يَصِل الحريق إلى داخِلِها ، ويُحَقِّق الأعداءُ بذلك هَدَفَهُم المُعْلَنَ في تهجيرِ قُرابة600ألف فلسطيني في سوريا إلى أمريكا الجنوبيّة وكندا على طريق أوربا «الإنسانَويّ»!، فكانَ «مُخَيَّم اليرموك» قُرْبَ دِمَشْقَ الذي يَضمّ 150 ألف فلسطيني كَعْبَ آخيل / المَقْتَل لِلوُصُولِ إلى هذا الهَدَف. وإذا كان عدَدُ اللاجئين الفلسطينيين في سورية بعد 66 عامًا من نكبتهم يُقَدَّرُبنحو 510.444 لاجئاً، حسب إحصائيات

الأونروا بتاريخ 1 كانون الثاني 2012 ويعيشون في تسعة مخيَّمات مُعترَف بها من قِبَل «الأونروا» وثلاثة غيْر مُعترَف بها ، فإنّ معاناتهم نشأتْ منذ بداية الأحداث في سورية ، فانتقلوا من مرحلةِ الاستقرار المؤقت إلى مرحلةِ الاضطرابِ، ومنهم مَن اضطرَّ إلى النزوحِ عدّة مرات إلى أماكن أكثر أمْناً من المخيّمات خصوصاً في الأشهر الأخيرة من الأحداث ، وقد تواصلَ ارتفاعُ حصيلة الشهداء الفلسطينيين في سورية ، وتسارُعُ هذا الإرتفاع المُقلِق خصوصاً في الأشهر الثلاثة الأخيرة، حيث سجَّل شهرُ كانون الأول- ديسمبر من عام 2012، حوالي 145شهيداً فلسطينياً موثقاً، في حين كانت الحصيلة الموثقة للشهداء الفلسطينيين في سورية حتى تاريخ 28-2-2013 وبحسب «مجموعة العمل من أجل فلسطينيّي سورية» (1036) شهيدا، حيث تقوم المجموعة بتوثيق أسماء الشهداء الفلسطينيين في سورية، وظروف وتاريخ ومكان استشهادِهم ، علماً أنّ نحْوَ نصف الشهداء الفلسطينيين في سورية سقطوا في دمشق (531 شهيداً)، إضافة إلى (223 شهيداً) في ريف دمشق،كما أنَّ أكثر من 65 % من الشهداء الفلسطينيين سقطوا داخل مخيماتهم وتجمعاتهم، فلم يَشفعْ للفلسطينيين أماكنُ تواجُدِهم سواء في مخيّماتهم أم خارجها، ففي مُخَيَّم اليرموك وحده سقط 398 شهيداً فلسطينياً.وحسب التقارير التي تعود إلى العام الماضي 2013يبلغ إجمالي عدد النازحين الفلسطينيين من سورية إلى خارجها نحو 15 في المائة من مُجمَل فلسطينيّي سورية، في حين بقي مثلهم تقريبًا داخل المخيَّمات، والباقون نزَحُوا إلى مناطق أخرى في سورية ومعظمهم في العاصمة دمشق. والغالبية العظمى من هؤلاء نزحوا بملابسهم وبِمَا خَفَّ وزنُه وكانَ حَمْلُه مُستَطاعاً، للنجاة بأنفُسِهم في ظلِّ اشتدادِ المَعارِكِ الدائرة بين

الجيش العربيّ السوريّ والجماعات الإرهابيّة ، وهذا يُشكّل عبئًا على الأماكنِ التي وصلوا إليها،علماً أنّ أعدادَ مَن بَقِيَ في المخيّمات الفلسطينية بالداخل السوري، بَعْدَ نَحْو ثلاثة أعوام على الأزمة الدائرة في الأراضي السورية، يتناقصُ باستمرار، في ظلِّ اشتدادِ الأزمة وانقطاع سُبُل العَيْشِ مع فقدانِ الأمْن والأمان حتى على أرواحِهم، حيث يُصبح احتمالُ التحاقهم بمَن سبَقهم في النزوحِ إلى الدول المُجَاورة أكبر، لا سيما لبنان، وما يترتب على ذلك من تداعياتٍ إنسانيَّةٍ صَعْبَة.

وإذا كان الرئيس الفلسطينيّ محمود عبّاس قد أشار إلى مُعاناة اللاجئين في سوريا «دونَ أن يكونَ لهم ذَنْب» وأنها «قد تكون من المرّات النادرة أننا بعيدون عن كل ما يَجري حَولنا أو أبعدْنا أنفسَنا عن كلِّ ما يجري حولنا لِجهةِ حماية أهلِنا وشعبنا ومع ذلك اُقحِمْنَا مِن حيث لا ندري بمأساةٍ جديدة للاجئين تُضاهي مأساة عام 1948 إن لم تكن أصعبَ منها».فقد حَمَّلَ الرئيس أبومازن مسؤوليّة استباحة حرمة المخيَّم إلى «الخَوَنَة» الذين استخدَمَهُم المُسَلَّحُون الإرهابيُّون «حصانَ طروادة» فلسطينياً ، وإن لم يُسَمِّهِم الرئيس عبّاس فالكُلّ باتَ يعلَم أنّهُم مقاتلوا «أكناف بيت المقدس» الذين ينتمون أصلاً إلى حركة «حماس» ، فقد قال الرئيس الفلسطيني أمام وَفْدٍ شَعبيٍّ مقدسيّ في مقرِّ رئاسةِ السلطةِ الوطنيّة الفلسطينيّة في مدينةِ رام الله بالضفة الغربية (وننقل ذلك عن موقع «وفا» الإخباري الفلسطيني) : «إن موضوعَ مُخيَّم اليرموك في دمشق واضح . . وإذا أراد الفلسطينيون أن يقاتلوا فمعروف أين يقاتلون وليس في اليرموك» مضيفا «كنا نتمنّى على الجماعات المسلحة أن تبتعدَ عن المخيَّمات لكنَّ المبلغَ

المدفوعَ لها أكبر من الخروجِ من المُخَيَّم».

وأضافَ الرئيسُ عبّاس إن «مَن دخَل المخيَّمات خَوَنَةٌ للقضية الفلسطينية وَلِشعبنا ، ولا علاقة لنا بما يَجري ولا دَخْل لنا في هذهِ المَشاكلِ والأحداث وإنْ لم تكن لدينا كلمة خير فلنصْمُتْ».

وتابعَ الرئيسُ عبّاس «إنَّ علاقاتنا مع الجميع واحِدَةٌ وهنالك وفدٌ في دمشق يُمَثل منظمة التحرير الفلسطينية يُحاوِل أن يَجِدَ الحُلولَ وإدخالَ المعونات الإنسانيّة ويُخرِجَ المرضى والجرحى».

وأشار الأخ أبو مازن إلى أنَّ هناك جزءاً من الشعبِ الفلسطيني يُعاني وخاصة في اليرموك «ونحن اتَّبعْنا سياسةَ أنَّنا ضيوفٌ في الدول العربية ولا نتدَخَّل في شؤونِها وإزاء ما حَصلَ في ليبيا ومصر وتونس وسوريا كان موقفاً واحداً مُوحَّداً وكلّ فصائل المنظمة على نفس المَوقِف : لا نريد التدخُّلَ لأننا نَعِي نتيجة التدَخُّل ، وكانت الأشهرُ الأولى في سوريا هادئة على جميع المخيَّمات فيها لكنْ سُرعانَ ما لعبتْ الأيدي القذرة المستأجَرة في المخيّمات ، فهم يَدخُلون من دونِ أيّ سبب سِوى أنَّهُم مُستأجَرون مِمّا أدّى إلى هجرةِ الكثيرِ ومعاناة الكثير مِن سُوءِ الأوضاع في المخيمات».

ورأى الرئيسُ محمود عبّاس أنَّ الفلسطينّين تعرَّضوا في مخيَّم اليرموك إلى «نكبة أخرى» مُشيراً إلى «إطلاق دعوة لإغاثة أهالي المُخيَّم» وتمنّى أن «يتمَّ إسعافُ الفلسطينيين في المخيَّم ومَن خرَج منهم وسنُحاوِل مساعدته بقدْرِ ما نستطيع».

وَمَعْلُومٌ أنّ مَسؤوليَّ منظمة التحرير الفلسطينيّة الذين أوفدَهم الرئيس أبومازن إلى دمشق للوقوف على حالِ مُعاناةِ مُخيَّم اليرموك

كالأخ عبّاس زكي والأخ زكريا الآغا عضوي اللجنة المركزية لحركة «فتح» و أحمد عبد السلام المجدلاني وزير العمل الفلسطيني أكّدوا جميعاً تَعاوُنَ الدولة السوريّة وأنّ «دخول المسلّحين إلى المُخيّمات الفلسطينيّة ومَنْعهم وصول المساعداتِ الإنسانية إلى المدنيين هو السَّبَبُ في مُعاناة أبناء المخيّمات» ، مشدِّدين على ثباتِ الموقِفِ الفلسطينيّ الداعي إلى عَدَمِ زجِّ اللاجئين الفلسطينيين بالأحداثِ في سوريا واحترام سيادتِها وأمْنها والحفاظ على استقلالِها ووحدةِ أرْضِها وشعبِها. وعندما يُحاولُ بَعْضُ المُزاوِدين مِن خارجِ منظّمة التحرير الفلسطينيّة كأمين عام الجّبهة الشّعبيّة - القيادَة العامّة «أحمد جبريل» على موقِفِ منظمة التحرير وقيادَتِها مِن الأزمة السوريّة فإنّنا نُذَكِّر باعترافِهِ يوم2014/5/5 على قناة «الميادين» بأنَّ المسلّحين الإرهابيِّين كانوا يمرُّون أمامَ مُعسكَراتِ جبهَته عائدينَ مِن المَعارك التي يَخوضونها مع الجيشِ العربيّ السوريّ وأنَّ رِفاقَه في الجبهة كانوا يقدّمون لهؤلاء المُسلّحين «الماءَ والشايَ»، أسْوَةً بالضبّاط اللبنانيِّين التابِعين لأمْرَةِ «فؤاد السنيورة» و«أحمد فَتْفَتْ» الذين كانوا يقدِّمون الشايَ لجنود وضباط الاحتِلالِ الإسرائيلي خِلالَ العدوانِ الصهيونيّ على لبنان سنة 2006. بل وفي ذاتِ اللقاء مع «الميادين» أكّدَ «جبريل» أنّ الجبهة الشعبية/القيادة العامة التي يقودُها أبْقَتْ على أقنيَةِ اتِّصالٍ مع حركة «حماس» على الرّغم مِن غَدْرِها الإخوانيّ الرّخيص بالدّولة السّوريّة وانضمامِها سياسيّاً وعسكريّاً إلى الخندقِ الذي يَشنّ عدواناً إباديّاً ضدّ الدولة والشعب السوريِّين ، هذا الخندَق الذي يَضمّ الولايات المتّحدة الأ ـريكيّة وتركيا والكيانَ الصهيونيَّ وقَطَرَ والسعوديّة والإمارات والإخوانَ المسلمين وتنظيمَ القاعدة وتفريخاته الإرهابيّة كافّة.

وإذا كانَ المَشْروعُ الدّيني التآمُريّ (مشروع الإسلام السياسي والذي ترفدُهُ المسيحيّة السياسية بمَواقفِ البطريرك مار بشارة بطرس الرّاعي الذي التقى عملاءَ «إسرائيل» من بقايا «جيشِ لحد» في بلدةِ عسفيا في الجليل المحتلّ لقاءً جماعيًّا قال لهُم فيه إنّهم : «يحبون لبنانَ أكثر من أي مقيم هناك»، ويضيفُ البطريرك مانحاً صكّ براءةٍ لهؤلاء العُمَلاء الذين لم يسألهم عن أساليبِ التعذيب التي مارسُوها في مُعتقلاتٍ كالخيام ضدّ اللبنانيين الذين رفضُوا الإحتلال الإسرائيلي: «الأبرياءُ دائماً يدفعون ثمَن غلطاتِ وشرور الكبار» ويذهبُ رجلُ الدِّين المسيحيّ أكثرَ في غيِّه السياسيّ حِين يقول : «أشعرُ بأنّي في قلبِ لبنان الحقيقيّ، لا لبنان المزيّف» وهُوَ بذلكَ يُسَوِّقُ مَوضُوعيّاً للمشروعِ الإسرائيليّ في إقامةِ شريطٍ حدوديٍّ عازلٍ في جَنوب سوريا تُشرف عَليهِ «إسرائيلُ» إسوَة بالشريطِ الحدوديّ الذي أقامَهُ اللحْديُّون في جنوب لبنان لحماية الكيانِ الصهيونيّ مِن المقاومة في العقدينِ الأخيرينِ مِن القرْنِ العشرين) ، إذا كانَ هذا المشروع الدِّيني هُوَ مَلاذ خِطَّةِ «الربيع العربي» التآمُريّة للنفاذِ إلى الجّسَدِ الفلسطيني في المُخَيَّمات التي تُمَثِّلُ حاضِنَةَ حَقِّ العَودَة والرَّافِعَةَ النِّضاليَّة لِبَقاءِ هذا الحَقِّ ماثِلاً في ذاكِرةِ المُجتَمَع الدَّولي وقَوانينه وشرعيّته كما تُمَثِّلُ للأجيالِ الفلسطينيّة شَرْطَ تَمَسُّكِها بهذا الحَقّ الفَرديّ والجَّمْعيّ المَشْرُوع ، فإنَّ مايُسَمَّى «المُجْتَمَع المَدَني» بجَمعيّاته ومَراكِزه التي يُمَوِّلُها الغَرْبُ الأوربّيّ ودَوائِرُهُ المُتَصَهْيِنَة ، هُوَ المُناطُ بِه سَوْقَ اللاجئينَ الفلسطينيِّينَ بَعْدَ تدْمير مُخيَّماتِهم وَطَرْدِهم مِنْها إلى أقاصي الأَرْضِ التي يُرادُ تَوطِينهم فيها لإزاحَةِ حَقِّ العَوْدَة كَعائقٍ حاسِمٍ أمامَ « دَولَةِ إسرائيل اليهوديّة» .

وهكذا تتضافَرُ جُهُودُ التنظيماتِ الإسلامَويّة في تَمْويلِ وتَسليحِ وإرْسالِ «المُجاهِدين» ليسَ إلى فلسطين المُحتلّة لِتَحريرِ «أولى القبْلَتَيْن وثَالِث الحَرَمَيْن» بَل إلى «مُخَيَّم اليرمُوك» لِتَدمِيرِه وَتَهجيرِ سُكّانه اللاجِئين الفلسطينيِّين إلى خارجِ سوريا، وتأمينِ وَثائق وتَذاكِر السَّفَر مِن لُبنان وتأمين تأشيراتِ الدُّخُولِ الأمنيّة بالتَّنسيقِ مع «أقرباء» فلسطينِيِّينَ لَهُم في بنغازي(؟!)، بَدَلاً مِن لَمِّ شَمْلِ العائلاتِ الفلسطينيّة داخل الوطَن الفلسطينيّ المُحْتَلّ ، تتضافرَ هذه الجُهُود مَع جُهُودِ «جَمعيّاتِ ومَراكزِ المُجتمَع المَدَنِيّ» التي تُسَوِّقُ وَتَدْعُو تَحْتَ شعاراتٍ «إنسانَويَّة» إلى تَشَجيع الفلسطينيّين على السَّفَرإلى أوربّا بَحْثاً عَن حَياةٍ أفْضَل مِن الحياةِ التي «يكرهُونها» في سوريا ولبنان ، على حَدِّ تعبير «رولا بدران» الناشطة الحُقُوقيّة «الفلسطينيّة» (مديرة البرامِج في ما يُسَمّى المنظمة الفلسطينيّة لِحُقُوقِ الإنسان -حقوق) التي تَجِدُ في جَمعيّاتِ وَمَراكز «المُجتمَع المدَني» وسيلَتَها المُفَضَّلة للمُتاجَرَة بآلام شَعْبِها شأنها شأن أمثالها مِن «الناشطين الحُقوقيِّين» الذين دَيْدَنُهُم تَدْبيج التّقارير الزّائفة وَرَفْعها إلى الجِّهات التي تُمَوِّلُ جمعيّاتِهم ومَراكزَهم ولَوْ بِلَيِّ أعناق الحقائق وتزييفها كأنْ تتجاهَلَ هذه الناشطة مثلاً حقيقة دامغةًعلى غِرار أنّ الدَّولة الوحيدة التي يُمْنَحُ فيها اللاجئ الفلسطينيُّ ذاتَ الحُقوق والوَاجبات التي يُمْنَح فيها المواطِن الأصلي في هذه الدّولة هِيَ سوريا(؟!).وحِينَ تَشاءُ الصُّدَفُ أن يَنْفَضِحَ هذا التَّنسيق لِتهجير فلسطِينِيِّي مُخَيَّم اليرموك خاصَّةً ، عندَما تُغْلِقُ الصِّداماتُ الدَّاميَةُ بينَ أطْرافٍ ليبيّة مطارَ بنغازي فَيَعْلَقُ عَشَراتُ الفلسطينيِّين في مَطار تونسَ قرطاج الدّولي، يُقيمُ بَعْضُ جَمعيّات وَمَراكز «المُجْتَمَع المَدَني» وَبَعْضُ التنظيمات الإسلامَويَّة الذي يُديرُ شبكات تسفير المُقاتِلين التكفيريين إلى سوريا، المَواقِعَ الألكترونيّة

ولا يُقْعِدها لِلحُؤولِ دُونَ إعادَةِ هؤلاء «العالِقِينَ» إلى لُبنان الذي بِدَوْرِهِ لا يُخْفِي سَعْيَهُ الدَّؤوب إلى تَهجيرِ الفلسطينيّين بعيداً عَن أراضيه وحدوده ، بَلْ انْدَفَعَ هذا البَعْض بصفاقَةِ المَوْتُور المَأجُور يَرُومُ النَّيْلَ مِن سِمْعَةِ سَفارةِ دَولة فلسطينَ في تونس ، مُدَّعِياً مِن أرائِكِهِ البَعيدَة، أنَّ السفارة الفلسطينيّة تَحُولُ دُونَ دُخُول الفلسطينيّين «العالِقين» التُّرابَ التُّونُسيَّ ، مُتَجاهِلاً برعونَةٍ تأكيدَ وزارة الدّاخليّة التونسيّة في بَلاغٍ تَناقَلَتْهُ وَسائلُ الإعلام أنَّه «لا ضلع للسفارة الفلسطينيّة» في تَرَدُّدٍ الإدارة الأمنيّة التونسيّةَ قرابة الأسبوع إزاءَ تسوية أوضاع هؤلاء العالِقِينَ ، قَبْلَ أن تستجيبَ لِتَدَخُّلاتِ السَّفارَة وتَعَهُّداتِها وتنقلَهُم مِن مَطارِ تونس قرطاج الدُّوَلي إلى المَركز التكوينيّ السَّياحيّ «كركوان» في مدينةِ الحمّامات ، بَعْدَ أن تَمَّ مَنحُهُم تأشيرات الدُّخُول والتَّكَفُّل بإيوائهِم إلى أن تَتمَّ تَسْوِيَةُ أوضاعِهِم ، على نفقةِ الدّولة التونسيّة.

وَبِغَضِّ النَّظَر عَن مَدى اسْتِغلالِ حالةِ الثلاثينَ فِلَسطينيّاً العالقينَ مِنْ جِهَةِ حَجْزِهِم في المَطار والتّهديد بِتَرحيلِهِم وَمِنْ ثَمَّ استضافَتِهِم في مَرْكَزٍ سِياحِيٍّ تُونُسيّ لِلتَّوازُنِ تُونسيَّاً مع تَداعِياتِ إدْخالِ أكثر مِن 108 إسرائيليِّين بِجَوازاتِ سَفَرِهِم الإسرائيليّة إلى تونس ، التي لم تَهْدَأ تماماً بَعْدُ ، فإنَّ الزّجَّ بالسَّفارَة الفلسطينيّة وَمُحاوَلَة تَصْويرِها وكأنَّها مُتَخَلّيَة عَن واجباتِها إنْ لَم تكُن ضالِعَةً في التَّسَبُّبِ بِمُعاناةٍ إضافيّة لِمُواطِنين فلسطينيين بحاجة إلى مُساعَدَة ، ليستْ إلا مُحاوَلات أخرى لِجِهات مَشْبُوهَة لا تتذَكَّر «أصُولَها» الفلسطينيَّة إلا حينَ يَتمُّ تَجنيدُها لِصالِحِ أجنْدات غَيْر وَطَنِيّة بل على الضّدِّ مِن كُلِّ ماهُوَ وطَنيّ، في عدوانٍ مُسْتَمِرّ بأشكالٍ مُختلفة على الشعبِ الفلسطينيّ ومُمَثِّلِهِ الشرعيّ والوحيد مُنَظّمة التحرير الفلسطينيّة وَمُؤسّساتها داخِل

فلسطين المُحتلَّة وخارِجها.

لقد بادَرَالبَعْضُ ، ومِن هذا البَعْض «رولا بدْران» إلى نَصْبِ المَشانِقِ «الحَريريّة» لِسفارةِ فلسطين وطاقَمِها ، وَلَو بِتَحْطِيبِ الثَّوابت الوطَنيّة الفلسطينيّة على غِرار ما وصَفَتْه ب «المُسمّى الحفاظ على حَقِّ العَوْدَة وعَدَم تشجيع تَهجير الفلسطينيِّين» ، مؤكِّدَةً تأكيدَ العارف بأنَّ الفلسطينيّينَ الذينَ قصَدوا «بنغازي» الليبيّة كان هَدَفهم مُواصَلَةَ الرِّحْلة إلى أوربّا . وعلى الرّغم مِن أنّ اطّلاعي الدّقيق على هذه الحالة تحديداً ، يَجْعُلني أشير إلى أكثر مِن طَرَفٍ مُتَوَرِّطٍ في هذا الإستِثمار المَرذُول لِمُعاناةِ اللاجئين الفلسطينيِّين بدءاً مِن الطَّرَف الليبي الذي أمَّن تأشيرات دخُولِ أمنيّة جماعيّة لثلاثين فلسطينيّاً ، وُصُولاً إلى الوسيلة الناقلة (الخطُوط الجويّة التونسيّة) التي بشأن عَجْزها المالي والفَسادِ المستشري فيها انْشَغَلتْ منذ العامَ المُنْصَرِمَ وسائلُ الإعلام التونسيّة ، فسالَ حبْرٌ كثير وبُحَّتْ أصواتٌ وتلاطَمَتْ صفحات شبكات التواصل الإجتماعي بزغردات المُبْحِرين وخاصّة بشأنِ سَرِقة حقائب المُسافِرين . ومِن حَقِّ المُطَّلِع على هذا المَلَفِّ في الظُّروف التي تَعيشها ليبيا كأحد مَصادِر حَشْدَ وتدريب وتمويل وتسليح الإرهابيِّين الذين يتمُّ إرسالهم إلى سوريا ،ومنهُم مَن شارَكَ في تدميرِ مخيّم اليرموك وتهجيرِ سُكّانه ، أن يتساءل عَن إمكانيّة استغلالِ وَضْع هؤلاء الشّباب الفلسطينيين الصَّعْب والقيام بغَسْلِ أدْمِغَتِهم وتشغيلهم في خدمة مَن دَمَّروا مُخَيَّمَهُم وهجَّروهم بعيداً عنه لَو وَصلوا بنغازي كما كانَ مُخَطَّطاً له. وفي حالِ كانَ الهَدَفُ كما تُشيرُ «رولا بدران» هُوَ بحْث الفلسطينيّ عن كرامَتِه في أوربّا ساخِرَةً مِن تمسُّكِ منظمة التحرير بحقّ العَودَة كحِجَّة لِعَدَمِ مُساعَدَةِ مِن

يريد مِن الفلسطينيين الوصول إلى هذه «الكرامة» المَزعُومَة، فإننا نُذَكّر هذه الغرَّة بأنّ الفلسطينيَّ الحَقَّ يَجدُ كرامَتَهُ في طريقِ النِّضال الذي تقودُه عليها منظمة التحرير إلى استعادةِ حُقوقِه المشروعة كافّة وليسَ في مؤسساتِ الإرتزاق الغربيّةِ التي تريد له «بدران» أن ينتظرَ فيها مَوْعِدَ عَوْدَتِهِ ، وتريد لسفاراتِ ومؤسَّساتِ منظمة التحرير أن تكونَ مراكز شرطةِ مرورٍ على طريقِ مؤسساتِ الإرتزاق الغربيّة تلك.

إنَّ هذا البَعْض الذي يَرفَع الشِّعارَ «الإنسانيّ» هُوَ وَجْهٌ آخَر للبَعْض الذي يرفَع الشِّعارَ الدِّينيّ ، فكِلاهُما يرفَعُ شِعارَهُ لإرهابِ المُتَمَسِّكين بالمَشروعِ الوطنيّ الفلسطينيّ . ولقد غابَ عن هذا البَعْضُ المُزدَوج أننا في منظّمةِ التحرير الفلسطينيّة نكتَنِزُ في الوَطَنيّ عندنا لآلئَ الإنسانيِّ والدّينيِّ والقوميِّ أيضاً وليس مَسمُوحاً لأيٍّ كان أن يستَثمرَ معاناةِ الشعب الفلسطيني ، وخاصّةً على خلفيّة أنَّ المُستَثْمِر - بكَسْرِ الميم - مِن أصْلٍ فلسطينيّ.

التطبيع مع الكيان الصهيوني على رأس أهداف مؤامرة الرّبيع العربي

لاشَكَّ في أنّ رحلةَ التطبيعِ مع الكيانِ الصّهيونيّ بدأتْ رسميًّا مع زيارةِ الرئيس المصريّ المقتول «أنور السادات» إلى «إسرائيل» وإلقاء خطابهِ في «الكنيست»، لكنّ مُحاولات التطبيع مع الشعب المصريّ بقيتْ مُتعَثِّرَةً حتى على مُستوى نُخَبِهِ الثقافيّة حتى وإن لم تتمكّنْ مُقاوَمَته لأشكال التطبيع مِن فَرْضِ رغبَتِهِ التي مازالَ يُعبّر عنها - في إلغاءِ اتفاقيات كامب ديفيد المشؤومة. والأمر ذاته ينطبق على اتفاقيّة وادي عربَة التي أبرَمَتْها «تل أبيب» مع الكيانِ الهاشِميّ. أمّا اتفاقيات «أوسلو» التي فَرَضَها النظام العربي الرسمي وموازين القوى الدوليّة بعدَ انهيار الاتحادِ السوفياتي على القيادة الفلسطينيّة والتي لم يَبْقَ مِنها غيرَ مؤسسات السلطة الفلسطينيّة التي لم يُنَفِّذْ النّظامُ العربي التزاماته لتصليبِ عُودِها وتطويرها كقاعدة لإقامةِ الدولة الفلسطينيّة ناهيكَ عَن تَمَلُّص الحكومات الأمريكيّة المتتالية (كراعية للسلام المزعوم) مِن وعود واشنطن بالسَّعْي إلى تجسيد واقِعيّ لمَقُولَةِ الدَّولتيْن، إلاّ أنّ ذلكَ كلّه لم يفتّ مِن عزيمةِ الشَّعب الفلسطينيّ وتصميمِهِ على

مُواصَلَةِ نضاله ولو بأشكالٍ لم يَعُدْ الكفاحُ المُسَلَّح يَتَصَدَّرها وإنْ كانَ هذا لا يَعْني أنَّ هذا الخيار سقَطَ نهائيّاً كما يُرَوِّج البَعْض. لكنَّ اللافِتَ أنَّ جِهاتٍ عربيّة عديدة اتَّخَذَتْ مِن اتفاقياتِ «أوسلو» ذريعَةً لِحَثِّ الخُطى اللاهِثة على طريق التطبيع مع «إسرائيل» في حِين كَانَ يُفتَرَض بها استِخدام إبْقاء مُقاطَعةِ الأخيرة وعَدَم التطبيع معها سِلاحاً تضغطُ بهِ على هذا الكيان الصهيوني إلى أن تتمّ تسوية الصراع العربي - الإسرائيليّ بإذعانِ «إسرائيل» لقرارات الشرعية الدولية فتنسحب مِن الأراضي العربيّة المحتلّة سَنة 1967 وتَعترف بحقوقِ الشعب الفلسطيني المَشروعة في العَودة وتقرير المَصير وإقامة دولته الفلسطينيّة المُستقلة ذات السيادة في حدود الرابع من حزيران/ جوان1967 وعاصمتها القدس الشريف.

- 1 -

وإذا كانَ الدورُ الصهيونيّ جليّاً في مؤامرة الربيع العربي فإنّه ليس غريبا أن يُلازِمَه نشاطٌ تطبيعيّ إسرائيلي خاصّة مع دُوَلِ الخليج والمغرب العربيين وتركيا التي رَعَتْ هذه المؤامرة مالياً وعسكرياً وسياسياً وإعلامياً ولوجستياً ولئنْ تراوَحَتْ نجاحاتُ العدوّ الصهيونيّ في اختِراقِ النِّظام العربيّ الرسميّ بإقامة اتصالاتٍ علنيّة وسريّة مع الكياناتِ الخليجيّة وأقطارِالمغرب العربي ، بَعضها أخذ أشكالا على غرار مكتب تجاري سنة1996 في قطر مثلا ومكتب اتصال رسميّ في تونس سنة 1996 مثلا(تمّ إغلاقه يوم 21أكتوبر/تشرين الأول2000 بعد الإنتفاضة مُخلِّفاً ديونا على البنوك التونسية قدرت ب900ألف دينار تونسي لم تُسْتَرجَع بَعد) وفي موريتانيا طرَدَ «ولد الطايع» السفير العراقي وأغلق سفارة العراق سنة 1995وأعلن في الوقت نفسه عن

قيام مكتب اتصال اسرائيلي في نواكشوط وتطوّرت العلاقات إلى أن أُعْلِنَ عن تبادل دبلوماسي على مستوى سفراء سنة 1999وتبعه تطبيعٌ محموم مع الكيان الصهيوني شملَ جميعَ المجالات ، وعلى الرغم من «تجميد» العلاقات الموريتانية - الإسرائيلية سنة 2009 بسبب العدوان الإسرائيلي على غزّة إلا إنّ الحرارة عادت نسبيا إلى هذه العلاقات بعد حراكاتِ «الربيع العربي» انطِلاقاً مِن تونس.

ومثلما أعادتْ تركيا علاقاتها مع «إسرائيل» على حدّ تعبير «أفيغدور ليبرمان» وزير خارجيتها ، متجاوِزَةً أزمة سيْل دماء مواطنيها في سفينة «مرمرة» على سلاح الجنود الإسرائيليين خاتِمَةً بذلك الفصلَ الأخير مِن مسرحيّة «أردوغان» التي ضحكَ بها على ذُقون العَرب والمسلمين بمن فيهم محور المُقاومة والمُمانَعة، فإنَّ قَطَرَأَوْغَلَتْ في التنسيقِ مع تل أبيب في نَقْلِ «الفوضى الخلاقة صهيوأمريكيًّا» مِن قُطْرٍ عربيّ إلى آخَر.

- 2 -

وإذا كانَ أبرز ما يرْنو الإسرائيليون إلى تحقيقه مِن مؤامَرة الربيع العربي هو تصفية القضيّة الفلسطينيّة فإنّ تدمير المُخَيّمات لإجلاء اللاجئين الفلسطينيين عنها وتَوطينهم بعيدا عن الحدود مع فلسطين المحتلة ومُضاعَفة النشاط الاستيطاني الصهيوني في ظلّ انشغال العرب بحروبِ ربيعِهِم ، وإنجاز المزيد من «التقدُّم» على طريق التطبيع الشامِل بين الدول العربية و «إسرائيل» ، فإنّ قاطِرَةَ التطبيع مع الكيان الصهيوني تسير على هذه السكّة منذ سنوات بل عقود كما أسْلَفْنا، وإذاكانَ المُتَداوَل هو رَصْد النشاط التطبيعي في الدول العربيّة التي أبرمتْ معاهدات سلام مع تل أبيب فإنّ النّشاط التطبيعي كانَ

ومازالَ مَسْعورا أكثر مع الدّوَل البعيدة نسبيا عن سُوحِ الصّراع العربي - الإسرائيليّ وميادينه ، وَمِن بين هذه الدول المتآمرة تاريخياً على هذا الصّراع لصالح العدو الإسرائيلي ، تلك المُسَمّاة «السعوديّة» التي قال نتنياهو في حديث للتلفزيون الإسرائيلي إنّ علاقة « إسرائيل بها جيّدة» وأنّ لـ «تل أبيب» مصالح مشتركة مع «الرياض» في الإقتصاد والسياسة الإقليمية.

وإنْ كان عَدَدٌ مِن سكّان بلديّة «القريات» السعوديّة ، القريبة من الحدود مع الأردن قد ضَبَطوا أكثر من 140 كيلو غرام من ثمار فاكِهَةِ «الكاكا» تحمل لاصق «منتج إسرائيلي» ، تُباعُ في سوق الخضار والفاكهة المركزي للبَلْدَة . وهذا حصلَ في الأسبوع الأول من شهر آذار / مارس 2014 حسب صحيفة «الجزيرة» السّعوديّة ، ولكنه ليس بالتأكيد المصلحة الإقتصادية الوحيدة بين «الرياض» و «تلّ الربيع» فَمِن المعلوم أنّ السعودية تصدّر إلى «إسرائيل» المواد الخام للصناعات البلاستيكية وتستورد منها مُنتَجات تكنولوجية وسترات واقية من الرصاص وغيرها، كما أنّ سماح سلاح الجو الإسرائيلي لقناة «العربية» السعودية التي تبث من «دبي» (التي أصبحَتْ مع بقيّة الإمارات المتحدة مَلاذَ كُلِّ مَن يقول إنه مُعارِضٌ للنّظام السوري) بتصوير فيلم داخِلَ إحدى قواعده، في خطوة هي الثانية من نوعِها، حيث قال « إفيخاي أدرعي»، المتحدِّث باسم الجيش الصهيوني إنَّ طاقم قناة «العربية» زارَ قاعدة «رامات دافيد» أوائل فيفري/ شباط2014. (يحصل هذا بعد أن سبق وسمح للمؤسسة اللبنانية للإرسال ذات التّمويل السعودي «ال بي سي» في جانفي/كانون الثاني 2014 بالتصوير مِن داخلِ القاعدة وإجراءِ مقابلةٍ مع أحَد قادةِ

السِّلاح . وذكرتْ صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية في موقِعِها الإلكتروني، أنه تمَّ السَّماح لمُراسل الشبكة اللبنانية بإجراء مقابلة مع قائدِ قاعدة «رامات ديفيد» الجويّة، وأيضًا مع رئيسِ قسم الإعلام العربي). هذا «السَّماح بالتصوير» ليس أيضاً كلّ ماعناه نتنياهو بالمصالح المُشتركة بين حكومته وحكومة آل سعود ، والتي لا يفعَلُ «هاني النقشبندي» غير الإشارة إلى جانبِ خطير منها حينَ يَغْمر الفلسطينيين بكُلّ هذا الحَنان الإنسانيّ طالباً «توطينهم» حيث يُقيمون إلى أن يَتمكَّنوا يوماً ما مِن العَودَةِ إلى فلسطين.

يكتب السّعودي «هاني النقشبندي» في مَوقِع «إيلاف» السعودي: «في السعودية جالية فلسطينيّة لعلّها الأكبر والأقدَم أيضا. تناسلتْ على مدى ثلاثة أجيال، بل وأربعة وخمسة. لا يعرف أيٌّ من أبنائها غير السعودية وطناً، مع ذلك كلهم غريب، وعرْضة للمغادرة والترحيل في أيِّ وقت.

لماذا لا يتمُّ توطين الفلسطينيين فوق تراب لا يعرفون سواه وطناً؟

هل في ذلك خيانة للقضية الفلسطينية أكثر من تجاهلنا للقضية نفسها؟».

وليست هذه هي الإشارة الوحيدة إلى إمكانيّة دَفْن حقّ عَوْدَةِ اللاجئين الفلسطينيين في رمال الخليج الأعرابيّ ، فقد تردد منذ سنوات اسمُ «دبي» بقوَّة في وسائلِ الإعلام الصهيونية، خاصة اليمينية منها، «ففي دراسة خاصة أعدَّتها حركة القيادة اليهودية اليمينية المنشقة عن حزب الليكود «الإسرائيلي» والتي يترأسُها موشيه فيلجن، عن الحلول القائمة لحلِّ أزمة قصْف المستوطنات «الإسرائيلية» بصواريخِ القسّام،

ودعا فيها كاتبها «روتام ميرون»، إلى نقل الفلسطينيين إلى إمارة «دبي» أو «كنَدا» والخلاص منهم للأبد، مدعيًا أنه في استطلاع رأي جَرى إعدادُه داخل الأراضي الفلسطينية تبيَّنَ أنَّ نحو 60 % من مواطنيِّ غزّة والضفّة الغربية، أعربوا عن رغبتِهم في الهجرة إلى «دبي» أو إلى «كنَدا». وعن سبب ذلك قال «ميرون»: إن تلك الإمارة تشهد حركة نهضة سريعة، وأن حاكمَها أخذَ على عاتقِه أن يجعل من تلك الإمارة الصغيرة، إمبراطوريّة ذات قوّة عالمية، وقال إن فيها تعلو المباني الشاهقة التي لا يوجد مثلها في العالم، ولهذا فإنّه سيكونُ من السَّهْل استيعاب عدد كبير من الفلسطينيين بها وبناء مئات الألوف من الوحدات السكنية فيها، وهو ما سيعزِّز من تطلعات حاكم دُبَي، وقال: إن هذا الاقتراح إذا ما تجسَّد على أرض الواقع فإنه سيكون مُريحًا للجانبين «الإسرائيلي» والفلسطيني، فـ «الإسرائيليون» سيتخلصون من ألدِّ أعدائهم والفلسطينيون سيتخلصُون من الحصار الديموغرافي الذي يتعرَّضون له في غزة والضفة الغربية.

ولأنه لم يَعُدْ بمقدور قطَر التي تبادَلَ قادَتُها الزيارات مع القادة الإسرائيليين أن تُواصلَ المهمّة المُوكَلة إليها منذ تسعينات القرن الماضي والتي وصلتْ إلى ذَروتِها بالدّور الذي نفّذَه الحَمَدان مع مطلع سنة 2011ضد جميع الدول العربية التي استهدفتْها مؤامرةُ الربيعِ العربي وخاصة ليبيا وسوريا ، فقد تسلّمت الإماراتُ راية رَعاية التطبيع العربي مع الكيان الصهيوني .

فقد نقلت صحيفة «يديعوت آحرونوت» الإسرائيلية، عن الكاتب الأمريكي «توماس فريدمان»، أن الرئيس الإسرائيلي «شيمون بيريز»، شارك في مؤتمر قمة أمْن الخليج العربيّ ، التي عُقِدَتْ في العاصمة

الإماراتية «أبو ظبي»، وألقى كلمة أمام 29 وزير خارجية من الدول العربية والإسلامية، عبْر نظام الـ «فيديو كونفرنس» (النقل الفضائي). وجَاوَزَ التآمُرُ الإماراتي على القضيّةِ الفلسطينيّة ذلكَ إلى إدلاء أبي ظبي بدَلْوِها بإضافةِ بَلّةٍ على وَحْلِ الإنقسام الفلسطيني ، واسمُ هذه البلّة «محمد دحلان» الذي لَم يُلَطِّخْ يدَه غيرُ الدَّم الفلسطينيّ مثله مثل «صبري البنّا» الملقب بأبي نضال رئيس المنظّمة الإرتزاقية التي كانت تُسمّى «فتح - المجلس الثوري» صاحبة عملية الرهائن الشهيرة بفندق سمير أميس بدمشق سنة 1976،والتي اعترَف مؤخّراً القيادي في حركة نداء تونس/ «الأزهر العكرمي» أنه سبَقَ وأن عملَ في صُفُوفِها، ربّما كي يدفَعَ عنه ما أشاعته عدّة مَواقِع على الأنترنيت مِن مَزاعِم على غِرار أنّ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أصدرت حكما بالإعدام على «العكرمي» بتهمة الإتصال مع «إسرائيل» حين كان يدرس في دمشق.

وقد كتبَ التونسي «نجيب بكوشي» على صفحته الفيسبوكيّة من باريس يوم 8 حزيران / جوان2014 : «على قناة حنّبعل في برنامج «هكّة نعيش» بتاريخ 6 جوان 2014، ضيْف الحصّة السيّد «لزهر العكرمي» الناطق الرسمي باسم حركة نداء تونس وفي معرض حديثه عن حياته السياسيّة تحدّث بنبرةٍ فيها الكثيرُ من الحنين والرضا عن النفس عن تجربته مع التنظيم الفلسطيني الإرهابي «فتح المجلس الثوري». لا أدري كيف لا يشعر السيّد «العكرمي» بالندَم وبالخجل على سبع سنوات قضّاها في خدمة هذا التنظيم الدموي الّذي قتل من النشطاءِ الفلسطينيين أكثر ممّا قتله الموساد في تلك الفترة الحالكة من تاريخ الثورة الفلسطنيّة والأدهى والأمرّ أن السيّد «العكرمي» يقرّ أنّه لم

يكن عنصرا قاعديّا بل كان كادرا قياديا متقدّما في إدارة الإعلام ولجنة القضاء الثوري للتنظيم، لأقرّب الصورة للشباب الّذين لا يعرفون «فتح المجلس الثوري» الّذي أسّسه سنة 1974 «صبري البنا» المكنّى ب «أبو نضال» هو بمثابة «داعش» الفصائل الفلسطينيّة وقتئذ فهو كان نموذجا للبندقيّة المستأجرة حيث كان مخترقا من قبل مخابرات الأنظمة العربيّة والأجنبيّة بما فيها الموساد الإسرائيلي وقام بتصفية كوادر نوعيّة فلسطينيّة خاصّة من «حركة فتح» بقيادة الشهيد «ياسر عرفات».

لا أظنّ أنّ السيّد «لزهر العكرمي» قد نسي أنّ هذا التنظيم الإرهابي ارتكب جريمة بشعة على أرض تونس سنة 1991 حين أقدم أحد عناصره «حمزة أبو زيد» على اغتيال ثلاثة من أبرز القياديين الفلسطينيين المقيمين بيننا ؛ صلاح خلف (أبو إياد) وهايل عبد الحميد (أبو الهول) وأبو محمد العمري (فخري العمري))».

- 3 -

وخلافاً لِما يَذهَب إليه البعضُ غالباً مِن أنَّ قاعدة «التقارب» الإسرائيلي - الخليجيّ هو الوقوف في مُواجَهة خطر مُشترَك هُو «إيران» ، فعنْدي أنّ التنسيق الصهيوني- الأعرابي أعمَق وأبْعَد ويتكئ هذا التواطؤالخليجي الصهيوني إلى اطمئنانٍ واثقٍ مِن أنَّ «الشرقَ الأوسط الكبير» قَدَرُ المنطقة، وبناءً على خططٍ أمنية وجغراسياسية مشبوهة يجري تنفيذُها ، تمّ وَضْعُ المشاريع الإقتصادية المشتركة ومنها مثلا مشروع يشرف عليه «إريك كوهين» الذي أقنعَ قادةَ «الكويت» بمدّ خطوط سكك حديدية بين «الكويت» و»إسرائيل»، وقال «عومر كرمون» مراسلُ مَوقِع «نيوز فرست كلاس» الإخباري

الصهيوني: « إن المشروعَ الذي سيقام على أرضِ الكويت ليس حلمًا بل حقيقة واقعة، وقامتْ الحكومة الكويتية باستعراضِ هذا المشروع سنة 2008 بهدفِ الربط بين أغنى دولة إسلامية في العالم وبين مدينةِ تل أبيب الصهيونية، مشيرًا إلى أنَّ الثراء الذي تعيش فيه الدول الخليجية في الوقت الراهن، من شأنه أن ينعكسَ بالإيجاب على «إسرائيل»، وذلكَ بعد إعلان الحكومة الكويتية البَدْء خلال الفترة القريبة المقبلة في مَدِّ خطوط السكك الحديدية حتى دولة «إسرائيل»، وذلك ضمن مشروع ضخم تُخطط الكويت لتنفيذه يحمل اسم «مدينة الحرير» وتعهدت الحكومة الكويتية بالانتهاء من هذا المشروع قبل عام 2023.

وإذا علمنا أنّ هذا المشروع (الخط الحديدي)الذي تبلغ كلفته 132 مليار دولار وسيضم برجاً هو الأعلى في العالم وعدداً مِن الفنادق الكبرى ومراكز تجارية، سَيَمُرّ مِن عدة دُوَل منها الأردن والعراق وصُولاً إلى «إسرائيل»، ندرك أكثر الحماسةَ الخليجيّة للحؤولِ دُون تماسُك العِراق الذي مازالَ يرزَحُ تحتَ تداعيات الاحتلال الأمريكي بل تسعى الكيانات الخليجيّة إلى تمزيقِ العِراق وتقسيمه مُتوسّلين الجماعاتِ الإرهابيّة التكفيريّة من أجل ذلك ، تماماً كما فَعَلوا ضدّ سوريا التي كانوا يرجونَ بتمزيقها وتقسيمها مَدّ خطّ أنابيب لتصدير الغاز القطريّ إلى أوربا لاستغناء الأخيرة عن الغاز الروسي ، وهو خطّ كان مَرسوماً له أن يمرّ من عدّة دُوَل بينها سوريا.

- 4 -

ولم تقتصر ظاهرة التطبيع مع «إسرائيل» في العراق بعد احتلاله سنة 2003 على استئناف «الموساد»نشاطه بضَراوَة في كردستان العراق الذي يقيم زعماؤه التقليديون بدءا من الملّا «مصطفى البرزاني» صِلات متنوّعة مع الكيان الصهيوني ، بل جاوَزَ ذلكَ إلى أحَدِ رمُوز محافظة الأنبار المدعو» مِثال جمال حسين أحمد الآلوسي» السياسي والبرلماني العراقي الذي عاد إلى العراق بعد سقوط نظام الرئيس صدام حسين ، وعيَّنه مجلسُ «بريمر» رئيساً لهيئة اجتثاث «البعث» سنة 2003، وفي 2004م قامَ بزيارةٍ رسمية إلى «إسرائيل» فتمَّ عَزلُه من منصبهِ في البرلمان العراقي والمؤتمر الوطني العراقي على أثر هذه الزيارة وَطُرِدَ من حزب المؤتمر الوطني، فأسس حزب الأمّة العراقية وشارك في الانتخابات البرلمانية العراقية في كانون الثاني/جانفي 2005 غير أن حزبَه لم يحصلْ على عددٍ كافٍ من الأصوات يمكِّنُه من الوصول إلى البرلمان ، لكنّه تمكن من الفوز بمقعد برلماني في الانتخابات البرلمانية اللاحقة في كانون الأول/ديسمبر 2005، لِيَخسرَ هذا المقعد في انتخابات 2010.

وعلى الرغم من تَعَرُّضهِ لمحاولة اغتيال ذهَبَ ضحيّتها ولداه وحارسُه الشخصيّ فقد قام «مِثال الألوسي» بزيارةٍ أخرى إلى «إسرائيل» في 2008 للمشاركة في مؤتمرٍ عن الإرهاب، وأثارتْ هذه الزيارة استياءً في الأوساط البرلمانية العراقية ، وفي يوم 14 أيلول/ سبتمبر 2008 صوَّتَ مجلسُ النوَّاب لِرفْعِ الحصانة البرلمانية عنه، ومنْعه مِن السفر ومِن حضور جلسات مجلس النوّاب، وطلب من السلطة التنفيذية إقامة دعوى قضائية ضدّه بسبب زيارته الأخيرة إلى

«إسرائيل»، حتى أن البعضَ طالبَ بتَسليطِ حكم الإعدام عليهِ بتهمة «الخيانة العظمى».

وعلى الرغم من ذلك كلّه وفي مَهَبّ «نَسائم الربيع العربي» تَقَدَّم هذا الخائن الذي نفى وجود إحتلال اسرائيلي لفلسطين المحتلة ، في الانتخابات التشريعيّة العراقية التي جرت في نيسان/أفريل2014 مُرشّحا ضمن قائمة «التحالف الديمقراطي» رقم232 والتي تضمّ مُرَشَّحِيّ ما يُسمّى «الحزب الشيوعي العِراقِي» وكان تسلسلُ «الالوسي» الثالث من هذه القائمة ، مما حدا بالشاعر العراقي «سعدي يوسف» إلى أن يكتب غاضِباً ساخِراً في موقعه الألكتروني «سفير إسرائيل الفخري في العِراق مِثال الألوسي ... انْتَخِبُوا الخَوَنَة».

ولكنّ الألوسي لم ينفرد بهذا «المَجْد» فقد شاركَه فيه النائبُ «شعلان الكريم التكريتي» النائبُ في البرلمان العراقي عن قائمة «العراقيّة» الذي زار «إسرائيل» العام الماضي 2013 « لِغرَضِ المُشاركة بمؤتمرٍ لحقوق الإنسان عُقِدَ في إسرائيل» حسب تبريره.

وقد استنكر «مجلس عشائر صلاح الدين» زيارة النائب «شعلان الكريم» إلى الكيان الصهيوني ، وأكدَتْ «العشائرُ»في بيانِها أنّ «الحجة التي تحجّجَ بها الشيخُ «الكريم» لاتبرِّر تصرُّفه هذا ، فالعذرُ أقبَح مِن الذنْب ، وإسرائيل آخرُ مَن يحقُّ له الكلام عن حقوقِ الإنسان ، فهي كانت ومازال كياناً غاصباً ومُجرماً ومعادياً للعروبة والاسلام» ولكنّ هذهِ العَشائر التي ثارتْ مؤخَّراً رافِعَةً رايات «داعِش» السَّوداء مُرتَكِبَةً المَجازِر التي يَنْدى لها جَبينُ حَمُورابي كي تُعيدَ «العِراق إلى وَضْعِه الطبيعي دَولةً وطنيّة ديمقراطيّة مَدَنيّة مهابة وقويّة « على حدّ تعبير الدكتور «خضير المرشدي» الممثّل الرسمي لحزب

البعث العربي الإشتراكي «؟!» في العراق (راجع صحيفة «المغرب» التونسية ص 22عدد الثلاثاء 2014/6/17) هذه العَشائر اكتَفَتْ في بيانها بأن طالبَتْ «الشيخ شعلان الكريم بالإعتذار من أهالي محافظة صلاح الدين ،ومن جميع العراقيين عن الخطأ الكبير الذي اقترفه» .

أمّا العلاقة بين رموز كردستان العراق و «إسرائيل» فتعود إلى أكثر من خمسة عقود عندما زار «دافيد كمحي» أحد كبار ضباط «الموساد»سنة 1965 كردستان العراق والتقى «مصطفى البرزاني» ليردّ الأخير الزيارة، حيثُ «قام البرزاني بزيارة إسرائيل عام 1966 برفقة بعض أركان حزبه والتقى بأركان القيادة الإسرائيلية وقدَّم لـ «وزير الدفاع»، موشيه دايان، هديّتين: خنجر كردي ومخطط لمصفاة النفط العراقية في مدينة كركوك التي جرى تفجيرها لاحقاً عام 1969 بعملية تخريبية نُفّذت بالتعاون بين الموساد والجهاز الأمني التابع للبارزاني». وتطوّرت هذه العلاقات أكثر مع غزو العراق واحتلاله سنة 2003، وقد لَخَّصَ «أليعيزرتفرير» الرئيس السابق لمحطة الموساد في كردستان، والذي كان قد شغل منصب رئيس محطة الموساد في بيروت إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان في مقابلة مع إذاعة الجيش الإسرائيلي في جويلية / تموز 2010، ماوصَلَتْ إليه هذه العلاقة قائلاً: «منذ سبع سنوات، ألّفنا وفداً دائماً إلى كردستان العراق، لغايات مصلحية واضحة ومهمّة لنا»،و«لقد أرسلنا وفداً ضمّ، في بعض الأحيان، مستشاراً عسكرياً، وزوّدنا الأكراد بالسلاح، وبصورة أساسية بمدافع ميدانية وبمدافع مضادة للطائرات، ودرّبناهم هناك في شمال العراق وهنا في إسرائيل، ولدينا هناك مشروع إنساني مميز، وهو مستشفى ميداني تابع للجيش الإسرائيلي في شمال العراق».

هذا عشيّة بَدْء تَنفيذ مؤامَرة «الربيع العربي» لكنّ رُعُونة الطَّرَفِ الكرديّ لم تُفكِّر بتداعيّاتِ الإمْعان العلَنِيّ في هذه العلاقة الآثمة مع تل أبيب فقد أكدت مصادر وكالة «رويترز» للأنباء يوم الجمعة 2014/6/20» أنّ ناقلة تحملُ شحنةً من خامِ نفطِ كردستان العراق المنقول عبر خط أنابيب رسَتْ في ميناء عسقلان الإسرائيلي في ساعة مبكّرة من صباح اليوم الجمعة.ولم تأت الناقلة إس.سي.إف ألتاي مباشرة من ميناء جيهان التركي الذي يتم من خلاله تصدير النفط المنقول عبر خط أنابيب كردستان.وقالت مصادر ملاحية محلية وأخرى من السوق إنَّ بيانات تتبُّع السُّفن أظهرَت أنّه جرى تحميلُ النفط على الناقلة يونايتد إمبلم الأسبوع الماضي بميناء جيهان ثم أبحرت إلى مالطا حيث نقلتْ الشحنة إلى الناقلة إس.سي.إف ألتاي»، وأكثر مِن ذلكَ فإنَّ صحيفة (يديعوت أحرونوت) الاسرائيلية، كانت قد كشفتْ عن تعاوُنٍ سرّيّ بين إقليم كردستان العراق و«إسرائيل» في المجال الزراعي ليكون نواة للوصول إلى بغداد وإقامة مشاريع تحت اسم مستعار. وتابعت الصحيفة قائلةً إنّ وفداً كردياً رفيع المستوى قام مؤخرًا بزيارة رسمية إلى تل أبيب، للبحث في سبل التعاون بين الجانبين، لافتةً إلى أنّ الزيارة لم تعلن بشكلٍ رسمي وكانت سريّة، وأضافت أنّ الوفد الزائر يمثل حكومة إقليم كردستان العراق، وضمَّ نائبَ رئيس الإقليم ووزير الزراعة، وعدداً من الخبراء الاقتصاديين والزراعيين ،وأنّ الهدف الرئيسَ مِن وراء الزيارة كان البحث في سبُل التعاونِ والاطلاع على الخبراتِ الإسرائيلية في مجال الزراعة وتربية الدواجنِ وإنتاج الحليب ومشتقاته.ولم تُخْفِ الصحيفة الصهيونيّة حقيقةَ أنَّ الهدَفَ النّهائيَّ للمشروع الإسرائيليّ هُو العاصِمة بغداد ، لإقامَةِ المزارِع وتَسْويق المُنتَجات فيها تحت اسمٍ مُسْتَعار.

وَمِن الطبيعي أن يدعو «بنيامين نتنياهو» الأسرة الدّوليّة مؤخّرا في كلمة أمامَ «معهَد الدراسات حول الأمن القومي في تل أبيب» إلى دَعم انفصال كردستان عن العراق واصِفاً الأكراد بأنّهم «شَعْبٌ مُقاتل وعصريّ على الصّعيد السياسي ولهم الحقّ في استقلال سياسي».

فهذِه العلاقة الآن وَصَلَتْ مِنَ التّداخُلِ والتّشابُكِ ما يَجعَلُ خَطَرها أشدَّ ضَراوَةً على مَصائر شُعُوبِ المَنطِقة وإن كانَ الشَّعْبُ الكُرديّ يبدو على سَطْحِ المَشْهَد هُو ثاني المُستفيدين مِن هذه المؤامَرة بَعْدَ الكيان الصّهيوني ، إلا أنّه لَو تأمَّلْنا عُمْقَ المَشْهَد سيكونُ مِن الخاسِرين في خَواتيمِ هذه المؤامَرة.

- 5 -

وعلى ذكْرِ الشاعِر العِراقيّ الكبير «سعدي يُوسف» الذي كانَ رائداً في فَضْحِ خيانات بَعض رُمُوز النُّخب السياسيّة والثقافيّة العربيّة، وبخاصّة السوري «بُرهان غليون» والعراقي «مِثال الألوسي» ، فإنّ هذه الخيانات التي ضجّت الأوساطُ الثقافيّة العرَبيّة استنكاراً لها -كما حصَلَ مثلاً عندما وَرَّطَ الشاعر السّوري أدونيس نَفْسَهُ بلقاء كتّاب إسرائيليين في غرناطة بتسعينات القرن الماضي مُتَوَهِّماً أنّ ذلكَ سيُقَرِّبُه أكثر من جائزة «نوبل» - فإنَّ روائيًّا لبنانيّاً (إلياس خُوري - صاحِب رواية «باب الشمس») يُجري حواراً مع صحيفة إسرائيليّة بدُونِ أن يستنكر ذلكَ أحَدٌ إلا بصوت خافت ، وذلكَ كُلُّه مِن تداعياتِ «الربيع العربي» وثِماره المُرّة،خاصَّةً وأنّ «إلياس خوري» مِن أبرز المُتَحَمِّسين بوَعْيٍ قطيعِيٍّ أرْعَن لـ «ثوراتِ الربيع العربي التآمُريّة» وخاصّة ضدّ الدولَة السُّوريّة.

في صفحتِهِ على «الفيسبوك»كتبَ صديقي الشاعر «مُراد السوداني»الأمين العام للإتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين في رام الله يوم 15ماي/أيار2014 «في مقابلة الروائي إلياس خوري مع هآرتس سقوط في اللحظة.. وقبول بمحاورة النقيض الاحتلالي.. عندما يسقط السياسي فذلك عادي في زمن غير عادي.. أما أن يسقط المثقف فتلك هي الكارثة..الشلام عليكم أيها المطبعون.. فلن يمنح الكاتب العربي بعد نجيب محفوظ جائزة نوبل كونوا على ثقة مهما قدمتم من تنازلات مجانيّة».

لكنّ الكاتب الفلسطيني «عماد خشان» على الرغم مِن أنّ قراءَتِهِ لِهذا الحَدَث التطبيعيّ التي نشرتها وكالة «وطن» الإخباريّة الفلسطينية في 15أيار2014 وأعادت نشرها صحيفة «الحرية» لسانُ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في 18أيار2014، كانت «أهْدَأ» وأوسَعَ نسبيّاً إلا أنّها عَدَّتْ سُلُوكَ «خُوري» تطبيعيًّا مِن زاوِيَةِ النَّظَر الإسرائيليّة على الأقل . فالفلسطيني «عماد خشان» يكتب : «في مناسبة صدور الطبعة العبرية من روايته «الوجوه البيضاء»، أجرت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية مقابلة هاتفية مع الكاتب اللبناني إلياس خوري الموجود حالياً في نيويورك حيث يعلّم مادة الأدب العربي في «جامعة نيويورك». مرة أخرى، نجد أنفسنا أمام إشكالية التطبيع مع العدو الإسرائيلي. هل تُعتبَر مقابلة كاتب عربي مع صحيفة إسرائيلية تطبيعاً، أم أنّها اختراق للوجدان الإسرائيلي؟(...) موقفُ الأستاذ الياس خوري ليس غريباً، بل هو مألوف من كثيرين يحتكّون بالإسرائيلي في الخارج وتخفُّ حدّة موقفِهم مِن إسرائيل، رغم أنّ الإسرائيليّ نفسه الذي يحتكّ بالعرب في الخارج، لا تتغيَّر مواقفُه إطلاقاً من موضوعِ

القضية الفلسطينيّة كله. إلا أنّه يرى في الأمْر فرصة للتطبيع مع العرب ولأخذهِم إلى صَفه كي يَخلق تدريجاً عزلة كاملة للفلسطيني.

إلا أنّ الإسرائيلي فهِمَ العقلَ العربي الحاليّ جيداً. (...) ويبدو أنّ الصحافي الإسرائيلي قرَّر إعطاء خوري المجالَ للكلام على راحته من دون مناقضته أو استفزازه، (...) لكن ما يُدركه الإسرائيلي أنّ إلياس خوري الذي يصف نفسه في المقابلة بأنّه كاتب ومثقف وطنيّ، وحارَبَ مع الشعب الفلسطيني وأصيبَ بجراح كادتْ أن تُودي ببصره يُعطي عبْر مقابلته هذه شرعيّة لكل كاتبٍ وطني أو غير وطني أن يخاطبَ إسرائيل وتخاطبَهُ في المقابل. وبذلك، تشبه مقابلة إلياس خوري مع الصحافة الإسرائيلية زيارة البطريرك الراعي للقدس المحتلة... فكلّ ما تريده إسرائيل هو صورة تنشرها حول العالم وتجعلها تكسب أصدقاء جدداً لأنّه «حتى أعداء إسرائيل يجالسونها ويتصورون معها»» !.

إذَنْ حالةُ اللبنانيّ «إلياس خوري» تأكيدٌ آخَر على أن كلّ مَن وقَفَ في الخندَق المُعادي للدولة السورية دَخَلَ حتى وَلَو مِن «باب الشمس» الخَلْفِيّ لِيَحْجِزَ لِنَفْسِهِ مَكاناً في واحِدَةٍ مِن غُرَفِ خَدَم المَشرُوع الصهيو أمريكي لِتصفية القضيّة الفلسطينيّة ، واللافِتُ أنّ الردّ على «خُوري» جاءَ مِن كتّابٍ فلسطينيين ، وتأكيداً على حقيقةِ أنَّ التطبيع مع «الإسرائيليين» مَرفوضٌ حتى حينَ يصدر عن الفلسطينين أنفُسِهِم نُوردُ هُنا حكايةَ «سينما جنين» مع التطبيع كما سَردَها مِن جنين الكاتب الفلسطيني «عميد زايد» ونشَرَها لأوّل مرّة في صحيفة «العربي الجديد»يوم25نيسان2014، تحت عنوان «سينما جنين ...الخُرُوج مِن مَتاهَة التطبيع» . يكتب «عميد زايد»:

«مغلقٌ شبّاك تذاكر سينما جنين مُعظم الوقت، وبابُها كذلك، ولا منشور على جدرانها يدل على عرض فيلم بعد ساعة أو يوم أو شهر. لكن مهلاً، ثمة منشور واحد مُلصَق حول عمودها الدائريّ، لا يظهر منه شيء، بعد أن غطّته صورةُ شهيدٍ.

سينما جنين التي تأسست قبل 56 عاماً، افتُتِحَت من جديد عام 2010، بعد إغلاقٍ استمرَّ لأكثر من 23 عاماً، وتحديداً مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1987. لكنّ انطلاقتها الجديدة قبلَ أربع سنوات، حوَّلتها في نظر المجتمع الفلسطيني إلى صالة فسَادٍ وتطبيع.

«أنا أوَّل من عَلِمَ بالأمْر.. أخبرني بذلك أودي ألوني، فأبلغتُ زملائي الفلسطينيين، وبدأنا التحرك»، قال طارق سويطات الذي كان مسؤولاً إعلامياً لسينما جنين، في الفترة الممتدة بين عامي 2009 و2011. وأودي ألوني هو مخرج سينمائي يهودي يشارك في الحملة العالمية لمقاطعة إسرائيل. أما المعلومة التي سرّبها ألوني لطارق فهي: "رئيس بلديّة حيفا سيحضر حفل افتتاح السينما".

والمعنيّان بحضوره كانا: الألماني ماركوس بيتر، صاحب فكرة إعادة تشغيل سينما جنين، والفلسطيني فخري حمد، مدير عام السينما في حينه. بيد أن نشطاء من جنين لم ينجحوا فقط بإفشال تلك الدعوة، إنّما استيقظوا في صباح قريب وقد غادرتْ إدارة السينما المُطبِّعة إلى ألمانيا. حصل ذلك كله قبل ثلاث سنوات، وحتى اليوم يكافح كادرُ السينما الجديد لسحْب رصاصات التطبيع من ذاكرة الناس في جنين، وذاكرة السينما على حد سواء.

يقول لميع الأسير، مدير عام السينما الحالي: "اليوم لا أحد يتدخّل في نهجنا الوطني الجديد. الداعمون الألمان يدفعون رواتب ثمانية موظفين، ولا علاقة لهم بشيء آخر". ويؤكّد نشطاء أن ألمانيا التي تمول مشاريع عدة في الضفة الغربية، هي من أكثر الدول الأوروبية التي تدفع باتجاه التطبيع مع المحتل. وينبع ذلك من شعور الألمان بالذنب تجاه اليهود. فمعهد غوته الألماني – وهو أحد الرعاة الرئيسيين لمشروع سينما جنين- يفرض شروطاً قبل تقديم الدعم.

من جهتها، تقول ميساء الأسير، مديرة العلاقات العامة في السينما: "نقول للإيطاليين مثلاً، عندما يقدمون لنا أيّ مساعدة، إننا لا نقبلُ بأيّ دعم بشرط التطبيع، ويوافقون على ذلك.. لا يفرض جميع الأوروبيين شروطاً".

لؤي طافش الذي صار مديراً فنياً للسينما في كادرها الجديد، بعد أن كان من أشدّ مُنتقِدي إدارتها السابقة، يتحدّث عن خطر المشروع على الجمهور، في حال استمرّ في نهجه التطبيعي الذي سرعان ما تمّ اكتشافه وإفشاله: "هناك شريانان للمعرفة: التلقين والتجربة، وخطورة السينما تكمن في جَمْعها بين الطريقتين. فعندما تُعتمُ صالة العرْض، أنتَ كمُشاهد تكون جاهزاً للمعرفة أو الغزو". ويتابع طافش بحماسة كبيرة ملوِّحاً بيديه: "دَور أي سينما في ظل الاحتلال ليس الحديث عن البندورة والخيار، وإنما إعادة الفلسطينيين إلى ذاكرتهم الوطنية".

كانت سينما جنين في السنة الأولى من انطلاقها مثالاً واضحاً على شراء الدّاعمين حرية الفلسطينيين بالمال. فأمامَ رأي "الدافع"، لا رأي للمدفوع لهم. تؤكد روند عرقاوي، وهي صاحبة تجربة في التنسيق السينمائي والمسرحي: "في البداية يدخلون علينا من باب

الوطنيّة وليس فقط الإنسانية، ومع مرور الوقت، تكتشف الألغام في المسارات المرسومة مِن قِبلهم".

لكن لا أحد يمنع الفلسطينيين من شراء أنفسهم عندما يريدون ذلك. فهذه السينما كانت الوحيدة في جنين التي أحيتْ ذكرى يوم الأرض لهذا العام في المنطقة، واحتفلتْ حتى بعيد العمّال وبذِكرى النكبة، وتُحضّر حالياً لذكرى النكسة، وتعرض أفلاماً فلسطينية وطنية؛ ومع ذلك لم يمُت العاملون فيها من الجوع.

نادراً ما يقدِّم الداعمون، والأميركيُّون خاصة، لقمة خالية من السُّمِّ إلى الفلسطينيين. مؤسساتٌ طويلة عريضة في الضفة الغربيّة تُموِّلها الوكالة الأميركية للتنمية الدولية، ولا يُسمح لشاب اعتقلته إسرائيل العمل بها، تحت بند تُوقِّع عليه هذه المؤسسات مُسبقاً مع المموِّلين يُسمّى "وثيقة نبذ الإرهاب". وفي هذا السياق، مُعظم أشكال مقاومة للإحتلال يحسبها الأميركيون إرهاباً».

نَقَلْتُ هذا المَقال كاملاً إلى هذا المَكان لِكَونَه مُسْبَقاً يَدْحَضُ مَزاعِمَ «المُطَبِّعينَ العَرَب» بأنّ كُلَّ مايَفعلونه هُوَ النَّسْجُ على مِنوالِ الفلسطينيين ، ولأنَّه أيْضاً يَفْضَح الدَّوْر الألمانيّ في مُحاوَلَة كَسْرِ الحمْلة العالميّة لِمُقاطَعَة «إسرائيل» ، وفي سِياق هذا الدَّوْر الألمانيّ نَفْهَم أكثر حَماسَة رئيس الحكومة التونسيّ «مَهدي جمعة» ووزيرته للسياحة المُعاد تصديرها إلى تونس مِن ألمانيا ، لِزَجِّ التونسيين في نشاطات تطبيعيّة مُعْلَنَة مع الكيان الصّهيوني ،فتَطْفَح هذه الظاهِرة على جِلْدِ المَشْهَدِ التونسي بجوانِبِهِ السياسيّة والإعلاميّة والثقافيّة كالحَصبة الرّبيعيّة ، مع قُدُومِ حُكُومَة «التكنوقراط» المَزْعُوم.

- 6 -

إلا أنَّ تُونُسَ التي عَرَفَتْ أشكالاً مُختلفَة مِن التطبيع مع الكيانِ الصهيونيّ منذ عُقُودٍ أَخَذَتْ على عاتِقِها أن يَكُونَ التطبيعُ مَع الصُّهيونيّة رايَةً عالية مِن راياتِ «الربيع العَربيّ» الذي يُفاخِرُ مَن يُفاخِرُ مِن نُخَبِها بأنَّها كانت قاطِرَتَهُ ، ولذلكَ انْدَفَعَتْ نُخَبُها إلى تَجسيدِه بِقُصْوَويّة لا يُضاهيها غَيْرَ مُبالَغة الإرهابيين التونسيين في التّمثيلِ بِضَحاياهُم السوريين والعراقيين بَل والتونسيين أيضاً وهُم يُؤدُّون فَرْضَ «الجّهاد» الذي أَوْجَبَتْهُ عليهم آلِهَةُ «الفَوضى الخلّاقة» ، انْدَفَعَتْ النُّخَبُ لِكَي تُؤكِّدَ جَدارَتَها بهذا «الربيع التَّلْمُودِيّ» بالانْخِراطِ مِن أَجْل تَحْقيقِ أَخْطَرِ أهدافه : التطبيع مع الصهيونية وكيانها الاستيطانيّ في فلسطين المحتلّة . وكان «مصطفى المشّاط» دقيقاً حين لامَ أعضاءَ «المجلس التأسيسي» التونسي على استفاقتِهِم المُفاجئة لِمُساءَلَة «الوزير المُعْتَمَد المُكَلَّف بالأمْن ووزيرة السياحة ، وقد فاتَهُم أو تناسوا أنَّ هذا الربيع العربيّ إنَّما أُحْدِثَ مِن أَجْلِ هذا الهَدَف تحديداً ...وَهُوَ التطبيع؟! ثُمَّ لِماذا وَهُم سادَة التأسيسي وحُماة السيادة الوطنيّة لم يُشَرِّعُوا لِقانُونٍ في هذا الإتّجاه ما دامَتْ أياديهُم ارتَعَشَتْ عندما اقتُرِحَ عليهِم تَجريم التطبيع دستُوريّاً»(«الشروق» التونسية ، عدد الاثنين2014/4/28 ص8) ، كَيْفَ ذلك؟.

- 7 -

بعْدَ مُضِيّ أقلّ مِن ستّةِ أشهُر على الإنقلاب الذي افتتَحَ مؤامَرَةِ الربيع العَربي وأطاح بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي أَصْدَرْتُ كتابيَ «ثورات الفوضى الخلاقة : سِلالٌ فارغة» عَن دار نشر تونسيّة، وضَمَّنْتُهُ فَصْلاً بعنوان «مَتى يَفتَحُ القَضاءُ التونسيُّ مَلَفَّ اتِّهامِ «بن

علي «بالتَّخابُرِ مَع «إسرائيل» والتآمُر لِصالِحها؟ !» ، لِتَتَداوَل وسائلُ الإعلام التونسيّة لاحقاً تصريحات لسياسيّين تونسيين مفادُها أنَّ هذا الملفّ تمَّ إتلافُه أو تَغييبُهُ ، بَل إنَّ لاَ أحَد من القُوى السياسيّة «الربيعيّة» ورُموزها وخاصّة مِن الحزبين الأكبر «حركة النهضة»و «نداء تونس» أشار إلى هذا الملفّ في سياق «تجريم» الرئيس «المَخلوع» أو الأسباب التي تُوجِبُ «خَلْعه».إلاّ أننا لم ننتَظِر كثيراً حتى أدْرَكْنا سَبب بَقاء علاقات الرئيس «بن علي» مع الكيان الصهيوني مِنَ المَسكُوتِ عَنْه.فقد تَعَرَّضتُ بالتَّفصيل في كتابي «الربيعُ العربي يتمخّضُ عن خريف إسلامي بغيوم صهيونيّة» الذي صدَر عن دار نشر تونسية أيضا في سنة 2012إلى الزيارة التي قام بها الشيخ راشد الغنوشي زعيم حركة النّهضة إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أوائل سنة 2011وبدعوة من لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية «الإيباك» وجِهاتٍ صهيو أمريكيّة أخرى ، ليُقدّم الغنوشي أوراق اعتماده أمام الدّوائر الصهيُوأمريكيّة وتحديدا أمامَ أعضاء «الإيباك» وفي مَقَرّها بإعلان عدَّةِ مَواقِف وتَعَهُّدات أهمّها تأكيده أنّ الدستور التونسي الجديد «لن يَتَضَمَّنَ إشارات مُعادِية لإسرائيلَ والصهيونيّة». وهذا ماحَصَلَ كما سنرى لاحِقاً.

إذَنْ كان الرئيسُ التونسي «المخلوع» مُتَوَرِّطاً في التعامل مع العدُوّ الإسرائيليّ حتى قبل أن يتسلَّمَ السلطة بانقلابٍ «أبيض» على الرئيس الراحل مع الحبيب بورقيبة مِن خِلالِ دَورِهِ في العدوان الإسرائيليّ بالقاذفات الحربية على مقرّ القيادة الفلسطينيّة في مدينة حمّام الشطّ التونسيّة سنة 1985 أو لاحِقاً بدَوره ومسؤوليّته في اغتيال القائد الفلسطينيّ الشهيد خليل الوزير «أبو جهاد» في مدينة سيدي بوسعيد

التونسية سنة 1988 وغيرهما ، ناهيكَ عن تشجيع فنانين تونسيين كمحسن الشريف على زيارة «إسرائيل» وعَدَم مُساءلة صحفيين كخميّس الخياطي عن زيارة تل أبيب أو مُفاخَرَة صحفي تونسي آخر كجمال العرفاوي في صحيفة «الصدى» التونسية في تسعينات القرن الماضي بأنّه مُراسل صحيفة «هاآرتس» الإسرائيلية في تونس (يعمل الآن في موقع «المغاربية» الألكتروني التابع للبنتاغون) ، بَلْ جاوَزَ الأمْرُ ذلكَ إلى الفضيحة المُدَوِّيَة عندما اشتَرَكَتْ صحيفة «الصباح» التونسية العريقة في آب/أوت2007 مع صحيفة «يديعوت أحرنوت» الإسرائيلية وثلاث صحف أخرى مِن مالطا والمغرب ومصر في مشروع أعلنتْ عنه مؤسسة «ليوسافير» مِن أجلِ رؤيَةٍ للمُتَوَسِّط 2020التابعة لمركز شيمون بيريز للسلام مع مؤسسة بيكاسووصحيفة القدس(لصاحِبِها أبوالزلف العميل الأردني الإسرائيلي المزدَوِج) ، هُو مُسابقة بعنوان «إضاءة حمامة بيكاسو» التي تستهدِفُ أطفالاً تتراوَحُ أعمارُهم بين 15و18سنة « حيث يتنافس أطفالٌ مِن أسبانيا ومصر وفلسطين وإسرائيل والمغرب وتونس وغيْرها مِن الدُّوَل المُتوسّطيّة في مُسابَقَةٍ لتقديم ترجَمَتهم الخاصّة المُستَوْحاة مِن لوحةِ بابلو بيكاسو الشهيرةِ لحمامَة السلام التي رسمها في 1949»(صحيفة الصباح التونسية عدد يوم الثلاثاء 7آب/أوت2007) ، وقد تَصَدَّت عدّة قوى تونسية لهذه الفضيحة التطبيعيّة المُعْلَنَة مثل الهيئة الوطنيّة للمُحامين بتونس ولجنة الصحفيين التونسيين الوطنيين المُناهِضين للتطبيع وصحيفتا «الوطن» لسان حزب الاتحاد الديمقراطي الوحدوي و «الموقف» لسان الحزب الديمقراطي التقدّمي إضافة إلى صحفيِّين تونسيين مثل : الراحل محمد قلبي (الذي كان يكتب في الصباح)، وعبد الكريم بن حميدة، ومنجي الخضراوي ،وفتحي الشروندي،

ومحمد بوعود ، ونور الدين المباركي ، والباحث الجامعي منير السعيداني ، ولكن هذه الفضيحة وَجَدَتْ في الوقتِ نَفْسِه مَن يُدافِعُ عَنْها بحماسة بين الصحفيين التونسيين الذين تصدّروا بعد 2011/1/14 المشهَد «الثّوري» على غرار «زياد الهاني» الذي كانَ حينها عضوالهيئة المديرة لجمعيّة الصحفيين التونسيين ، حيث صَرَّحَ زياد الهاني لِمَوقِع «المغاربيّة» الذي تموّله وزارة الدّفاع الأمريكية «البنتاغون» قائلاً : «إنّ مُسابقة إضاءة ، التي تتوجَّه للناشئة مِن دُوَلِ المُتَوَسِّط تُعْتَبَرُ مَشروعاً مُتميِّزاًيَخدمُ ثقافةَ التَّسامُحِ والسّلام والتَّواصُلِ بينَ شباب المُتوَسِّط ، وتستحِقُّ الجِّهات التي تتبَنّى هذا المَشروع كلَّ التقدير وكذلك الصحف التي انْخَرَطَتْ فيه والأمَل كبير في أن تتوَسَّعَ مثلُ هذه المُبادَرات حتى يكونَ حَوْضُ المُتوسّط مَهْدَ الحضارات ، مَوطِناً آمِناً ومُستَقِرّاً وَمُزدَهِراً». ويأمل زيادُ الهاني في تصريحه الحريص على نجاح مشروع بيريز»لَو يتمّ النُّزول بسِنِّ المُشارِكين إلى 13 عاماً خاصّةً وأنَّ هذه المرحلة مِن حياةِ الطِّفْل تبدأ فيها عمليّة تشكيل الأفكار والقناعات وتتكَوَّن مِن ورائها شخصيّتُهُ»(صحيفة الصباح التونسية ، عدد الأربعاء2007/8/15).

ولِذا ليس غريباً أن يكونَ زياد الهاني مِن مؤسِّسيّ ما سُمِّي «التسيقيّة التونسيّة لِمُساندة الثورة السوريّة» المَزعُومَة ، ولا أن يكونَ عضوا في الوَفْد الذي قادَهُ «زهير لطيف» إلى سوريا لاستِعادَة الإرهابيين التونسيين المُعتقلين في السجون السوريّة ، لكنّ الغريبَ أن يَلِجَ هذا الوفد وَمِن ضِمْنِهِ التطبيعي التونسيّ «زياد الهاني» سوريا بتسهيلاتٍ مِن التونسي «محمد صالح الهرماسي» الذي مازال يُقيمُ في دمشق بصفتهِ عضواً في القيادة القوميّة لِحزب البَعْث العربي الإشتراكي!».

وَمِن الذينَ نافَحوا وناطَحُوا دِفاعاً عَن خطوة «الصباح» التطبيعيّة، الصّحفي «خميّس الخيّاطي» الذي يُعَدُّ على مستوى المشهَد الصحفي التونسي رائداً في التطبيع مع «إسرائيل» ، لذلكَ أثارتْ حفيظَته الحملةُ التي شنَّتْها صحيفة»الوطن» على صحيفة «الصباح»، فوَصَفها بالقَوْمَجيّة ، وهو ذات الوَصْف الذي رَماني به في ردّه على ماوَرَدَ في كتابي «حوار مع السينما: السُّمُ في الصّورة» الذي صدَر عن دار تونسية سنة 2012،بشأن زيارته الكيان الصهيوني، هذه الزيارة التي كانت خافية على صحيفة «الوطن» فلم تُشِرْ إليها في رَدِّها عليه بل اكتَفَتْ بالإشارة إلى أنّ التونسي «خميّس الخيّاطي»كانَ قد اختار فيلماً «إسرائيليا» هو فيلم «إستير» ل «عاموس غيتاي» كي يُعْرَض في مهرجان «كان» يومَ كانَ عضواً في لجنة اختِيارِ الأفلام لأسبُوع النقّاد (صحيفة «الوطن» التونسية ، العدد الصادر يوم 2007/9/7) ، لكنّ «الخيّاطي» في ردِّهِ عليَّ بصحيفة «أخبار الجمهورية التونسية» الأسبوعية ، العدد 1115 من 9إلى 15 فيفري/ شباط 2012، لم يؤكّد فقط أنّه ذَهبَ إلى «إسرائيل» بل قال حرفيًّا : «سافرتُ في طائرة فرنسيّة من باريس إلى جونيف وفي طائرة سويسريّة مِن جونيف إلى تل أبيب» ، وخِلافاً لِما يَهْرفُ البعض بأنّ الشاعر الراحل محمود درويش كان يُشَجِّع على التطبيع مع الصهاينة وزيارة «إسرائيل» ، فقد اعترفَ «الخيّاطي» في ردِّهِ هذا قائلاً بالنصّ «وَصَلتني عديدُ الدّعوات مِن الجامعة العبريّة ومِن مَهرجان القدس للذهاب إلى فلسطين . . . وفي كلّ مرّة كنتُ أستشير المَرحُوم محمود درويش وكانَ ينصحُني ويُقنِعُني برفض الدّعوات وكنتُ أرفضُها مُقتَنِعاً . . . في تلك المرّة ، دأَبَ درويش على إقناعي بعدَم الحضور ، ولكن قلتُ له بأني سأذهب وفعلاً ذهبت».وفي الردِّ ذاتِه يصف «خميّس»

مقاطعة «إسرائيل» بأنها «عمياء وبليدة وغبيّة وساذجة» ويضيف بأنّ هذه المُقاطَعة «هِي التي ساهَمَ في إرسائها مثلَ ذلكَ المناضل الذي يُقيمُ في بلادنا ولاشيء يمنعُهُ مِن العَوْدَة إلى بلادِه» وهو لايكتفي بأن يرشقني بهذه الدعوة الضمنية إلى مغادَرةِ تونس بل يقول في الردِّ نفسه بشأني ،إنني «قومَجي عَربي نسيَهُ الفلسطينيّونَ بتونس ولو يجدُ بلدُهُ وشعبُهُ في قلبهِ مَكانةً حتى أنّه لم يربطْ ولو الخيْطَ الضعيفَ مع المُقاوَمة في بَلَدِه..» واصِفاً ما يُسَمّى «الثورة السوريّة» بالمُقاوَمة ، أما مُقاوَمة العدوّالصهيوني والدعوة إلى مُقاطَعتهِ ومُقاوَمة التطبيع معه فيعدّها خميّس الخيّاطي «تَشَدُّقاً» ويضيف «بئسَ المُقاوَمة وبئسَ مَن يُسانِدُها».

أمّا ممثّل النظام التونسي آنذاك «برهان بسيّس» فقد كان يرى في التطبيع مع الكيان الصهيوني الاستيطاني العنصريّ الذي هو خيانة وطنيّة وقوميّة وإنسانيّة مجرَّد وجهة نَظر يُمكِنُ الحِوار حَولَها، دُونَ أن يُخفي تَعاطُفَه مع أنصارها ، حيث كتبَ في زاويتِه «البُعْد الآخر» بصحيفةِ «الصّباح» إيّاها عَيْنِها ، تحت عنوان «حالة حِوار» ساخِراً مِن رافِضيِّ التطبيع ودُعاته: « انْدَفَعَ أَحَدُهُم بَعْدَ الكلمة الثانية مِن السطر الأوّل للمُطالبة بعَرض أنصار التطبيع على المحاكمة - طَبْعاً دُونَ أن يُبَيِّنَ الدائرةَ التي يقترحُها لاحتضان النِّقاش ، عفواً المُحاكَمَة أَهَلْ هِيَ الدّائرة الجناحيّة أم الدائرة الجنائيّة !!في حين انبَرى آخَرون إلى هَتْكِ عَرْضِ أَحَدِ أعضاء جمعيّة الصحفيين لمُجَرَّد أنّه أبدى مَوقفاً مِن القضيّة يخصّ رأيَه الشخصيّ المَحْض الذي لم يحملْ سلاحاً لفَرْضِه على أحَد!!. كونواضدّ التطبيع أو معه ، هذا حقّكم الكامل لكنْ رَجاءً أتْحِفونا بِحوارٍ بنّاء ...».

ولم تكن فلسطين قضيّة زين العابدين بن علي «الشخصيّة» فقط بل كانت أيضاً - وعلى طريقة زين العابدين ذاتها - قضيَّةً «شخصيّة» لنائبة المجلس التأسيسي عن «حركة النهضة» وابنتها. فقد اعترَفَتْ «محرزيّة العبيدي» في حوارٍ أجراه معها الصحفي التونسي «محمد بوغلاب» على القناة الوطنية التونسية أنها كانت تنشَطُ في مجلس «أديان مِن أجل السلام» الذي كان أبرز مسؤوليه الحاخام الإسرائيلي «دافيد روزين» الذي يُفاخِرُ بأنّه خَدَمَ في الجيش الإسرائيلي على رِمال سيناء المصريّة المُحتَلّة، كما اعتَرَفَتْ بأنّها ألّفَت كُتُباً بالإشتراك مع الكاتب الصهيوني الفرنسي «لوران كلاين» شريك «برنار هنري ليفي» في أفكاره ونشاطاته ، ومِن بين هذه الكتُب «أبراهام ...اسْتَيْقِظْ، لقَد جُنُّوا» في إشارة إلى الإسرائيليين والفلسطينيين كأبناء للنبي إبراهيم، أي أنّ الإسرائيلي والفلسطينيّ «إخوة أعداء» في مُساواةٍ صفيقة بين الجلاد والضحيّة، وَتباهَت «محرزيّة» بأنْ أصدَرَتْ أكثر من كتاب مع «لوران كلاين» الذي صرَّح بأنّ «الصهيونيّة حركة تحرُّر تندرِجُ ضمْنَ تيّار تَحَرُّر الشعوب الذي وُلِدَ في أوربا بالقرن التاسِع عَشَر» على الرّغم من أنف الجمعية العامة للأمم المتحدة التي قرَّرَتْ يوم 10نوفمبر / تشرين الثاني 1975 أنّ «الصهيونيّة شَكْلٌ مِن أشكال العنصريّة» بَل إنّ «مُثقّفة» حركة النهضة مُعْتَزّةٌ بأنّ «كلاين» هُو أيضاً مُدير المدرسة التي يقرأ فيها أولادُها في فرنسا ، وهِيَ فَرِحَةٌ أيضاً بأنَّ ابنتَها «فَرَح معيزة» دَعَتْ فتياناً فلسطينيين إلى فرنسا للجلوس إلى فتيانٍ إسرائيليين ومُحاوَرَتِهِم زاعِمَةً أنَّها بذلك تخدمُ القضيّة الفلسطينيّة(؟!)، ولذا مادامت «محرزيّة» هِيَ نائبة رئيس المجلس التأسيسي التونسي ، ومادام رئيس هذا المجلس هُو «مصطفى بن جعفر» الذي طمأنَ الدوائر الصهيونية الفرنسية في تصريح باريسيّ كريه الرائحة على أنّ

بند تجريم التطبيع مع الكيان الصهيوني لن يمرّ في الدستور التونسي الجديد لأنّ «قلّة قوميّة» فقط تطالب بإدراج هذا البند ، فَمِنَ تحصيل الحاصِل أن يحدثَ ماحَدَث.

وليست «محرزيّة العبيدي» مُتَفَرّدة في حركةِ النّهضة بنَسْج الصِّلات مع الصهاينة فقد جاوَزَها «حمّادي الجبالي» الأمين العام السابق للحركة صاحب لقطة العِناق الحارّ مع السيناتور الصهيوني الأمريكي «جون ماكين» على هذا الصّعيد ، فحسب عدد جريدة «الفجر» الأسبوعية الناطقة بإسم حركة النهضة الصادر يوم 20 ماي/أيار 2011، زار وفد نهضوي الولايات المتحدة بدعوة من وزارة الخارجية الأمريكية، و قد التقى حمادي الجبالي هناك كلا مِن «جوزيف ليبرمان» ، «جون ماكين» ، و «كاراي أكرمان» وآخرين،وفي واحدة مِن الندوات التي شارك فيها «حمّادي الجبالي» في الولايات المتحدة الأمريكية ، قال إن حركة النهضة «ستكون حليف أمريكا الإستراتيجي لحفظ السلام في العالم و في المنطقة»،وكنموذَج تستحضره النّهضة وتسترشِدُ به لإدارةِ الشأنِ التونسيّ ، أشاد حمّاديَ الجبالي ب « ديمقراطيّة إسرائيل التي لا يُعيقُها وجود أحزاب دينية».

وَمِن سُوء حَظِّ الطّامِعِين بالعَطايا الصهيونيّة والمُراهِنينَ على أنّ ارتكاباتِهم خارِجَ أوطانِهِم ستَبْقى طَيّ الكتمان أنّ المنظمة المشبوهة بارتباطها بمؤسسات صهيونية كبرى «سايبر ديسيدينتس» أدرجت بعض الأسماء التونسية التي نشطت معها في السابق أو كان لها بها علاقة من قريب أو بعيد في إطار دعم ما سمته «تعزيز حرية التعبير في الشرق الأوسط». حسب صحيفة «تانيت برس» الألكترونية التونسية يوم 2014/1/2.

ومن هذه الأسماء التونسية «محمد عبو» الأمين العام السابق المستقيل من حزب المؤتمر من أجل الجمهورية حزب الرئيس التونسي المؤقت المنصف المرزوقي ، «ياسين العياري» ، «سهام بن سدرين»، «سليم بوخذير»، «محمد الفوراتي»، «رضا بلحاج ابراهيم»، و «عمر المستيري».

وقد أنشئتْ منظمة «سايبر ديسيدينتس» عام 2008 و يديرها الصهيوني «ديفيد كيز» الذي يعمل في منظمة «أديلسون» للدراسات الاستراتيجية و هي منظمة صهيونية موجودة في القدس المحتلة، فضلا عن عمله في قسم الاستراتيجيات بالجيش الإسرائيلي.

و «سايبر ديسيدينتس» هو برنامج لرعاية ودعم المدونين العرب، أشرفَ عليهِ برنارد لويس صاحب مخطط تقسيم العالم العربي في أول عامين من إنشائه. وهو يضم بعض أسماء المدوِّنين في الوطنِ العربي الذين يعملون على صياغة تقارير عن عيوبِ أنظمةِ الدولَ العربية العاملين عليها، فيتمّ تصنيفُ الدول العربية كمناطق نزاع و أنّها دُول غيرحرّة ، وتُوضَع السياسات والدراسات لرَسْم «حُلولٍ» لتلك النِّزاعات بما يتناسبُ مع السياسات الصهيونية التي تدِيرُهذا الرنامِج وأمثاله.

- 8 -

ولكنّ المَوضوعيَّةَ تفرِضُ علينا الإشارةَ إلى أنَّ رموزَ النهضةَ التطبيعيين ليسوا رُوَّاداً في فضاء التطبيع مع الصهيونيّةِ وكيانها العنصريّ فقد كشف تقريرٌ صادرٌ عن مركز الإحصاء «الإسرائيلي»أن نحو853 تونسيَّاً زاروا الكيان الصهيوني سنة 2008 كسيّاح ولم يبيّن

إنْ كانوا من اليهود التونسيين أو من غيرهم وتضمّن التقرير لائحة في أعداد وبلدان السياح العرب الذين زاروا الكيان الصهيوني خلال سنة 2008، (جريدة «الوطن» التونسية – العدد 80 - 10 أفريل /نيسان 2009)

وقد اتصلت «الوطن» حسب عددها في التاريخ المذكور أعلاه بعريضة مُمضاة مِن قبل عددٍ من المُحامين التونسيين جاء فيها على وجه الخصوص: «نستنكر ما يبثه المدعو سهيل فتوح المحامي ... على مواقع الإنترنيت والذي وقعَ التفطُّنُ إليه منذ أوائل سنة 2008 من دعاية صهيونية مناصرة للأعمال الإجرامية للكيان الصهيوني و معادية للقضية الفلسطينية و أنصارها و رموزها..».

وطالب المحامون المُمضون على العريضة بإحالة هذا المحامي على مجلس التأديب ، خاصة أن موقفه تمّ التنديدُ به من طرَف «أغلب أعضاء المكتب الدائم لاتحاد المحامين العرب على هامش اجتماعه ببيروت..»

وكان «سهيل فتوح» أجرى قبل أشهر حواراً مع مجلة تونسية أشاد فيه بـ «الكيان الصهيوني» معتبرا إياه « نموذجا للديمقراطية والتقدُّم والعمَل من أجل السلام، وفي المقابل رأى أنَّ «المقاومة الفلسطينية ليست سوى إرهاب أعمى جعلَ الإنسانَ العربي مُتَّهما تترصده عيون الأمْن في كل المطارات» وغير بعيد عن هذا المعنى عَدَّ الأزهَرالعكرمي في حواره مع قناة «حنابعل» بتاريخ 22مارس/آذار 2014 أنّ العراقيين مارسُوا عُنْفاً ضدّ الأمريكيين ، وكذلك «حركة حَماس» كانت تمارس «عنفاً» ضدّ الإسرائيليين ، مُتَجَنِّباً وَصْف ماقام به العراقيّون والفلسطينيون بأنه كان مقاوَمة ضدّ الإحتلالين

الأمريكي والعِراقي .

وقد نشر موقع «أخبار الساعة» الألكتروني يوم السبت 8آذار/ مارس2014 أنّ «الطاهر بن حسين» صاحب قناة «الحوار التونسي» والمُعارِض السابق لنظام بن علي وأحد رموز حركة «نداء تونس» نشرَ على صفحته بموقع الاتّصال الإجتماعي «فايسبوك» قائمة بأسماءِ شخصيّات تونسية زارتْ «اسرائيل» مصحوبة بصورة من صحيفة «يدعوت احرنوت» وهي المصدر المذيل للخبر كما تم نشرُه، والقائمة تضمّ أسماء شخصيّاتٍ تونسيّة سياسية و فنيّة زارت «إسرائيل» مثل المخرجة السينمائية «مفيدة التلاتلي» والناقد السينمائي «خميّس الخياطي»، والجامعيان «الحبيب القزدغلي» و «عبد الحميد الأرقش» المنتميان إلى حركة «التجديد»(الحزب الشيوعي التونسي سابقا والمسار الديمقراطي لاحقا) وسبق للقزدغلي أن صرّح بأنّ «مناهضة الصهيونيّة ليست مِن ثوابتِ الشعب التونسي»، وكذلك «عدنان الحسناوي» أحد دُعاة التطبيع بدعوى أنه «يحترم الواقعية و الإعتدال في السياسة الدفاعية لدى الزعيم بورقيبة و لدى الرئيس السابق بن علي» ، و «محمد العربي شويخة» من معهد الصحافة الذي ألقى محاضرة في جامعة بار إيلان بتل أبيب في شهر ديسمبر/ كانون الأول سنة 1999و رافقه «عبد الحميد الارقش» آنذاك وأشادت بهما الصحافة الصهيونية هناك ، وطبعا «خميس الجهيناوي» عراب العلاقة مع الكيان الصهيوني و رئيس مكتب ما يسمى برعاية المصالح التونسية بتل أبيب ، و «محسن مرزوق» القيادي البارز في حركة «نداء تونس» ، والذي على إثر العقوبة و التحقيق الإداريّ الذي أقرَّتْهُما وزارة الرياضة التونسية ضدَّ بعض عناصر المُنتخَب التونسيّ

لرياضةِ «التيكوندو» على خلفية مشاركتهم ضدَّ منتخب الكيان الصهيوني في دورة دوليّة وهو ما يرفضه كل الرياضيين في تونس وكذلك الوزارة لِكَوْنِ ذلك تطبيعاً مع الكيان الصهيوني و اعترافاً بدولة «إسرائيل»،أكَّدَ «مرزوق» في حِوار مع إذاعة مدي1 medi 1 المغربية رفضَه قرارَالوزارة التونسية زاعِماً أنَّه»لا يجب الخلط بين الثقافي و الرياضيّ و السياسيّ وعليه لا يجب معاقبة مَن يُشارك في تظاهرةٍ رياضيّة أو ثقافية بحضور دولة إسرائيل» ، و قال مرزوق « إن دولة إسرائيل واقعٌ وتجاهلها تجاهُلٌ للواقِع و التاريخ ثم إنَّ العربَ ليس من حَلٍّ أمامَهم سِوى التفاوُض مع إسرائيل فقد يأتي يوم ترفضُ فيه إسرائيلُ التفاوضَ» و ذكَّر بموقف العرب من مبادرة بورقيبة خلال خطابِ أريحا. وَمِنَ الذين ذَكَرَهُم «الطاهر بن حسين» الفنانون التونسيون «محسن الشريف وسليم البكوش وعبد الوهاب الحناشي ونور الدين الكحلاوي» الذين غنُّوا في حفل مستعمرة إيلات الصهيونية ،(كشَفَ المُغنّي الإسرائيلي من أصْلٍ تونسيّ «بتسلئيل رافيف» أنّه زارَ جزيرة جربة التونسية السنة الماضية بدعوَةٍ من وزارتيّ السياحة و الداخليّة التونسيتيّن في ظلِّ حكومةِ الترويكا الثانية برئاسة «علِّي العريّض» القيادي البارز في حزب حركة النهضة الإسلامي ، مؤكّداً أنه تلقّى عرضاً للحُصول على جوازِ سَفرٍ تونسي ، وقد نشرَ المُغنّي الإسرائيلي الحفلة التي أقامَها في «جربة» إضافة إلى عدَّة فيديوهات متعلقة بتونس - بوابة أفريقيا الإخبارية -26أفريل / نيسان 2014) ، و«المنذر ثابت» مُنَسِّق زيارة وزير الخارجية الإسرائيلي «سيلفان شالوم» إلى تونس في إنعقاد قمة المعلومات بتونس سنة 2005 ،حيث التقى بسيلفان شالوم في جزيرة قبرص قبل انعقاد القمة بشهرين ونظَّم تفاصيل الزيارة ، و «المنذر ثابت» زار «إسرائيل» - حسب الطاهر بن

حسين دائماً- في ذات الأسبوع قبل أن يعود حاملاً رسالة شُكر من شارون إلى بن علي، وكذلك «غيداء ثابت» ابنة المنذر ثابت وهي عضو في منظمة الشباب في «نداء تونس» زارَتْ «إسرائيل» ثلاثَ مرّات منذ سنة 2012 في إطار الأنشطةِ الجمعياتية لجمعيّة الدِّفاع عن الأقليّات اليهوديّة و المسيحيّة و الجنسيّة، وأيضاً «المنذر الحاج علي» القيادي في «حركة نداء تونس» صاحب الرسالة الشهيرة إلى «شيمون» بيريز في تسعينات القرن الماضي الذي وصَفَ بها الإرهابي الصهيونيّ العريق «بيريز» بحمامةِ السلام ، مُحقِّقاً بذلكَ سَبَقاً تطبيعيّاً بامتِياز على الرئيس المصري الإخوانيّ المَخلوع «محمّد مرسي العَيَّاط» (وقد سارَعلى خُطاهما السّوري المُعارِض «المهندس محمد عدنان حسين، رئيس الهيئة السياسية العليا للتجمع الثوري،الذي أرسَلَ رسالة تهنئة إلى خليفة شيمون بيريز الرئيس الإسرائيلي المنتخب رؤوفين (روبي) ريفلين. وقال موقع صحيفة «معاريف» إنّ المئات من الرسائل وصلت ريفلين في اليوم الأخير، إلا أنَّ الرسالة التي وصلته من المعارضة السورية كانت الأكثر مفاجأة بالنسبة له، حيث عبَّر «عدنان حسين» عن أمله بأن تكون رئاسته «فاتحة للتقريب بين الشعبين السوري والإسرائيلي، بعد سقوط نظام الأسد المُجرم وشركائهم من إيران وحزب الله) ،و «سلمى اللومي الرقيق» أمينة المال في حركة «نداء تونس» التي حسب الموقع الفرنسي «لو بوان أف آر» زارت العديدَ من مزارع «الفراولة» في كلّ من الولايات المتحدة وفرنسا و«إسرائيل» وذلك قبل إطلاق مشاريعها ، ثمّ «أصبحت من عمالقة تجار المَوَاد الغذائية في تونس».

- 9 -

على الرّغم مِن أنّ المؤتمر العام التاسع لحركة «النهضة الإسلامية» التونسية، التي تقود الائتلاف الحاكم في البلاد، أيَّدَ تجريمَ التطبيع مع إسرائيل، فَشدَّدَ البيانُ الختاميُّ للمؤتمر،على ضرورةِ «تحريم التطبيع مع الكيان الصهيونيّ»، وعلى أنَّ القضية الفلسطينية «تبقى قضية مركزية للأمّة»،وعلى الرغم أيضاً مِن أن وزيرَ العدلِ التونسيّ الأسبق «نور الدين البحيري» القياديّ في حركة النهضة قال يوم 22 جوان / حزيران 2011" إنَّ أطرافاً سياسية مُمثَّلة في الهيئة (الهيئة العليا لتحقيق أهداف الثورة والإصلاح السياسي والانتقال الديمقراطي)متَّهمة بـ «مُساندةِ مبدأ التطبيع» مع «إسرائيل» ، مؤكِّداً أنّ حركة النهضة «لا تقبل بهذا المبدأ» وترى أن التنصيصَ على رفض التطبيع «أمرٌ جوهَريّ وغير قابل للجدال» إلا أنّ وزيرَ الخارجية التونسي الأسبق في الحكومة التونسية المؤقتة «رفيق عبد السلام «لا يؤيِّد فكرة تخصيص بندٍ في الدستور التونسي الجديد يجرِّم التطبيعَ مع «إسرائيل» زاعماً في حديث تلفزيوني بثته قناة «حنبعل» التونسية الخاصة أنَّ خلَطاً قد تمَّ في موضوع التنصيص على تجريم التطبيع مع «إسرائيل» في الدستور التونسي الجديد، وأنّه لا يَعرف مِن أين أتتْ قِصَّة تخصيص بند في الدستور التونسي يُحرِّم أو يُجرِّم التطبيعَ. والحقيقة أنَّ الوقائعَ التالية أثبَتَتْ أنّ كلامَ «رفيق عبد السلام بوشلاكة» زوج كريمة الشيخ راشد الغنّوشي كانَ الأدَقَّ والأكثَر انسِجاماً مع مُجْمَل مواقف «النَّهضة» بخصوص هذه المسألة ، فإذا تجاوزْنا موقفَ «البحيري» المذكور أعلاه قبل انتخابات 23أكتوبر/تشرين الأول 2011 وكذلك موقف «سمير ديلو» القيادي في النهضة والقائل إن «من يريد الدفاع

عن التطبيع مع إسرائيل يجب أن يُدافع عنه في العلن و فوقَ المنابر الإعلامية وليس في الخفاء وداخل الهيئة»، وذلك في إشارة إلى الهيئة العليا لتحقيق أهداف الثورة ، ولاحقا موقف «المؤتمر التاسع لحركة النهضة»، فإنّ «راشد الغنوشي» قال لمنظمة «إيباك»بالحرف الواحد '' - بالنسبة للنزاع الفلسطيني- الإسرائيلي، فإن تلك مسألة مُعقَّدة لم تُحَلّ مع أنّ مُعظمَ الفلسطينيين قبلوا فكرة حل الدولتين، واليوم هذه المسألة تعني الفلسطينيين والإسرائيليين أكثر من أيّ طرَف آخر، وأنا معني بتونس، الجميع معنيون بمصلحتهم الخاصة ، وأنا مصلحتي تونس».وقد أكَّدت إذاعة «صوت إسرائيل» على موقعها الالكتروني الناطق بالعربية يوم 2012/1/27 أنَّ زعيم حركة «النهضة» الإسلاميّة التونسية راشد الغنوشي قد التقى معهم. وقد قال الغنوشي لمندوب الإذاعة الإسرائيلية في المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس إن « على الفلسطينيين أن يُقرِّروا بأنفسهم بشأن طبيعة علاقاتهم مع (إسرائيل) »،والمفارقة التي يُمكن عَدّها من الكوميديا السوداء أنّ حركة النهضة أعلنتْ موقفها الرسمي ضدّ إدراج بنْد تجريم التطبيع مع الكيان الصهيوني في الدستور التونسي الجديد ملتزمةً بالوعد الذي قطعه زعيمها الغنوشي لمنظمة «أيباك» الأمريكية الصهيونية وضاربةً عرض الحائط بموقف الشعب التونسي ، المُفارقة هِيَ في أنّ حركة النهضة خلعتْ هذا القناع الآخر من أقنعتها الكثيرة المتكاثرة في اليوم نفسه الذي قصفَ فيه الطيرانُ الإسرائيلي مصنعا للأسلحة في السودان أينَ كانَ الغنّوشي «يُفرقِع» خطبَهُ النارية ضد أمريكا في تسعينات القرن الماضي ، وفي اليوم نفسه الذي قَتلَ القصفُ الإسرائيليُّ فيه أيضاً أربعةَ فلسطينيين في قطاع غزّة مَشْيَخةِ أُختهم في استخدام الدين لمآرب دنيويّة / حركة حماس!. وفضلاً عن هرطقات

الغنُّوشي فإنّ أمينَ عامّ الحركة «حمّادي الجبالي» رأى في واشنطن أيضاً أنَّ «إسرائيل» دولة ديمقراطيّة ، وفي ابتزازٍ لِحركةِ «حَماس» التي خَلَعَتْ جلبابَ «المقاوَمة» وظَهرتْ في ثَوبِها الإخوانيّ «العَريق» زَعَمَ قادَةٌ مِن حركة النهضة التونسية أنَّ «اسماعيل هنيّة» و «خالد مشعل» عند زيارتهما تونس لهم نَصَحاهُم بعدَم إدراجِ بند تجريم التطبيع مع «إسرائيل» في الدستور التونسيّ الجديد ، وعندما تناقلتْ وسائلُ الإعلام هذه النّصيحة/الفضيحة اضطرَّ الناطقُ باسم الحكومة الحمساويّة المُقالة في غزّة «طاهر النونو»،لأن يُصرِّحَ قائلاً «إن حماسَ لم ولن تنصحَ أيّ حكومة عربية بعدَم تجريم التطبيع في دستورها، وقال «النونو»ردًّا على تصريحاتِ «الصّحبي عتيق» رئيس كتلة حركة النهضة في المجلس التأسيسي التونسي الزّاعمة أنّ حماس نصحت بعدم التنصيص على تجريم التطبيع مع «إسرائيل» في الدستور التونسي الجديد : « هذا الأمر غير صحيح وننفيه جملة وتفصيلا». وأشار إلى أنّه تواصَلَ مع الجانبِ التونسي بعد سَماعِ تلك التصريحات، وهُم من جانِبهم استهجنوا الأمر، ووعدونا بنفيِ الخبر اليوم ، مضيفاً «انتظروا ساعة سترون النفيَ من الجانب التونسي» . لكن لم يصدر أيُّ شيء رسمي من الجانب التونسي، إلا أنّ أحد المتحدثين باسم حركة النهضة الاسلامية في تونس «أميمة جوادي» قالت لأنباء موسكو «لا علم لنا بمثل هذا الأمْر، ولو كان الأمر قد حدَث فعلا لكانت الحركة نشرتْه وعممته داخليا، لكننا لم نسمع شيئا من هذا القبيل حتى اللحظة». وهكذا واصَلَتْ النهضة سعْيَها الحَثيث للوفاء بالتزامات شيْخِها الرئيس أمام «الإيباك» ، وَدَخَلَ «نُوح فيلدمان» المجلس التأسيسي التونسي خلالَ مناقشتِه مسألة إدراج بند يُجَرِّمُ التطبيعَ مع «إسرائيل» في الدستورِ التونسيّ الجديد

مرَّتين لِغَرَضِ توجيهِ المجلس في المرّة الأولى قامتْ بإدخالِهِ نائبةُ المجلس الوطني التأسيسي عن حزب المؤتمر مِن أجل الجمهوريّة «مبروكة مبارك» ، وفي المَرَّةِ الثانية قامت بادخاله نائبة التأسيسيّ عن حركة النهضة «إيمان بن محمد»،التي أجابت عن سؤال صحيفة «الشروق» التونسيّة حول سبب إدخالها «نوح فيلدمان» المجلسَ بأنها عرفته في المجلس الوطني التأسيسي، وهوأستاذ قانون دستوري.

وَ «نُوح فيلدمان» كان يشغلُ منصبَ المُستشار السابق للحاكم الأمريكيّ في العراق «بول بريمر» ، وهو أمريكي صهيوني من أصُول يهودية ،حائز على شهادة الدكتوراه في الفكر الإسلامي من جامعة «اكسفورد» ،ولد سنة 1970 في مدينة «بوسطن» الامريكية،وبصْمَتُهُ جليّة في بعضِ الدساتير التي تمَّ اتهامُه بأنه يقفُ خلفَ بعض نُصوصِها، حسب بعض الخبراء في القانون الدستوري، وخاصة بعض الفصول في الدستور المصري، إضافة لدستور العراق الذي تمَّت كتابتُه سنة 2004، بعد إسقاط نظام صدام حسين، إضافة إلى عَدِّهِ اليدَ الخفيّة في الدستور الأفغاني.

وقد حضَرَ «فيلدمان» هذا جلسة المجلس التأسيسي التونسي العامة المخصَّصة لمُناقشة باب الحقوق والحريات، بدونِ أن ينتبه أحَدٌ لوجوده في زحمة الشخصيات الأجنبية التي تحضر يوميًّاً في أروقة المجلس التونسيّ، وحال الإنتباه إلى حضوره والإحتِجاج على هذا الحُضور غادرَ مُسرعا مقرَّ المجلس الوطني التأسيسي، والتراب التونسي بعدَ أن كان في نِيَّتِهِ البقاء لأيام أخرى .

وفي ذلكَ الوقت صَرَّحَ «مُراد العَمدوني» النائب في المجلس الوطني التأسيسي عن حزب «التيار الشعبي» الذي كانَ يَتزَعَمُهُ

الشّهيد «محمّد البراهمي» بأنَّ «المُخابرات الأجنبيّة تجوب أروقة المجلس الوطني التأسيسي وتُحاوِل الضَّغطَ لتمرير بعض المضامين ، كما تحاول منْع تمرير بُنْد تجريم التطبيع مع الصهيونية».

وَكما هُوَ مَعلوم صَوَّتَ نُوَّابُ حركة النهضة وحلفائها ، ضدّ إدراج بندٍ يُجَرِّمُ التطبيعَ مع الكيان الصّهيونيّ ، وَتَواطأ معهُم النوّاب «الليبراليّون» و»اليساريّون» إمّا بالتصويت ضدّ إدراج البُند المذكور أو بالتَّغيُّب عَن جلسة التّصويت.

- 10 -

على خلفيَّةِ هذا التراكُم «التطبيعيّ» التونسيّ أتْحَفَتْنا حكومة «مهدي جمعة» بخطوَةٍ تطبيعيّة نَوعيّة وواسِعة ، مَهَّدَتْ لها خلالَ مُشاورات تشكيل الحكومة بِتَدَاوُلِ اسم «روني طرابلسي» نَجْل زعيم الطائفة اليهودية في تونس «والخبير في القطاع السياحي وصاحب وكالة أسفار» كمُرَشَّحٍ لِتَولِّي حقيبة وزارة السياحة فيها ، خاصّة وأنّ مِن إنجازات «روني» إقامة خط جويّ مباشر بين مطار بنغوريون الإسرائيلي ومطار جربة التونسي لنقل «الحجيج الإسرائيلي» في المناسبة الدينية اليهودية إلى معبد «الغريبة» بجزيرة «جربة» في الجنوب التونسي ، فضْلاً عن مُباهاته بأنَّ صداقته الحميمة مع «عومري شارون» نجْل الإرهابي المقبور المجرم «أرئيل شارون» قد مكّنتَه سابقا مِن جلبِ آلاف السّائحين الإسرائيليّين إلى تونس تحتَ غطاء «حجّ الغريبة» وغيره.

ويبدو أنّ هذا التّداوُل لاسم «روني» كان يهدفُ إلى كَسْر الحاجز النفسيّ عندَ المُواطِن التونسيّ ليس من أجل توزير يهودي تونسي في

حكومة «تكنوقراط» ، بل مِن أَجْلِ نيَّة هذه الحكومة المُسْبَقَة في فَرْضِ سياسة تطبيع اقتصادي مُعْلَنٍ مع الكيان الصهيوني مِن البَوَّابة السياحيّة الواسِعَة.

وهكذا اسْتُبْدِلَ اسم «روني الطرابلسي» باسم «آمال كربول» التي قَدَّمَتْ نَفْسَها لأعضاء المجلس التأسيسي التونسي بِمَلَّفٍ تَضَمَّنَ سيرَتها وخبراتها وتوجُّهاتها ، مُفاخِرَةً (أَوْ «مُفارِخَةً» حسب تعبيرها في حِوار أَجْرَتْه معها قناة «العربيّة» السعوديّة!) بأنَّها زارَتْ في سياق تقديم خَدَمات تؤكِّد كفاءتها، دُولاً عديدة بيْنَها «إسرائيل» وأنّها قامَتْ بِدَورَةٍ تكوينيَّة في تل أبيب، وتَمَّ تمييع المسألة بِهَرَج تَهريجيّ داخِل المجلس التأسيسي مِن بطُولة النائب «ابراهيم القَصَّاص»، لكنّ وزيرة السِّياحَة - أو جِهات داخليّة وخارجيّة - كانت على عَجَلَة مِن أَمْرِها للإفْصاح عن المهمَّةً التطبيعيّة المُلقاة على عاتِقِها ،إلاّ أنَّه ما أن مَنَعَتْ السلَطاتُ التونسية يوم الأحد 2014/3/9أربعة عشر سائحاً إسرائيليا من النزول في ميناء تونس من على متنِ سفينة سياحية نرويجية وأجبروا على البقاء فيها، في حينٍ سمح للرّكاب اليهود غير الإسرائيليين بالنزول ، حتى بدأَتْ فصُولُ المسرحيّة التطبيعيّة مِن بطولة الوزيرة «كربول» تَتَوالى ، على وَقْع نشاط إعلاميٍّ مُبَرْمَج . وَبِذَريعَةِ أنَّ مَنْع السّائحين الإسرائيليّين الأَربَعة عَشَرِ من دُخُولِ تونس كانَ بدايَة أزمة للسياحة التونسية ، أَدْلَت الوزيرة «آمال كربول» يوم الجمعة 2014/3/14 خلال لقاء صحفي انتظم بمكتبها و جَمَعها إلى عددٍ من الصحفيّين الأجانب، بأنَّ «منْع 14 إسرائيلي من دُخولِ تونس في الأيام المُنْصَرِمة يَعودُ إلى عدَم حُصولهم على تأشيراتِ الدخول القانونية إلى الأراضي التونسية ، وإنَّ كلَّ الإسرائيليين الذين

استوفوا الإجراءات القانونية مُرَحَّبٌ بهم في تونس، وإنّ جرْبَة قد تستقبل آلاف الإسرائيليين في الفترة القادمة .وأنّها شرَحتْ لبعض الإذاعات اليهودية في فرنسا أسبابَ الحادثة المذكورة مُوضِّحة أنّها أرسلت لليهود رسائل مفادها أنّ تونس ترحِّب بكلِّ الجنسيات لكنها تلتزم بتطبيق القانون». وحسب وكالة «رويترز» فقد وعدتْ «آمال كربول» بإقامة حفلٍ دينيّ يهوديّ نادرِ الحُدوث في تونس في ماي/ أيار 2014 لإرضاءِ شركة (نورفيجان كروز لاين) ومقرّها الولايات المتحدة والتي أعلنتْ عن إلغاءِ كلِّ رحلاتها إلى تونس. فهذه الشركة «البريئة» قالت في بيان لها ردًّا على منْع إسرائيليين دخول تونس: « تعلن (نورفيجان كروز لاين) أنّها تلغي كل توقفاتها المتبقِّيَة بتونس ولن تعودَ مجدَّداً إلى هذا البلد». فاستَنْفَرَتْ الوزيرة «كربول» وحكومة «جمعة» لِمُواجَهَةِ هذا الخَطَر المُحْدِق ، فأكَّدت صحيفة «الشروق أون لاين» التونسية في «خبر عاجل» يوم 2014/4/17 تحت عنوان «61إسرائيليا يستبيحون تونس» أنّه «دخل منذ قليل 61 إسرائيليا صهيونيا إلى تونس عبْر ميناء حلق الوادي وذلك بمُقتضى قرارٍ كِتابيٍّ صادرٍ عن وزارةِ الداخلية تحت عدد 2615 / ح أ يَقضي بالإذن بدُخولهم بمناسبة ذكر ى «الغريبة» بجزيرة جربة عبر ميناء حلق الوادي في العاصمة التونسية». واستنكرَ عددٌ مِن نوّاب المجلس التأسيسي التونسيّ دُخولهم ووقَّعُوا على عريضةِ مُساءلة لوزيرةِ السياحة التونسية «آمال كربول» والوزير المعتمد لدى وزير الداخلية التونسية المُكلَّف بالأمْن «رضا صفر»، في حين يَدفَعُ عددٌ آخر من النوّاب إلى سَحْبِ الثقة من الوزيرين بسبب ما اعتبروه «خطأ فادحا» ، خاصَّةً و أنه منذ الاستقلال كانت السلطة التونسية سواء في عهد بورقيبة أو في عهد بن علي لا تسمح بدخول الإسرائيليّين إلا عبر مطار «جربة»

ولأداء مناسك الحجّ في «الغريبة» لا غير. وبالتالي يُعَدُّ القرار الصادر عن وزارة الداخلية والذي سمح بدخول 61 اسرائيليا سابقة في تاريخ تونس المُعاصِر.

وقد صرَّح نائبُ المجلس التأسيسي المُستقلّ «فيصل الجدلاوي» لصحيفة «الشروق» التونسية يوم 2014/4/19 بأنّه « في شهر شباط/فيفري الماضي قدِمَتْ مجموعاتٌ إسرائيلية إلى تونس، ولم يتم إعطاؤها الإذن لأنّ المسألة تتعلَّق بترخيص من وزير الداخلية التونسية ، وتتكوَّن المجموعات من مجموعة أولى بها أربعة أشخاص، ومجموعة أخرى بها سبعة أشخاص ومجموعة ثالثة بها تسعة أشخاص، أمّا في شهر آذار فقد دخل سبعة وأربعون شخصا إلى تونس وتم إعطاؤهم التراخيص بشكل سري للغاية، أما أوَّل أمس فقد دخل 61 إسرائيليا وأخذوا التأشيرة من الوزير المُعتمَد لدى وزير الداخلية التونسية المكلَّف بالأمن «رضا صفر» بموجب قرار ، وتم استقبالهم من قبل وزيرة السياحة».وَعَدَّ «فيصل الجدلاوي» هذا الإجراء « شكلاً مِن أشكال التطبيع مع الكيان الصهيوني وَتَذَرُّعاً بالوضع الإقتصادي الذي تعيشه تونس» وأنَّ «كُلَّ ما يُقال عن العجْز والإفلاس هَدَفُهُ إدخال إسرائيليّين إلى تونس».

وفي 2014/4/21 قدَّمَ نوَّابُ المجلس التأسيسي التونسيّ عريضة مساءلة للوزيرين « كربول» و «صفر» ، إلى مكتب الضبط ، وتصاعدت ردود الفعْل الشاجبة فأصدرتْ النقابة العامة لإطاراتِ ومنتسبيّ قوّات الأمْن التونسي بياناً جاء فيه : «على إثر صدور المقرَّر الوزاري عدد 2615 ح –بتاريخ 13 04- 2014-، والمُمضَى من قِبَل الوزير المكلف بالملفِّ الأمني والقاضي بالسّماح للسيّاح من

ذوي الجنسية الإسرائيلية بالدخول إلى التراب التونسي عبْر البوّابات الحدودية على خلافِ التراتيب والإجراءات المعمول بها سابقاً منذ الاستقلال ، فإنّ النقابة العامّة لإطاراتِ ومنتسبيّ قوّاتِ الأمْن الوطني التونسي تشجبُ هذا الإجراءَ الذي يمسّ بمبادئ سيادة الدولة التونسية وتعتبرُه تشريعا للتطبيع مع الكيان الصهيوني واعترافاً صريحا بالدولة الاسرائيلية . وللغرَضِ فإنّ النقابة العامة لِمُنتسبيّ وإطارت قوّات الأمْن الوطنيّ التونسي تدعوكافة الجِّهات المسؤولة إلى تحمُّلِ المسؤوليّة الوطنية والتاريخيّة إزاء هذا الإجراء والإذْن بإبْطالهِ قصْد الحِفاظ على اللحمةِ الوطنيّة ودرءاً للتّبِعات الداخلية والخارجيّة» .

وقد وقَّعَ هذا البيان «سمير الرّياحي» رئيس المجلس الإداري للنقابة المذكورة. وأصدرت «حركة البعث» التونسية بياناً ترفض فيه أي إقدام لمؤسسات الدولة التونسية على ماوصفته تطبيعا «بتعلة السياحة المشبوهة» ، وقال البيان «إن تونس حرّة وبالتالي لا تأكل بثدييْها، مشيرا إلى غرابة هذا الاجراء الذي يتزامن مع الذكرى الـ 26 لاستشهاد القائد الفلسطيني خليل الوزير «أبو جهاد» الذي اغتالته المخابراتُ الإسرائيلية في منزله بتونس في 16 نيسان/أفريل 1988» .

وفي 2014/4/22 قرَّرَوزيرُالداخلية التونسيّ «لطفي بن جدو» إلغاء قرار دخول الإسرائيليّين إلى تونس وذلك بعد أن تمَّ السماحُ مؤخَّرا بدخول 61 صهيونيا عبر ميناء حلق الوادي مع السماح لهم بالتجوال في المدن التونسية وذلك خلال رحلتهم الى كنيس «الغريبة» بجربة.

ولكن في مساء ذات اليوم أفاد مسؤول رفيع المستوى بوزارة الداخلية التونسية لصحيفة «حقائق أون لاين» التونسيّة الألكترونية بأنّ ماراجَ من أنباء حول إلغاء «لطفي بن جدّو» لِقرار دخول اسرائيليين

إلى تونس لا أساس له مِن الصِّحَّة ، داعياً وسائل الإعلام إلى «استقاء المعلومة من مصادر رسمية».

وشدّد المسؤول التونسيُّ على أنّ «مثلَ هذه المسائل ليس من مشمولات وزير الداخلية الذي لم يصدر عنه أيّ قرار في هذا الشأن».

لِتتناقلَ وسائلُ الإعلامِ التونسيّة لاحقا أنباءً عَن خِلافٍ بين رأسَيّ وزارة الداخليّة «بن جدّو» و»صفر» تأكّدَ مِن غضَبِ وزارة الداخليّة على مَن كانَ قد سَرَّبَ النسخة «الرسميّة» مِن قرار «بن جدّو».

وتواصَلَتْ ردودُ الفعْل عَبْر وسائل الإعلام لِتُوَجِّهَ الاتّهام مُباشَرَةً هذه المَرَّة إلى المجلس التأسيسي وحركة النهضة التونسيين بعد رفضِهما تمرير الفصْل الذي يُجَرِّم التطبيع إلى صُلب الدستور التونسي الجديد. وأكّد عدد من المحامين في حديثهم لـ«الشروق» أنّ النيابة العمومية لا يمكنها إثارة الدعوى ضدَّ أيّ طرَف من أجْلِ ارتكاب جرائم التطبيع باعتبار أنَّه لا يُوجَدُ فصلٌ قانوني أودستوري يُمْكِنُ الإستناد إليهِ في إثارة الدعاوى العمومية ضدَّ أيّ طرف.

وبيَّنَتْ «إيمان البجاوي» رئيسة جمعيّة المُحامين الشبّان لصحيفة «الشروق» أنّ «هذه الحملة تُوحي وكأنّ من يقفُ ضدَّ دُخولِ الإسرائيليين إلى تونس هُوَ ضدّ التطبيع في حين أنّ الحقائقَ تختلفُ عن ذلك إذْ أنه بالرُّجُوعِ إلى التاريخ القريبِ يتذكَّرُ التونسيُّون أنّه عندَ التصويت على الفصْلِ المجَرِّم للتطبيع في الدستورعمدَ بعضُ الكتَلِ إلى الوقوف ضدَّ تمريرهِ» وبالتالي فإنَّ دخولَ الإسرائيليين تونسَ يُعَدّ مِن تبعاتِ وانعكاساتِ ذلك الموقف.

وأكّدتْ «البجاوي» أنَّها «ضدّ التطبيع» ، وكانت ترجو أن يقع

تجريمُه في صُلبِ الدستورلأنها تعلم أنَّه «لولا التجاذبات السياسية والدخول في حملات انتخابيّة لكانَ هذا الوفد الإسرائيليّ وغيرُه يدخل بلادنا والجميع يلتزم الصَّمْتَ».

و أنَّهُ «لا يوجد أيُّ فصل قانونِيّ أو دستوري تونسي يَمنع مِن تواجُد علاقات دبلوماسية بين تونس وإسرائيل وهذا الأمْر تتحمَّله الأطرافُ التي حالت دُونَ تَجْرِيمِ التطبيع في الدستور التونسي الجديد».

وأصدرتْ جمعيَّة «تونُس لأجل القدس وفلسطين» بيانا صحفيا اعتبرتْ فيه أنَّ « دخول 61 مستوطناً صهيونيا إلى تونس يُعَدُّ شكلا متقدِّما للتطبيعِ مع الحركة الصهيونية ، وهو تنكرٌ لدِماء الشهداء الذين رووا بدمائهم الزكيّة الطاهرة أرضَ فلسطين،واعتداءٌ صارِخ على المَشاعر القومية والوطنية لشعبنا في تونس الرَّافِض للتطبيع مع الصهيونية باعتبارها حركة استيطانية وعنصرية، وهذه الخطوة تُعَدُّ دَعْماً مَفضوحا لِما يَحصل في فلسطين من مجازر واستيطان واستباحةٍ للأقصى المُبارَك، وتآمرا إمبريالياً صهيونياً على شعبنا الصَّامدً في فلسطين ،وهو نتيجة طبيعية للقاءات السرّيّة والعلنية لزعماءٍ من الترويكا (التي كانت تحكم تونس بزعامة حركة النهضة) وبصفةٍ خاصّة للحركة الإخوانية مع قادة الصهيونية العالمية في واشنطن ونيويورك وباريس وللندوات والمؤتمرات التي انعقدتْ على أرْض تونس مثل إحياء ذكرى الهولوكوست وندوة أبناء إبراهيم (التي أشرَفَ عليها الرئيس المؤقّت محمّد المُنصِف المرزوقي)، إضافة طبْعاً لاستماتة عملاء أمريكا وفي مقدمتهم حركة النَّهضة في رفض إدراج تجريم أشكال التطبيع كافّة مع الكيان الصهيوني في الدستور التونسي الجديد».

وأكّد «حزبُ العمل التونسي» في بيان له نشره يوم2014/427 إدانته الشديدة دُخولَ سائحين صهاينة إلى تونس ، مُحمِّلا كامل المسؤولية للحكومة التونسية ولوزارتيّ السياحة والداخلية التونسيّتين، ومُطالباً أعضاء المجلس التأسيسي التونسي «بتحمُّل مسؤوليتهم بسَحْبِ الثقة من وزيرة السياحة ووزير الأمْن لدى وزير الداخلية ومحاسبة كلّ من له علاقة بهذا السلوك»، ومُوَضِّحاً في بيانهِ أنّ «دخول سائحين صهاينة يندرج في إطار سياسةِ التطبيع الرسميّة التي بدأها نظامُ بن علي وواصلتْها حكومات مابعد 14كانون الثاني/جانفي 2011بما فيها حكومتا الترويكا برئاسة حركة النهضة التي أكدت عدة جهات استقبالهما لسائحين صهاينة».

ومُذَكِّراً بأن «نوّابَ حركة النهضة الذين يشكلون أغلبية في المجلس التأسيسي التونسي هم الذين رفضوا التنصيصَ على تجريم التطبيع مع الكيانِ الصهيونيّ في الدستور التونسيّ الجديد».

وندَّدتْ «لائحةُ القومي العربي في تونس» بالسّماح للإسرائيليين بدخول تونسَ بجوازاتِ سَفرهم الإسرائيلية ، واصِفَةً ذلك بالإعتداءً على مشاعر وثوابت الشعب التونسي الذي أسالتْ الأسلحة الإسرائيلية دماءه على أرضِ فلسطين عندما سقط شهداءٌ تونسيُّون بعمليّات فِدائيّة وعلى أرض تونس عندما هاجمَ الطيرانُ الإسرائيليُّ بلدةَ حمّام الشط التونسية.

وأكّدت «لائحة القومي العربي» في بيانٍ وزعته يوم 2014/4/30أنّ دُخولَ الصهاينة إلى تونسَ هو النتيجة الطبيعيّة للخطوة التمهيديّة التي قامَ بها المجلسُ التأسيسي التونسي الذي رفضَ أغلبُ نوّابِهِ وخاصّة كتلة حركة النهضة وحلفاؤها المُصادَقة على فصْلٍ يُجَرِّم التطبيعَ

مع الصهيونيّة في «الدستور التونسي» مُبَيِّنَةً «أنّ النتيجة الطبيعية والموضوعية لقطع العلاقات مع سوريا هي إقامة علاقات مع الكيان الصهيوني».

وأعلنَتْ «الهيئة الوطنية التونسية لدعم المقاومةِ العربية ومناهضة التطبيع والصهيونية» أنَّ «تراجُعَ المجلس التأسيسي التونسيِ عن تجريم التطبيع مع العدوِّالصهيوني وعدم إدانته للصهيونية لِكونِها حركةً عنصرية معادية للإنسانية خطيئة فادحة تفتحُ الطريقَ أمام عُملاء الكيان الصهيوني ونشطاء الطابور الخامس للتفريطِ في قضايانا الأساسيّة».

وَدَانتْ الهيئة التونسية في بيان صحفي وزَّعته في تونس، بِشِدَّة «تصريحات «رجاء بن سلامة» وغيرها من دُعاة التطبيع والأبواق الدّاعية للتفريط في سيادتنا الوطنية وقضايانا القومية ، كما دانتْ تعيينَ وزيرة السياحة آمال كربول التي تؤكد مُختلفُ المصادر ضُلوعَها في التعامُل مع الكيانِ الصهيوني عدوِّ الشعب والأمّة بأيِّ صيغة كانت حتى وإن كانت المشاركة فيما يسمى «دورات تكوينية من أجل ثقافة السلام» التي ليست سوى تربية على الإعتراف بالعدوِّ وتمهيداً لتصفية قضية فلسطين».

وكانت «رجاء بن سلامة» قد كتبتْ على صفحتها الإلكترونية بشأن وزيرة السياحة : «تعرفونَ إن فلسطين ليست دولة ... ثم لنفترض أنها ذهبتْ إلى إسرائيل فعلاً فهَلْ معنى ذلك أنّها عميلة للعدو الصهيوني ؟ ثم ما جنى العرب من مقاطعة إسرائيل؟».(يبدو أنّ رجاء بن سلامة لا تعرف أولا تعترف بأنّ 138دولة في العالم تعترف بدولة فلسطين).

ومثْل هذه المَواقف المُنَدِّدة بالتطبيع والمُطبِّعين مع الصهاينة وكيانهم صدَرَتْ أيضاً عن أحزابٍ وجمعيّاتٍ تونسيّة مثل «حزب حركة النضال الوطني، حزب الثوابت، حزب العمل الوطني الديمقراطي ،حزب التكتل الشعبي من أجل تونس ، الجبهة الشعبية الوحدوية - حزب الوحدويين الأحرار،الرابطة التونسية للتسامح، منتدى شرق غرب، مركز مسارات للدراسات الفلسفية والإنسانية، جمعية المواطنة والدفاع عن المُهَمَّشين» بل إنَّ «عُمر الماجري» الأمين العام لحزب «الجبهة الشعبية الوحدوية» قال لصحيفة «الشروق» يوم2014/5/11إنّ «التطبيع مع الكيان الصهيوني هو بندٌ أساسٌ مِن خارطةِ الطريق التي تسير فيها حكومة مهدي جمعة»، وفي صحيفة «الشروق» كتبَ رئيسُ تحريرها الثالث «عبد الرؤوف المقدمي» يوم2014/3/18يُدافعُ بهِ مُوارَبَةً عَن وزيرة السياحة بالهجوم على حزب المؤتَمَر مِن أجل الجمهورية ورئيسه المنصف المرزوقي الذي يتّهمه المقدمي بأنه « قد نسِيَ ذلك المقال الذي أصدرَهُ بجريدة يومية مناديا خلاله بضرورة أن يحتوي دستور تونس على بنْد يجرّم التطبيع مع اسرائيل.وربّما تناسى عناصر هذا الحُزيِّب موقفَهم القديم من ذات المسألة، ثمّ حملتهم الشعواء على وزيرة السياحة الحالية بدَعوى أنها زارَتْ اسرائيل. هم قد ينسونَ كلَّ هذا، لكن أهلَ تونس لن ينسوا، خصوصاً أنّ تلك المزايدات كانت تتمُّ ومواسم الحج إلى الغريبة في تونس تُقام كل سنة بمشاركة يهود العالم، وأوّلهم يهود اسرائيل ذاتها الذين ظلّوا يتمتعون بسحر جزيرة جربة، ويُقيمون مراسِمَ حجّهم فيها». و «المقدمي» هُنا يخشى مِن أن يُقدِّرالصهاينة والأمريكان للرئيسِ المؤقت /المرزوقي زيارته معرضاً مُتَعَلّقاً بتاريخ الكنائس اليهوديّة في تونس ، فيكتبُ مِن مَوقِع المُنافِس للمُنْصِف

المرزوقي وحزبه على كَسْبِ ودِّ الدّوائر الصّهيو-أمريكيّة مُحَرِّضاً : « وربّما عاد هذا الحزيّب بعد أن فقدَ حماسته للشعارات الجوفاء إلى وعيه المعوَجّ دائما، فتذكّر ما كانَ قد نساه (؟) بعد تخميرته الثورية. وهو أنَّ إسرائيلَ ومِن ورائها اليهود هم حكّام العالم، وهم المؤثرون فيه. فعلى مثل هذه الأساطير تربّوا، وبالتالي فلابدّ من وسيلة ما تجعل هذا «الحزيّب» في منأى عن مُواجَهةٍ معها، ولِم لا في علاقة ودّ تجبّ لغو الشعارات المُنفلتة القديمة. في هذا الإطار عموماً تتنزّل زيارة المؤقت يوم الأحد الفارط لمعرض بحلق الوادي حول تاريخ الكنائس اليهودية التونسية، نظمته جمعية تعنى بالتراث اليهودي التونسي. وقد نوّه المنصف المرزوقي (الذي سيفعل أي شيء من أجل البقاء في قرطاج) بأهمية هذا المعرض (!!) في إبراز الدور الذي قامَ به اليهود التونسيون في تاريخ البلاد (وكأن هذا الامر مخفيٌّ غير معروف) مُنهيا أنّ تونس فخورة بأبنائها اليهود.

وهذه كلها جمل خشبية من جهة، ومُداهنة من جهة أخرى وذات غاية واضحة في إسفافها، وهي تأتي للحقيقة بعد أن تمّ رفض دُخول عشرين يهودياً إلى تونس جاؤوا في جولة سياحية نظمتها شركة أمريكية مقرّها ولاية فلوريدا، أُصدرت بعد المنع بيانا نددت فيه بما حدث لأولئك السياح ودعتْ فيه إلى مقاطعة تونس سياحيًّا، وألغتْ رحلات أخرى كانت مُبرمَجة إلى بلادنا فهرعَ المؤقتُ لاهثاً ليس من أجْل السياحة التونسية، بل من أجل تلميع صورته من أجل بقاء وكسب ودّ أطراف بعينها أقام من قبْل الدنيا وأقعدها عندما كانت تونس تُجْبَر جبرا على استقبالِها.

هذا التحاذق على عكس ما يظنّ لا يُجدي نفعا، وهذه الحركات

التي لا معنى لها لا تضمن رضاء تلك الأطراف وتعاطفها ودعْمها ونزولها بثِقل لحمايته ولفرضه فرضاً على الشعب التونسي، فهي أذكى من أن تنطلي عليها مثل هذه الحِيَل، وأدهى من أن تنساق وراء دهاء بدائي يدعو الى الضحك لا الى الاهتمام». وَما قالَه «المقدمي» بشأن المرزوقي صحيحٌ عندي ، ولكنّه مُناسَبَةٌ أخرى اغتَنَمَها المقدمي لِكَيْل المديح إلى الإسرائيليين والأمريكان «حكّام العالم» و «مُحتكريّ الذّكاء والدّهاء» فيه .وهذا الإنبهار والتسويق التضليلي للولايات المتحدة الأمريكيّة يُواصِلُهُ «عبد الرؤوف المقدمي» في مقالاتٍ لاحقة، كأنْ يكتبَ مُنتقِداً الموقف الفرنسي إزاء تونس(في الشروق دائماً) يوم 2014/5/9 - ص2 : «في المُقابل بَرَزَ مَوقفٌ أمريكيٌّ مسؤول ويستحقّ كُلَّ الإحتِرام بل ويجعلنا نتذَكَّر محطّات تاريخيّة صَفَّتْ خِلالها الولايات المتّحدة الاستعمارَ وَقلَّمَتْ أظافِرَ الدُّوَل الاستِعماريّة وأرْسى خِلالَها الرئيسُ ويلسن تَصَوُّراً لِعالَم جديد كانَ قوامه حَقّ الشعوب في تقرير مصيرها وَعَدَم التدخُّل في شُؤونِ الآخَرين . وشَتّان بينَ المَوقِفين ، مَوقِف سَعى إلى تَمزيقِ تونس ومَوقف شجَّعَ الحِوارَ والتوافُق ووحدة تونس»، وفي عدد يوم 2014/5/12 - ص6 أَعاد كتابةَ الكلام ذاته تقريباً : «وليسَ خَفيَّاً أنَّ الطَّرَفَ الدّوليّ الذي دَعا التونسيين إلى الوِفاقِ وشَجَّعَهم على الحِوار ونزلَ بثقله لغاية استقرار تونس هُو الولايات المتحدة الأمريكيّة التي مِن حَقِّنا أَن نَتَذَكَّرَ الآن أنّها صَفَّتْ قديماً الاستِعمار ووَقَفَتْ مع القضيّةِ التونسيّة وأرسى رئيسُها «ويلسن» مبادئ جديدة قادت العالم بعد الحقبة الاستِعماريّة»...وفي عدد يوم 2014/6/30 - ص5 ، يكتبُ «المقدمي» إيّاه عيْنه ذاته : «...وإنّ هُناك طرفاً يتعامَلُ بطريقة سليمة وبَنّاءة مع تونس ألا وَهُو الطّرَف الأمريكي الذي لا تهمّهُ أيضاً إلا

النّجاعة والسياسات الخلاّقة لا المَواقف المُسْبَقة مِن زيْدٍ أو عَمْرو ، أي المَواقف مَجْهُولة النتائج التي قد لا تُطِلّ بنا إلا على صحراء قاحلة».

وَكأنَّ هذا «المُتَصَوِّف» التونسيّ السابق (مثله مثل المُتصَوِّف العراقي النقشبندي عزّت ابراهيم الدّوري) يُريدُ مِن قُرّاءِ مايُحَبِّرُه ُ مِن أراجيف دِعائيّة رخيصة أن يتناسَوا معه تاريخَ الولايات المُتّحدة الإستعماريّ وجرائمها ضدّ الإنسانيّة بَدْءاً مِن الفيتنام وأمريكا الجنوبيّة وصُولاً إلى أفغانستان والعِراق وليبيا واليمن ، ناهيكَ عن فلسطينَ المحتلّة التي يُبادُ شَعبُها يوميّاً بالأسلحة والإعلام والمال والسياسة الأمريكيّة (كَشَفَتْ صحيفة «كريستيان سايس منيتور» الأمريكيّة الشهيرة عَن أنّ «إسرائيلَ» كلّفَتْ الولايات المُتَّحِدَة الأمريكيّة ماليّاً منذ سنة 1973 تريليون وستمائة بليون دولار /1600بليون دولار ، أي أنّ كلّ مُواطن أمريكي دَفَعَ 5700دولار بناء على عَددِ سُكان أمريكا اليوم ، ونَقَلَتْ الصحيفة ذاتها عن «توماس ستوفار» الخبير الإقتصادي في واشنطن الذي قامَ بحساب تكلفة دَعْم الولايات المتحدة لإسرائيل ، بأنّ الرقم المذكور يُمَثِّل أكثر مِن ضعْف تكلفة الحرب الفيتناميّة) ، وُصُولاً إلى سُوريا التي كان «عبد الرؤوف المقدمي» لصيقاً بسفيرِها «فيصل علوني» الذي كانَ يستشيرُه حتى بِمَن يُرسِل وَمَن لايُرسِل في الوفود التونسية الإعلاميّة خاصّة التي تستدعيها مؤسساتُ الدولة السورية إلى مناسباتها الرسميّة ، وقد تأكّدتُ مِن «علّوني» نفسِه أنَّ «المقدْمِي» هُوَ مَن كانَ وراءَ ترشيح بَعْض التونسيّين المُرتَبِطين بالسفارة الأمريكيّة بتونس للسفير «علّوني» كي يزوروا سوريا عشيّة أزمتِها ، ضُيوفاً على حكومتها ، وكانَ «عَلّوني» يعدّ رأيَ «المقدْمي» وَحياً مُنَزّلاً مادامَ مُزَكّى عِنْدَه مِن التونسي «محمد صالح الهرماسي» عضو القيادة القوميّة.

ولا يبدو أنّ الجّهات السوريّة المعنيّة استخلصَتْ دُروساً مِن حالات كحالَتَيّ «عبد الرؤوف المقدمي» و «محمد صالح العيّاري» و «التّهامي العبدوللي» وغيرهم ، فالأمر كما يؤكّده تفصيلٌ جديدٌ غدا ظاهِرَةً وليسَ مُجَرَّد حالاتٍ مَعزولة ،والشيطانُ يكمُنُ في التّفاصيل. وفي هذه التفاصيل أن حزْبَ البَعث يُواصِلُ خَطَاُهُ بتسميةِ رئيس تَحْرير جريدتِهِ «البعث»التونسيّ «محمد كنايسي» الذي يُواصِلُ بِدَوْرِهِ نَشْرِ مَقالاتٍ للمُسمَّى «حكيم المرزوقي» في جريدةِ «البعث» إياها نفسها عَيْنِها (وجريدة تشرين مُتَوَرّطة في ذاتِ الفضيحة)، على الرغمِ من أنَّ الأخيرَ غادَرَ سوريا بعدَ الأزمة إلى تونس ودَفَعَ زوجته السورية «رويدة الرفاعي» التي كانت تعمل في المؤسسة العامة للسينما السورية إلى العمل في جريدة «العرَب» لسان المخابرات الإماراتيّة في الخارج التي تشْتُمُ سوريا ونظامَها ورئيسَها وحلفاءها من حزب الله إلى روسيا، في أعدادِها اليوميّة، وعلى الرغم مِن سُقُوطِ «حكيم المرزوقي» الأخلاقيّ عندما طَرَدَ زوجَتَه السوريّة ليلاً مِن منزلهما فِي أحد أحياءِ تونس الشعبيّة وبدون أوراقها الشخصيّة لأنها لم تُمكّنه من راتبها الشهري كي يسكرَ به ،والذي بالكاد يُغطي مصاريفها على ولديهما ، لِيُهَدِّدَها لاحِقاً بحُرمانها منهما ، إن أرادت العودة إلى بلادها. هذا تفصيلٌ شيطانيّ يكفيني شخصيًّا لأعلِنَ مُقاطَعتي ل «البعث» جريدةً وحزباً مادامت هكذا جريدة بهكذا رئيس تحرير ناطقة باسمه ، خاصّة وأنَّ الكنايسي عَلِمَ بهذه الحقائق مني شخصياً في زيارته الأخيرة لتونس. هذا غَيْضٌ مِن فَيْضِ سُلُوكاتٍ دَشَّنَها تونسيّاً محمد الصالح الهرماسي، والسكوت عليها - لِمَن باتَ على علم بها - كما هو حالي وإن كُنتُ لم أسكت يوماً - تواطؤٌ خيانيٌّ على دِماء شهداءِ شعبنا العظيمِ وَجَيْشنا الباسل الذي نرفضُ أن يَحصدَ الأوغادُ

الإنتهازيُّونَ سنابلَ بذارهِ الدّامية.

إذَنْ لِنَعُدْ إلى «عبد الرؤوف المقدمي» وبمناسبة استذكار مدائحه في الحَضرةِ الأمريكيّة نَسُوق هذا الخَبَر عن صحيفة «الثورة نيوز» التونسية ، العدد 72 الصادر يوم 25أفريل /نيسان2014 - ص20، ونصّه : «بدَعْم مِن السفارة الأمريكيّة بتونس نَظَّمَ المركز الرئاسي لجورج بوش الإبن ، الصهيوني الأمريكي،بمدينة دالاس الأمريكيّة تَرَبُّصاً مَشبوهاً(أيْ دَورة تدريبيّة) شاركتْ فيه مجموعة مِن الناشطات التونسيات مُتَكَوِّنَة مِن 17 امرأة ، هُنَّ : نايلة شرشور حشيشة ، آمنة بن مصطفي بن عرب ، هاجر هميلة مراد ،نادية باش حامبة، أميرة مليك ، أميرة عاشوري ، دلال كريشان، فادية الشباح، فريدة بن عطيّة،نسرين عبيدي ، أسماء أحمدي، إيمان منصوري، مريم بن غازي ، صابرين بن علي ، سرح بن بهيّة ، درّة يحياوي، أفراح فضيل . هكذا تصنع أمريكا والصهاينة عملاء لهم في تونس مِن التونسيّات».(انتهى الإقتباس)... ، و «عبد الرؤوف المقدمي» أيضا ليسَ صَوتا نَشازاً في المَشْهَد الإعلامي التونسي ، فَما أنْ باتتْ مُساءلة وزيريّ السياحة والأمْن «كربول» و «صفر» مؤكّدَتَيْن حتى أصابَ بَعضَ الإعلاميين سُعارٌ ، فانبَرى مُذيعٌ (مِنَ النَّبّارَة) في إذاعةِ «موزاييك إف إم» يتساءل ساخِراً (بذكاءٍ مُفْلِق)إنْ كانَ نوّابُ المجلس التأسيسي التونسي فلسطينيين أمْ تونسيين ؟ مُطالباً بأن يَنْشَغلُوا بمصيرِ الدبلوماسيَّيْن التونسيَّيْن المُخْتَطَفَيْن في ليبيا ، وَمُنَبِّهاً المُستَمِعين بدُونِيَّةٍ مُقَزِّزَة إلى أنّ الإسرائيليّين الذين يحتجّ البعضُ على دُخولهم تونس ينتمُون إلى «دولة» تُرسل أقماراً صناعيّة إلى الفَضاء «؟!»،وشَمَّرَ أحَدُهُم عَنْ ساعِدَيّ عبقَريّتِهِ ليُلَطِّخَ حيِّزاً

مِن البَياضِ الوَرَقيّ بنَتانَة حِبريّة حاقِدَة على القضيّة الفلسطينيّة التي يُحمّلها مَسؤوليّة عرقلة المُعجزة الاقتصاديّة التي ستشهدها تونسُ بينَ ذراعيّ «آمال كربول» التي وَصَلَ بها التَّخليطُ إلى أن تدعُو المُسلمينَ أيْضاً إلى المُشارَكَة في الحَجِّ «الإسرائيلي» إلى الغريبة ، فيدعو ذلك الحاقد تحت عنوان «اتركوا وزيرة السياحة تشتغل : 767عاما في توظيف القضيّة الفلسطينية ...بركات» إلى أن تحذو تونسُ حَذْوَ قطر والأردن ومصر في التطبيع مع الكيان الصهيوني (صحيفة «المغرب» التونسية، عدد يوم2014/4/29 - أسفل الصفحة7) ، وينحَدرُ التهافُتُ في الخضوع لإملاءات تُوجِبُ الدِّفاعَ عن الحكومة إلى مُحاوَلَةِ تَعْويم الخطوة التطبيعيّة التي خَطَتْها «كربول» وَمَن وراءها ، بالتَّهَكم ممَّن هَدَّدَ بسَحْبِ الثّقة منها بأنْ تُعَدَّ مَسْتَهْدَفَةً لكَوْنِها «أهمّ روافد الدّعم الخارجي الذي يصبّ في رصيد مهدي جمعة الخاصّ بمنأى عن أرصدة حكم النهضة» ، وَتُوصَف بأنها «وزيرة سياحة غير مُتَجَهِّمَة ، ترقص وتضحك وترتدي لِباساً مُشْرِقاً» ويُشار باستِخفافٍ إلى سلوكِها التطبيعيّ مع «إسرائيل» بالقول تَهَكّماً إنها ضالِعة «في عمليّةِ تَجَسُّسٍ لِفائدةِ الإسرائيليين خلال النكبة والنكسة» وَمُساهِمة في «ثغرة الدفرسوار وإعطاء إشاراتٍ للجيش الإسرائيلي بتطويق الجيش الميداني الثالث في حرب أكتوبر»(توفيق العياشي - صحيفة «آخر خبر» الأسبوعيّة التونسية - عدد يوم 2014/4/29 - الصفحة 3)، وفي سَيْلٍ مِن الجُمَلِ الإنشائيّة يصف آخَرُ وزيرةَ السياحة بالأيقونة ، مُتَحَدِّثاً عن «ابتِسامَتِها الحلوَة وَوجْهِها المُشرِق، مُعَبِّرَة بهما عن الأمل الذي يحدو التونسيين في تجاوُز الأزمات...»(صحيفة»الصّريح» التونسية عدد يوم 2014/5/10 - ص 4) ، وَشَمَلَ الهَيَجانُ القطيعيُّ بَعْضَ كُتّابِ القصّةِ والرّواية التونسيين المَحسُوب على اليسار ، فكَتَبَتْ

القاصّة «رشيدة الشارني» على صفحتها بالفيسبوك يوم 30 جانفي/ كانون الثاني 2014 : «هجومٌ عنيف يشنه كثيرون على وزيرة السياحة التونسية الشابة « آمال كربول» منهم من نبشَ في حياتها الخاصّة وانتقد ارتباطَها بأجنبيّ ومنهم من ادّعى أنها عملتْ راقصة في ألمانيا و منهم من انتقدَ بشدّة زيارتها لإسرائيل رغم أن ذلك كانَ في مهمّة عمل ...ماذا يريد هؤلاء من امرأة تقدّمية متعلّمة تُجيد عديدَ اللغات و عرفتْ جميعَ الأجناس وخبرتْ الحياة ؟ أن تجسّم صورة المرأة في المخيّلة العربية وتكون صفحة بيضاء بلا خطايا أو واحدة من حريم السلطان؟ لتكن كما شاء لها الله أن تكون ومَن كان من هؤلاء بلا خطيئة فليرجم البحر بالحجر» .(هكذا ؟!) مِن مُواصَفاتِ المرأة «التقدّميّة المُتَعلّمة» أن تزور «إسرائيل»؟.

وعلى ذات الصفحة «الفيسبوكيّة» يُعلّق الروائي «محمد جابللي»: «تحية رشيدة ، تهريجٌ خارج الموضوع . بالنسبة لزيارة اسرائيل كل الذين يحكمون تخرّجوا من مراكز تدريب صهيونية . وبالنسبة للعري، العُرْيُ المُخجِل هو عُريُ الأرواح من القِيَم وليس عرْي الاجساد... أعتقد أنها مفخرَةٌ لتونس الشابّة». فَمِنَ الطبيعيّ إذَن أن تزورَ هذه المرأة «إسرائيل» ، بل هُو مَمَرّ بَدَهِيّ لكُلّ صاعِدٍ/صاعِدَة إلى وِزارَة أو دفّة حكم ، اليمينيّونَ المُتطرفّون في الكيانِ الصهيونيّ شُعارُهُم «إسرائيلُ بَيْتُنا» والكتاب اليساريون «الأحرار» في تونس شُعارُهم «إسرائيلُ قَدَرُنا» ذلكَ أنّ «محمد جابللي» هُوَ «كاتب عام رابطة الكتّاب الأحرار» في تونس.

وفي غَمْرَةِ هذا التّخليط المَقصُود بينَ اليهوديّ والإسرائيليّ في تونس اجتاحتْ جَماعاتٍ مِنَ المُحَبِّرين حُمّى الذّود عن كُلِّ إسرائيليّ

وكأنّه يهوديّ تونسي وعن كُلِّ يهوديّ وكأنّهُ تونسيّ ، وكانَ طبيعيّاً أنْ تمسَّ هذه الحُمّى هَشاشةَ شاعرٍ تُونسيّ مثلَ «يوسف رزوقة» الذي مَنَعَهُ قَصْرُ قرطاج في العَهْد النّوفمبريّ مِن طباعة أطروحتِه الجامعيّة حول استراتيجية الخطاب السياسي عنْد الرئيس زين العابدين بن علي لِغلُوِّه في إطراء سيّد القصر آنَذاك ، والذي يُفاخِر بأنّه حصَلَ على جائزة المَملوك الأردني «عبد الله الثاني» الشعريّة ، ويُسَمّيها «الجائزة المَلكيّة» ، كما يزهو سعيداً بحُصُولِه مؤخّراً على جائزة مَشْيَخة قَطَر لقصةِ الطّفْل، ولِذا (وربّما طَمَعاً في جوائز تُحدّدُها الولاءات الصهيونيّة بدءا من «سابير» إلى «نوبل») ، أَعْلَنَ «يوسف رزوقة»في هذا «الكرنفال» التونسي الذي يحتَفي بكُلِّ ما هُوَ يهودي/إسرائيلي أنّه بصدد كتابة رواية المحرقة النازية»الهولوكوست» على الأراضي التونسية زاعِماً أنَّ «خمسةَ آلاف يهودي تَعَرَّضوا لِعَمَلِ السّخرة خلال الاحتِلال النازي الألماني لِتونس في الفترة التي استمرت ستة أشهر من عامَيّ 1943-1942.

- ما حدَث في قرية التلالسة، غير بعيد عن قريتي «وادي العسل»، من ولاية المهديّة، ودور خالد نجل أشهر الكتاب التونسيين، حسن حسني عبد الوهاب في إنقاذ أسرة «يهو-سيّة» من المحرقة النازية.

- وتفاصيل أخرى

مع تحيتي | يو من أجواء روايتي «شارع الحرّيّة»:

خبر الفنانة حبيبة مسيكة» .

هكذا كتب «يوسف رزوقة» على صفحته في الفيسبوك،.

وهَل يَحلم الصهاينة بِخَدَمات تُعَزِّزُ أسطورتَهم المُعاصِرَة ، تَحْقِنُها بقَطْرَةٍ إضافيّة تَدعَمُ وظيفتها الإبتزازيّة التي لا تنتهي؟.

وَ لكنّ رُدودَ الفعْل الساخِطة جاوَزَتْ تُونسَ إلى الجزائر فَنَشَرَتْ صحيفةُ «الصَّريح» التونسية يوم2014/5/5 تصريحاً للخبيرالجزائري في الشؤون الأمنيّة «بن عومر بن جانة» كان أدلى به لصحيفة «البلاد الجزائريّة

مُحَذِّراً مِن أنّ تَدَفُّقَ اليهود الصهاينة على تونس يُثير مخاوفَ الجزائريّين».

وَمُضِيفاً أنّ «تواجُدَ اليهود الصهاينة في تونس يعودُ إلى سنوات، لِكونِها بلدا سياحيًّاً يَستقطِبُ العديدَ من الجنسيّات بمن فيهم اليهود الإسرائيليين الذين كانوا يَدخلون تونسَ بجوازات سفر أوربية ، في إطار زيارتهم السنوية إلى كنيسِ الغريبة في جزيرة جرْبة بالجنوب التونسي ، إلاّ أنّ تواجدَهُم الكبيرَ هذا العام قد تكون له انعكاسات سلبية على تونس وحتى على الجزائر التي طالما تعاملتْ بحيطةٍ وحَذَر مع كلِّ صهيوني» ومشيرا إلى أنَّ «ضعْفَ الاقتصاد التونسي وتراجُعَ مداخيل قطاع السياحة الذي يُعَدّ الأهمّ بين القطاعات الاقتصاديّة في تونس ، قد يَجعلُ السلطة التونسية تهتمّ بجلبِ السائحين أكثر من اهتمامِها بهويّتهم وربّما بمُخططاتِهم الخفيّة ، ممّا يُجبر الجزائرَ على اتخاذ كافة التدابير الأمنيّة اللازمة للحيطة من أيّ مخططات يُمكن أن تُحاكَ غيْر بعيدٍ عن أراضيها ، وتهدف إلى المساس باستقرارِها أو استقرار المنطقة ككل»، ولافِتاً إلى أنّ «الجزائرَ تملكُ أجهزةً كفيلة بالكشْف عن المُخططات الصهيونية ، إمّا عن طريق سفاراتها أو عن طريق أجْهزتها الإستخباراتية التي مكَّنت من إحباطِ عدَّة مخططات

في وقتٍ سابق» وموضِّحا أنَّ «الكيانَ الصهيونيّ معروفٌ بأنه يتحيّن الفرصَ لضرْب استقرار دَولة ما ، وما زالَ يَنتظر فرصة للمَساس بأمْن الجزائر التي تُمثل في شمال أفريقيا الدولة الأكثر إيماناً بالقضية الفلسطينية والمُناهِضة للإحتلال والرافضة للاستيطان اليهوديّ بجميع أشكالِه».

ولذلكَ غَمْغَمَ «راشد الغنّوشي» بتصريح إعلاميٍّ ديماغوجيّ على هامش انعقادِ مجلس شورى حركة النهضة بمدينة الحمامات يوم 2014/4/27قال فيه « يجب أن لا نشوِّش على ما حققَتْه تونسُ مِن وحدة وطنيّة وتوَافُق أفْضَيا إلى المُصادَقة على دُستورٍ جديد والاستعداد لتنظيمِ الانتخابات بسبب جدَلٍ حول الحجِّ إلى الغريبة» ، مُحاوِلاً تَصويرَ المسألة وكأنّها دينيّة بَحْتَة ، فيدعُو مُسْتَبْلِهاً مَن يُوَجِّه إليهِم خِطابَه إلى «ضرورةِ إبعاد مسألة حجِّ الغريبة عن كلِّ تجاذُبٍ أو توظيفٍ سياسيّ» مَشَدِّداً على « أهميّة العمَل على إنْجاحِ الموسم السّياحي عبْر تفادي طرْح قضايا لم تكن أبداً محلَّ خِلاف بين التونسيين.نحن التونسيون مُجْمِعون على الوقوف ضدَّ التطبيع ومُجمِعون على مناصرة الشعب الفلسطيني في استرجاع حُقوقِه، ونحنُ في تونس أيضاً مع الحريّة الدينية وحرية المسلمين وغيْر المسلمين في ممارسةِ شعائرهم الدينية»!.

وفي هذا المَناخ مِنَ «الفوضى الخلاقة» تَسيَّدَ «روني الطرابلسي» وأبوه «بيريز» المَشْهَدَ الإعلامي التونسي ، فوَجّه رئيس كنيسة الغريبة في جربة «بيريز الطرابلسي» يوم 24 أفريل/نيسان 2014 في حوار عبر إذاعة «شمس أف أم» التونسية رسالة إلى نواب المجلس التأسيسي، وقال الطرابلسي في رسالته «أخطاهم من الدوّة وما فماش

علاش يعملوا هكا» زاعِماً أنّ نوَّابَ المجلس بموقفهم من دخول الإسرائيليين إلى التراب التونسي «سيفسدون الغريبة وسمعة تونس» .

وأكد «بيريز الطرابلسي» أنّ مساءلة الوزيرين ستؤثر على اليهودِ الذين يزورون «الغريبة» ،وأنّه يوافق رئيس الحكومة «مهدي جمعة» من هذه المسألة والمتمثل في أنّ «نجاح الموسم السياحي في تونس مرتبط بنجاح موسم الحجّ للغريبة بجزيرة جربة» ،مُشدِّداً على أنّ زيارة الإسرائيليين الأخيرة لتونس «ليست هي المَرّة الأولى بل كانت متواجدة في حكومة الترويكا والباجي قائد السبسي وفي عهد الرئيس زين العابدين بن علي».

أمّا «روني» الذي باتَ يتنَقَّل مِن قناة فضائيّة تونسيّة إلى أخرى ومِن صحيفَةٍ تونسيّة إلى أخرى ، فَقدً بَلَغَتْ بهِ العزّة بالإثْمِ أنْ أسْفَرَ عن وجهِهِ الصهيونيّ الصَّفيق عندما قالَ في حِوارٍ مع صحيفة «الصباح الأسبوعي» التونسية (عدد يوم 16 جوان/حزيران2014 - ص7) : « سؤالٌ أُوَجِّهُه إلى مَن يهمّه الأمر وله سلطة اتّخاذ القرار، هَل يُمكِن لِبَعْض الشركات مثل الشركة الفرنسيّةللاتصالات (اس .اف.ار) التي اشتَرَتها شركة إسرائيليّة الإنتصاب في تونس مع العلم أنّها سَتُوَفِّر العديدَ مِن مَواطِن العمَل ؟. فلا يُعْقَلُ أن يَخسَرَ الإقتصادُ التونسيّ أموالاً تحتَ أيّ سَبَب مالَم يُخالِف القانون ، ألَسْنا في حاجَة إلى العملة الصَّعْبَة ؟ فَمِن غيْر المَعقول تسييس بَعْض المَواضيع وخسارة أموال كانت ستدخل خزينةَ الدّولة على غِرار 400ألف دينار كلفة تنظيم شركة فرنسيّة أعضاؤها إسرائيليُّون لاجتماعِهِم في تونس وَقَد أُلغِيَ مؤخَّراً». هكذا وكأنّ لاحَلّ لمشاكلِ تونس الإقتِصاديّة والإجتماعيّة إلاّ عند الإسرائيليين!.

وانْعَقَدَتْ جلسةُ سَحْب الثّقة مِن الوَزيرَيْن «كربول» و»صفر» في يوم 9أيار/ماي/2014 وتمّ فيها إلغاء لائحة سحْب الثِّقة ، بِقرارٍ مِن حركة النهضة التي طمأنَتْ الوزيرين مُسْبَقاً بأنّهما باقيان في الحكومة، ذلك أنّهما «التَقيا قبلَ انطِلاق أشغالِ الجلسة العامّة للمُساءلة كلاًّ مِن عامر العريّض وعبد الحميد الجلاصي في مكتب رئيس المجلس مصطفى بن جعفر ، وقد استمَرَّ اللقاء أكثَرَ مِن 20دقيقة ، وغادَرَ بَعدَها هذان القياديان في حركة النهضة اللذان يبدو أنّهما قدَّما تطمينات للوزيرين»(صحيفة «المغرب» - عدد يوم 2014/5/11 - ص3).

وهكذا أوفَتْ «النهضة» بالتزاماتها «التطبيعيّة» ومثلها قوى ليبراليّة ويساريّة مُمَثَّلةً خاصّة بالمخرجة السينمائيّة والنائبة عن «حزب المسار» التي عَدَّتْ مُساءلة «كربول» أمراً «عَبَثيَّاً بامتياز» نظراً للتحسُّن الواضح في الشأن السياحي،(صحيفة «التونسية» عدد يوم 2014/5/8 - ص4) فهذه النائبة لا تجد في التطبيع مع الإسرائيليين مايستحقّ المُساءلة ، مادامت الوزيرة المُطبِّعة ناجحة في مهمّتها الوزاريّة ، فأنْ يدخل مؤخرا 108سائحين إسرائيليين تونس بجوازات سفرهم الإسرائيلية عبْر البوّابات الحدودية التونسية الرسمية علناً عَدَّه «مهدي جمعة» مِن علاماتِ شفافيّةِ حكومته ، وإن لايوجد قانونيا مايمنعه فالعُرْف الجاري في حكومات زين العابدين بن علي وحكومات ما بعد 2014/1/14 يسمح له بإعلانه، وخيّر «مهدي جمعة» الشعب التونسي بين أن يقبل بدخولِ الإسرائيليين إلى تونس «بشفافية» أو يتحَمَّل مسؤولية فشل الموسم السياحي!.

وَسادَ هَرَجٌ إعلامِيّ وسياسيّ ابتِهاجاً بعَدَمِ سَحْبِ الثّقة من

«كربول» و»صفر» وكأنّ حَلّ مشاكِل تونس جميعها مُلْقى على عاتِق هذين الوزيرين وما سيُدْخِلانه مِن إسرائيليين إلي تونس ، ولكن بعيداً عن الرُّويبضات التي احتلَّتْ احتلالاً غاشماً المَشهَدَين السياسيّ والثقافيّ والإعلامي في تونس، عَثَرْنا على رجُلٍ تونسيّ عاقلٍ شُجاع مُتماسك في وضوح موقفه ومَنْطِقِ ودِقّةِ تحليله ونَقاءْ وجْدانه ، فقدْ قالَ المُحلّل السياسي وأستاذُ القانون الدستوري التونسي المَرمُوق «قيس سعيّد» في تصريح لصحيفة «حقائق أون لاين» الألكترونيّة التونسية يوم 2014/5/11 إنّه « مِن العَيْب اختزال قضيّة الشعب التونسي في شخص وزيرة السياحة آمال كربول التي لادَخْل لها في ملفِّ دُخول السيّاح الإسرائيليين إلى تونس فالمسألة برمتّها متعلقة بالسياسة العامة للدولة وللحكومة».

واستغربَ «تراجُعَ نوّابِ التأسيسي عن تمرير لائحة سَحْبِ الثقة ضدَّ طرَفٍ في السلطة التنفيذية وعَرْضها على التصويت وذلك للمرّة الثالثة منذ انبعاث المَجلس» ، مؤكِّداً «أنّ ذلك يُعَدّ انحرافا بالنصوص القانونية وتلاعُباً بمشاعر التونسيين وبمواقفهم المبدئيّة التي تمَّ تحويلها إلى حملاتٍ انتخابية سابقة لأوانها».

وشدّد «قيس سعيّد» على أنّ «الجدَلَ الدائر حَوْلَ موضوع التطبيع مع الكيان الصهيوني مُرتبطٌ بمَوقِفٍ مبدَئيٍّ يتمَثّل في تمكينِ اليهود من أداء شعائرهم الدينية عبْر منحهم تصريحا خاصا للوصُول إلى معبد الغريبة بجربة» موضحا أنّه «ضدّ كلّ من يُخالف هذا الاستثناء».

وتابع قائلا: « لكنْ إذا تعلّقَ الأمْرُ بالسياحةِ وليس بحقِّ مُمارسة الشعائر الدينية لليهود وفقاً لرخصة استثنائية دأبتْ عليها الدولة التونسية منذ عديد السنوات فلا أهلا ولا سَهْلاً بهم».

ودعا أستاذ القانون الدستوريّ التونسيّ « كلَّ مُساندي فكرة السماح للاسرائيليين بزيارة تونس للسياحة إلى استِحضار صُوَر هَدْم بُيوت الفلسطينيين وقصْف المُخيَّمات وتشريد المواطنين والأطفال الأبرياء و العُزَّل حتّى يُراجعوا قناعاتهم المتناقضة مع القيم المبدئية للشعب التونسي المُناصر لقضايا الأمّة».

إذَنْ ،على الرّغْم مِن هذا الهَرَج التطبيعيّ فشلَ الموسِمُ السياحي، وفشلت «كربول» ، كما أكّد «رضوان بن صالح» رئيسُ الجامعة التونسية للنزل لإذاعة «شمس إف إم» التونسية حين قال «إنّ وزارة السياحة قامت بدعاية جانبيّة ليس لها تأثير على الحركة السياحيّة»، وكانت هذه الجامعة السياحيّة ذاتها قد عبّرت في بلاغ لها عن استيائها مِن النتائج التي تحققتْ منذ تَوَلِّي «كربول» الوزارةَ.

ولكن ماالذي دَفَعَ الجِّهات الصّهيونيّة إلى الضّغْطِ التطبيعِيّ على تونس بهذه الحِدَّة ، ولِماذا استجابَ الجانب التونسي بهذا الإذعان؟.

- 11 -

لا يَخْفى أنّ الإسرائيليّين لا يدَّخِرُونَ جهْداً لِتَسويق بَضائعهم حتّى في قطاع غَزَّة تَحْت حكومة حركة «المُقاوَمة» الإسلامِيّة - حماس، حيث قالت صحيفة «يديعوت أحرونوت» الصهيونيّة في تقرير نشرَتْه في موقِعها الألكتروني يوم 2014/3/9، إنَّ البضائعَ الإسرائيليّة باتَتْ تَغزو أسواقَ غزّة ، و «هناك علاقات تجاريّة كبيرة بين غزّة و«إسرائيل» قَلَّما يتمّ التَّطَرُّق إليها إعلامياً ، وإنَّه خِلال عام 2012 بَلَغَ مَردودُ البضائع الإسرائيليّة التي بِيْعَتْ إلى غَزَّة نَحْوَ 1,3مليار شيكل».ويؤكِّدُ الصحفي «إلينور ليفي» مُعِدُّ التقرير أنَّ «جميعَ مانَراهُ في المَحَلّات

التجاريّة في إسرائيل يَراهُ سُكّانُ قطاع غَزَّة بشكلٍ مُفاجئ على الرُّفوفِ عندَهم أيضا» مُشيراً إلى أنَّ «شركة الألبانِ الإسرائيليّة - تنوفا - تُدْخِل يوميًّاً إلى القِطاع 200طن مِن مُنتَجاتِها، وخاصّة مِن الحليبِ واللبن». ويُشير التقرير إلى أنّه بالمُقابل كانَ منذ العَقْد الماضي «يَدخل سنويًّاً 70 ألف طنّ مِن الخضار القادمة مِن غَزَّة إلى إسرائيل»، لكنّ المحامية «بيش» تؤكِّدُ أنَّ «إسرائيلَ تكسَبُ أكثر مِن 100 مليون دولار سَنَوِيًّاً مِن بَيْع مُنتَجاتِها في غَزّة ، بَيْنَما يَزدادُ اقتصادُ غَزَّةَ ضعفاً». ، وفي هذا السّياق أكدتْ صحيفة «معاريف» بعددها يوم 2014/11/15 أنّ «منطقة صِناعيّة مُشترَكة بين إسرائيل والأردن سَتُقام في مَنْطِقة «كيبوتس تيرات تسفي» وتَقَع على جانِبَيّ الحدود ، وسيربطُ بينَ شَطْرَيْها جسْرٌ على نَهْرِ الأردنّ ، وسيكون اسمُ المنطقة الصناعيّة «شاعر هيردين» أي «بوّابة الأردن» ، وقد قامَ على بَلوَرَةِ الخِطَّة وزير التّعاوُن الإقليمي «سلفان شالوم» ذو الأصْل التونسي ، وَتَتضمَّن المنطقة في الجانب الأردني مشاريعَ صِناعيّة تُديرُها شركاتٌ إسرائيليّة - أردُنِيّة ، ويعمل فيها ألفا عامِل أردُني بأجْرٍ لا يتجاوَز 500دولار في الشَّهر ، تُوَفِّرُه الشركاتُ الإسرائيليّة».

فإذا كانَ الخُبْثُ الصهيونِيّ لا يَستَثْنِي في جَمْع المال حتى مِن الضَّحايا اليوميّين لأسلِحَته وحِقده فَكَيفَ لا يَمدّ هذا الأخطبوط السّامّ أذرُعَهُ باتّجاهِ المغرب العربيّ ، خاصَّةً وأنَّه اسْتَثْمَرَ علاقاته السياسيّة القديمة مع المملكة المغربيّة فاسْتَقْبَلَ الكيانُ الصهيونيّ 7254سائحاً في السَّنَوات الثلاث 2010،2011،2012 لِيُشَكل السائحون المَغربيّون 13في المئة مِنَ الوافدين الأجانب على «إسرائيل» خِلالَ عامَيّ 2010 - 2011 ، ومَثَلاً أَكَّدَ تقريرُ الهيئة الإسرائيليّة سنة 2006

على أنَّ 46شركة إسرائيليّة صَدَّرَتْ إلى المغرب ما قيمته أكثر من مليونيّ دولار في النصف الأوَّل من سنة 2006 مُحَقِّقةً بذلكَ ارتفاعاً قدْره 23,5 بالمئة مُقارنة بذات الفترة مِن سنة 2005، كما أقَرَّ هذا التقرير أنّ 28 شركة مغربيّة تَعاملَتْ مع شركاتٍ إسرائيليّة ، علْماً أنّ هذا التعامُل يشمل مجالات عسكريّة وتقنيّة وزراعيّة واتّصاليّة وَغَيرها.

وَكما أشَرْنا في مَكانٍ آخَر مِن هذا الكتاب فإنّ التعامُلَ مع مُوريتانيا شَمَلَ مُختلَف المجالات السياسيّة والإقتصاديّة، إلا أنَّ تونسَ التي كانت مَشْمولةً بهذا التَّعامُل باتت هَدَفاً مُعْلَناً مُنْذ إطاحة نظام الرئيس زين العابدين بن علي، لِماذا؟.

إنَّ الدوائر الصّهيو - أمريكيّة التي خَطَّطَتْ لمؤامَرَة «الربيع العَربي» وَنَفَّذَتَها ابتِداءً مِن تُونسَ التي كانت مُخْتبَراً ناجِحاً ، مازالتْ تجدُ هذا المُخْتبَر صالِحاً لامْتِحانِ خِطَط صهيونيّة تستهدفُ ليسَ المنطقة العربيّة فَقَط ، بل ومناطِق أخرى مِنَ العالم بينها أوربّا نفْسها. كيفَ ذلك؟.

تَزامُناً مَع تنفيذِ مؤامَرة الربيع العربي ضَغَطَ العدوُّ الصهيونيّ سياسيًّا وَعَسكريًّا واقتِصاديًّاً لِتَجريد الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير والسلطة الوطنيّة الفلسطينيّتين مِن كامِل أوراق وأدوات الصُّمود والمُقاومَة حَولَ طاولة المُفاوَضات وَعلى الأرض ، فأمْعَن الإحتلالُ الإسرائيليّ في بناء آلاف الوحدات الإستيطانيّة وصرّح «أوري أرئيل» وزير الإسكان الإسرائيلي الذي يعيش في مُسْتوطَنَة بأنّه «يجب أن يكون واضِحاً أنّه لن يكونَ هُناك دَولتان لشَعبَيْن غَربيّ نَهْر الأردنّ ، حتى لَو جَلَسُوا لِلمُفاوَضات ، لن يحْدثَ أمْرٌ كهذا وسنستمرّ بالبناء في كُلِّ شبْرٍ مِن أرْضِ إسرائيل ، وأيضاً في يَهودا والسّامرة» علماً

أنّه حسب صحيفة «معاريف» الإسرائيليّة (عدد يوم 2014/3/4)، فقد ارتفَعَتْ نسبة البناء الإستيطاني في الضفّة الغربيّة فقط 123 بالمئة مُقارَنَةً بالعام الماضي ،وفي هذا السِّياقِ الإستيطانيّ قدَّمَت «صوفيا لاندفر» وزيرة «الإندِماج» الإسرائيليّة يوم 2014/3/18 إلى «الكنيست» خطّة لِتشجيع يَهود فرنسا على الهجرة إلى «إسرائيل» تهدف إلى دَفْع 15ألف يهودي فرنسي إلى القيام بذلك خلال السنوات القادمة ، ووَضَعَتْ وزارتُها ميزانيّة بمبلغ 3,8مليون يورو لهذا الهَدَف ، فَجُوبِهَ بمُقاوَمَة قادَتْها الدبلوماسيّةُ الفلسطينيّة ، شَمَلَتْ الغَربَ الأمريكيّ والأوربيّ ، وحَذَّرَ وزير الخارجية الأمريكي «جون كيري»مِن تَداعِياتها بكلمةٍ له في مؤتمر ميونيخ للأمن في ألمانيا، أوائل فيفري /شباط 2014 عندما قال «المقاطعة الدولية لإسرائيل ستتعمق في حالِ فشلِ جُهود السلام الفلسطينية ـ الإسرائيلية»، التي استؤنِفَتْ أواخرَ جويلية/تمّوز 2013 برعايةٍ أمريكية.

فقد اتسعت في الآونة الأخيرة، رقعة المقاطعة الأوروبية للكيان الصهيوني ، حيث بدأتْ شركاتٌ أوروبيّة وصناديقُ استثمار أموالِ مُتقاعِدين، في إلغاء استثماراتها أو تحجيم التجارة مع الشركات الإسرائيليّة العاملة في المستوطنات المُقامة على الأراضي الفلسطينية في الضفّة الغربيّة، والقدسِ الشرقيّة.

وجاءت مقاطعة الشركاتِ الإسرائيليّة، بعدَ أن اتخَذ الإتحادُ الأوروبي، في منتصفِ جويلية/تمّوز2013، قراراً مُلزِماً يحظر التعاوُنَ مع جِهاتٍ حكوميّة أو خاصّة في المستوطناتِ الإسرائيلية بالضفة الغربيّة، والقدس الشرقيّة، وهُو الأمْرُ الذي أثَارَ حفيظةَ الحكومةِ الإسرائيلية آنذاك.

وكي تُدرك الأكاديميّة التونسيّة «رَجاء بن سلامة» أنّ ثَمّةَ مَن يَعتَقِد بِجَدوى مُقاطَعَة «إسرائيل» ، نَسُوق لَها ولِمَن يُشارِكُها اعتِقادَها ما يلي ، على سبيلِ المِثال لا الحَصْر :

*في 2013/4/3أقرَّ اتحادُ المُعلِّمين الإيرلنديّين بالإجماع في مُؤتمره السنويّ ، اقتراحاً بمقاطعةِ الاحتلال الإسرائيليّ أكاديمياً، لتكون المرّة الأولى التي يُقِرّ فيها اتحادٌ أكاديمي أوروبيّ مثل هذا الإقتراح.

ودعا القرار الذي وصف «إسرائيل» بالدولة العنصرية إلى وَقْفِ جميع أشكالِ التعاوُن الثقافي والأكاديميّ مع الاحتلالِ الإسرائيليّ، بما في ذلك تبادُل الطلبة والعلماء والأكاديميّين، بالإضافة لِوَقفِ التعاوُنِ في جميع البرامج والمشاريع البحثيّة.

كما حثَّ القرارُ نقابات العمّال الإيرلندية على «تكثيفِ حملات المُقاطعة وسَحْب الاستثمارات وفرْض العقوباتِ ضدَّ دولة الاحتلال العنصريّ الإسرائيليّ، حتى ترفعَ حِصارَها عن قِطاع غزّة واحتلالها للضفة الغربيّة، وتلتزم بالقانونِ الدولي وجميعِ قرارات الأمم المتحدة الخاصّة بالقضية الفلسطينيّة».

*في ماي/أيّار2013أعلن عالم الفيزياء البريطاني «ستيفن هوكينج» دَعْمَه لمُقاطعةِ الاحتلالِ الإسرائيلي احتِجاجاً على سُوء معاملتِه للفلسطينيّين.

وذكرتْ صحيفة «الجارديان» البريطانية بعددها يوم2013/5/8 أنَّ «هوكينج» أرْسَلَ رسالة إلى الرئيس الإسرائيلي «شيمون بيريز» يُخبره فيها بعدُولِه عن حُضور مؤتمرٍ في الكيان الصهيوني ، يُناقش كبرى

القضايا الدوليّة.

وقال «هوكينج» : « تعَرَّضْتُ لضغوط، وأتلقّى رسائلَ من مئاتِ البريطانيّين وزملائي الفلسطينيين لإقناعيَ بعدَم المُشاركة في المؤتمر الذي يحضرُه الآلافُ كلَّ عام، ما أقنعني في النهاية بعدَمِ الحُضور».

وكان «هوكينج» الذي يعمل أستاذاً بجامعة «كامبريدج» البريطانية، الذي يبلغ من العمر 71 عاماً، زار «إسرائيل» 4 مرات آخرها في 2006 .

ويُصَنَّفُ كأحد أذكى 10 أشخاص على وجه الكرة الأرضيّة.

* في 2013/12/16قرَّرَتْ جمعيّة الدراسات الأمريكيّة مُقاطَعَةَ «إسرائيل» احتِجاجاً على سِياسَتِها إزاءَ الفلسطينيين ، وَنَدَّدَ المؤتمَرُ اليهوديّ العالَمِيّ بهذا القرار ، وَوَصَفَهُ رئيسُهُ «رونالد لاودر» بالوَصْفة الصهيونيّة الجاهِزَة ، أي بأنّه «مُعادٍ للسّاميَّة».. وصادَقَ على هذه المُقاطَعَة لِلمؤسَّساتِ الأكاديميّةِ الإسرائيليّة ، أكثَر مِن 66بالمئة مِن أعضاءِ جمعيّة الدراساتِ الأمريكيّة الذينَ صَوَّتُوا ، والبالِغ عَدَدهم 1252 عضواً ، بِحَسْبِ ما جاءَ على مَوْقِعِ هذه الجمعيّة التي تَعدُّ نَفْسَها « الأقدَم والأهَمّ بينَ الجَّمعِيّات الأمريكيّة المُتَخَصِّصَة بدِراسَةِ تاريخِ وثَقافَة الأمريكيين».

وقالت الجمعيّةُ على مَوقِعِها إنَّ « القَرارَ المُعْتَمَد هُوَ للتَّضامُن مع كُلِّ الباحِثين والطّلّاب المَحرومين مِن حُرِّيَّتِهم الأكاديمِيَّة وَيَتَطَلَّعُون إلى إعْطاءِ هذه الحُرّيّة للجميع وَمِن بينهم الفلسطينيُّون» مُتَطَرِّقَةً إلى «خَرْقِ إسرائيل لِلقانُونِ الدّولي وَلِقَراراتِ الأمم المُتَّحِدَة».

وكانت «جمعيّةُ الدراسات الآسيويّة - الأمريكيّة» قد اتَّخَذَتْ مَوقِفاً مُماثِلاً.

*في 2014/2/25 قالَ مَوقِعُ «والا» الإخباري الإسلرائيلي «إنَّ الصندوقَ المُرتَبِط بالتأمينِ الوَطنيّ لِحُكومَةِ لوكسمبُورغ قَرَّرَ مُقاطَعَةَ جميع البُنُوك الكُبرى في إسرائيل» ، وأشارَ إلى أنَّهُ «على الرُّغم مِن صِغَرِ حَجْم دَولةِ لوكسمبورغ في القارّةِ الأوربيّة إلا أنَّها تَحْتَلّ مَرْكَزاً كبيراً في سُوقِ الإستثمار والمال على مستوى العالم»، وبَرَّرَ الصندوق الوطني اللوكسمبورغي هذه المُقاطَعَة بكَونِ «الشركات الإسرائيليّة تدعَمُ البناءَ في المُستَوطَناتِ غير القانونيّة على الأراضي المحتلّة مِن دَولةِ فلسطين».

* في أوائل جوان/حزيران 2014 قال الكاتب الشهير «آلان جريش» رئيس التحرير السَّابق لدوريّة "لوموند دبلوماتيك" إنّ «الدَّولة الفلسطينية دائما مؤجَّلة إلى الغدِ في الخِطاب الأمريكي».وأضاف في مقاله " لماذا تفشل المفاوضات الإسرائيلية – الفلسطينية"؟ في لوموند دبلوماتيك- الطبعة العربية التي توزّع مع «الأهرام» المصريّة «إن واشنطن لن تحقق بمُفرَدِها ودون ضَغْطٍ – السلامَ في الشرق الأوسط»، مُشيرا إلى أنَّ الأمْر يتطلبُ إجراءاتٍ قوية باتِّخاذ عقوباتٍ ضدَّ «إسرائيل»، مُعتَمَدَة من قبل دُوَلٍ ، مُقاطعة يُنادي بها المُجتمعُ المدَني، لكي يتمكن الفلسطينيّون أخيرا مِن الاحتفال بـ «السنة المقبلة في القدس».

وقال جريش – المصريّ المَولِد - إنّه «طالما أنَّ آليّة السلام المزعومة مُستمرّة، فسوف تتضاءلُ مصداقيَّة الدعوات لاتّخاذ عقوباتٍ بحقِّ اسرائيل ومُقاطعتها»، مُشيراً إلى أنّه «ليست مُصادَفة أنْ تقرِّر

الحكومة الألمانيّة بُعَيْدَ تجميدِ المُفاوضات عَدَمَ دَعْمِ شِراءِ إسرائيل للغوّاصات النووية الألمانية، الأمر الذي سيكلّف دافعَ الضرائبِ الإسرائيليّ مِئات ملايين الدولارات».

فَهَل يَكفي هذا لِتَفْنيدِ وتَتفيهِ هُراءِ الأكاديميّة التونسيّة «رجاء بن سلامة» ورَهْطها؟، ألا يَعْنِي ذلكَ أنَّ الذينَ يُدافعُونَ عَن التطبيعِ مع الكيان الصهيونيّ ويَرفضونَ مُقاطَعَته مُجَرَّدُونَ مِن أيّ وازِعٍ أخلاقِيٍّ إنسانيّ ، وَمُرتَبِطُونَ بالدّوائر الصّهيونيّة في الغَرْب الأوربيِّ والأمريكيّ، لأنّه حتى المؤسسات الأوربّيّة الرسميّة والمؤسسات الأكاديميّة الأمريكيّة تَقَدَّمَتْ عليهم في مَوقِفِها مِن أعْدَل قضيّة على وَجْهِ البسيطة /القضيّة الفلسطينيّة، فجَاوَزَهُم الغَربيّون مِن ذَويّ الإرادَة الحُرَّة أخلاقيّاً وسياسيّاً وفكريّاً وإنسانيّاً وَخَلَّفُوهُم يَتَمَرَّغونَ في وَحْل الإذْعان لإملاءاتِ الإرادَةِ الصهيونيّة.

والذي يُلامُ أكثَرَ مِن «رجاء بن سلامة» وأمثالها ، هُوَالصديق والرّفيق القديم «أحمد ابراهيم» الأمين العام السابق لحزب «المسار» التونسي اليساري والشيوعي سابقاً والنائب في المجلس التأسيسي التونسي، ففي رَدٍّ ديماغوجيّ مِنَ طِرازٍ مؤسِفٍ على سؤالٍ حَولَ رأيه في «الضجّة» التي شَهدها المجلسُ بشأن التطبيع مع العدوّ الصهيوني، قال «أحمد ابراهيم» في حوار أجرتْه معه صحيفة «الشروق» التونسيّة ونشرَتْه بعددها الصادر يوم 2014/5/25 - ص5 مُبَرِّراً رَفْض نُوّاب حزبِهِ «الإمْضاء على العريضة المُطالبَة بمُساءلَة الوزيرة أو عريضة سَحْب الثِّقة» قائلاً : « مِن دُونِ العَودةِ والتذكير بأنّ مسألة التضامُن مع فلسطين ورَفض كلّ صِيَغ التطبيع مع الإحتلال ومقاومَة التَّهويد هي أمُورٌ بديهية ولا تحتاج إلى هذا الضجيج». ما أحْوَجَنا إلى تَذَكُّر

البدهيّات لِلعَمَلِ على ضَوئِها لا لِمُعاكَسَتِها بمَواقِفِنا العَمَليّة يارفيق أحمد! .

وتابَعَ الرفيق «ابراهيم» : «المسألةُ طُرِحَتْ من الزاوية الخطأ وليس من زاوية أيّ الطرق أنْجَع للوقُوف مع كفاح الشعب الفلسطيني ومحاصَرة الاحتلال الصهيوني خاصّة على الصعيدِ الدولي؟».وَلْنَفْتَرِضْ ذلكَ ، وأنّكُم مَثَلاً خشيتُم أن تُحْسَبُوا على مَوْقفٍ «رعوانيّ» في شكله لا في مَضمُونِهِ ،كتعبيرِ زميلكم «ابراهيم القصّاص» الخاطئ عَن مَوقِفٍ صحيح ، فَهَل «نَتَوَضَّأ بالنَّجاسةِ نِكايَةً بالطّهارة؟» كما يقول المَثَلُ الفلسطينيّ.

وَتَساءَلَ الرفيق الأكاديميّ أيضاً «مثلا كيف يُمكِنُ لنا كتونسيّين أن نَكونَ طرَفا فاعِلا في الحملة العالميّة التي بادر بها المجتمَعُ المدنيّ الفلسطينيّ منذ حملةِ «مُقاوَمَة» سنة2005؟». ولكنِ هَل وَجَدَ الأكاديميّون الأمريكيّون والأوربيّون صُعُوبَةً في أن يُبادِرُوا كُلٌّ مِن مؤسّسته وبَلَده فيكون حُكماً طَرَفاً في هذه الحَملة العالميّة لِمُقاطَعَةِ كَيانٍ عُنصُريٍّ ك «إسرائيل»؟

ويَعترفُ الرفيقُ التونسيّ بأنّ «تلك الحَملة تعني مقاطعة كيانِ الإحتلال وسَحْب الاستثمارات منه وفرْض عقوباتٍ عليه وهي حملة انتشرَت في أوروبا وأمريكا وأصبَحَ لها تأثيرٌ كبيرٌ حيث نجحَتْ في تَضييق الخِناق على الشركات المُتعاملة معه مثلما وقعَ مُؤخرا مع شركةِ المِياه البرتغالية التي أجْبِرَتْ على فَسْخ عَقد لها مع شركة المِياه الإسرائيلية» . إذَنْ فالرفيق على خِلافِ زميلته الأكاديميّة «رجاء بن سلامة» يَعْتَقد بأنَّ لِمُقاطَعَةِ «إسرائيل» جَدوى ، وَمَع ذلكَ يُحْجِم ورِفاقُهُ نوّاب حزب «المَسار» عَن مُساءَلَةِ وزيرَين يُدخِلان «إسرائيليين»

إلى تونس لِدَعْم السياحة التونسيّة. أليسَ كذلك؟ وكما قِيلَ «إنْ كُنْتَ لاتدري فتِلكَ مُصيبَةٌ وإنْ كُنْتَ تَدري فالمُصيبةُ أعْظَمُ».

ويقول الرفيق «أحمد ابراهيم» : «إنَّ مُناهضَة التطبيع ليست مُجَرَّد شعارات جوفاء تُرْفَع بصفة مناسباتية» وأنا أوا فِقُه ، ولكن عندما يقول في الحوار نَفْسِه : «أنا شخصيًّاً دَعَوتُ التونسيين إلى الحجِّ إلى القُدس الشريف والضَّغْط بذلك على سلطات الاحتلال»، ألا يَرْفَع شِعاراً أجْوَفَ وَمُناسَباتِيّاً ، وتَطبيعيّاً مادامَ جاء كَمُقايَضَة للسَّماح للإسرائيليين بدُخُول تونس تحتَ غطاء السياحة الدينيّة؟. وعندَماَ يتساءلُ النائبُ والأكاديمي التونسي «أحمد ابراهيم» : «ماذا عسانا نفعل كتونسيّين للوُقوفِ مع الأسرى الفلسطينيين؟ ألسْنا على علم بأنّ هناك حملة بدأتْ منذ أسبوع تقريباً في إيرلندا تضامُناً مع الزعِّيم مروان البرغوثي وقد شارَكَ فيها نوّابٌ إيرلنديُّون وأوروبيُّون ومن جنوب أفريقيا بل إنّها تحَوَلَّتْ إلى مُناهَضة الأبارتايد في الأراضي المحتلة في تشبيهِ لِمَا يَحصل هُناك بِما حَصل في جنوب افريقيا».فَما الذي مَنَعَكَ أنْتَ ورفاقكَ وزُملاءكَ مِن أنْ تُبادِرُوا إلى حَمْلَة للتَّضامُنِ مع الأسرى الفلسطينيين كَتلكَ التي قامَ بِها مُناضِلون إيرلنديّون ، وواقِع الحال أنّكُم تَحَرَّرتُم مِن قبضة الديكتاتوريّة / الشمّاعَة التي يُعَلِّق عليها اليساريّونَ العَربُ تَقاعُسَهم عَن الإنخِراط في خنادِقِ النِّضال الجّماهيريّ الفعليّة والتَّعويض عَنْه بالكلام النَّظري حَوْلَ النّضال والجماهير، كما وَصَفَ الشاعر «عبد الرحمن الأبنودي» اليساريّين المصريين والعَرب مُتأسِّفاً في حوارِ ببرنامج «بيت القصيد» على قناة « الميادين» أوائل شهر جويلية /تمّوز2014.

وَيُواصِلُ «أحمد ابراهيم» هُروبَه التبريريّ المُتَهافِت قائلاً : «يجب

أن نتساءل ما الذي يمكن أنْ نقدِّمَه إلى فلسطينيي الـ48 الذين كانوا سبباً بنضالاتهم ودمائهم في إعلان يوم الأرض وهُم مَن جاء من صُلبهم رجالٌ مثل توفيق زياد وإميل حبيبي ومحمود درويش وسميح القاسم، ثمَّ كيف نُساند الفلسطينيين ذويّ الأُصول التونسيّة في حيّ المَغاربة في القدس ولماذا لا يتمّ التنسيقُ على مُستوى دُوَل المغرب العربيّ للدفاع عن الفلسطينيين المَغاربة ككُلّ من أجْل استعادةِ ما افتكّه كيانُ الإحتلال من أراضيهم وخاصّة وقفيّة بومدين، ما الذي فعلناه مِن أجْل وقفِ انتزاعِ أملاكهم؟». يا إله العالَمين!مَن مَنَعكم مِن أن تَفْعَلوا؟ قَدْ نَقْبَل هذا مِن مُواطِنٍ عاديّ ، لا مِن شخصيّة عامّة مِن دَوائر اتّخاذ القَرارِ على الأقلّ في المَجلس التأسيسي ومَجلِس الأحزاب «الحوار الوطني» والجامعة التونسيّة إلخ ، والأنْكى من ذلكَ أنْ يَعدّ هذه التّهويمات أمْثلَةً «تؤكِّدُ أنَّ هناك نوعَين مِن مُقاوَمة التطبيع : النوع الذي يُمكن أن نُسمِّيه «رعوانيا» والثاني هو المُقاوَمة الذكيّة التي توَجِّه ضربات مُوجعة لكيان الاحتلال ولِمَشروع التّهويد وتلك هي الأسبابُ التي أدَّتْ بنا كنواب لحزب المسار إلى رَفض الإمْضاءِ على العريضة المُطالبة بمُساءَلة الوزيرة أو عريضة سَحْب الثقة، وتلك الخُطَب الدّعائيّة لا يُمكِن أن تقدِّمَ شيئا للقضية الفلسطينية». ولكنْ لَم يَقُلْ لَنا كيفَ جَسَّدَ «المُقاوَمَة الذَّكيّة» برَفْضِ الإمْضاء على عريضَتيّ «المُساءَلة» وَ «سَحْب الثِّقة» ، وهَلْ هُوَ حَقّاً ضدَّ «التَّطبيع مع الكيان الصهيونيّ»؟. وإذا كُنّا عاجِزينَ على الإتيانِ بأضْعَفِ الإيمان وهُوَ أنْ نقول «لا لِدُخُولِ الإسرائيليين بجَوازاتِ سَفَرٍ إسرائيليّة إلى تونس» فما الجّدوى مِن أن يقول يساريّ عَربيّ مُفاخِراً : «اليساريون في أوربا وغيرها فَعَلوا كذا وكذا مِن أجل فلسطين» وأنتَ ماذا فَعَلْتَ ومالذي يَمْنَعُكَ مِن أنْ تَفْعَلَ ، وعندَما تأتي فرصَةَ أنْ تُعَبِّرَ عَن مَوقِفِكَ

بفِعْلٍ مُناهِضٍ للتطبيع مع «إسرائيل» التي تعترف أنّها «كيانُ احتِلالٍ استيطانيّ عنصريّ « تُحْجِم وتُصْبِح سَلبيّا وتلوذُ بذرائع يَنْطَبِق عليها القَولُ الشائع «عذْرٌ أقْبَحُ مِن ذَنْب».إنّها عيّنةٌ أُخرى تُفَسِّرُ لَنا لِماذا نجحَ اليسارُ في شرقِ قارّةِ آسيا وجنوب القارّة الأمريكيّة لكنّه يَسْتَولِدُ الفَشَلَ مِن الفَشَلِ في مَنْطِقتِنا المَنكُوبة باليسار النَّظَري.

ولكن كي تَتَّضِح قَتامَةُ الصّورةِ أكثَر نُشيرُ إلى أنَّهُ مِثلَما حاولَتْ حركةُ النّهضة تَغطيّة مَسارِها التطبيعيّ بدَعْوَةِ إخوانهم في حركة «حماس» الإسلاميّة بغَزَّة إلى حُضُور مؤتَمرِها وزعَمتْ أنّ «هنيّة» و «مَشْعل» نَصَحاها بَعَدَمِ إدراج بُنْدٍ يُجَرِّمُ التطبيعَ في الدستور التونسي الجديد ، فإنَّ حزبَ «المَسار» دَعا إلى مؤتَمَرِهِ من خارج تونس، النائبَ في «الكنيستْ» الإسرائيلي « محمد بركة»، و «حميد مجيد موسى» الأمين العام للحزب الشيوعيّ العراقي أبرز المُشارِكين في حكومة «بريمر» الأمريكيّة في العِراق .

ولا تَحْسَبَنَّ أنّ اليسارَ القَومِيّ أكثَرَ استِقلاليَّةً وأخلاقِيَّةً وَوطنِيّةً وأقَلّ انتهازِيّةً مِنَ اليسار الشيوعي ، ولكُم في «أحمد نجيب الشابيّ» مَثَلاً نَسُوقه إليكُم يا أولِي الألباب : ألَم يُحاوِلْ «الحَكَّ على جَرَبِ النَّهْضَة» في برنامج «لِمَن يَجرؤفقط؟» على قناة «حنَّابعل» التونسية حين أجابَ على طلبٍ مِن مُقَدِّم البرنامج بأن يَذكر «أحمد نجيب الشابي» حادِثَتَين أبكيَتاه ، فَزَعَمَ أنّه بكى «عندما شاهَدَ على شاشاتِ الفضائيّات الأطفالَ والنِّساء السّوريين يهربُون مِن أمامِ دبّابات الجيش السّوري في دَرعا» وعندما «شاهَدَ قوات الجيش المصري تقمع المُعتَصِمين في رابعة»، ذلكَ أنَّ «البَعثيّ التونسيّ» السابقَ لم يَجِدْ في ضحايا «الرشّ» في منطقةِ سليانة وذَبْح الجنود التونسيين في جبَل

الشّعانبي ما يَسْتَحِقّ دَمْعَةً مِنْه مادامَ الرشُّ مِن مآثِرِ حكومة «علي العريّض» ، وذَبْح الجنود مِن بُطولاتِ «أبناء الغنّوشي».

وعلى الرّغم مِن ذلك فإنَّ «جنبلاط تونس» كَما نُمِيَ إليَّ ، يُحاوِل ترتيبَ زيارةٍ على رأس وَفْدٍ مِن حزبِهِ لزيارة دمِشق وتهنئة السيّد الرئيس الدكتور بشّار الأسد بانتِخابِهِ لولايَةٍ رئاسيّة جديدة تنتهي سنة 2021.

- 12 -

إذَنْ كانَ تَوزيرُ «آمال كربول» اختِباراً لِمَسارٍ تَطبيعِيٍّ يَتَصَدَّرُ أهدافَ مُؤامَرَةِ «الرّبيع العَربيّ» في قاطِرَتِها / تونس، وإلى حَدٍّ بَعيدٍ «نَجَحَتْ» وزيرَةُ السِّياحَة التونسيّة في مهمّتِها «التطبيعيّة» بِمَعْنى كَسْر الجليد على هذا الصَّعيد الرَّسمي ، وإنْ لم تَنْجَحْ في إنْجاح المَوسِمِ السِّياحِيِّ، ذلكَ أنَّها حَصَدَتْ الكَثيرَ مِنَ الإطراءاتِ كَما أسْلَفْنا، وكانَ آخرها إطراء «التُّهامي العبدولي» مُتَزَعِّمُ «الجبهة الوطنيّة» الإنتخابيّة السياسيّة التونسيّة - التي تضمُّ بالخصُوص حزبَ «الثوابت» الذي يَرْجِعُ بالنَّظَر إلى الدكتور «محمد صالح الهرماسي» عضو القيادة القوميّة لحزب البعث العربي الإشتراكي، المُقيم بدمشق- في حلقةِ السّبت 2014/7/4 مِن برنامج «لاباس» التلفزيونيّ على قناة «التونسيّة».

وإذا كانَ هذا الإختِبار قَد أكّدَ مَدى تَفَشّي فقْدان المَناعة الوَطَنيّة والقَوميّة والإنسانيّة عنْدَ شَرائح واسِعة مِنَ النُّخَبِ السّياسيّة والثّقافيّة والإعلاميَّة التُّونسيّة أمامَ «الفايروس» الصهيو - أمريكي ، فإنَّهُ سَجَّلَ دَعْماً غَيْر مُباشَر لِمَساعي «بنيامين نتنياهو» إلى فَرْض قانُونٍ على الإتِّحاد الأوربّي يُدْرِجُ أيَّ انتِقادٍ ل «دَولةِ إسرائيل» ضِمْنَ القانُون

الأوربّي الذي يُجَرِّمُ «العَداء للسّامِيَّة» وَيُسَلِّطُ على مُرْتَكِبِيِّ هذه «الجريمة» عُقُوباتٍ قاسِيَة.وَتَجَلّى هذا الدَّعْمُ في مَوْجَة التَّخليط الهستيري التي شهدَتْها تونس مؤخَّراً ، في عَدِّ رَفْضِ التَّطبيع مَع «إسرائيل» والصّهيونيّة والدَّعْوَة إلى مَنْع الإسرائيليّين مِن دُخُولِ تُونُسَ بجَوازاتِ سَفَرٍ إسرائيليّة وكأنَّهُ انتقاصٌ مِن مُواطِنيّةِ اليهُود التونسيِّين!.

وإذاكُنّا قد أشَرْنا في فَقراتٍ سابقة مِن هذا الفَصْلِ إلى الجِّهاتِ الخارجيّة الضّاغطة للحُؤولِ دُونَ تَجريم التطبيع مع «إسرائيل» والصهيونيّة، وبالتّالي تَجْريد الدّاعين إلى تَجْريم التَّطبيع مِن أيّ سَنَدٍ قانونيّ دستوريّ ، فَما هُوَ العامِل الدّاخِليّ المُساعِد على تَصْعيدِ النَّشاطِ التطبيعيّ الإقتصاديّ الذي مِن مَظاهِرِهِ مُحاوَلة رَبْط المَوسم السّياحي التونسي بنَجاح مَوسم الحجّ الإسرائيلي خاصّةً إلى كنيس «الغريبة» في «جرْبَة»، وَفَتْح أبواب تونس ونشاطها السياحي والإقتصادي أمامَ شركاتٍ إسرائيليّة كما جاهَرَ بذلك «بيريز طرابلسي» ونَجلُهُ «روني»؟، وكذلك في الوَقْتِ نَفْسه بَعْث خَطّ جَوِّي مُباشَر بينَ مدينة «أربيل» في كردستان العِراق قُبَيْلَ دعوة البرزاني ونتنياهو إلى فَصْلِ إقليم كردستان عن العِراق جغراسياسيّاً والإعتِراف بها كدولة مستقلّة على غِرار جنوب السودان (صحيفة «الشروق» التونسيّة - عدد يوم 2014/5/8 ص10)، ذلكَ أنّ «أربيل» تضمّ أنْشَطَ محطّة لجهاز المخابرات الإسرائيلية الخارجيّة «الموساد» في المَشرق كما أصبَحَتْ تونس (بَعْدَ ثورة الكرامة؟)تَضمّ أنْشَطَ محطّة لجهاز «الموساد» الإسرائيلي في المَغرب العربي، وهذا يَنْجُمُ عَنْه تَنَقُّلُ لعَناصِرِ المَحَطَّتين الاستخباريّتين في الإتِّجاهَيْن ، ناهِيكَ عَن تَسْهيل نَقْل البضائع الإسرائيليّة عَبْرَ «أربيل» إلى السُّوقِ التونسيّة . وَنَحْن في

ما ذَهَبْنا إليهِ لا نَنْدَفِعُ خَلْفَ نتائج تحليل انْطِباعِيّ ، بَلْ نَتَّكِئُ آسِفين إلى ماصَرَّحَ بِهِ الجنرال الإسرائيليّ في الاحتياط «عاموس يدلين»، الرئيس السابق لشعبة الاستخبارات العسكريّة (أمان)،الذي نقَلَتْ عَنْه القناة السابعة الإسرائيليّة قَولَه حَرفيّاً : « إنّ شعبة الاستخبارات العسكريّة تمكَّنَتْ من نَشر شبكاتِ جَمْع معلومات في تونس قادِرَة على التأثيرِ السَّلبيّ أو الإيجابيّ في جميعِ المَجالات السياسيّة والاقتصادية والاجتماعية بهذه البلاد، بالإضافة إلى ليبيا والمغرب».
و «عاموس يدلين» يَرئسُ حاليًا معهدَ دراسات أبحاثِ الأمنِ القومي، التابع لجامعة تل أبيب، والمرتبط ارتباطًا عضويًا بالمؤسستين الأمنيّة والسياسيّة في الكيان الصهيوني (صحيفة «رأي اليوم» الألكترونيّة ، يوم 2014/5/28)،وبالتالي مِن حَقّ الكاتبة التونسيّة «فاطمة بن عبد الله الكرّاي» رئيس التّحرير الثاني لصحيفة «الشروق» أن تَقولَ تحتَ عنوان «الإقتصاد لا يُبْنى بالإنحناء»مُخاطِبَةً تطبيعيّي بِلادها السابِقينَ واللاحِقين : «إنَّ السِّياحة التي يَرنُو إليها التونسيّ ، لا يُريدُها بلا نَواميس وبِلا أخلاق وبِلا كرامَة . فتُونس لَديها مِن العُقُول ما يُمْكِنُ أن يَجعَلَها تُسَوِّق الشمسَ والبحرَ والصّحراءَ والمُرتَفعات ، على مستوى عالميّ ، بدُونَ أن تدخلَ في مَتاهاتِ السياحةِ المَشروطة. فَما لا يعلمُهُ هؤلاء الذينَ تتعالى أصواتُهُم لإحداثِ ضَجيجٍ وَنِقاش بيزنطي ، أنَّ الأمريكيين الذين سَوّوا ملَفَّيّ الشّراكةِ مع الأردُن ومِصر في تسعيناتِ القَرْن الماضي اشترَطوا لاستيرادِ منتوجات مصريّة وأردنيّة نَحْوَ الولايات المتّحدة الأمريكيّة ، أن يحتوي المنتُوجُ المَعْنيّ بالتّصدير إلى واشنطن ، على نسبةٍ مُعَيَّنَة مِن المَوادّ المَصنُوعةِ في إسرائيل ، تحت اسم اتفاقيّة كوينز. كلّ الخَوف أن تكونَ اليوم ملفّات تونس الخاصّة بالشّراكة مَوْضُوعَة مع هذا الشّريك القويّ

تحت يافطة السياحة والاستثمار المَشْرُوطَين بِدُخُول الإسرائيليين إلى تونس . والذي يعتقد أنّ مثْلَ هذه العمليّة هي في علاقة بفلسطين فليطمئنّ قَلْبُهُ ، فلَيْسَ الأمْر سوى سَعْي أمريكي مَحموم مِن أجْلِ أنْ تفرضَ (أمريكا)على العالم أمْراً واقِعاً جديداً اسمُهُ : دَولة إسرائيل اليهوديّة. مَنْ يَفْهَم غَيْر هذا مِن كامِلِ المَسار فَهُوَ أعمى أو يَرى بعيونٍ أمريكيّة. نَعَم الإقتصاد يُبْنَى بِشَرَفٍ وَكَرامَة، لابذُونِيّة وانحناء». (صحيفة «الشروق» التونسية ، عدد يوم 2014/4/23 -ص2).وإن كانت الزميلة «فاطمة الكرّاي» تُخاطب هُنا أصواتاً عديدة «تتحدَّث في الشأنِ العامّ وتفْتِي في مَجالِ السياحة والجُّوع والتطبيع مع الكيان الصهيوني» ، فإنّ مُواطِنَتَها «آسيا بلحسن» نائبة رئيس الرابطة التونسيّة لِحُقُوقِ الإنسان وَجَّهَت صَرْخَةَ احْتجاجِها مُباشَرَةً إلى رئيس الحكومَة التونسية «مهدي جمعة» الذي رَبَطَ السَّماح للإسرائيلِّيين بدُخُولِ تُونس ، بحاجَةِ الأخيرة إلى السّيولة (الكاش، على حدّ تعبير جمعة)، فعَدَّتْ الحُقوقيّة التونسية بِتَصْريح لِصحيفة «الشروق» أيضاً(العدد نفسه وبذات الصفحة) كلام مَهدِي جُمْعَة «أمْراً خطيراً . . .وَنَقولُ لَهُ كمُناضِلين : إنّنا نجوع ولَن نَركَعَ للسُّيُولة النَّقديَّة».

**

لَقَد أسَّسَتْ الصُّهيونيّةُ كيانَها وعَزَّزَتْه ولا تزال باغتِنام الفُرَص «التاريخيّة» الإقليميّة والدّوليّة ، ومثلَما تَغْتَنِمُ مؤامَرَة «الربيع العَربي» وفَوْضاها الخَلّاقة صهيُو أمريكيّاً ، لإرساءِ أسُسِ دَوْلَة «إسرائيل» اليهوديّة على أنْقاضِ الدُّوَلِ الوَطَنيّة المُسْتَهدَفَة في المَنْطِقَة وتَقسيمها إلى دُوَيْلاتٍ فاشلة على أسُسٍ طائفيَّةٍ وعرْقيَّةٍ، كانت اغْتَنَمَتْ فرصَةَ انهيار الاتّحاد السُّوفياتي سنة1991 واستفرادِ واشنطن كقطْبٍ واحِد

بمَصائر السياسة الدّوليّة لإلغاءِ القرار الأمميّ الذي اعْتُمِدَ مِن الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة في10تشرين الثاني /نوفمبر 1975 والذي ينصّ على أنّ «الصهيونيّة هي شكلٌ مِن أشكالِ العنصريّة والتمييز العنصري»وذلك في 16 كانون الأول /ديسمبر 1991، كما اغْتَنَمَتْ هذا التفكّك العَربي ، فَتَمَّ في 19 جوان/حزيران2014 ولأول مرَّة انتخاب «مردخاي أميهاي»، ممثل «إسرائيل» الكيان الاستعماري التوسُّعي الاستيطاني العنصريّ نائباً لرئيس اللجنة الرابعة المعروفة باسم «لجنة تصفية الاستعمار والمسائل السياسية الخاصة» بَعْدَ الحُصول في اقتراع سرِّيٍّ على 74 «نعم» من مجموع 159 مندوبا حاضرا في الجلسة وإلْغاء 15 صوتا، ووجود 68 ورقة تحمل كلمة امتناع. وَقَد رَدَّتْ وزارةُ الخارجية الفلسطينية في بيانٍ نشرته يوم 2014/6/19 على هذه الفضيحَة بالقَولِ إنّه «وبالرُّغم من قلّةِ عدَد الدول التي صوَّتتْ لِصالح هذا الترشيح، والتي بلغت 74 دولة، إلّا أنَّ الوزارة تعدُّهُ تشجيعاً لدولةِ الاحتلالِ على المزيد مِن الانتهاكات، واتخاذه غطاءً للاستمرار في الاحتِلال والاستيطان، والتنكيلِ بالشعب الفلسطيني، في حين أنَّ المطلوبَ مِن المُجتمَع الدولي محاسبة إسرائيل على جرائمِها وممارساتِها ضدَّ الشعب الفلسطينيّ الأعْزَل».

ومِن حَصاد «إسرائيل» الذي جَنَتْهُ مِن حُقُولِ مؤامَرةِ «الربيعِ العربيّ» السّامَّة قرارُ حكومةِ رئيس الوزراء الأسترالي «توني أبوت» ووزيرةِ خارجيّته «جولي بيشوب» في 9 جوان /حزيران2014 عَدَّ القدس الشرقيّة أرْضا ليست محتلة. وتأكيداً على ذلكَ زارَ «ديف شارما»سفيرُ أستراليا في الكيانِ الصهيونيّ «بنيامين نتنياهو» في مكتبهِ بالقدس الشرقية. وهي خطوة لم يَسْبقْه إليها سفيرُ الولايات المتحدة نفسه.

وفي يوم 30جوان/حزيران2014 ناقشتْ الأُممُ المتحدة في مقرها بنيويورك، الاقتراحَ المُقدَّم مِن قِبل منظمة القضاة والمُحامين اليهود لإجراء تعديلٍ على تعريف «مَن هو اللاجئ الفلسطيني»؟.

وقالت صحيفة «إسرائيل اليوم» إنَّ الهدَفَ مِن وراء هذا النقاش هو «إجراء تغييرٍ جَوْهَري حَوْل أهدافِ عَمل ونشاطاتِ الأونروا».

ويدّعي مقدموّ المشروع أنّه «في الوقتِ الذي تَسعى فيه العديدُ من المؤسسّاتُ الإنسانية لتوطينِ اللاجئين تعمل الأونروا على تعطيل ذلك، فهذه المنظمات تُسجِّل فقط مَن هربَ مِن أرضِه وتعدّهُ لاجئاً، بينَما تقوم االأونروا بفتح المجال أمامَ سُلالة اللاجئين الأصليّين لتسجيلِ أنفسِهم كلاجئين».

وبِما أنَّ مُعظَم الذينَ هَربوا مِن أراضيهِم تَحت وطأةِ الحروب التي شنّتْها عليهم العصاباتُ الصهيونيّة الإرهابيّة الإستيطانيّة والمَجازر التي اقْتَرفَتها ضدَّهم في ثلاثينات وأربعينات القرن المُنْصَرم قد غادروا الحياة فإنّ المُراجَعَة التي طلَبَتْها «إسرائيل» تَريد أن تصِلَ إلى أنّه لم يَعُد ثمّة مَن يستحقّ صِفَةَ «لاجئ فلسطينيّ» ، وبالتالي يسقط «حقّ العَودَة». هكذا يَتذاكى الصّهاينة وبِخِفَّةٍ وازدِراءٍ بالعَقْلِ البَشَريّ.

وهكذا في ظلِّ انْشغالِ العَرَب وشُعُوب المنطِقة والعالَم بحروبِ «الربيع العربي» القَذِرَة تغْتَنِمُ نَهّازَةُ الفُرَص «اسرائيل» فرصَةً شاركَتْ في اخْتِلاقِها ، لِتَجْريدِ الشَّعبِ الفلسطينيّ حتى مِن مُكْتَسَباتِ نضالهِ المَلْحَميّ على مَدى سَبْعَة عُقُود ، بِقَضْمِ القرار تلوَ الآخَر مِن القراراتِ الأمَميّة التي تَدعَم حُقُوقَ هذا الشّعبَ المَظلوم في العودة وتقرير المَصير وإقامة دولتِهِ المُسْتَقلّة في حدود 4حزيران/جوان 1967 ،

وعاصمتها القدس الشريف.

وهكذا تتآمَرُ النُّخَبُ العربيّة السياسيّة والثقافيّة والإعلاميّة على القضيّة الفلسطينيّة وتُساهِمُ في مُحاوَلَة تَصفِيَتها وتُشارِكُ في نَهْش اللحم الفلسطينيّ الحيّ نَيْئاً فيُكافئها المُستوطِنُون بِحَرْقِ هذا اللَّحْم المُسْتَباح وشَيِّهِ وَتَقْديمِه إلى هذهِ النُّخَب على مَوائِد مؤامَرةِ «الربيع العَربيّ» العامِرَة بالأجسادِ المَحروقة والصُّدُور المشقُوقة والأكباد المُنْتَزَعَة والعُيُون المُقْتَلَعَة والرؤوس المقطوعة والرّقاب المَذبُوحَة والجُثَث المَشْبوحَة ، مِنَ القدسِ إلى دِمَشْقَ ،مِن أَرْضِ الكنانةِ إلى أَرْضِ السَّواد ، مِن طرابُلْسَ إلى طرابُلْسَ ،ومِن جَبَلِ الشعانبي إلى جَبَل ضِين ، مَتاهَةٌ شاسِعَة مِنَ الدِّماءِ والدُّخانِ والخَرابِ والضَّبابِ كي يضيعَ ما تَبَقّى مِن فِلسطين.!

تداعيات «إتّفاقيات أوسلو» وتخليط المثقّفين التطبيعيين

ثمّة تَخْليطٌ هائلٌ عند مَن شاءَ «قَدَرٌ أحمقُ الخُطى» أن يُشَكّلوا الرأي العام التونسيّ مِن مُدَّعيّ الثقافةِ والفكر السياسيّ ، يَتَعَلَّقُ بالشأن الفلسطيني وتحديداً عشية وإبّان وبعد اتفاقية «أوسلو» التي اتخذ منها بعضُ «مثقفيّ» تونس فرصةً لتطبيع غير مسبوق وغير مُبَرَّر مع العدو الصهيونيّ كأن يُرسل منذر الحاج علي (القيادي حالياً في حركة نداء تونس) رسالة إلى شيمون بيريز يشيد فيها بتطلّع الأخيرِ إلى «السلام» أو أن يُفْصِحَ «العفيفُ الأخضر» على صفحات مجلة «الملاحظ» لصاحبها «أبي بكر الصغيّر» عن استعدادهِ لزيارة «إسرائيل» في حال تلقّيه دعوة من جامعاتِها ، أو كأنْ يَزورَ الناقد السينمائي التونسي «خميّس الخياطي» اسرائيل «للتأكّدِ مِن أنّها كيان عنصري «!» أو أن يُحْيِي المُطرب التونسي «محسن الشريف» سهرةً غِنائيَّة في «إسرائيل»، أو أن تزورَ الروائية الإسرائيلية «يائيل دايان» ابنة الإرهابي الصهيوني «موشي دايان» تونس وتُجْري صحيفة «الصحافة» الرسمية التونسية حِوارا معها نشر في صفحتين متقابلتين،أو أن

يُفاخِرَ الصحفيُّ التونسي «جمال العرفاوي» بأنّه قَبِلَ العمل كمراسل لصحيفة «هاآرتس» الإسرائيلية في تونس ...إلخ ، وأخيراً أنْ لا تَجِد الجامعية والباحثة التونسية «رجاء بن سلامة» حرَجاً في أن تكتب على صفحتها الإلكترونية تعليقاً على زيارة وزيرة السياحة التونسية «آمال كربول» (زوجة الألماني اليهودي ماركوس جوتشالك) إلى إسرائيل لتدرب شبابا فلسطينيين في أراضي 1948 على «السلام» المزعوم : «تعرفون إن فلسطين ليست دولة ... ثم لنفترض أنها ذهبتْ إلى إسرائيل فعلا فهل معنى ذلك أنّها عميلة للعدو الصهيونيّ ؟ ثمَّ ما جنى العرَب مِن مُقاطعة إسرائيل؟».(يبدو أنّ رجاء بن سلامة غير معنيّة باعتراف الأمم المتحدة رسميا بدولة فلسطين اعتباراً من نوفمبر /تشرين الثاني2012، كما أنّها لم تُفَسِّر لنا «الحكمة» مِن عَدَم مُقاطَعة «إسرائيل»).

نستغربُ هذا التخليط والهرولة إلى التطبيع مع الكيان الصهيوني عند «النخبة» التونسية التي لا تجاوِر بلادُها فلسطين المحتلة ولا تربطها بها اتفاقيات «سلام» - بذريعة أنّ الفلسطينيين يفاوضون الإسرائيليين ، بينما لم تُبِح اتفاقيات كامب ديفيد بين القاهرة وتل أبيب للنُّخَبِ المصرية السياسية والثقافية أن تنخرطَ في التطبيعِ مع الكيانِ الصهيوني بل إنَّ الحالات الفرديّة كماهو حال الكاتبَ المسرحي المصري «علي سالم» التي تورّطت في هذا المنحى التطبيعي تمّ عزْلُها ونبذُها إلى أن أصبحت خارجَ المشهد الثقافي المصري والعربي مُلَطَّخةً بالعار والشنار.كما أنّه مِن الغريب حقّاً أن لا تكون بُوصَلة «المثقفين» التونسيين في هذا السياق أهمّ رمزين للثقافة الفلسطينية، اللذين لم يَنصاعا للظروف السياسية العربية والدولية القاهِرة التي

أجبرتْ القيادةَ السياسية الفلسطينية على توقيع اتفاقية «أوسلو» ، أعني الشاعر «محمود درويش» الذي لم يُخْفِ ليس رفضَ الاتفاقية فحسب بل وكذلك رَفضَ أن يتخذَها بعضُ المثقفين «الأعراب»ذريعةً لزيارة «إسرائيل» بدعوى أنّهم يزورونَ أشقاءَهم الفلسطينيين - على العكس من سميح القاسم الذي رقصَ حافياً ابتهاجاً بمؤامرة الربيع العربي أمامَ المَسْرَح البَلَدِي في تونس ، و الذي كان يجرّ «المثقفين» العربَ الذين يزورون رام الله إلى زيارة المسماة «إسرائيل» ،كما حصَلَ مع الشاعر التونسي «منصف المزغني» حسب رواية الأخير لي شخصيا-.

كما أعْني بالرَّمْز الذي كانَ جديراً بالمثقفين التونسيين والعرَب أن يكون بوصلتَهم ، البروفسور «أدوارد سعيد» الذي تناولَ اتفاقية «أوسلو» بكتابين هما كتاب «غزة أريحا: سلام أمريكي» سنة 1995 وكتاب « أوسلو سلام بلا أرض» سنة 1995 ، والذي قال في ردٍّ مُبَكِّر على هُراء «رجاء بن سلامة» وسواها : « علينا – وبإلحاح - أن نُعيد رَبْطَ سنوات التضحية والكفاح التي خضناها بحاضرنا ومستقبلنا. فليسَ مَقبولاً أن نلقي بهذه السنوات عرْضَ البحر، أو أن نتعامل معها كأنّها لم تكن. فالأفكارُ والمُثُلُ هي التي تقودُ مسيرة أيّ مُجتمَع نحو التقدُّم. ولِذا فإنَّه مِن غيْر المقبُول أن نقْنَع بالقولِ إنّنا نَحيا في ظلِّ نِظام عالمِيٍّ جديد، يقتضي منَّا التعامُل الواقِعيّ والبراجماتي، والتخلي عن مُنطلقات الوطنيّة والتحرُّر. فهذا القول ليسَ أكثرَ مِن هُراءٍ وسُخْف. فليسَ بمقدُور أية قوَّة خارجيّة – سواء كانت الولايات المتحدة الأمريكية أو إسرائيل – أن تحدد لنا مواصفات الواقع، بنفس القدر الذي لا ينبغي أن نسمح فيه لحفنةٍ من قادتنا أن يقرِّروا الالتفافَ حول الماضي ، والإذْعان لهذا الواقعِ المَزعوم. إنّ

صياغة الواقِع ومناقشته هي مهمّة كلِّ مَن يَعنيهِ الأَمْرُ مِن المُواطِنين والمثقَّفِين وأنصارِ القضيّة».

عَدا عن ذلك ، إنّ الذي يُحاجِجُ مِن العرَب الذين يزورون «إسرائيلَ» بأن الفلسطينيّين يزورون فلسطين المحتلة ويُفاوضُون العدوّ الإسرائيلي، يَتَجاهَل حقيقة أنّ هذا الفلسطينيّ يزور أرضه وبلاده التي تحْتَ الإحتلال ويُفاوِض عدوّه من أَجْلِ الحُصول على حقوقِه تماماً كما فاوضَتْ الحركات الوطنية التونسية والجزائرية وغيرها قادةَ المحتل الفرنسيّ على نَيْلِ حقها في الحريّة والإستقلال ، بينما من أضعَف الإيمان بحقِّ الفلسطينيين أن لا نُطبِّع مع العدوِّ الذي يحتلّ أرضَهم ، قبْلَ أن يُقرّ بحقوقِهم ويحصَلوا عليها ، ولو على سبيل الضغْط على هذا العدوّ ،هذا إذا كان ليس بمقدورنا لسبب أو آخَر مُشاركة الفلسطينيّ في مقاومة المحتل بأشكال المقاومة كافّة.

السياحة التونسية وال«آمال» الصهيونية!

السيّدة «آمال كربول» وزيرة السياحة في الحكومة التونسية الجديدة اعترفت ب «عضمة» لسانها الكفوء لرئيس الحكومة المخضرَم «مهدي جمعة» أنها زارت الكيان الصهيوني عبر مطار في تل أبيب.

الأمْرُ حتى الآن لم يُفاجئني لِسَبَبَيْن ، الأوّل أنّ الوزيرة الجديدة لم تخرج بذلك على الدستور التونسيّ الجديد الذي حرص يمين ويسارُ المجلِس التأسيسيّ بنهضته الثَّيِّب ومَسارِه «الطَّيِّب» على أن لا يُدرِج في مَتْنِه أو هامِشِه بَنْداً يُجَرِّمُ التطبيعَ مع العدوّ الصهيونيّ.

والسَّببُ الثاني أن مَن كانَ مُقْتَرَحاً لحقيبة الوزارة التي آلت إلى كربول هو «رينيه طرابلسي» لا لأنه نَجْل زعيم الجالية اليهودية ، بل لأنه على علاقة علنية مع «إسرائيل» ، هذه العلاقة التي يبدُو أنّ السياحة التونسية تُعَلِّق عليها «آمالَها» ذلك أنّ رينيه بن بيريز الطرابلسي كثيراً ما «فاخر بصداقته مع ابن أرييل شارون و جلبه لآلاف السياح الصهاينة إلى تونس للحجِّ» في «غريبة جُربَة».

لكنّ ما استَغْرَبْتُه أمْرين ، الأوَّل أنَّ سليلَ «سيدي بوزيد» الذي عدَّ نَفْسَه «القيادة الشعريَّة للثورة التونسية» المزعومة انْبَرى لِيزعَم أنَّ «كفاءة» الوزيرة الجديدة و «جمالَها» اللذان يؤكِّدانها «امرأة ونصفا» يَجبّان تطبيعَها مع الكيان الصهيونيّ ، خاصّة وأنَّ هذا الشخص كثيرا ما حاوَلَ اكتسابَ قيمةٍ ما اتكاءً إلى علاقةٍ كانت تربطه بالشاعرين الراحلين محمود درويش وأحمد فؤاد نجم اللّذين لم يتركا مناسبة إلا ورفَضا من خلالها جميع أشكال التطبيع مع العدو الصهيونيّ.

والأمر الثاني هو تنطُّع رموز «إعلام العار» خاصة للدفاع عن زيارة «كربول» إلى «إسرائيل» مُدَّعين زوراً وبُهتاناً أنّها كانت تزور فلسطين، ومن يزور الفلسطينيين في الضفّة الغربيّة لا بدّ أن يمرَّ بتل أبيب، حَسْبَ لَغْوِهِم. ذلك أنَّ هذا افتراء على الحقيقة.

والحقيقة هي أنّ مَن يُريد زيارة الشعب الفلسطيني في الأراضي التي تقوم عليها السلطة الفلسطينية تكون زيارته بالتنسيقِ مع الأخيرةِ وسفاراتِها لا مع السفاراتِ الإسرائيلية ، وبالتالي لا يمرُّ عبْر مطاراتِ تل أبيب كمطار بن غوريون وسِواه ، بل يذهبُ جوّاً أو برّاً إلى الأردن ومن الحُدود البرية الأردنيّة الفلسطينية يمرُّ إلى فلسطين المحتلة وتقوم شرطة الحدودِ الإسرائيليّة بِخَتْم ورقةٍ للزائر مُعطاة له من السلطة الوطنية الفلسطينية ، أي لا يتمّ تدنيسُ جَواز سَفره بالطابع أو الختْم الإسرائيلي ، وهذا ما حصَل مع التونسيين الذين زاروا رام الله مثل لطفي بوشناق و المنصف الوهايبي وغيرهما القليل ، بينما حصلَ غير ذلك مع الذين زاروا «إسرائيل» ككربول والخياطي وغيرهماالكثير.

صُمُودُ سوريا يَكسرُ المؤامَرة ، لكنّ المُتآمِرينَ لم يَيْأسوا بَعْدُ!

لم يَعُدْ خافياً على المُراقب الموضوعيّ أنَّ الغَربَ الأوربيّ الأمريكيّ والصهيونيّة العالميّة ذات النُّفوذ الحاسم في مراكز اتّخاذ القرار الغَربيّة كانت تَرمي مِن مؤامَرَةِ «الربيع العَربي» في شِقِّها المُتَعَلِّق بسوريا إلى الزجّ بالجماعاتِ الإرهابيّة التكفيريّة عبْر العالم في حَربٍ ضَروس ضدّ الجيش العربيّ السوريّ ، لتحقيق هَدَفَيْن : الأول هُو تدمير الدولة السوريّة حاضنة المقاوَمة والقلعة الأخيرة التي تُبْقي الصراع العربي - الإسرائيليّ قائماً يَحُول دون تحقيق المشروع الصهيوني ، تدميراً كامِلاً شامِلاً يُمكِّنُ هذه المؤامَرة مِن الوصول إلى خواتيمها الصهيو - أمريكية بتفتيت بقيّة دُوَل المنطقة بمافيها الكيانات الخليجيّة فضلاً عن لبنان والأردن ، وُصولاً إلى إيران وما بعدها ، والثاني التخَلُّص مِن هذه الجماعاتِ الإرهابية التكفيرية بمواجهة الجيش العربي السوري من جهة وبالمواجهات المُستَعِرَة فيما بينها مِن جِهةٍ ثانية. لكنّ الصمود الإعجازي للشعب والدولة والجيش والقيادة الوطنيّة في سورية، جَعَلَ الغَرْبُ في مواجهةِ مُعطىً لم يكن في حسبانهِ ، وَهُو ارتداد العدوان

على دُوَلِ هذا الغرْب ، عندما فَرَضَ صمودُ الدولة والشعب السوريين وإنجازاتُ الجيش العربي السوري على من لم يلقَ مصرعه مِن إرهابيي هذه الجماعات التكفيريّة أن لا يجد بدّاً مِن العَودَة إلى البلدان التي قَدِمَ منها مُكتَنِزاً بخبرةٍ قتالية عالية وبفائضِ عُنْفٍ لا بُدّ أن يُفرغَه في تلك البلدان الذي صَدَّرَتْه إلى بلادنا.

وعلى الرّغم مِن أنّ هذا الواقع الجديد كانَ يُفْتَرَض أن يُعيدَ الغَربَ المُتَغَطْرس إلى رُشدِه فَيَتَعَقَّل ويَبحَثُ مع الدولة السوريّة وحُلَفائها الإقليميّين والدوليين عَن مَخرَجٍ يُخَفِّفُ عليه مِن تداعياتِ وَمَخاطرِ فَشَل مؤامَرته وانكسارها على السُّور الذي تَحَصَّنَتْ به الدولة السورية، فيَستأنِفُ هُوَ وأتباعُه العَرَبُ والأتراكُ وأدواتُه المحليّة التنسيقَ مع سوريا وحلفائها مِن أجل العَودَة إلى المفاوضات في جنيف لإيجادِ حَلٍّ سياسيّ للأزمَةِ السوريّة ، أخَذَتْه العزَّةُ بالإثم ، ولَمَّ شتات ماتبقّى ممَّن يُسَمُّون أنْفُسَهُم «أصدقاء سوريا» وَهُم في واقع الحال ألَدّ أعداء شَعبها ودَولتها وجيشها ، وعَقدوا اجتماعاً في لندن يلحسونَ فيه جِراحاتِهم وَيعدّونَ العدَّة والعتادَ للعدوان مُجَدَّداً على دِمَشق مُمَنِّينَ أنفُسَهُم بأنْ يُفسِدوا على الأقلّ استعدادَ الشعب السوريّ لمُواصَلة تَحدّيهِ الوُجُوديّ بإنجازِ استِحْقاق الإنتخابات الرئاسيّة الذي يؤكّد به ليس فقط أنّه لم يُهْزَم بل وَيُجَسِّدُ تماسُكَ دَولتِه بمؤسساتِها كافّة وَتَمَسُّكه بوحدته الوطنيّة وبعَراقَته الحضاريّة واستِعْراض حَيَويّته وإبداعه شَعْباً استثنائيّاً يُسَجّل في أنصَع صَفحاتِ التاريخ البشريّ بالوَقائع المَلمُوسة كيفَ أنّه طائر الفينيق الذي يُولَدُ مِن رَمادِه ليُعيدَ بناءَ الوطنِ والمُواطن اللذين استَهدَفَتْهُما معا هذه الحَرْبُ القذرة.

إذَن اجتَمَعَ أحَدُ عَشرَ وزير خارجيّة حكومة عربية وأجنبيّة يُسَمُّون

أنفسهم نواةَ «أصدقاء سوريّا» لِيُقرِّروا زيادة دَعْم «المعارضة المُعتدلة» بالمال وبالأسلحةِ ، وترْجَموا ذلك إلى التلويح بتمكينِ الإرهابيّين التكفيريّين «المُعتَدِلين؟» بصواريخ فرنسيّة مضادّة للطيران وبطائرات «الدرونز» الأمريكيّة عبر الأردن الذي يبدو أنّه قبَضَ أخيراً الثَّمَنَ الذي كان يُراوِغ ويُساوِمُ مِن أجْلِ تقديم نَفْسه مِنَصَّةَ انطلاقِ عدوانٍ جديدٍ على سوريا يتوهَّم أعداؤها أنّه سيُمَكّنُهُم مِن تَعديل موازين قوى المعارك على الأرضِ السورية لِغير صالِح الجيشِ العربيّ السوري.

وبخفَّةِ الكيانِ المُرتَزق الذي حصَلَ على ثمَنِهِ الذي قَيَّم بهِ نَفْسه منذ أن سَمَحَ بتدريب المقاتلينِ المُرتزِقة بإشراف أمريكيّ لإرسالهم إلى «الجهاد» في سوريا، وبَعْدَ ثلاث سَنواتٍ مِن النِّفاقِ والسَّمْسَرَة يَنْسجُ صَبِيُّ المُخابَراتِ البريطانيّة المملوكُ عبد الله بن المملوك حسين بن المملوك طلال على مِنوالِ طَرطُور تونس ، ويطرد السفيرَ السوري في عمّان ، فَيَعُودُ اللواء بَهْجَتْ سليمان فَخْرُ الدّبلوماسيّة السّوريّة بَعْدَ سَنَواتٍ مِنَ الزَّئير الوطني إلى عَرينِهِ في قلب العُرُوبةِ النّابضِ مُكَلَّلاً بالغارِ ، مُخَلِّفاً تاج الخيانةِ الهاشِمِيّ في الكيان التَّوأَم للكيان الصهيوني مُمَرَّغاً بالعار. هكذا يَنْهارُ المَهزومون أمام جيشنا العربي السوريّ في عَواصِمِهِم ويخلعون آخِرَ أقنعتهم مُشْهِرينَ ماتبقى في مخازنِ غَدْرِهِم مِن أسلحةٍ صَدِئة وفي حَناجِرِهِم مِن عُواءٍ مَبْحُوح.

إنَّهُم بصلافة المَوتُور المَسْعُور يريدونَ تزويرَ إرادة شعبنا السوريّ العظيم ، وَماعادُوا يأبَهُونَ حتّى بالتَّشدُّقِ الشكليّ بالدّيمقراطيّة ، فقد أرعَبَتْهُم حقيقة أن مئات الآلاف الذين لجأوا إلى لبنان والأردنّ مثلا كانوا يلوذونَ بمأمَنٍ مِن بَطْشِ العصاباتِ الإرهابيّة التكفيريّة وليس مِن الجيش العربي السوري كما تُفَبرك وسائلُ إعلامِهِم لِذا أسقطَتْ قوى

14 آذار اللبنانيّة آخرَ أقنعَتِها الشفيفة أصْلاً عندما طالبتْ رسمياً الدولةُ اللبنانيّة بطرْدِ السوريِّين الذين مارسُوا حقَّهم الديمقراطيَّ بالإدلاء بأصواتِهم في صناديقِ الإقتِراع داخلَ السفارةِ السوريّة ببيروت، فاللاجئُ السوريّ المَقبُول عندَهُم فقط ذلك المُستَعدّ لخيانة بلاده، ويقبَلُ أن يكونَ شاهِدَ زُور، وهؤلاء لهم خبْرة في خيانةِ لبنان أوَّلاً وفبرَكة شُهُود الزُّور ضدَّ سوريا ثانياً.

لذلكَ مِن الطبيعيّ أن يجدَ هؤلاء أنْفُسَهُم ضدَّ الدولة السورية الوطنيّة ، في خندَقٍ واحِد مع «إسرائيل» مثلهم مثلُ المُسمّاة «المُعارَضة السوريّة» و «جيشها الحر» التي بدأ تعامُلها مع العدوّ الصهيونيّ علناً بتصريح أحَد مُقاتليها لإعلاميّ إسرائيليّ تسللَ مِن الحدود التركيّة إلى مواقع «الجيش الحرِّ» داخل الأراضي السورية بأنّه « إذا كان شارون يُناصِرُنا ضدّ بشّار ، فشارون عيني».وواصَلَتْ «إسرائيل» دَسّ أنْفِها استخباراتيّاً وعسكريّا في الأزمَة السوريّة ومُؤازَرَة «المعارضة المسلحة المُعتدِلة» التي يشوي إرهابيّوها الجبناءُ رأسَ مَن يقع بين براثِنِهم مِن السوريين ويَلُوكون كَبِدَهُ مُقْتَرِفين هذه الجرائم الوَحْشيّة باسْم الإسلام وتحْتَ صيحات الله أكبر ، ولكنْ إحياءً لإرْثِ وَحْشيّة جاهِليَّة رَمْزُها «هنْد» التي مَنَحَتْ جَسَدَها في «جهاد نِكاح» لِعَبْدِها «وَحْشيّ» مقابل إتْيانِه لها بكبِدِ حمزة عَمّ الرسول كي تلوكَه بنُيوبِ حِقدِها!.

فناهيكَ عَن مُداواةِ أكثر مِن ألف ومئة «مُجاهد» ضدّ الدّولة السورية قامتْ «إسرائيل» بتقديم العلاج لهم في مشافيها كما اعترَفَ «نتنياهو» وبينهم أحَد قادة مايُسَمّى «الجيش الحر» ، فقد زجَّتْ بِفِرَق خاصّة مِن القوّات الإسرائيليّة للقتال إلى جانب الإرهابيّين

التكفيريّين ضدَّ الجيش العربي السوري ، مما حَدا بصَحْوَة ضمير بَعْض الجنود الذين كانوا قد التحَقوا بالجماعاتِ الإرهابية فسَلّموا أنفسَهم لقوّات الدولة السورية مُعربين عن نَدَمِهم لِتورُّطِهم في حَرب تُشارك فيها المخابراتُ الإسرائيلية والأمريكية مُباشَرة ضدَّ بلادهم.

لقد أكدتْ مَصادِرٌ سورية موثوقة بأنّ الجيشَ العربي السوريّ وجَدَ نفسَه يُقاتِل على أراضيه فرقَ «ماغلان» الخاصة الإسرائيلية للسيطرةِ على المطارات، وفرقة « بيتا إير» المختصَّة بالقتال الطائفيّ، وسريّة «مك كال» المختصّة بالكَشْفِ عَن المَواقِعِ النَّوعيّة السوريّة.

كما أنّ مجلة «لونغ وور جورنال» الأمريكية تحدَّثت عن نَشْر «الموساد» الإسرائيلي فِرَقاً خاصّة للقتالِ في سوريا ، ناهيكَ عن فِرَق «السي. آي .إي» الأمريكية على غرار «بلاك ووتر». هذا إضافةً إلى التنسيق السياسي بين مايُسمى «المعارضة السورية الخارجية» وإسرائيل الذي بدأ قبل 20مارس/آذار2011 مع « فؤاد الغادري» و«عبد الحليم خدام» و «صلاح بد رالدين» ليَتواصَلَ مع رموز «مجلس اسطنبول» الذين تواترَ ظهورُهم في وسائل الإعلام الإسرائيليّة، ومع رُمُوز «إئتِلافِ الدّوحة» وخاصّة عُضو هيئته السياسيّة «كمال اللبواني» الذي لم يَتَمَلَّق الصَّهاينة ويُعلن أنّ «إسرائيل» لم تعدْ عَدوَّةً لهُم وحسْب بل صارتْ الأخيرةُ «صديقة» في مواجهة «عَدُوٍّ مُشترك» يتمثّل في سوريا وإيران وحزب الله! ، ومُعلناً استعدادَ «ائتلافِه» لتوقيع اتِّفاق سَلام مع تل أبيب وللتنازُل عن الجولان المحتل ل «إسرائيل»،في حال مُساعدة الإسرائيليين «الإئتلاف» على إسقاط النِّظام والوصُول إلى سدّة الحكم في دمشق ، مُناشداً الكيان الصهيونيّ مِن أجل ذلكَ أن يتدَخّلَ تَدَخُّلاً عسكريّاً مُباشَراً لإقامةِ منطقة حَظرٍ

جَوّي في جنوب سوريا . ولاحِقاً طَوَّرَ قادة صهاينة الفكرةَ الخيانيّة هذه إلى العمَل على إقامة منطقة عازلة في جنوبيّ سوريا على غرارالكيان اللحديّ «الشريط الحدوديّ العازل» في جنوبيّ لبنان الذي استَمَرَّ خلال العَقْدَين الأخيرين مِن القَرْنِ المُنْصَرِم يَتَصدّى لِلمقاوَمة الوطنية ويحمي «إسرائيلَ» مِن ضَربَاتها. ويكون تَدَخُّلُ «إسرائيل» كما يَراهُ اللبواني « بفرض منطقة حظر جوي باستخدام منظومة باتريوت الخاصة بها، والشبكات الدفاعية والصاروخية» زاعِماً وُجُود « فارقٍ ما بين تدخُّل (إسرائيل) في جنوب لبنان وتدخُّلِها في سوريا، ففي جنوب لبنان دخلتْ كقوَّة احتلال بينما هنا ستدخُل الحربَ كقوة تحرير»(؟!). وفي حديث مُطوَّل مع صحيفة "العرب"(المُتَصَهينة والتي تموِّلها المُخابراتُ الإماراتيّة كمنبر يُشَغِّل كُلَّ مأجورٍ سوريّ أو عرَبيّ مُستَعدّ للنُّباح ضدَّ سوريا وحلفائها بدْءاً مِن حزب الله وصولا إلى روسيا) والصّادرة في لندن قالَ اللبواني مُحاوِلاً تسويغَ طَرْحه الخيانيّ : «لماذا لا نبيع قضيَّة الجولان في التفاوض فذلك أفضل من أن نخسرَها ونخسرَ معها سوريا إلى الأبد،وعندما أطرَحُ موضوعَ الجولان فأنا أبيعُ ما هو ذاهب سلفا ، قضية الجولان سنخسَرُها مع الزَّمَن لو استمرّتْ الأمورُ بهذا الشكل، ولو تقسَّمت سوريا، لعشر سنوات قادمة فلن تجدَ أحدا يُطالِب بالجولان».

ولاحِقاً كشفتْ صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية أن «رئيس المعارضة الإسرائيلية يتسحاق هرتسوغ اجتمَع مع مسؤولين في المعارضة السورية في برلين». وقد أكد موقع «والاه» الإسرائيلي أيضاً أنّ «هرتسوغ على تواصل منذ سنين مع زُعَماء المُعارَضة السوريّة الذين التقاهُم في برلين».

نَحْن إذَن لم نَعُد فَقط إزاء «مُعارَضَة عاجِزَة» تَستَقوي بالخارِج على نِظام بلادِها الوطنيّ ، وهذا إرْثٌ عربيٌّ أصيل دَشَّنَهُ «امْرؤ القيس» رَمْزيّاً عندَما استقوى بالرُّوم وَجَسَّدَه «العلقَميّ» بتسليم مفاتيح بغداد لهولاكو ، بل نَحْن إزاء أقبانٍ في خدمةِ المَصالِحِ الإسرائيليّة.

كتبَ صديقي الكاتب التونسي الشاب «حاتم الشلغمي» على صفحته في الفيسبوك :

«رَجُلٌ أهبل تزوَّجَ، وبعد شهر فقط أنجبت زوجته. قالوا له كيف حصل ذلك ؟ أجابهم : و من شرِّ حاسِدٍ إذا حسد !!.

هذه النكتة تُجَسِّدُ بالضبط مفاهيمَ «الربيع العربي و الانتقال الديمقراطي» و جماعة «المحسودين» على خلفية «ثوراتهم».

فُكاهَةُ « حاتم» السوداء تكتَسِبُ مَعنىً تراجيديّاً أعْمَق حينَ نتذَكَّر حُكّاماً أفرزَتْهُم مؤامرةُ «الربيع العربي» أو حُكّاماً عُرِفُوا بانخِراطِهِم فيها منذ عامه الأوَّل وخاصّة في «مَيدانِها» السوريّ ، ونُقارِن تباهيهِم بربيعِهِم الأسود وَدَوْرِهم في التآمُرِ على سورية، ونُقابل ذلكَ كُلّه بما أكّدَه البروفيسور الإسرائيليّ «دافيد وينبرج» مُدير مركز بيغن السادات للدراسات الاستراتيجية في محاضرةٍ له في النرويج يوم 2 جوان/ حزيران2013 .

قال البروفيسور الإسرائيلي حرفيّاً: «التهديدُ العسكري العربيُّ ضدّ إسرائيل تَبَخَّر.المجتمعاتُ العربيّةُ كما تَعلمون جميعاً مِن ليبيا إلى تونس عبْرَمِصر إلى سوريا ، ولم نَصِلْ بَعْدُ للأسف إلى الأردن ، تُزَلزِلُها صراعاتٌ داخليّة ، وخلالَ عَقدَيْن إلى أربعة قادمَة ستَعصِفُ بهم صراعاتٌ داخليّة وتَفاوُتٌ اقتِصاديّ ، واحتياجاتٌ، وستَعجَزُ

معها إمكانياتهم لِشَنِّ هُجُوم مُنَسَّق ضدَّ إسرائيل بالأسلوب التقليدي تماماً. ستنتهي ، ستنتهي ، بِسَحْقِ البناء العربيّ القديم حولَ إسرائيل. التهديدُ العسكري ضد إسرائيل اختفى بصورة عظيمة ، وهذا ربْحٌ صافٍ لإسرائيل لهُ أهميّة طويلة بصورةٍ هائلة . التهديدُ العسكريّ التقليديّ ،الخَوْفُ الإسرائيلي مِن هُجُومٍ عسكريّ جَماعيّ لِمِصرَ والعِراق وسوريا كما في 1973 قد انتهى ، انتهى ، الشُّكرُ لِلرّبّ ، لقد انتهى. ولِهذا أقولُ لكم مرَّةً أخرى : إسرائيل تنتصِر».

نَسُوقُ أهزوجَة الجنرال الإسرائيلي السابق ،البروفيسور حالياً، التي تَتَغَنّى بإنجازات هذا الربيع الصهيوأمريكي الذي في كُتبي السابقة فَصَّلتُ أنه مؤامرة هَدَفُها إقامة الشرق الأوسط الكبير للسَّيطرة المُطلقة على ينابيع النفط والغاز في المنطقة وحماية أمن «دولة إسرائيل اليهودية» التي تقوم بتصفية القضيّة الفلسطينيّة ، وماذا يعني غَيْر ذلك تصريحُ وزير البناء والإسكان الإسرائيلي «أوري ارئيل» مؤخراً لموقع صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيليّة الألكترونيّ «دعوني أكرر، في المنطقة ما بين البحر المتوسط ونهر الأردن ستكون هناك دولة واحدة، وهي دولة إسرائيل» .

هَلْ هذا كافٍ ليُدرِكَ مَنْ لم يُدْرِكْ بَعْد ، أيّ مَعركة يخوضها الجيشُ العربيُّ السوريُّ والدولة والشعبُ في سوريا؟ وأيُّ مَرارة يَتَجَرَّعَها مَن راهَنُوا على انهيار الدَّوْلةِ الوطنية قيادةً ومؤسسات في سوريا وهُم يُراقبُونَ بِغَيْظ كيف أنّ الشعب السوريّ يصمد مُلْتَفّاً حَولَ دولته وجيشِه وقيادته لِيُنْجزَ استحقاقَ انتخابات رئاسيّة ديمقراطيّة أبرزُ المُرَشَّحينَ فيها سيادَة الرئيس الدكتور بشّار الأسد؟ . وأنَّ هؤلاء الذينَ يُريدون لإسرائيلِهِم أن تنتصِر كما يهتف «دافيد وينبرج» سَتَنكَسِرُ

إرادتُهُم على صخرة صُمُود دمشق ، ولن يَبقى مِن كلام البروفيسور الصهيونيّ ماهُو قابِل للتّدُاوُلِ مُستَقبَلاً غير أنَّ «الربيعَ العربيِّ» كانَ مؤامَرةً مُتَوَحِّشَة لِتحطيم الأملِ العَربيّ بل الإنسانيّ بإيجادِ حَلٍّ عادل وشامل للقضيّة الفلسطينيّة جَوْهَر الصّراعِ العربيّ - الإسرائيليّ؟.

القضيّةُ الكرديّة بين حَماقتَين

1 -كُنْتُ دائماً ومازلتُ مُتَعاطِفاً مع القضيّةِ الكرديّة ، ولكن في الوقت ذاته آسِفاً على توظيف الصهيونيّة لهذه القضيّة ضدَّ العرب مُتكئةً إلى حماقةٍ عربيّة لامَسَتْ العنصريّة العرقية وإلى حَماقَة كرديّة لامَسَتْ الخيانة الوطنية ، ولئن حاوَلَ الرئيسُ صدّام حسين استدراكَ هذه الحماقة منذ كانَ نائباً بمَنْح الأكرادِ حُكماً ذاتيًّا لم يَحْصَلوا عليه لا مِن تركيا أو إيران أو سوريا ، كما أنّ الرئيس بشار الأسد استدرَكَ سياسةً هَمَّشَتْ الحقوقَ الكردية بمنح آلاف الأكراد الجنسيَّة السوريّة التي كانت مُعلَّقة منذ ستِّينات القرْن الماضي ، إلا أن الأكراد منذ مصطفى البرزاني اليمينيِ في العراق وصُولاً إلى صلاح بدر الدين اليساري في سوريا ارتكبوا خيانة مُزدوجة وطنيّة وقومية حين اتَّصلوا بالكيان الصهيوني واستقووا بهِ على سوريا والعراق ، خيانة وطنيّة لأنّهم استقووا بعدو خارجي على بَلدَيْن ينتمون إليهما ديمغرافيا وجغرافيا وقانونيا ، وخيانة قومية لأنَّهُم طعنوا أهمّ رموز الشعب الكرديّ «صلاح الدين الأيوبي» في الذَّود عن القدْس وتحريرها من براثن الصليبيين الذين تُمثّل الصهيونية ومشروعُها امتداداً مُعاصِراً لهم.

2 - مساء يوم 2013/2/2بثّتْ قناة فرانسا24 باللغة العربية (التابعة مثلها مثل إذاعة مونتيكارلو لوزارة الخارجية الفرنسية) برنامجاً عُنوانه (حديث العواصم) كان هذه المرَّة من «دُبيّ» عاصمة إمارات التآمُر المُتَّحِدَة على العرَب، شاركَ فيه إلى جانب صحفيّ يمنيّ المدعو «وليد الحاج عبد القادر» الذي عرّفتْه القناة بأنّه «كاتب ومحلل سياسي سوري» بينما عرّف نفسه كناشط كردي أقرب في مواقفه إلى «تآلُف الدَّوحة» الذي تُمَوِّله حاليّاً «الرّياض» ، برفقة المدعوّ «دريد البيك» الذي قدَّمَتْه القناة بصفته رئيس تحرير المسماة «غولف نيوز»، بينما قدَّمَ نفسَه كمُنافِح عن السياسة السعودية والخليجية الدّاعية إلى تقسيم سوريا مُستعينةً بجماعاتِ «الإسلام السياسي» السياسيّة والمُسلحة كجماعةِ الإخوان وداعش وجبهة النصرة وبأفرادٍ من المُرتزقة الذين يستثمرون صفتهم الدينيّة المسيحيّة من أمثال «جورج صبرا» و»ميشيل كيلو» أو صِفَتَهم المذهبية(العلوية تحديداً) من أمثال «منذرماخوس»، أو الذين يستثمرون انتماءهم العرقي من أمثال «وليد الحاج عبد القادر» ورُهوط الأكراد المنضوين تحت راية «إئتلاف الجربا» السعودية - الأمريكية كالسِّيدا وسواه من رموز الأوبئة.

3 - دُبَيّ كَمكانٍ حاضِنٍ لهذه الحلقة من البرنامج الفرنسي تؤكّد أنّها بعدائها للقرضاوي وقناة «الجزيرة» لا تخرج عن دورها المرسوم لها كأداةٍ في المشروع الصهيو أمريكي الذي تُمثل الآن الرياضُ وباريس سناناً مُزدَوجاً لِرُمْحه ، بل إنَّ «الإمارات» هذه تُمَوِّلُ الآنَ جريدة «العرب» التي كان يُموِّلُها نظامُ معمَّر القذّافي ، هذه الجريدة التي تحوّلت إلى وكر للمخابرات الإماراتية يُحَرِّضُ بإسفافٍ

على الدولة السورية بطاقم تحريري جديد وحلّة جديدة ،أي بحجم جديد على غرار صحف بريطانية مثل 'الغارديان'، واسلوب تحريري «وتبويبيّ حديث» ، وبمحاوَلَة لِتَغْطية دَوْرها الأساس الذي يستهدفُ الدولة السورية وقيادتها الوطنية .

هكذا تتضافَر الجهود الإستخباراتية الإماراتية السعودية الفرنسية التي في هذا السياق استقطبت «ميشيل كيلو» المخبر الفرنسي القديم ليقيم في عاصمةِ «النَّوَر» بتمويلٍ سعوديّ.

4 - إذَنْ ، وعَوْداً على بَدْء ، تركَّزَتْ حلقة برنامج قناة فرنسا24 من برنامج «حديث العواصم» على المسألة الكردية في سوريا ، فَشَنَّ «وليد الحاج عبد القادر» هجوما على «الإتحاد الديمقراطي» الكردي بزعامة «صالح مسلم» لأنه يرفض العدوان الخارجي على سوريا ، مثلما يرفض الانفصالَ عنها ويُطالب بحقوق الأكراد كمكوّن وطني للدولة السورية ، وعابُوا عليه انضمامَه إلى «هيئة التنسيق الوطنية» واتخاذه مواقف وطنية متميزة في وطنيّتها مُقارَنة بمواقف بقية مكوّنات «الهيئة» المتواطئة نسبياً مع «الإئتلاف» العميل.وقد بلَغَ الخطابُ الشعبوي المشبوه الذي روَّجَتْ له الحلقة حدّاً حضيضيًّاً من الإبتِذال أنْ تفوَّه «دريد البيك» بأنّ «سوريا فيها أكراد وعرَب وعليون ومسيحيون» مُتجاهلاً أنّ المسيحيين الغساسنَة و العلويين الحمدانيّين هُم الأسس التاريخية للعروبة في سوريا جينيّاً وثقافيا ونِضاليّاً ، بل إنّ هذا «البيك» الأخرق وصَلَ بهِ التهافُتُ أنْ قالَ لِصنوِّهِ في العَمالة والإرتزاق «وليد الحاج عبد القادر» مُتَحَدّثاً باسم مَن وراءَه «نحنُ مُستعدّون لِضَمِّ حلب إلى غَرْب كردستان» حاكّاً بذلك على جَرَب الأطروحة الإنفصالية التي كان يُروِّجُ لها «صلاح بدر الدين» أمين

عام حزب الاتحاد الشعبي الكردي في سوريا الذي اكتشفَ أواصِرَ قرابة له مع «إسحق مردَخاي»رئيس الأركان الإسرائيلي الأسبق (من أصل كردي عراقي) ففتح مكتبا لصلاح بدر الدين في تل أبيب قبل أن ينسحب «بدر الدين» من حزبه سنة 2003 ويقيم في «أربيل» عاصمة كردستان العراق و المركز الأبرز للموساد في المنطقة. علْماً أنّ «صلاح بدر الدين» هذا نشطَ في بيروت كماركسي كردي وكان يُلَقَّب ب «صلاح البارتي» وتمكّن مبكِّراً من اختراقِ « حركة التحرُّر العربية وخاصة الحركة الوطنية اللبنانية و بعض فصائل منظمة التحرير الفلسطينية». وأذكرُ أنّه عندما حاول التقرُّب من الشاعر السوري الكردي -باللغة العربية - سليم بركات في أحدِ مقاهي العاصمة القبرصيّة نيقوسيا في ثمانيناتِ القرن الماضي ، صرَخَ سليم مُتَطيِّراً «مُخابرات ، مُخابرات...» ، فَفرَّ «بدر الدين» من المقهى مَذعوراً.

تاريخٌ مملكة الأعراب والإرهاب السعودية الوهابية مُسَربَلٌ بالتآمُر على فلسطين والعرَب

ليس ماتشهده المنطقة حالياً من تنسيق علنيّ بين الرِّياض وتل أبيب ضدَّ دمشق الجدار الأخير للقضية الفلسطينيّة إلا حلقة جديدة في سلسلةٍ من العلاقات التآمُرية السريّة بين الكيانين الإسرائيليّ الصهيونيّ والسعودي الوهابيّ هدَفُه الإستراتيجيّ تصفية القضيّة الفلسطينيّة .

ولئن أسَّسَ «عبد العزيز آل سعود» لهذه العلاقة برسالةٍ أوْرَدَها الشهيدُ «ناصر السعيد» في كتابه (تاريخ آل سعود) كانت قدْ سبقت وعْدَ بلفور حيث كتب الملك «عبد العزيز» اعترافاً يمنح به ما لا يَملك ف «يُعْطي» فلسطينَ وطناً لليهود ، يقول نصُّه: (أنا السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود، أُقرّ وأعترف ألف مرة للسير «بيرسي كوكس» مندوب بريطانيا العظمى، لا مانع عندي من إعطاء فلسطين للمساكين اليهود أو غيرهم، كما ترى بريطانياً التي لا أخرج عن رأيها حتى تصيح الساعة» ، فإنّ هذه العلاقة التي سقاها بن غوريون بمَنْح عبد العزيز عشرينَ ألف جنيه من تبرُّعات يهود بريطانيا

وأوربّا تعزّزتْ لاحِقاً في أعقابِ حُدُوثِ ثورة اليمن عام 1962 بهدَف «مَنْع عدوِّهما المُشترَك» جمال عبد الناصر من إحْراز انتصار عسكريٍّ في الجزيرة العربية يَجعل الإحتياطيَّ النفطيَّ فيها تحت سيطرته ، حيث طلب الملكُ«فيصل» من إسرائيل التدخُّلَ لحمايتِه من « عبد الناصر» أثناء حرْب اليمن فقامتْ تل أبيب بشحْنِ كميّة كبيرة من الأسلحة مُستخدِمة الطائرات البريطانية العسكريّة، وأُلقيَتْ صناديقُ الأسلحة من الجَوِّ فوقَ مناطق الملكيين اليمنيين، كما أكَّد الكاتب البريطاني «فريد هاليدي» في كتابه «الجزيرة العربية بلا سلاطين». .ناهيكَ عن لِقاءاتٍ سرية مُتواصلة بين قادة سعوديين وإسرائيليين في أسبانيا والمغرب ورسائل مُتبادَلة بين تل أبيب والرياض كان يحملها خاصّة تاجرُ السّلاح السعودي «عدنان الخاشقجي» والصحفي الفلسطيني «ناصر الدين النشاشيبي». وكانت هذه العلاقات قد تطوَّرت على يد الخاشقجي إلى درجةِ إقامة مكتب ارتباطِ سُعودي - إسرائيلي تحت غطاء تجاري في بيروت. وفي هذا السياق التآمريّ أبْدى «آل سعود» استعدادَهم للاعتراف بإسرائيل مُقابلَ سَماحها لهُم برفع العلم السعوديّ على المسجد الأقصى، وعرَضوا على إسرائيل مبلغ خمسةَ مليارات دولار كرشوة، إلا أنَّ إسرائيل رفضت العرض السعوديَّ، وسارَعَ آلُ سعود كعادتِهم إلى نَفْي الخبر!.

وبعد انطلاقِ الثورة الفلسطينيّة سعَتْ الرِّياضُ إلى إخمادِ جذوتها بالبترودولار ، وحين تمكنتْ منظمة التحرير الفلسطينية من الحصول على اعتراف دولي بأنها المُمثِّل الشرعيّ والوحيد للشعب الفلسطيني لجأ آلُ سعود إلى مُناوَرة جديدة حيث قدَّموا أوَّلَ مُبادرة عربية رسمية تعترف بالكيان الصهيوني طرَحها الملك فهد بن عبد العزيز في قمة

فاس 1982 ، وعُرفت لاحقا بالمبادرة العربية للسّلام ، تمهيدا لِمَسار التطبيع الذي شهدتْه الدُّوَلُ العربيّة مع إسرائيل ، وتتضمَّنُ البُنُودَ التالية:

أولا: انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربيّة التي احتلتْها في العام 1967، بِمَا فيها القدس العربيّة. ثانيا: إزالة المستعمرات التي أقامَتْها إسرائيلُ في الأراضي العربيّة بَعد العام 1967. ثالثا: ضمان حريّة العِبادة وممارسة الشعائر الدينيّة، لِجميع الأديانِ في الأماكنِ المقدَّسة. رابعا: تأكيد حَقِّ الشعب الفلسطينيّ وتعويض مَن لا يرغب في العودةِ. خامسا: تخضعُ الضفة الغربيّة وقطاع غَزّة لفترة انتقاليّة تحت إشراف الأمم المتحدة، ولمدّة لا تزيد عن بضعةِ أشهر. سادسا: قيام الدولة الفلسطينية المستقلة بعاصمتِها القدس.

وأعادَ وليُّ العهد عبد الله بن عبد العزيز طرْحَ هذه المبادرة بشكلٍ رسميّ في قمّة بيروت العربية سنة 2002،وجاء رَدُّ «إسرائيل» عليها من قِبَلِ رئيس وزرائها شارون بالقول: «إن المبادرة لا تساوي قيمة الحبر الذي كتبت به».

إلاّ أنّ الرياض لم تبذلْ عمليًّا أيَّ جهْد حقيقي لفرْضِ هذه المُبادرة على تل أبيب ، بل على العكس من ذلك تماماً كانت تقفُ علناً في المَفاصِلِ الرئيسية من الصِّراع العربي الإسرائيلي إلى جانب العدوِّ الصهيونيّ ، فإلى جانب دَورِها المِحوَريّ في التآمُر على العراق وغزْوِهِ واحتلالِه وتدمير جَيشِه في سِياقِ خدْمة الأمْن الإستراتيجيّ للكيان الصهيونيّ ، وقفتْ إلى جانب العدوّ الصهيوني في حرْب تمُّوز / جويلية 2006 ، حيث أُصدرتْ بياناً حمّلت فيه «حِزبَ الله» مسؤولية الحَرْب «وعليهِ أن يتحمَّل وحدَه مسؤولية مُغامُراته» ، كما ضغطتْ

الرياض باتّجاهِ تأجيل النظر في تقرير غولدستون في محاولةٍ لإنقاذ «إسرائيل» من مُحاكمتها على ارتِكابِ جرائم ضدَّ الإنسانيّة في حرْبها على غزّة سنة 2008-2009 وإشعال فتنة فلسطينية - فلسطينية، وصُولا إلى التآمُرِ على سوريا ومحاولة عَرْقَنَتِها وتدمير جيشها حِمايةً لأمْنِ «إسرائيل» وبغيَة تَصفيةِ القضيّة الفلسطينية ، ذلك أنّ الرياض لا تتبنّى عمليا المبادرة التي أُطلقها ملكها وولي عهدها في فاس وبيروت بل تتبنّى وجهة نَظر «بندر بن سلطان» منذ كان سفيرًا للرياض في واشنطن التي تتماهى مع وجهة النظرِ الإسرائيلية ، أي إقامة اتحادٍ كونفيدراليٍّ بين الأردن وفلسطين ينتهي إلى أنَّ الأردن هُوَ الوطن النهائي للفلسطينيين.

وفي المقابل برزتْ مملكة آل سعود الوهابيّة كأكبر مُمَوِّل للجّماعات الإسلامية الإرهابية المتشدِّدة مثل تنظيم القاعدة وحركة طالبان الأفغانية، وجماعة عسكر طِيبَة في جنوب آسيا ، فضلا عن أنّ الجِّهات المانحة في مملكةِ آل سعود تشكِّلُ أهمَّ مَصدر للتمويل لجماعاتٍ سنِّيَّة إرهابية في جميع أنحاءِ العالم، بل إنَّ مُعظم الإرهابيِّين في العِراق كانوا سُعوديين إلى جانب كويتيين وقطريِّين وإماراتيين ، ذلك أنّ تمويلَ «شبكة حقاني» تؤمِّنه جِهاتٌ داخل الإمارات العربيّة المُتّحدة. كما تلقَّت المؤسساتُ التعليميّة لِلكبار والصِّغار حَوْلَ العالم الإسلاميّ أموالاً سُعودية طائلة لِنَشْرِ المذهَب الوهّابي السّائد في المملكة ، ومع ذلك تنفي السعودية اتِّهامَها بأنها تروِّج للتطرف الديني أو الثقافي . وقد عَزا بعضُ المؤيِّدين لسياسةِ الولايات المتحدة الخارجية بعد تصاعُد خطاباتٍ من اليمين الأميركي بوجُوب استهداف المملكة عسكريًّا، ذلكَ إلى إخفاقٍ سعودي في

السيطرة على الإرهابيّين وليس سياسَةً مُمَنْهَجَة من قِبَلِهم .ولكن إذا كانت السعودية قد نَجَحتْ في التخلّص منهم عسكرياً داخلَ أراضيها فإنّ معارضين سعوديين مثل محمد المسعري أكَّدوا أنّ مايُسَمَّى بالتنظيمات الجهادية خارجَ المملكة في العراق أو اليمَن مُخْتَرَقة إستخباراتِيّاً لِتنفيذ أجندات سعوديّة ، و في ذات الوقت، لم يَنْفِ الأميركيون التعاوُنَ السعوديَّ معهم في هذا الجانب حيثُ ثمّة قاعدة أمريكية داخل المملكة لانطلاقِ الطائرات بدونِ طيَّارٍ لِضرب أهدافٍ تعتبرها الولايات المتحدة مُهدِّدة لمصالحها.

وبَدْءاً مِن ماي/أيار 2003 حتى نوفمبر / تشرين الثاني 2012ذاقتْ مملكةُ آل سعود سُمَّ الإرهاب الذي صنعته فاستهدَفتْ السيارات المفخخة المُجمَّعات السكنية والنفطية والصناعية والدبلوماسيّة الأمريكية خاصّة ، واغتيل رجالُ أمنِها لدرجةِ أنّ عام 2009 شهد محاولة اغتيالِ فاشلة للأمير محمد بن نايف مساعد وزير الداخلية السعودية، نفَّذها عبدُ الله طالع العسيري الذي كان يشكّل الرقم 85 على قائمة المطلوبين أمْنِيّاً، واستخدَم فيها تقنية الجوّال في محاولة الاغتيال الفاشلة قبْلَ أن يُقتل ، كما اغتيل فيها عرَبٌ وأجانب على غرار المصوِّر التلفزيوني الإيرلندي «سيمون كامبرز».

وعلى الرغم من ذلك تُواصِل الرياضُ دورها كمركز للإرهاب في المنطقة ، فتُمعِن في التورّطِ في دَم الشعب العراقي مُرسِلة إليه الإنتحاريين والسيارات المفخخة للمزيد من العبَث بأمنه الهشّ،وتُرسِل الدُّعاة الوهابيين التكفيريين وتدعم السلفيين الجهاديين في تونس ، وتُحاول المناوَرة على النظام الجديد في مِصر لإجهاض صَحْوَته الوطنيّة والقوميّة الديمقراطية ، وتُساعِد النظامَ الملكي البحرينيّ

على سَحق انتفاضةِ الشعب البحرينيّ الإصلاحيّة ، وتزيد في تسعير الفوضى «الخلاقة» في اليمَن ، وتُضرِم حرائقَ حربٍ طائفية في لبنان، وتُواصل حربا معلنة ضد الدولة الوطنيّة في سوريا ، فإضافة إلى مِئاتِ الإرهابيّين السعوديين الذين سَحقتْ رؤوسَهم الخبيثة أقدامُ بواسلِ الجيش العربي السوري يَستعدُّ عَرْشُ الشرِّ المُستطير في الرِّياض لتشكيلِ مايُسمى جيش محمد «عبد الوهاب؟» من 250 ألف مُسلَّح لإطالةِ الحرْبِ على سوريا وفيها إلى بَعدِ عام 2016 حسب أمانيهم الخائبة، بَيْنَما باتتْ دُوَلُ العالم كافَّة تقريبا مُقتنِعة بضرورة إيجاد حلّ سياسي للأزمةِ في سوريا.

وعلى الرغم من أن «جون كيري» وزير الخارجية الأمريكي خاطبَ الملك الضِّليل «عبد الله بن عبد العزيز» في قصْرِه بالرياض يوم 2013/12/2 قائلا : «المسألة في مِصر ليست كما هي في سوريا فالشعب المصري بأسره كانَ ضدَّ مبارك والجيش تخلى عنه، الوضع في سوريا مُختلِف فالنّواة صلبة وغالبيَّةُ القيادةِ مع بشار وله وَزْن وقوّة في الشارع السوري وهناك حُلفاء إقليميّون ودوليّون لم ولن يخذلوه لأنهم يُدافعون عن أنفسِهم. عليكم يا صاحب الجلالة أن تقرؤوا الواقع كما هو فنَحن أكثر عداوَة منكم تجاه نظام بشّار ولكن نحن واقعيُّون ويجب علينا أن لا نُضَحي يوميًّا بمِئاتِ من الشعب السوري. ما عجزنا عن تحقيقِه عسكريًّا يُمكِن أَنْ نُحقِّقه على طاولةِ المُفاوَضات لِنُحاول جميعاً، جنيف يا جلالة الملك سيُعقد سواء شاركتُم أم لم تُشارِكُوا ولكن أؤكِّد أن حضورَكم مُهِمّ وسيُشكِّل عُنصراً فاعلاً في تقليلِ مكاسبِ النظام. الكلُّ في العالم مُجْمِع على أهميّة عَقد جنيف 2 وأنا الآنَ أخبركم أن أمامَكم شهرين أو ثلاثة لموعِد انعقاد

المؤتمر ، افعلوا ما تريدُون وإنْ حقّقْتم مكاسِبَ فهذا شيءٌ عظيم نحن مُهتمُّون أن يصلَ بشار الأسد إلى جنيف 2 خاسِراً ومُنْهَكاً ولكن جنيف 2 يجب أن يعقد. يا جلالة الملك إن هناك إجماعاً عندَنا بأنّ السياسة الأمريكية الآن هي تجنُّب القِتال والحروب في أيِّ مَكان مُمكن والدَّفْع بالدبلوماسيّة والحِوار والحُلول قدْر الإمكان. لإيجادِ حَلٍّ سِياسِيٍّ للأزمة في سوريا».

على الرغم من ذلك يلهث مَلكُ الرّمال خلفَ سَراب صهيونيّ يُوهِمُه بأنّه قادِرٌ على إنجاز ما لم يُنجَزْ بقيادَةِ قَطر وتركيا، أَعْنِي إطاحة النظام الوطنيّ في دمشق ، وتقديم الجيش العربي السوري الذي تتنزّل قضية تحرير فلسطين في صلب عقيدته القوميّة، قرْباناً في مِحْرابِ أمْن الكيانِ الصهيوني الإستراتيجي.

وإذا كان قادةُ الرياضِ يُكابِرُون فلا يُصغون إلى تحذير قادةِ دمشقَ مِن أنَّ «العدوانَ الإرهابي على سوريا» لا يُمكن أن يُحققَ نتائجَه لأنّه لا يَملك أي مُبرّرات أو مَشروعية، وأنّ الدولَ التي تدعمُ الإرهابَ، وفي مُقدّمتها السعودية وقطر وتركيا «لم تترك طريقة إلاّ استخدمَتْها ولم يَعُدْ بِوِسْعِها فِعل أكثر مِمّا فعَلتْهُ إلا الإستمرار في سُلوكِ طريق دَعْم الإرهابيين ، وهذا له انعكاسات خَطِرَة ليس على سوريا فقط بل علىَ تلكَ الدُّوَل والأمْن الإقليمي للمنطقة.» ، فإنّ أهالي الإرهابيّين السعوديين الذين أرْسَلَهم «بندر بن سلطان» إلى المَوت المُحَتَّم على الأراضي السوريّة قد تكون لهُم كلمتهُم التي ستهزّ العَرْشَ السعوديَّ بعُنفٍ عاصِفٍ.

آلُ سعود : يزرعونَ عندنا الإرهابَ لِيَحْصِدوا عنْدَهم اليَبَاب

تَغَيَّرَتْ مُعْطَياتُ الأزمةِ السوريّة تَغَيُّراً جذرياً على المستوياتِ المحليّة والإقليميّة والدوليّة ، بفَضْلِ إنجازاتِ جيشنا العربي السوري الباسل مَيدانياً في مُواجَهةِ قطْعانِ الإرهابيين التكفيريين ، والكيفيّة التي أدارَتْ بها القيادَةُ الوطنيّة السورية هذه الأزمة بصبْرٍ وَنَجاعَة على مُخْتَلَفِ الأصعدَة تقريباً ، وبفَضْلِ الوقفةِ الصّلْبَة طويلَة النَّفَس التي وَقَفَها أصدقاؤنا الإقليميون(حزب الله وإيران خاصة) والدّوليون (روسيا خاصة إلى جانب الصين ودول البريكس والتحالف البوليفاري تتقَدَّمُهُ فنزويللا) سياسياً وعسكرياً واقتِصادياً.

ولعلَّ أبرز هذه التّغَيُّرات سقوط الأوهام والأقنعة التي كانت تُصَوِّر الأحداث التي تشهدها سوريا منذ مارس/آذار2011وكأنّها «ثورة شعبيّة» لِتَنْكَشِفَ أمامَ الوعي الجَّمْعِيّ لِشعبنا السوري وعلى مَرأى مِن الرأي العام العربيّ والدوليّ على حقيقتِها البَشِعَة ، حقيقة كونها مؤامرة تهدفُ إلى تدمير الدّولة السورية وتمزيق الأواصِر المُجتمعيّة بين مكوّنات شعبنا المتنوّعة والتي تنصَهرُ في بوتَقةٍ حَضاريّةٍ عريقة

قَدَّمَتْ نَمُوذَجاً للبشريّةِ عبْر التاريخ في التعايُشِ الإيجابيّ المُنْتِج لِمَعاني التّلاقُح الخَلاق مَعْرِفِياً وإبداعِياً في مناخ مِن الأمْن والتآخي والسَّلام . كما تهدفُ إلى التخلّصِ مِن العقبة الكَأداء التي تقفُ دُونَ فَرْض حَلٍّ صهيونيٍّ لِلصِّراع العربي - الإسرائيلي ، وَهَدْم الجِّدار الأخير الذي يَحُول دُونَ تَعاظُم «تسونامي» تكفيري إرهابي يَرْمِي إلى إشاعةِ الفوضى الخلاقة صهيوأمريكياً في أرجاءِ المَعْمُورة.

وَمِن هذه التّغيُّراتِ التي جاءت كتداعياتٍ لِلوَعي الوطنيّ الجديد الذي فَرَضَه صُمُودُ دِمَشْقَ قلب العروبة النابض وعاصمة التاريخ الأبديّة ، في وَجْه المؤامرةِ الكونيّة التي كان الأعرابُ الوهّابيون والأتراكُ العثمانيُّون أسِنَّةَ رِماحِها الغادِرَة : سقوط حكم «الإخوان المسلمين» في مصر واستعادة شَعب أرض الكنانة مَسْكَ زمام مصائرِهِ بقبضةِ إرادته الوطنية ، وانكشاف حقيقة «حركة حماس» الإخوانية التكفيريّة الإرهابيّة عندما زجُّتْ بقدراتِها القِتالية التي مكّنَها مِنها تحالُفُ المُقاوَمة والمُمانَعَة لمواجَهَةِ العدوّ الإسرائيليّ ، في حَرْبٍ قذِرَةٍ ليس فقط ضدَّ الجيش العربي الأوّل في سوريا والثاني والثالث في مصر ،بل أيضاً ضدّ المُخيّمات الفلسطينية في سوريا ولبنان التي يُرادُ بتدميرها إزالة أهمّ المرجعيّات التي تأسّسَ عليها وَتَعَمَّقَ وَعْيُ حقّ العودة المَشروع لشعبنا الفلسطيني.

كما أنَّ مِن هذه المُتَغَيِّرات ماشَهِدَتْهُ تونس مِن إزاحَةٍ لحركةِ النهضة الإخوانية التي لم تُقَصِّر في سَفْكِ دَمِ الشعبين السوري والتونسي بتجنيدِ الإرهابيّين واغتيالِ المناضلين - عن سدّةِ الحكم ، وإعادَة مَشْيَخَة قَطَر التي تَهَتَّكَت في تدبيرِ المَجازر ضدَّ شعبنا في ليبيا وسوريا والذهاب بعيدا في مؤازرةِ عدوان «إسرائيل» الإستيطاني على

الشعب الفلسطيني . .إعادتها في مرآةِ حكّامِها إلى حجمِها المجهَريّ ووَزْنِ الذُّبابة .

ومنها ما تشهده تركيا مِن حِراكٍ شعبيّ وحزبيّ داخِليّ مُناهِض لِحكومةِ أردوغان العثمانية ومِن عزْلةٍ إقليميّة ودوليّة دَعَتْها إلى التراجُع النّسبيّ عن اندِفاعِها العدوانيّ غير المَسْبُوق في تأمين كُلّ أشكالَ الدّعم لإيصالِ الإرهابيين إلى الأراضي السورية وَخُرُوجِهِم منها ، فَعَلى الرّغم مِن تَواصُلِ تأمين دُخُول هؤلاء التكفيريين وتقديم الدَّعم الإعلامي والسياسي واللوجستيّ والسلاح والمال لهم ، فقد تمَثَّلَ هذا «التراجُع» بحرْمان هؤلاء الإرهابيين مِن إمكانية العودة ثانيةً مِن الأراضي السورية إلى الأراضي التركية أحياءً أو قتْلى.

وَمِن تداعِياتِ الصّمود السوريّ أيضاً كَساد مايُسَمّى «جامعة الدول العربية» في سُوق السياسة الدولية ، فَبَعد أن أمعَنَتْ في طَعْنِ ظَهر كُلٍّ مِن العِراق وليبيا وسوريا ، باتتْ «جامعَةُ أدواتِ الإرادة الأمريكيّة» هذه خِنْجَراً خِيانِياً صَدِئاً لا يجدُ شارياً له حتى بين مُرتاديّ دكاكين الخرْدَة السياسية.

وَمِن التداعياتِ كذلك الصِّراعات الدّامية الناشبة بين قطعانِ التكفيريين الذينَ تَنادَوا أو «تَعاوَوا» مِن أصقاعِ الأرض إلى الداخل السوريّ ، فيَنُوشُ بعضُهُم لحمَ البعض الآخَر ، وأيضاً بين مجموعاتِ الخَوَنَة المُرتَزِقَة التي تَسَمِّي نفسَها «مُعارَضَة الخارج» حيث انْفَضَّ «مجلسُها» وارْفَضَّ «ائتلافُها» على عتباتِ مؤتمرِ جنيف2الذي باتَ المَرجوّ منه دَولياً وَضْع خطّة لِمُكافَحَةِ الفَيْض التكفيريّ الإرهابيّ الذي يُهَدّد دُول العالم كافّة.

وهكذا اخْتار ملك وأمراءُ آل سعود أن ينفردوا بتناوُلِ طَبَق الشّواء البشريّ هذا ، وشرب دَم الضحايا إلى أن يغصّوا به، تؤازِرُهُم في ذلك فرنسا التي تحوّلَت إلى دولة ترتزق ببيع مصانعِها لإنتاج الأسلحة وتقدِّمُ لِمَن يشتري أسلحتَها ضميرَها الميت وشعارات ثورتِها المهترئة هديّة يعْجز عطرُ باريس عن إخفاء رائحتِها الكريهة ، ومثلها مملكة الأردن «الهاشميّة» التي تؤجِّر ترابَها لتدريبِ التكفيريين الإرهابيين وتأمِين تسلله إلى دُوَلِ الجِّوار المُستَهدَفَة.

ولقد تمَكَّنَ آلُ سعود كذلك مِن أن يَجذبوا برائحةِ البترودولار ضِعافَ النفوس مِن المُتاجِرين بهذِه البضاعةِ الأيديولوجية أو تلك ، مِن سُلالةِ يهوذا الأسخريوطي، الذين يخونون دَمَ الشهداء مِن رِفاقِهِم الأيديولوجيين قبل أن يَخونوا أوطانَهم وشعوبَهم ، فَور أن يُدْفَعَ الثمن الذي يرونه مُناسِباً ، كما هو حال «ميشيل كيلو» اليساري السوري الذي يبحث عن قواسم مُشتَرَكة مع التكفيريين ، ومثله «القومي» العراقي (عزّت الدّوري)الذي لم يَجِدْ غضاضةً في أن يهذي في حوار أجراه معه «ابراهيم سنجاب» ونشرته دوريّة «الأهرام العربي» المصريّة مؤخرا:

«أما المملكة العربية السعودية، فهى اليوم تمثل قاعدة الصمود والتصدّي لكلّ المؤامرات والمحاولات التى تستهدف الأمة هوية ووجوداً، ولولا المملكة العربية السعودية لهيمنت إيران الصفوية على دول الخليج هيمنة مطلقة، ولعانت فساداً فى هذه المنطقة الحيوية من وطننا وأمتنا.

فحيّا الله المملكة وحيّا الله دورها المشرف ومواقفها الإيمانية العربية الأصيلة من ثورة الشعب السورى ومِن البحرين والخليج

عموماً، ومِن شعب العراق وثورته ومن شعب مصر وجيشه وثورته ومن اليمن وفلسطين ولبنان والصومال، وحيث ما يوجد التهديد الحقيقي للأمة و مصالحها الأساسية».

هكذا يقفز هذا «الدوريّ» الأحمق من خندق إلى خندق مضادّ ، مُتجاهِلاً الدور السعودي الإجرامي في حصار العراق وتدميره واحتِلاله وإسقاط النظام الذي كان «الرجل؟» الثاني فيه ، كما يغضّ درويش الطريقة النقشبنديّة الطّرفَ عن الدّور السعودي في تسليم الشهيد صدام حسين «رفيقه وقائده» ، قبل أن ينضوي تحت لواء العاهل السعودي الذي خلَعَ عليه العام المنصرم في كلمة مسجّلة بالصوت والصورة أفخم الألقاب - إلى جلاديه الأمريكان وعملائهم؟ هل كان صدّام حيسين وهو يصعد إلى مِقصلة الشهادة فارسا كريما يتوقّع أنّ وريثَهُ أمَّعة كالذي ورثَ جمال عبد الناصر، ولكنه أشدَّ ذلّة وامتِثالا لأعداء العراق عندما كان يقودُه صدّام حِسين.

لاشكّ عندي في أنّ رهانَ آل سعود على هذه التحالفات الخرقاء آيِلٌ إلى خُسْرانٍ مُبين ، ذلك أنّ فرنسا ميتران التي كانت بين الدول الغرْبيّة الحليفَ الأقرب إلى النّظام العراقي في حربه ضد إيران سرعانَ ما اصطَفّتْ إلى جانب الولايات المتحدة عندما أعلنتْ الحربَ عليه ، كما أنّ فرنسا التي موّلَ الشهيد «معمّر القذافي» الحملةَ الإنتخابيّة لرئيسها السابق «ساركوزي» سُرعانَ ما قادَتْ في ظلّ حكم «ساركوزي» نفسه، حربَ «الناتو» على نظام الجماهيرية الليبية إلى أن أطاحت به واغتالتْ «صديقها» السابق «معمر القذافي» ، وفرنسا هذه ابتلعَتْ «استثمارات» مَشْيَخَةِ قَطَر ورَشاويها المالية كي تُعاضِدَ الدّوحة في حَرْبها المسعورة على سوريا ، لكنها سرعانَ ما أدارت

ظَهْرَها لأمراء آلِ ثاني باشّةً بوَجْهِ خُصُومِهم من آل سعود طامعة بعروضِهم السخيّة لِذات الدور المُعادي لِدمشق بَعْدَ أن انتقل ملفّ تنشيط وتمويل المؤامرة على سوريا مِن الدّوحة إلى الرياض.

كما أنّ «المملكة الهاشمية» التي طالبَ ملكُها السابق «حسين بن طلال» بعرش «أجدادِهِ» الذي استولى عليهِ آل سعود ، خلالَ نَشْوَةِ تَقَرُّبٍ مَشْبُوهٍ من الرئيس صدام حسين الذي كانَ يقودُ سيارته الشخصية بضيفهِ الملك ويتجول به في شوارع بغداد، كما أعادَ الاعتبار للملك غازي من أجلِ عينيّ الملك حسين ، وتنازلَ عن أرضٍ عراقيّة شاسعة لتسويةِ نِزاعٍ حدُوديٍّ مع الأردنّ ، وزوّدَه بالنفط العراقي مجانا إلى أن سَقَطَت بغدَّاد التي كان الأردن أحد المواقع التآمرية التي انطلقت منها القواتُ الأمريكية لاحتِلالِ العِراق سنة2003.

ولَن يكونَ مَرْدُودُ الرّهان السعودي على التكفيريين الإرهابيين أفضل ، ذلك أنَّ تداعيات دَعْم آل سعود لتنظيم «القاعدة» بزعامة أسامة بن لادن مازالت ماثلةً لِعَيَان شَعْب نَجْد والحجاز، ولا أظنّ أنّ العمليات الإرهابية التي شهدتها المملكة والتي نفَّذَها أبناؤها العائدون من أفغانستان في العقد الأوّل من القرن الحالي ، امَّحَتْ مِن الذاكرة الجمعية لآلِ سعود ومحكومِيهِم.

وإذا كانَ آلُ سعود يأملونَ بأنّ سياسة التجهيل والتضليل التي يمارسونها على «رعاياهم» كفيلة بغَضِّ أبصارِهِم وَبَصائِرِهِم عَن هَدْرِ ثَرَواتِهِم الوطنيّة على مَفاسِدِ أميرات وأمَراءِ العائلة الحاكمة ، وتمويل حروب في خدمة المشروع الصهيوأمريكي كالحرب على أفغانستان والعراق وليبيا وسوريا ، بينما يجد هؤلاء «الرّعايا» أنْفُسَهُم بلا حَولٍ ولا قوّة إزاء الكوارث الطبيعيّة كالسُّيولِ الناجمة عن الأمطار الغزيرة

التي تهدمُ بيوتهم الهشّة وتزهق أرواحَ بعضهم ، فإنّ تَراكُمَ الظُّلم لابُدَّ أن يتحوَّلَ إلى وَعْي غاضِب ، وَرَدَّةِ فِعْل نَوعِيّة تُودِي بعَرْش آل سْعُود إلى الهاوية السحيقةً التي تليق به ، خاصَّة بَعْدَ أن باتَتْ أرواح أبنائهم المُغَرَّر بهم بآلَةِ الدّعاية الوهابية التكفيريّة تُزْهَقُ تحت أقدام أبطال الجيش العربي السوريّ.

وإذا كان السيلُ الشعبيّ العارِم يبدأ بقطرة دم ضحيَّة تسيل هُنا ودمعةِ مظلوم تسيل هُناك ، فإنّ قطراتُ البداية بدأتْ تكوي وتهزّ عرش ملك الضلالة في الرّياض ، وقد بدأ تظهيرُ ذلك على شاشة قناة يُمَوّلها آلُ سعود أنفسهم ، عندما شَنَّ «داوود الشريان» رئيس تحرير برنامج «الثامنة» الذي تمّ بثه مساء الأحد 2014/1/19 على قناة «أم بي سي» ، هجوماً كاسحًا على بعض الدعاة السعوديين الذين وصفهم ب «أبطال تويتر» متهمًا إياهم بالتغرير بأبناء السعوديين والزج بِهِم في الحرْب السورية ، في مُحاولة لتقديم الدعاة الحمقى أكباشَ فداء للعائلات السعودية التي يُرسَلُ أبناؤها إلى القتال في سوريا بتدبيرٍ وإشرافٍ مُباشَر من رئيس المخابرات السعودية «بندر بن سلطان». وقال الشريان حرفيا: « الشيخ صالح الفوزان لما تحدَّث عن الحرب السورية وذكَرَ أنها مَوْطِنُ فتنة، صَمتَ سلمان العودة ومحمد العريفي وسعد البريك ومحسن العواجي، ويدورون حَوْل الحِمى، أنتم من غرَّر بأبنائنا ويجب أن تُحاسَبوا ويحاسبكم المجتمَعُ، من الحرب الأفغانية وأنتم تشحنون أبناءنا وتزجّون بهم في حروبٍ كافرة لا نعلم مَن بدأها ومَن الذي أنهاها».

وأضاف «الشريان» ضخّه « ارحمونا واتقوا الله فينا، ولا واحد من أبنائكم ذهبَ للحرب، ألستم تقولون بأنّها الجنة، اذهبوا إليها ونحن

وراءكم، كلّ واحد من هؤلاء الدعاة يُغرِّد في تويتر ويُحرِّضون الشبابَ على الجهاد وعدنان العرعور يطبِّل لهم، مَن الذي أتى بالعرعور للبلد وكيف للقنوات الدينيّة أن تستضيفه، لن نسكتَ مادام أبناؤنا يَموتون في حَرْب كافرة، وسنستمرّ على هذا الموضوع حتى تُحاسَبوا، فلتُّم في العراق ومن قبلها في أفغانستان ولن تفلتوا في سوريا» .

إذَنْ ، ماعلى آل سعود الذينَ يُفاخِرُونَ برعايةِ الإرهاب التكفيريّ إلاّ أن يتلمَّسوا أعناقَهم المُتَوَرِّمة التي ستغصّ حتى الاختناق بمزيج مُزْدَوج في خطيئته وعقابه مِن دِماءِ الضحايا السوريين الأَبرياء ودماءً القَتَلَةِ/القَتْلى مِن السعوديين الذين زُجَّ بهِم في حَرْبٍ بعيدةٍ عن دِيارهم وعَن ضالّة المُسلم الحقّ إلى الشهادة الحقة ، أعني عن القدس المحتلة حيث «أولى القبلتين وثالث الحرمين» التي يَجري تهويدُها، ذلك أنّ ذويّ هؤلاء الذين ضلوا الطريقَ الصحيحة إلى الجنّة سيُرسِلون آل سعود وخَدَمَهم دُعاة الفتاوي الشيطانية إلى الجحيم ، وإني لأرى بِعَيْنِ الحَدْس ذلك يحصل بثورةٍ شعبيّة تختمِرُ في كلِّ بيتٍ سعوديٍّ ناءَ بضَيْم تاريخيّ تتوارثُه الأَجيالُ، وستنفجرُ في المدى المنظور مُحَوِّلَةً قصُورَ آل سعود إلى قبور تنبتُ عليها زهورُ ربيعٍ عربي جديد وحقيقيّ يبدأ مِن أنقاض «مملكة الرمال».

واشنطن تستأنفُ سياسة التدخّل العدوانية في شؤون الدول «الضدّ» لِفَرض سياستها الصهيونية بالإرهاب

1 - على الرّغْم مِن مُحاوَلةِ إدارةِ «باراك أوباما» (الديمقراطية) إيهام العالَم بأنّها افْتَرَقَتْ عن سياسةِ «جورج دبليو بوش» (الجمهورية) الخارجيّة القائمة على شعار «مَن ليس معنا فَهُو ضدّنا» وبالتالي يُصبح هذا «الضدّ» مُباحاً للتدَخُّلِ الإستخباراتي والعسكري الأمريكي والغَربي عموماً في شؤونِ «الضدّ» الداخلية ، مِن خِلالِ الاتّكاءِ إلى ذَرائع شَتّى كالحَرب الدّولية على الإرهاب حيث تتكَفَّل المُخابراتُ الأمريكيّة وتوابعُها عَبْر العالَم بزَرْعِ الإرهاب في الدُّوَلِ المُستَهدَفَة تمهيداً للتّدَخُّل بدَعْوَى مُكافَحَته ، أو كالإدِّعاء بأنَّ تلك الدُّوَل المُستهدَفة تمتلك «أسلحة دَمار شامل» تُمَثِّل خَطَراً إقليميّاً أو دَوليّا كما كان حال ذريعة «أسلحة الدّمار الشامل العراقية» التي اعترَفَت واشنطُن لاحِقا بعْدَ خَراب البصرة ومُعظَم مُدُن بلاد الرّافدَيْن ، بأنّها اخْتَلَقَتْ هذه الأكذُوبة لِتُسَوِّغ غَزْوَ العِراق واحتلاله بَعدَ فَرْض حِصار ظالمٍ على شعبه دامَ ثلاثَ عشرة سنة تَسَبَّب في هَلاكِ أكثرَ مِن مليون

طفل عراقيّ ، وفي العام المُنصَرِم شَهَرَتْ على دمشقَ ذريعة امتِلاكِها أسلحة كيميائية فتمكّنت عاصمةُ الأمويّين وحلفاؤها مِن إخمادِ مَفاعيل هذه الذريعة بموافقةِ سوريا على مُبادَرة روسيّة تحمّستْ لها واشنطن ، للتخلّص مِن مَخزون سلاح كيميائي استراتيجيّ غيْر قابل للاستِخدام أصْلاً وبات عبئاً على الدولة السورية ، مروراً بذريعة تصدير «الديمقراطية الغربية» التي تقوم على المعايير المزدوجة والكَيْل بمكياليْن ، بمعنى أنّ الديكتاتورية في أبشع وأقسى تمظهراتها تُصبح حميدة عندما يكون النظامُ الديكتاتوري حليفاً لواشنطن ويجري توظيفه في خدمة مصالحها ومشروعها الصهيوني ، كما هو حال أنظمة الكياناتِ الخليجيّة والكيان الأردنيّ تمثيلا لا حصْراً، بينما تَغْدُو شُبْهَةُ الدكتاتوريّة مَدعاةً للتدخُّل الأمريكي الغربيّ الصهيونيّ بالوكالة أو أصالة كما حصَلَ في تونس ومصر وليبيا واليمَن ويحصُل في سوريا وفنزويلا وأوكرانيا والجزائر ، وصُولاً إلى ذريعةِ «التدَخُّل الإنساني» عندما لاتأتي الذّرائعُ السابقة أُكُلَها ، حيث نلاحظ الآن كيف تسعى واشنطُن وحلفاؤها إلى التذَرُّع مُجَدَّداً في مُقاربَةٍ يائسة للملفّ السوريّ بالوضْع «الإنسانيّ» للإرهابيّين المُحاصَرين أو المدنيين الذين يتخذونهم «دروعاً بَشريّة» ، بَعْدَ أن تقَطَّعَتْ بها - حتى الآن - السُّبُلُ المُتَغَطْرِسَةُ والمَاكِرة دُون الوصُول إلى فَرْض الإرادة الصهيو أمريكيّة عليه ، والتَفَّتْ حِبالُ الجيش العربي السوريّ على أعناقِ المكائد الإجراميّة التي اسْتَهْدَفَتْ «قلبَ العروبةِ النابض» مَكِيدَةً تلوَ مَكيدةٍ أخرى.

2 - بَعْدَ أن اجْتاحَ «تسونامي الربيع الأعرابي» التآمُري تونسَ ومِصْرَ وليبيا لِيَنْكَسِرَ زخَمُهُ التضليليّ وأمواجُهُ الدّامية المُتَوَحِّشة على

صَخْرةِ الصُّمُود السوريّ الإعْجازيّ بقرابينه وآلامه ، وفرغَتْ جعْبَةُ الإدارة الأمريكيّة مِن سيناريوهات التّدَخُّل في الشأن السوريّ بالوكالة، وانكَفأت إلى جحورها ذئابُ الوُكَلاء القَطَريّة - التركيّة ، فالسعوديّة - الإماراتيّة ، وصُولاً إلى الزجِّ بالضَّبْع الأردُنيّ وكيلاً قديماً جديداً في صَدارَةِ هَجْمَة أخيرةٍ - خاسرة بعَونِ الله وشعبنا وجيشنا الباسل - يَرْمِي فيها المايسترو الأمريكيّ بكُلِّ ثِقَلِه بَعْدَ نَشْر أدَواتِه الفاشلة ، عَساهُم يُحَقّقونَ هذه المرَّة ما عَجزوا عَن تحقيقه على مَدى ثلاث سنوات، وذلكَ بالتّزامُنِ مع مُحاوَلَة إشْغالِ حليفنا الرُّوسي بفَتْح الجُرح الأوكرانيّ الذي يُلامِسُ خاصِرته الغَربيّة ، وإرباك حليفِنا البَوليفاريَّ بمُحاوَلَة إشْعال الحرائق وإسالةِ الدِّماء في فنزويلا ، باستخدام أضاليل مؤامَرة «الربيع العربي» ، ذاتها تقريبا ، بما في ذلك الترويج عبْر وسائل الإعلام لِصُوَرٍ تتعلّق بأحداثٍ مزعومة في «كاراكاس» و «كييف» تَعُودُ أصْلاً لِوقائع دامية كانت قد شهدَتْها تشيلي ومصر وغيرهما في أزمِنَة مُختَلِفة سابقة ، لتضليل الرأي العام المحلي والدوليّ بمُراهَنَة على الأسلوب النازيّ ذاته الذي سَبَق لقناة «الجزيرة» القطَريّة خاصةً أن اتّبَعَتْه بكثافة عندما بدأتْ حملتها التحريضية المسعورة على الدولة السورية ، أعنيً أسلوب وزير دعاية هتلر «اكذبْ اكذِبْ حتى تصدِّق أنت أكاذيبَك ويصدِّقك الآخرون».

هكذا إذَن يَتراجَعُ الرئيسُ باراك حسين أوباما عَن تَعَهُّداته بأن تكون الحربُ على العِراق آخرَ الحروبِ الأمريكية خارجَ الولايات المتّحدة ، مُنْصاعاً للإرادة الصهيونية التي تُكابرُ برَفْض مُعْطَيات واقعٍ إقليميٍّ وَدَولِيٍّ جديد فَرَضَهُ الجيشُ العرَبيُّ السُّورِيُّ وإنجازاتُهُ المَيْدانيّةُ وتداعياتُ هذا الصُّمُود وهذه الإنجازات ليس فقط في مِصْرَ التي انْقَلَبَ

فيها السِّحْرُ على الساحر الصهيو أمريكي الرَّجعي ، بل وبتراجُع غُولِ الإرهاب التكفيري الذي زَجَّتْ به الدَّوائرُ الصهيو أمريكية الرجعيّة في سوريا أرض الحضارات واندماج المُكَوِّنات المُتَنَوِّعة في نَسيج صَدَرَ عن نولٍ علمانِيّ أفْرَزَتْهُ الفطْرَةُ الإنسانيّة المُتسامحة وأكّدَهُ الإلتزامُ الطَّوعيّ بقوانين وضعيّة تتناغَم مع قِيَم الدياناتِ السَّماويّة قَبْل أن يُشَوِّهها الإكسيدُ الطائفيّ والتَّوظيف السياسَويّ للأديانِ والمَذاهب، تَراجَعَ هذا الغُول نسبِيًّا لتتآكَلَ الجماعاتُ الإرهابيّة الجّهلوتيّة بصراعات دامية قَبْل مَدَنيّة فيما بَيْنَها ، وتَنْدَحِرُ فُلُولُها أو ماتبَقّى منها تدريجيًّا موليةً الأدبار على طريقِ العَوْدَة إلى الأمكنة التي تَمَّ جَلْبُها منها لتُشَكِّلَ خَطَراً لَم يَكُ في حُسْبانِ مُشَغِّليها الذين جَنَّدُوها وسَلَّحُوها وأَرسلُوها إلى سوريا الآمِنة ، على مُجتَمَعاتِهِم وَدُوَلِهِم المُتَوَرِّطة أو المُتَواطئة في الحربِ القَذِرَة الرَّامِيَة إلى تمزيقِ المُجتَمَع السوريّ وتَدْمِيرِ الدّولة السورية وتقسيم الجغرافيا السياسية السورية إلى كياناتٍ فاشلة وفْق خرائط المفكّر الأمريكيّ الصهيونيّ العجوز برنارد لويس التي وَضَعَها في غُرَفِ مُخْتَبراتِ «البنتاغون» التي تُسَرِّبُ مِن السُّمُوم باضطِرادٍ ما يُهَدِّدُ مُستَقبلَ البشريّة قاطِبَةً جيلاً بَعْدَ جِيل.

4 -وعندَما فَشلَ المِحْوَرُ الغَربيّ الصهيونيُّ الأعرابيّ العثمانيّ في أن يُحَقِّقَ مِن خِلالِ مؤتَمَرَيِّ جنيف 1و2 ما عجزَ عَن تحقيقه بالحَرْبِ الإرهابيّة التكفيريّة المُتَنَقِّلَة بين القُرى والبَلدات والمُدُن السوريّة ، سارَعَ إلى تَجميع قُطاعاتِ قطعانه مُجَدَّداً ، وإعادة تنسيق جهودِه الإستخْباراتيّة وتنشيطها للعمَل على خَمْسَة ملفّات في آنٍ مَعاً ، عَساهُ يُنْجِزُ ما يُعَوِّضُهُ عَن تَراكُم خَيْباتِه ولَو في ملفٍّ واحدٍ في الأقَلّ ، مع حِرْصِهِ على الإحتِفاظِ بنِقاطٍ كان قد سَجَّلَها في ملَفّاتٍ يُريدُها أن

تبقى مَفتُوحةً على تنفيذِ خطّةِ برنارد لويس لإقامَةِ الشرق الأوسط الكبير من إسلام آباد إلى مرّاكش بتقسيم الدول الوطنيّة الرّاهنة إلى دُويلاتٍ تابعة فاشلة تدور في فلكِ «دَولة إسرائيل اليهوديّة الكبرى» التي باتت مِن أهداف السياسةِ الأمريكية الصهيونية الثابتة في منطقتنا. وَمِن هذه النِّقاط المُسَجَّلَة : كردستان العِراق وإمارة غزّة الحمساوية ودويلة جنوب السودان وتقسيم اليمَن إلى ستّ كيانات فيدراليّة ، وكيانات الأمْر الواقع في ليبيا ومشروعها الفيدرالي أيضا ، وتلغيم الدستور التونسيّ الجديد ببنُود خطيرة كبنْدٍ يُتيح لأيّ ولاية تونسيّة عَقْد اتفاقيّات مع أيّ دولة أجنبيّة بدون الرجوع إلى السلطة المركزية في العاصِمة (والخطورة هُنا تتأكّد عندما يتمّ الإستفراد بولاياتٍ تنطوي على ثرواتٍ نفطية ومعدنيّة وأخرى ذات أهميّة جيوسياسيّة وعسكريّة!) ، أو كبنْد يُمَكِّن أيَّ أجنبيٍّ ذِي أصْل تونسيّ أو يحمل الجنسيّة التونسية إلى جانب جنسيّته الأصليّة مِن الترشّح إلى منصِب رئيسِ الجمهوريّة التونسيّة بما في ذلك المئتيّ ألف إسرائيلي مِن أصلِ تونسي في ظلِّ حِرْصِ نُوّاب حركة النهضة الإسلامويّة واليسار الفرنكفوني في المجلس التأسيسي التونسي على عَدَمِ إدْراج بُنْد تَجْريم التطبيع مع الصهيونيّة وكِيانِها في الدستور التونسيّ الجديد ، وكذلك إبْقاء الوضع التونسي في حالةِ عَدَم اسْتقرار استعداداً لإشعالِ الحَرائق في الجزائر التي مافتئتْ المخابراتُ الأمريكيَّةُ تُمَهِّدُ لَها بإضرام نِزاعاتٍ داخليّة غَيْر مُتوَقَّعَة (كَتَحريك الطائفة الإباضيّة في ولاية غرداية وزَجّها في نزاع طائفيّ لم تعرفه الجزائر مِن قَبْل حتى في سنوات الجمر التسع، بعْدَ فشل الرّهان على تحريكٍ عرْقيّ للقبائل الأمازيغيّة ذات التاريخ الوطنيّ في حرب الاستقلال الجزائريّة ضدّ المُسْتَعْمِر الفرنسيّ ، عِلماً أنّ هذا الرّهان يظلّ قائماً ولكن على الجماعاتِ

الأمازيغيّة في المَهْجَر الفرنسيّ أو المُرتبطة بأجهزة مُخابَرات دُوَل الإقامة الغربيّة لِتُسْتَخْدَم لاحِقاً كأقنعة «جزائريّة» لتدَخُّل أجنبي على غرار استخدام العراقيين الذين قَدِمُوا إلى عاصمة الرشيد على دبَّابات أمريكيّة أو استخدام السوريين الذين تستعدّ أنفُسَهُم الأمّارة بالخيانة لوطْءِ تُراب دمشق مُقتَفين آثار الأقدام الأجنبيّة الغازية) ، كما أنّ المُخابرات الأمريكيّة لا تدَّخرُ وسيلة لإقامةِ قوَاعِد لوجستيّة شامِلة استعداداً لِلتدخُّل في بلاد المليون ونصف المليون شهيد عندما «تأَزِفُ» ساعة الصّفْر مِن الأراضي الليبية والتونسية والمغربيّة والماليّة، وليس مُسْتَبْعَداً أن يكونَ عَدَم الحَسْم في أحداثِ جَبَل الشعانبي وغيرها مِن الأماكنِ القريبة مِن الحدود الجزائرية مُنْدَرِجاً في هذا السِّياق لِتَوْفير الوقت الذي تتطلّبُه عمليات حَفْر الأنفاق بَدْءاً مِن هذه المناطِق الجبليّة الغابيّة وصولاً إلى العُمق الجزائري ، ويُعَزِّز وُجُوب أخْذ هذا الإحتِمال في الحسبان ما أشارتْ إليه صُحُفٌ تونسيّة وَرَقيّة إلى أنَّ عناصر من الجماعاتِ الإسلامويّة المُتشدِّدَة تَمَّ إحْضارُها مِن قِطاع غزَّة لِهذا الغَرَض ، خاصّةً وأنّ هذهِ الظاهرة «الجّرْذانيّة» باتَتْ مِن أبرز ابتكارات «جِهاديّ» مؤامَرة «الربيع الأمريكي الصهيوني» في «طبعَتِه الأعرابيّة» المُنَقَّحَة بالفتاوي التكفيريّة التي تُبيح الخَطْف والسَّبْيَ والقتل والسّحْل وَبَقْر بطون المرأة الحامل ولَوك الأفئدة وقطْع الرؤوس ذَبْحاً وشيّها وأكلها.

أمّا الملفّات الخَمْسَة التي تشْتَغِلُ عليها الدوائر الصهيوأمريكيّة في آن واحِد ، فَهِيَ :

أ - ملفّ إرباك حُلَفاء سوريا الإقليميين والدوليين ، باستخدام ذريعة النّووي الإيراني تَرغيباً وترهيباً للضّغط على إيران سَعْياً إلى فكّ

تحالفها مع الدولة السورية ، والضّغط مِن خلالِ إيران على «حزب الله» لِذاتِ الغَرَض، وكما باتَ مَعلوماً فإنّ قرار مجلس الأمن الذي يحمل الرقم 2139الداعي إلى خروج القوات الأجنبية من سوريا يشمل إبعاد «حزب الله» عن ساحاتِ المعركة ضدَّ الإرهابِ التكفيري . وليس ماتتناقله وكالاتُ الأنباء بخصوص «تفكيرٍ جديٍّ داخل هيئات «حزب الله» في تغيير استراتيجّة الحزب القتالية في سوريا، أونقاشات داخل الحزب بعنوان «مخاطر ومكاسب الانسحابِ مِن سوريا أو البقاء فيها» إلى جانب الحديث عن صفقة مع إيران وحزب الله تزعم إمكانيّة إنقلاب سعودي أمريكي كامل على المجموعات «الجهادية» وتفعيل خطة عودة السعوديين أو دفعهم للمغادرة إلى الأنبار مع وقف كامل لأية تسهيلات للمُقاتلين الجهاديين على الحدود الأردنية ـ السورية، وتفعيل خطة لتجفيف منابع «الجهاديين التكفيريين» من ليبيا وتونس ودعم برنامج حكومة نوري المالكي ضد «داعش» في الأنبار ومضايقتهم في تركيا وحصْرهم ، والإعتراف بحقٍّ حزب الله في التصرُّف الأمني في البلدات الحدودية «عرسال» و«يبرود» عند الحاجة، مقابل الانسحاب عسكريا من سوريا والتمهيد لعملية سياسية متكاملة مع تيار المستقبل تحت عنوان حكومة المصالحة والتوافق .»...إلا محاوَلة لإرباك سوريا وحلفائها .

ولئن كان أهمّ مافي هذه «التسريبات» اعتراف واشنطن بأنها وراء تحريك الجماعات الإرهابية التكفيرية عبر العالم ، فإنّها عمليا تضع اللمسات الأخيرة لخوض مغامرة تقود فيها أتباعها الذين لا ترقى علاقتهم بها إلى درجة «حليف» ، من أجل شنِّ عدوان جديدٍ سيستهدف دمشقَ انطلاقاً من الأراضي الأردنيّة.

وفي ذات الملفّ يندرج إشغالُ روسيا بالأحداث الأوكرانية المُصْطَنَعة لِضرب مَشروع الرئيس فلاديمير بوتين بشأن «الإتحاد الأوراسي» واختِراق مجال روسيا الحيوي الذي تُعَدّ أوكرانيا جزءا رئيساً منه في محاولةٍ أيضا لابتزاز موسكو في الملفّ السوري .

ولتشتيتِ أنظارِ الرأي العام الدولي عن القضية السورية وما تدبّره لها واشنطن من سيناريوهات عدوانية جديدة ولإجبار حلفاء دمشق على الإنكفاء نحو «قضايا» محليّة ، يجري الإيحاءُ بأنّ فنزويلا الحليف البوليفاريّ الأبرز لبلادنا ، تشهد «ربيعا» من طِراز «الربيع الأعرابي الصهيو أمريكي» يقودُهُ عميل المخابرات الأمريكية اليمينيّ المُتَطَرِّفُ «ليوبولد لوبيز» الذي أجبَرَه حَزْم «كراكاس» وصرامتها الثورية إزاء أشكال العدوان الإمبريالي الأمريكي على ثورتها البوليفارية، على أن يُسَلِّمَ نفْسَه ، خاصّة بعدَ اقتناعه بأنّ واشنطن قد تُضحّي به كما تفعل عادة بعُملائها ،و ربّما تكون بصدَد اغتياله لاتّهام حكومة كاركاس بدمه وتهييج الرأي العام ضد الرئيس «نيكولا مادورو» ، الذي هدّدَ بوَقْفِ بَثّ قناة «سي إن إن» التي أشَّرَ خليفةُ تشافيز الدورالمشبوه الذي تقوم به عندما قال: « كنتُ في مَكتَبي وأشاهد هذه القناة . الأمْرُ يَتَعلّقُ ببرامِجِ حَرْبٍ على مَدارِ الساعةِ . يُريدونَ أن يُظْهِروا للعالَم أنَّ فنزويلا في حالةِ حَرْبٍ أهليّة في حِين أنَّ الناسَ في فنزويلا يعملونَ».

وفي سياق استئناف إدارة «باراك أوباما»السياسة الأمريكية التقليدية القائمة على التدخل في الشؤون الداخلية بأشكال مُختلفة ضدّ دمشق وحلفائها استقبلت الولايات المتحدة الأمريكية على أراضيها الزعيمَ الإنفصالي «الدالاي لاما» بدعوى تَدَهْوُر حقوقِ

الإنسان في «التِّيبت» ، كذريعة لِدَعْمِ التوَجُّهاتِ الإنفصاليّة في هذا الإقليم الصِّيني.

هكذا دفعةً واحدة ، بعدَ فشل مؤتمر جنيف2 تُعلن واشنطن بقرارٍ صهيونيّ حَرْباً على سوريا وحُلفائها الإقليميّين والدوليين زاجّة بجميع احتياطيّها مِن الأدواتِ العميلة في المنطقة والعالم.

ب - لاشكّ في أنَّ تَطَوُّرَ الأحداث في مِصْرَ بعد استِجابةِ الجيش الوطنيّ المصريّ بقيادة المشير عبد الفتاح السيسي لنزول حوالي 33مليون مِن المواطنين المصريين إلى شوارِع «أمّ الدنيا» يوم 30 جوان/حزيران 2013 مُطالِبين بإطاحة نظام «محمد مرسي» الإخواني ، وإعلان الإدارة الأمريكية عَدّ هذه الإستِجابة «انْقلاباً»! ، وفَرْض عقوبات اقتِصاديّة وعسكريّة على «القاهرةِ» ، دَفَعَ بالأخيرة إلى الإقتِراب من «موسكو» وعقد الإتفاقيات العسكرية والسياسيّة والإقتصاديّة الإستراتيجيّة لِتَتَعَزَّز بذلك عَوْدَةُ روسيا مِن أوسَع بابٍ تخرجُ منه واشنطن بحَماقةٍ سياسيّة حاولتْ اسْتِدراكَها مُسْتَعِينةً بأدواتِها الخليجيّة وخاصّة «المملكة الأعرابية السعودية» و «دولة الأمارات الأعرابية المتحدة» ، ومُلْقِيَةً إليهما الأوامرَ التي زادتْ مِن اهتزاز رأسِ وزير خارجيّة الرياض ، بأن تكونا لصيقَتَيْن بالنظام المصريّ الجديد، في مَكِيدةٍ صهيوأمريكيَّة خبيثة تزدادُ ضَراوَةً وسُعاراً مع كُلِّ خطْوَةِ تَقارُبٍ بين روسيا ومِصْر ، وسيكونُ مأتى الأذى الأكبر الذي يَلحق بقاهِرَةِ المُعزّ مِن هذين الكيانَيْن الخليجيّين إذا لم يأخذْ قادَةُ مِصْرَ الجُدُد حَذَرَهم الشديد ، ذلكَ أنّ اقتِرابَ «الرياض» و «دْبَيّ» مِنَ القاهِرَة ليس مُجَرَّد نِكاية بحركة «الإخوان المسلمين» وتنظيماتِها عبْر العالم ولا استِفزازا ل «دوحةِ آل ثاني» أو «أنْقَرة أردوغان العثماني»

الذين ليسوا أصْلاً إلا أدَواتٍ لِلمَشروع الصهيو أمريكي وخطّة برنارد لويس التي تُترجمُه عَمَلاتيّاً ، ولِذلك ستكشِفُ الأيّامُ القادمة أنّ حُكّام «السعودية» و «الإمارات» مُتَوَرِّطون في الأحداثِ الإرهابية التي تستَهْدِف استِقرارَ مِصر وتَماسُكَ جيشها الوطني ومؤسسات دولتها العريقة ، على قَدْر تَوَرُّطِ حُكّامِ قَطَر وتُرْكِيا وإمارة غزّة الحمْساوِيّة ، والكيان الصهيونِيّ.

ج - لم يَعُدْ خافِياً أنَّ الجَزائر هي الهدَف الأكبر في شمالِ أفريقيا لِخطّة برنارد لويس ، ليس فقط لاستِكمالِ تقسيم الكياناتِ الوطنيّة المُسْتَهْدَفَة مِن باكستان إلى المغرب ، بَل أيضاً لأنّ السَّيْطَرَةَ على الجزائر تعْني انفتاح البوّابة الواسعة أمام التطَلُّعاتِ الصهيوأمريكيّة نَحْوَ السيطَرة على القارَّة الأفريقيّة بأَسرِها ، وطَرْد الصين وروسيا - وحتى فرنسا المُتَذَيّلة لواشنطن ودوائرها الصهيونية - مِن هذه القارّة وتصفية مصالح الدول الكبرى الثلاث آنفة الذّكْر فيها ، لِتَبْقى أفريقيا حكْراً على جَشَع مصالح الولايات المُتّحدة وشركاتها الإحتكاريّة الإمبرياليّة التي يُسيطر عليها اللوبي الصهيوني سيطرةً مُطْلَقَة.

وكذلك لأنّ الجزائر مِن أغنى بلدان المنطقة على مستوى الثروات الطبيعيّة (نفطا وغازا وفوسفاتا...إلخ) ، كما تمتلكُ الجيشَ العربيّ الرّابع اقتِداراً وخَطَراً على الأمن الاستراتيجي الإسرائيلي ، بعد الجيش العراقي السابق والجيشين السوري والمصري ، وفي هذا السِّياق كانت أحداثُ «مالي» الفاشلة ومُحاوَلات التدَخُّل الإرهابيّ المُضطَرِدَة لِتَهديدِ أمْن الجزائر انطِلاقاً مِن حدُودِها مع ليبيا وتونس. وبما أنّ الحدودَ الليبيّة مع الجزائر صحراويّة وبالتالي مَكشُوفة ويُمكنُ السيطرة عليها جزائريّاً ، فإنّ الحدودَ التونسيّة الغربيّة ذات

التضاريس الجَّبَلِيَّة الغابيَّة تَبْقى الأُخْطَر والأكثر قابِلِيَّة للاستِخْدام في أيّ عدوانٍ أمريكيّ بالأصالةِ أو الوكالةِ على الجزائر الشقيقة ، خاصّة وأنّ سنوات جَمْر الإرهاب الإسلامَويّ التسْع التي وَدَّعَتْ بها القرْنَ الماضي حَصَّنَتْ المجتمَعَ الجزائريَّ مِن أن يَفرزَ مَجَدَّداً بيئات حاضِنة للجماعاتِ التكفيريّة الإرهابيّة ، بدونِ أن نطمئنّ إلى أنّ المُخابرات الأمريكيّة و «وَصِيفاتِها» الإسرائيلية والفرنسية والبريطانية والألمانية والتركية والأعرابية قد يئستْ مِن الاشْتِغالِ على هذا الخطِّ أيضاً ، وفي هذا المنحى نقرأ زيادةَ توتير العلاقات المغربيّة الجزائريّة والأحداث الطائفيّة التي شهدتها «غرداية» كما أشرنا آنِفاً ، آخِذين في الحسْبانِ أنّ النشاطَ الاستخباراتيّ المُعادي لن يقتَصرَ على مُحاوَلةِ اختراق المؤسسة العسكريّة التي يُسْتَخْدَم حاليا الرئيس المريض عبد العزيز بوتفليقة وعَجْزُه الذهنيّ والجسديّ ضدّها ، بل سيتركّزُ أفقيّاً وعموديّاً على مُكَوِّنات مايُسمّى «المُجتَمَع المدَني» كبيئة حاضنة للنشاط الاستخباراتي الغربي والإسرائيلي (في الجزائر وغيرها من الدول المُسْتَهْدَفَة في شرق المَعْمُورة وغَرْبها) خاصّةً عشيّة الانتِخابات الرئاسيّة التي ترشَّح لها بوتفليقة ليحكم على طريقة الملك سليمان ، وفي إبّانها وبَعْدها.

د - إذا كانَت جَوْلَةُ «جون كيري» الأفرو آسيويّة التي شملتْ تونس مُحَمَّلَةً بالهدايا العسكرية التي يَسْترضي بها الأمريكيونَ عادةً جيوشاً ضعيفة لِتوظيفها في حروبهم الإقليمية كالحرب التي يعدّونَ لها ضدّ الجزائر وكَحَربهم على سوريا التي يسترضون الجيش اللبناني للزَجِّ به فيها بمثل هذه الهدايا التي هي عادة عتاد وآليات خرجتْ مِن خدمة الجيش الأمريكي إلى مخازنِه ، كما هي مُحَمَّلَةً بدعوة مِن

الرئيس أوباما إلى «مهدي جمعة» رئيس الحكومة التونسية الجديد لزيارةِ واشنطن وبَدْء أول اجتماعات «التعاوُن الاستراتيجي الأمريكي التونسي» ذي العلاقة المُباشَرَة بما يُدَبَّر للجزائر ، لكي تُصبح تونس ممرّاً للإرهاب التكفيري وقوات «أفريكوم» إلى شقيقتها الكبرى ، كما جَعَلوا مِن لبنان وتركيا والأردن ممرّاتٍ للجماعاتِ التكفيرية الإرهابيّة وأجهزةِ المخابرات الأجنبية بما فيها الإسرائيليّة والأمريكية إلى الأراضي السورية .

إذَنْ ،إذا كانت جَولة وزير الخارجية الأمريكية هذه تتعلّق بالملفّين السوري والفلسطيني المتداخِلين ، لدرجة أنّ أيّ انتصار ينجزُه أحدُ الأطراف المُتصارعة أو أيّة خسارة تلحَق به في أحد هذين الملفَّين يكون بالضرورة قد أنجز هذا الإنتصار أوتكبّدَ تلك الخسارة في الملفّ الثاني ، فإنَّ مِن دَوافِع الجولة «الكيريّة» أنّ الحربَ الأمريكية الكونيّة على سورية تَنْتَقِلُ الآن مِن طَوْر الحرب وكالةً إلى الحرب أصالةً ، بمعنى أنّ الولايات المتحدة قرَّرَتْ بعدَ فَشَل مؤتمريّ جنيف 1و2 المتعلّقين بالمسألة السورية أن تقودَ هذه الحرب التي تساقَطَتْ خِلالَها على صخرةِ صُمُودِ الجيش العربيّ السوريّ وتضحياتِهِ «جُهُودُ» الوكلاء القذرة «جهداً» تلو الجهد الآخَر ، بَدْءاً مِن الجّهْد القطَري - التركيّ مروراً بالجهد السعوديّ الأماراتيّ وصُولاً إلى تعليق الأجْراس التآمُريّة المُعْلَن مُجَدَّداً في عُنُقِ الملِكُ الأردنيّ «عبد الله الثاني» خِلالَ عِناق «أوباما» له مؤخَّراً في «البيت الأبيض» والذي تمَّ رَفْدُه بإعلان اجتماعٍ تنسيقيّ بين مُخابرات الكيانات الحادثَة في المنطقة : «إسرائيل» ووصيفاتها الإقليميّات «السعودية» ، «الأردن» «الإمارات»، «قطر» و «تركيا» ، بإشراف أمريكيّ صارمٍ بتَجَهُّم .

كما أعلنَ التحضير الإعلاميّ التضليلي الذي يُرافق سيناريو العدوان الجديد على دمشق انطلاقاً مِن الأراضي الأردنيّة ، ذلك أنّ واشنطن باتتْ على بيّنة لا يشوبُها شكٌّ بأنَّ مصير المشروع الصهيو أمريكي وفي صُلْبِه خطّة برنارد لويس بصَدَدِ أن يتقرّرا على ضَوءِ ماينقشِعُ عنه غُبارُ المَعارِكِ الضارية التي تشهدُها المُدُنُ والقُرى السورية منذ ثلاث سنوات ، إلا أنّ الدوائرَ الصهيونيّة المُتَحَكِّمَة بالقرار الأمريكي على مستوى السياسة الخارجية خاصّةً ، تَتَطَيَّرُ مِن أنَّ رياحَ الحَربِ التي تدورُ رحاها الطاحنة في سوريا وعليها كما تؤشّر المُعطياتُ الميدانيّة العسكريّة أو مُعْطَيات الصِّراع السياسي الإقليمي والدّولي ،لا تسير بما تشتَهِي السُّفُنُ الصهيونيّةُ. لذلك لا تكتفي «اسرائيل» بأن تزجّ بنفسها في هذه الحَرْب مُقدّمةً لِمُرتَزَقة وخَوَنَة مايُسَمّى «الجيش الحُرّ» ليس فقط الأسلحة والذخيرة والآليات العسكرية ، بل «العلاج الممتاز» لجرحاهم حسب تعبير أحَد هؤلاء الجرحى وهو يشكر «بنيامين نتنياهو» أمام عَدَسة كاميرا القناة الفضائيّة الإسرائيلية عندما زارمَرفوقاً بمسؤولين عسكريّين وسياسيّين إسرائيليين آخرين المستشفى العسكري الميداني الذي انتصَبَ داخلَ أراضي الجولان المحتلّ لاستقبال جَرْحى «الجيش الحرّ» ، هذا الذراع العسكري الإرهابيّ المشبُوه الذي يتقرَّبُ منه إئتلاف «الجّربا» وهيئة «عبد العظيم» و«المنّاع» ويتبنونه بديلاً للجيش العربي السوري.ولم نعرفْ بَعْدُ مَن مِن هؤلاء «المُعارِضين» عَنتْه القناة الفضائية الاسرائيلية حين تحدثت عن « إعراب مصادر في المُعارَضة عن تقديرها لموقف رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو بزيارته المشفى الميداني الذي يُعالِج مُصابيّ المجموعات الإرهابيّة في سورية». إلا أنّ أحد قادة جيش جربا -عبد العظيم - منّاع «الحرّ»، المدعو «عدنان سلو» رئيس الأركان السابق

لإدارة الحربِ الكيميائية في الجيش العربي السوري خلال العقدين الأخيرين مِن القرن الماضي والذي كان قد أعلن انشقاقه عامَ 2012 وتوَجَّه الى تركيا مُعلِناً انضِمامَه إلى ما يُسَمّى الجيش السوري الحر، ليكون أوَّل لِواء ينضم إلى صفوفه،وَجَّهَ مؤخّراً أيضا في حوار أجرتْه معه قناة 24نيوز نداءً إلى «بنيامين نتنياهو» رئيس وزراء العدو الصهيوني الذي وصفه ب «عدوّ الأمس وصديق اليوم» يطلب منه التدخُّل في حلّ الأزمة السورية قائلا له : «نحن نمدُّ اليكَ يدَنا لتساعِدنَا على نِظام الأسد المجرم الذي استُهلك ولن يكونَ مقبولا بعد اليوم، نرجو من نتنياهو مساعدَتنا».

إذَن ، لا تكتفي الدوائر الصهيونية بهذا التدخُّل الإسرائيلي المُعْلَنٍ في الحرب على سوريا ، بل تَضْغَط باتجاه الإسراع إلى فَرْض حَل إسرائيليّ للقضية الفلسطينية ، تَحَسُّباً لِتَراجُعِ الدّور الأمريكي في السياسة الدولية لِصالِح أدوار روسيا والصين ودُوَل البرَيكس والتحالُف البوليفاري، الحريصة جميعها على أن يسودَ القانونُ الدوليّ السياسة الدولية وآليات اتخاذ وتنفيذ القراراتِ المتعلقة بقضايا شعوب ودُوَل كوكبنا بما في ذلك القضيّة الفلسطينية التي تنتظر حَلاًّ عادِلاً منذ قرابة السّبعة عقود وفق القراراتِ الدوليّة ذات الصِّلة . وعلى ضَوءِ حقيقة أنّ إقامة « دَولة إسرائيل اليهودية الكبرى» باتتْ أبرز ثوابتِ السياسة الأمريكية الخارجيّة،فإنّني أصَدِّقُ «جون كيري» حين يُصَرِّح مؤخّراً بأنّ أمْن «إسرائيل» يحتلّ المرتبة الأولى في «سُلَّم أولويّاتِه».

ه - إذَن ، وتَحَسُّباً لِما سَيَفرضُهُ انتِصارُ دمشقَ وحلفائها واندحارُ محْوَر المشروع الإمبرياليّ الصهيوني الرجعيّ على ميزان السياسةِ الدّوليّة مِن رَجَحانِ كفّةِ القانُونِ الدّولي لصالِح حُقُوقِ الشُّعُوبِ واستقلالَ الدُّوَل وسيادتِها الوطنيّة ، على كفَّةِ الأطماَعِ الاستِعماريّة العنصريّة التوسُّعية

التي تتوسَّل الحروبَ العدوانيّة والتدخُّلات الخارجيّة في الشؤون الداخليّة للشعوب والدُّوَل المُستقلّة أوالساعية إلى استقلالها بأشكال النضال والمُقاوَمَة كافّة ، فإنَّ «جون كيري» أخَذَ على عاتقِهِ - اتّكاءً مِنْهُ إلى انشغال الدّول العربية حكوماتٍ وشعوباً بما انجرَّ عن مؤامرة «الربيع العربي» مِن «فوضى خلاقة» في الحساباتِ الصهيوأمريكية ، تأتي على الجذور والبراعِم - مهمّة توريط القيادة الفلسطينيّة في الإذْعانِ لِما يُسَمّى «اتّفاق إطار» يُكبّل به الجانب الفلسطيني بغضِّ النظر عن نتائج الحرب الكونيّة على الأراضي السورية ، خاصّة وأنّ تصفيةَ القضيّة الفلسطينيّة هي الهَدَف النهائي مِن مؤامرةِ «الربيع العربي» وخطة برنارد لويس سيّئة السّمعة.

إنّ اقتراحات «جون كيري» التي تشكل «اتفاقَ الإطار» الأمريكي تُعيد صياغة اقتراحاتٍ سابقة، بدءاً من اقتراحات رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق «إيهودأولمرت» عام2008، وصولا إلى اقتراحات الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون في كامب ديفيد قبل 13 عاماً، و يتضمَّن اتفاقُ الإطارالنقاط التسع التالية :

-1 ضمّ إسرائيل 8,6% من أراضي الضفة الفلسطينية، تتمثّل في الكُتَلِ الاستيطانية الكبرى الأربع (غوش عتصيون، معاليه أدوميم، جنعات زئيف، أريئيل)، فضلاً عن مُستوطنات القدس الشرقية، مقابل إعادة 5,5 من الأراضي الفلسطينية التي تسيطر عليها إسرائيل (أراضي ال1948).

-2 إقامة طريقٍ آمِن بين غزّة وجنوب الضفّة (مدينة الخليل)، وليس رام الله العاصمة السياسيّة الفلسطينيّة الحاليّة (كما اقترَحَ الرئيسُ محمود عباس).. أيْ طريق قطارات سريع بدون محطّات.

-3 طريق خاصّ يربط بين رام الله وبيت لحم، التِفافِيّ يتجنَّب المرورَ

في أراضي مستوطنة معاليه أدوميم.

-4 تقسيم القدس وفقَ خطة الرئيس كلينتون (رفضَها آنذاك الرئيس الشهيد ياسر عرفات). وتضمّ (الحوض المقدَّس) الذي يشمل المسجدَ الأقصى وحائطَ البراق، ويكون تحت إشرافٍ دوليّ (الولايات المتحدة، الأردن، السعودية، إسرائيل، السلطة الفلسطينية).

-5 حلّ موضوع اللاجئين (يُشكلون 65% من الشعبِ الفلسطينيّ) حسْب اقتراح كلينتون أيضاً، من التوطين في كندا وأستراليا، وعَودة جزء قليل جدّاً إلى أراضي 1948 (لمّ شمل عائلات).

-6 إخلاء جميع المستوطِنين من الأغوار (منطقة الحدود الفلسطينية-الأردنية)، ووجُود جُنود أمريكيّين على طول الحدودِ مع الأردن، ثم إنشاء معابر بين الأردن وفلسطين.

-7 استخدام إسرائيل والفلسطينيّين للمجالِ الجويّ فوقَ الضفّة والقطاع، على أن لا يكون هناك وجودٌ أمْنيٌّ إسرائيليٌّ في الضفة الفلسطينية (لاحِظْ أنَّ إسرائيل ومعها عدد واسِع من الدُّوَل الغربيّة والولايات المتحدة، تطالب بدولة فلسطينيّة منزوعة السِّلاح).

-8 الاستمرارُ في نِظام جباية الضرائبِ المَعْمُول به حالياً من قِبَلِ «إسرائيل» على البضائع الواردة إلى الأراضي الفلسطينية، أو الصادِرة منها، عبْر الموانئ الإسرائيلية. وفيما يتعلق بالبندِ المتعلق بإخلاءِ المُستوطنات في الأراضي الفلسطينية، فإن 80% سيتم تجميعُهم في الكتلِ الاستيطانيّة الأربع الكبرى (وفق البند الثاني)، وأن 20% أي نحو 8 آلاف مستوطن فقط عليهم إخلاء مُستوطناتهم، أو البقاء في مجال الدولة الفلسطينية القادمة.

وأرفق كيري في بندِه التاسع ملاحظةً تتعلق بالكيفيّةِ التي سيتقبّل بها الرُّدود على اقتراحاتِه.

وعلى الرغم مِن الضّغوطِ الهائلةِ الغربية والأعرابية والسعوديّة خاصة على القيادة الفَلسطينية للتورُّط في قبولِ عَرْض كيري المسمُوم ، إلا أنّه حتى المسؤول الفلسطيني المعروف برخاوتِه ومُرونته إزاء العروض الأمريكية لتسوية القضية الفلسطينية - أُعني ياسر عبد ربّه - وَصَفَ عَرْضَ رئيسِ الدبلوماسيّة الأمريكيّة بالمُهين ، وبالتالي كان مِن الطبيعيّ أن يرفضَ الرئيسُ الفلسطينيُّ محمود عباس ما سبق أن رفضه سلَفُه الرئيس الشهيد ياسر عرفات ، وهذا بالضبط ماعبّر عنه «نبيل أبو ردينة» المتحدِّث الرسمي باسم الرئاسة الفلسطينية عندما قال يوم الخميس 2014/2/20»إننا لن نوافقَ على أيّ اتفاق، سواء اتفاق إطار أو نِهائيّ، ما لم يتضمَّن المواقِفَ الفلسطينيّة والعربيّة الثابتة المستندة إلى الشرعيّة الدولية ، وأنّ الموقفَ الفلسطيني الثابتَ والدائمَ هُوَ موقف الرئيس محمود عباس، والقيادة الفلسطينية : أن لا دولة بدون القدس الشرقية عاصمة لها، ولن نعترفَ بدولةٍ يهوديّة، وأنّ الاستيطانَ غيْر شرعي، وأن الدولة الفلسطينيّة يجب أن تقومَ على حُدودِ عام 1967، ويجب إيجاد حَلٍّ عادِلٍ لقضيّة اللاجئين، وأن يتمَّ إطلاق سراح الأسرى.».

وليس ثمة مِن وُضوح أَسْطَع مِن هذا الوُضوح في مَوقفِ القيادة الفلسطينية الوطنيّ والأعلى مِن الإلتفاتِ إلى مَن اعتادوا المُزاوَدَة عليه بخطابٍ مُتَهافت لا يَرْقى إلى أن نتكبَّدَ عَناءَ تَحْبيرِ البَياض باسْتِعراضِ مُغالَطاتِه.

تونس 2014/2/24

إيران الصديقة ، كيفَ تُصبحُ حليفاً استراتيجيّاً؟

تَشْهدُ منطقتُنا منذ أُوائلِ القَرْنِ الحالي خاصّةً ، صراعاً سياسياً سُرْعانَ ما تَغيَّرَتْ مُعطَياتُه وتشابَكَتْ تَجَلّياتُه العُنْفيّةُ العسكريّة والإرهابيّة غَداةَ إقدام الولايات المتحدة الأمريكيّة وحلفائها على غَزْوِ واحتلالِ العِراق الذي عرفَ بَعْد انهيار نِظام الرئيس صدام حسين تَقاطُعاً للمصالح الأمريكيّة الإيرانيّة ، كان مُفاجئاً على خلفيّةِ صِراع بين واشنطُن وطَهران بدأ منذ مَطلع ثمانيناتِ القرن الماضي وتجلّى عسكرياً في الحرب العراقية – الإيرانية التي اصطَفَّ خلالها الغرْبُ الأمريكيُّ والأوربيُّ والكياناتُ الخليجيّة الأعْرابيّة كافّة إلى جانب بغداد.

(1)

بَعْدَ خُروج العِراق المُحْتَلّ سنة 2003 مِن المُعادَلة الإقليميّة ، وَتَخَبُّط مِصْرَ في الشِّباك الصهيو أمريكيّة منذ اتّفاقيات كامب ديفيد 1978، أصبَحَت سوريا الدولةَ العربية الوحيدة التي تُحافظُ على دَوْرٍ إقليميٍّ فاعِلٍ يقومُ في جانبٍ أساسيّ منه على السياسة الخارجيّة التي كان الرَّئيسُ الراحل حافظ الأسد قد أَسَّسَ لها ، أعني سياسة

العلاقات الجيّدة مع دُول الجّوار الإقليمي ، حيث كانت دمشق تُقيم علاقاتٍ تتراوَح بين الممتازة والجيّدة مع الدُّوَل الثلاث الكبيرة إقليمياً (إيران ، السعودية ، وتركيا) ، وعلى هذه الخلفيّة استَمَرَّصراعُها مع القوّة الإقليمية الإستيطانية العدوّة : الكيان الصهيوني.

وَقَد واصَلَ الرئيس بشار الأسد سياسةَ سَلَفه الإقليميّة ، بل ذَهَبَ فيها بعيداً ليس فقط مع طهران والرياض وأَنَقرة ، بل كذلك مع الدّوحة التي طَفَتْ فجأةً على المَشْهَدِ الإقليميّ في دَوْرٍ مَرسُوم لها يهدف إلى الإخلال بتوازُن هذا المَشهَد الذي كانت دمشقُ على مَدى عُقودٍ عَرَّابَتَهُ وعمودَه الفقريّ.

(2)

ما أن قررت القواتُ الأمريكية وحليفاتُها مغادرة العراق وبدأت تنفيذ قرارها بمغادرة آخر وحداتها المقاتلة في شهر آب من سنة 2010 تحت وطأة ضرباتِ المُقاوَمة الوطنيّة العراقية التي كانت تتلقّى دَعْماً علنياً من دمشق ، قلب العروبة النابض، حتى صارت سوريا هَدَفاً استراتيجيا لخطّة « برنارد لويس» في مرحلتها الثانية بعد أن فشل الغزاة في الزحف إليها فَور احتلال العراق ، فهذه الخطة التي بدأ تنفيذُها بالحرب على أفغانستان وبلاد الرافدين ، استُؤنِفَتْ بمُؤامَرةِ «الربيع العربي» التي انطَلَقَتْ من تونس بإطاحة الرئيس زين العابدين بن علي في جانفي / كانون الثاني 2011ليصلَ «حِراكُها» بعد شهرين، أي في مارس/ آذار من العام نفسه، مدينةَ درعا السورية ذات الحدود مع الأردن ، ووازى هذا «الحِراك» مُباشَرةً تَصَدُّعٌ حادٌّ في التوازُنِ الإقليميّ تَمَثَّلَ في إعلانِ أنقرة والرّياض والدّوحة انخراطها كأدَواتٍ لتنفيذِ خطّة «برنارد لويس» ، أوْكِلَتْ إليها فرادى ومُجتَمِعَةً

مهمّة إطاحة النظام الوطني الذي يقوده الدكتور بشار الأسد ، وتمزيق المجتمع السوري و تدمير الدولة السورية نَحو تقسيمها إلى دُويلاتٍ طائفيّة وعرقيّة فاشلة.

(3)

إذَنْ، في ذلكَ التّوازُنِ الهَشِّ ، كانت السعوديَّةُ وقَطَر وبقيّة الكيانات الخليجيّة ومازالت «تحتَضِنُ» العديدَ مِن القَواعِد العسكريّة الأمريكيّة وتُقِيمُ عَلاقاتٍ مُختَلِفَة عَلنيّة وسريّة – وفي مجالاتٍ مُختلفة – مع الكيانِ الصهيونيّ ، ومثلها كانت تركيا ومازالت ، بينما على النّقيض تماماً نجد سوريا التي تُبقي الصِّراعَ العربيّ – الإسرائيليّ قائما، برفضها الدُّخُول في أية تسوية مع العدو على حساب الحقوق الوطنيّة المشروعة للشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة وعاصمتها القدس ، وبدعم المقاوَمة الوطنية في لبنان وفلسطين المحتلة انطلاقاً مِن ثوابت دمشق الوطنية والقومية والإنسانية.

وخلافاً لتركيا والكيانات الخليجية نجد إيرانَ داعمةً لسوريا في صراعِها مع العدوّ الصهيونيّ واحتضانها للمقاومة العربية ، بل إن طهران تؤازر مباشرة المقاومة اللبنانية وبعض الفصائل الفلسطينية ماديا وعسكريا وسياسيا ، بل ذهبت عَلَناً ورسمياً في هذا الاتجاه بقيادة الرئيس السابق «أحمدي نجاد»عندما كانت تُشكّك في صحّةِ ما يُسَوَّق منذ أربعينات القرن الماضي بشأن «الهولوكوست» وتدعو صراحةً إلى إزالة «إسرائيل» مِن الوجود ، وإن كانت طهران قد تراجَعت عن هذين الموقفين الراديكاليين على لسان رئيسها الحالي «حسن روحاني» في أول خطاب له كرئيس للجمهورية الإسلامية

الإيرانية مِن على منبر الجمعيّة العمومية للأمم المتحدة في شهر سبتمبر/أيلول2013.

بتعبير أكثر إيجازاً ، ثمة دُول تريد فَرْضَ سياساتها كقوى إقليمية مِن بوّابةِ المشروع الصهيوأمريكي (السعودية والكيانات الخليجية وتركيا وإسرائيل)، مُقابل دُوَلٍ تسعى إلى فرضِ سياساتها كقوى إقليميّة مُناهِضة لِلمَشروعِ الصهيو أمريكي مِن بوّابةِ المُمانَعَةِ والمُقاوَمَة.

وبالتالي فإنّ اندِلاعَ الصّراع الإقليمي مِن خلالِ الأزمة السورية قَدَّمَ مُعطياتٍ دامغَة ليس قوامها فقط ما تُقدّمه أنقرة أردوغان ودوحة آل ثاني ورياض آل سعود مِن تمويلٍ وتسليح ودَعْم لوجستيّ وإعلاميّ وسياسيّ لمِئاتِ آلافِ المسلّحينَ التكفيريين الإرهابيين الأجانب والمحليِّين لِتدميرِ الدولةِ الوطنيّة السوريّة ، بل وكذلك ما يُقدّمه الكيانُ الصهيونيّ نفسه لهؤلاء الإرهابيين التكفيريين مِن تزويدٍ بالسلاح وعلاج لجرحاهم في المشافي الإسرائيلية . إنّها مُعطياتٌ تؤكد تَحالُفاً موضوعياً باتَ ذاتياً مُباشراً بين أنقرة والرياض والدوحة وتل أبيب ، تمَّ تتويجُهُ مؤخّراً بتنسيقٍ مُعْلَنٍ بين قيادة مملكة آل سعود ومخابراتها ، وقيادة الكيان الصهيوني و «موسادِهِ» في الملفّين السوري والإيراني خاصة.

هذه المعطيات التي سقْناها باختصار ، تُفضي إلى نتيجة لا تحتمل التباساً ، وهي أنّ مَن زَجَّ بنَفْسِهِ في خندَقِ العدُوّ الإسرائيلي هُم حكّام السعودية وقطر وتركيا ، بينما إيران لم تُغادِر سياسيّاً وميدانياً خندقَ الممانَعة و المقاوَمة ، على الرّغم مما يشهده الدّاخل الإيراني مِن تحوّلاتٍ نسبية كان مِن إفرازاتِها تصريحات رئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام الإيراني «هاشمي رفسنجاني» غير الوديّة وغير الصديقة

إزاء سوريا وقيادتها الوطنية وإنْ تمّ التراجُعُ عَنها لاحقا.

وعلى كُلِّ حال ، مادامتْ بوصلتُنا الوطنيّة والقوميّة والإنسانيّة هي حفاظنا على الجغرافيا السياسية والمؤسسات العسكرية والمدنية لدولتنا الوطنية وعلى تماسكِ مجتمعنا السوري بمكوّناته المتنوِّعة وإدامة صِراعِنا مع العدوّ الصهيونيّ العنصريّ الاستيطاني الذي يحتلّ جزءاً غاليا من ترابنا الوطنيّ ويضطهد جزءاً عزيزا من شعبنا ، إلى أن نُحرّرَ أراضينا العربية المحتلّة فيعود الجولان وأهلنا فيه إلى الوطن الأم ويستعيد شعبُنا في فلسطين المحتلة حقوقه المشروعة كافة ، كما أشرنا إليها آنفا... ، مادامَ ذلك كذلك ، فإنّ إيران بالتأكيد ليست عدوّاً لنا !، إنّما هِيَ صديقٌ نحرص على ما يربطنا به مِن أواصِر أكّدَتْها عُقودٌ مِن تارِيخِنا المُعاصِر . ولكن هل يُمكِن عَدَّها حليفاً استراتيجيّاً؟.

(4)

باتَ مَعْروفاً أنَّ الصِّراعَ في منطِقتِنا بين القُوى الإقليميّة يعتمِدُ خطاباتٍ أيديولوجيّة قَبْل قوميّة و قَبْل وطنيّة ، أعني خطاباتٍ طائفيّة تحريضيّة تَرْمِي إلى إعادَةِ صياغة مجتمعات المنطقة التي تستهدفها خطة «برنارد لويس» الصهيوأمريكية ، مِن الباكستان إلى مراكش ، بتقسيمها بين سنة وشيعة ، وفي هذا السياق ، وبغيةَ توظيف ما يُحدِقُ بها مِن خَطَرٍ يُهدِّدُ بقاءها ووجودَها برمَّته في المنطقة أو على سطح البسيطة في خدمة أهداف خطة برنارد لويس التقسيمية تُقصى بقيّة الأقليّات الدينيّة والطائفية بعواصف تكفيريّة إباديّة أشدّها خطَراً ونشاطاً الخطاب الوهابي الأعرابي ، عَسى هذه الأقليات ومصائرها المأساوية التراجيدية أحيانا تكون ذريعة أخرى للتقسيم بدواعٍ «إنسانية».

وإذا كان هذا الخطاب الوهابيّ التكفيريّ يصبّ موضوعيا في مَسار المشروع الصهيو أمريكيّ بَل إنّ تاريخ الحركة الوهابية وتشابكه مع تاريخ آل سعود يؤكدان علاقات مشبوهة تربط آلَ سعود ومحمد عبد الوهاب وآله والبدَع التي جاؤوا بها ، بالحركة الصهيونية ومشروعِها وأهدافه في منطقتنا والعالم- كما تؤكد وثائق كتاب الشهيد ناصر السعيد على الأقل ، فإنّ تاريخ الجماعات الإسلامية التي صعدَتْ بقيادة الإمام الخميني إلى سدّةِ الحكم في طهران منذ سنة 1979كانت وما تزال في حالة عداء مع الحركة الصهيونية وكيانها الاستيطاني ، بغضّ النظر عن مدى نجاعة كيفية التعبير الإيراني عن هذا العداء ،ففي سنة 1963 تمّ وضْعُ آية الله الخميني تحت الإقامة الجبرية ثمانية أشهر ، وما أنْ أفرِجَ عنه حتى تابع التحرُّكَ ضدَّ علاقة الشاه مع «إسرائيل» ، وضد «تنازلات» الشاه بشأن تمديد الحصانة الدبلوماسية لعسكريين أمريكيين ، فأعِيد اعتقال الخميني في تشرين الثاني 1964ونُفيَ إلى خارج إيران لمدة 14سنة.

وإذا كانت «الثورة الإسلامية» قد ارتكبتْ الكثيرَ من الأخطاء تحْدُوها «مراهقة ثورية» أفضتْ إلى اعتمادِ مقولة «تصدير الثورة» التي كانت من أسباب حربٍ دامت ثمانيَ سنوات بين العراق وإيران، أغرقتْ البلدين في الدماء والأحقاد والخسائر الفادحة البشرية والإقتصادية والعسكرية ، إلا أنّ الانتقالَ على مدى عقود إلى أطوارٍ متقدّمة من النضج السياسي أدّى إلى نقلة نوعيّة وضعتْ إيران إقتصادياً وصناعيا وعسكريا في مقدّمة دول المنطقة ومكّنها من أن تكونَ ذات دَور فاعل ومستمرّ في دَعْم المقاومة الوطنية اللبنانية التي حرَّرت ترابَ الجنوب اللبناني من الإحتلال الإسرائيلي الذي دام 22عاما، ومازالت

هذه المقاومة بقيادة السيد حسن نصرالله الدّرْعَ الذي يقي لبنانَ مِن الأطماعِ والإنتهاكاتِ الإسرائيلية العدوانية.

وبالتالي لا يجوز التخليط والإنجراف وراءَ مَقُولةٍ مِن نَوْع أنّ «تسونامي» التكفير الوهابي يأتي رَدّاً على مَدٍّ شِيعِيٍّ تَشهدهُ المنطقة وتقف وراءه إيران و «حزب الله» اللبناني، ذلك أنّه منذ أنشأتْ المخابراتُ الأمريكية تنظيمَ «القاعدة» الوهابي ليكونَ ذراعها الإرهابية الضارِبَةَ ضدَّ الوُجُودِ السوفياتي في أفغانستان لم نعرفْ نشاطاً واحِداً لتنظيماتِ الإسلام السياسي الوهابية التكفيرية الإرهابية ضدَّ الصهيونية العالمية وكيانها ومصالحه داخل فلسطين المحتلة أوخارجها ، ولا يجدر بنا أن ننتظر غيرةً - حتى دينية - على «أولى القبلتين وثالث الحَرَمَيْن» الرازح تحت الإحتلال الصهيوني مِن الوهابيّين الذين هَمُّوا بِهَدْمِ الكعبة وقبر الرسول محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلّم قبل أن يتنبّهوا إلى ما قد يجنونه من استثمار اقتصاديّ وماليّ لِموسم الحَجِّ الذي يرنو إليه سنوياً أكثر مِن مليار مسلم عبْر العالم.

ولكن في الوقتِ نفسِه ، لايُمكننا إلا أن نُحَذِّرَ مِن مَخاطِرِ النّشاطاتِ التبشيريّةِ (وثمّة فَرْق بينَ التبشير والتّكفير) التي تقف وراءها إيران بمراكزها «الثقافية» خاصة في الكثير مِن دُوَلِ العالم وبينَها دُوَل مَنْطِقَتنا بما فيها بلادنا سوريا التي ليس مِن مصلحَة تماسك مُكوّناتها المُتَنوِّعة أنْ يُسْمَحَ فيها لِنَشاطٍ تبشيريٍّ مسيحيٍّ أوإسلاميٍّ أومَذهَبيٍّ سنيّ سَلَفِيٍّ أو قُبَيْسيّ أو نقشبنديّ أو شيعيٍّ أوما شابه ، فهذا إمّا سيخلق بيئة لاحتضانِ النشاطات التكفيريّة وتجلياته العنفيّة المتوحّشة، أو أنّ هذه النشاطات « التبشيرية» - بغضّ النظر عن النوايا الحسنة التي تعبِّد الطريقَ إلى جَهَنَّم - ستمنحُ أدوات المشروع الصهيو

أمريكي مادَّةً إعلاميّة تضليليّة تُشَوِّشُ على الدُّور الإيرانيّ الإيجابيّ في صراعنا المُشْتَرَك ضدَّ الكيان الصهيوني وحلفائه الإقليميّين والدوليين.

ويُضاعِفُ حَذَرَنا إلى حَدِّ التطيُّر سياسَةُ رَدِّ الفِعْل الإيرانيّة على مقولة «الهِلالِ الشيعي» التي كانَ الملكُ الأردني عبد الله الثاني أوّلَ مَن أطلقَها ، بحيثُ غابتْ الحكمة الإيرانيّة العريقة تاريخياً عن هذه السياسة ، عندما اعتَمَدَت القيادة الإيرانية رؤية دينيّة في مُقارَبَتِها للقضيّة الفلسطينيّة ، فَنأتْ بنفسِها عن الفصائل الفلسطينيّة العلمانية التي تتألّف منظمة التحرير الفلسطينية منها ، وَزَجَّتْ بنَفْسِها في تدخُّلٍ غير محمود بالشأنِ الدّاخِلِيّ الفلسطينيّ مُنْحازَةً إلى فصائل دينيّةٍ أفْرَزَتْها حركة «الإخوان المسلمين كحركتيّ «الجهاد» و «حماس» اللتين تكوّنتا خارجَ منظمة التحرير الفلسطينية ومن أجل ضَرْبِ وحدانيّةِ تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني الذي حققَ هذا المُنجَز التاريخيّ /كيانا سياسيا وطنيا يعبّر عن قضية هذا الشعب وحقوقه وطموحاته المشروعة على المستوى الدولي وداخل الأمم المتحدة ومؤسساتها ، إنه هَدَفٌ حَققه الشعبُ الفلسطيني بتضحياتهِ ونضالاته متعددة الأشكال فتآمَرَ عليهِ رئيسُ الوزراء الإسرائيلي الراحل «إسحق رابين» والملك الأردنيّ الراحل « الحسين بن طلال» والأجهزة الإستخباراتية الإسرائيلية والأردنيّة بوقوفِهم جميعا وراء نشأة حركة «حماس» بالتنسيق مع القيادة الدوليّة لحركةِ الإخوان المسلمين ، بغية التشكيك في كَوْن «م.ت.ف» هي الممثل الشرعيّ والوحيد للشعب الفلسطيني ، ومن أجلِ تمزيقِ الكتلة التاريخية الفلسطينية المُقاوِمة للإحتلال الإسرائيلي ، وضرْب وحدة الشعب الفلسطيني وتشتيت إراد تهِ السياسية ، كما نشهد حاليا ، ومنذ استفراد حركة

«حماس» بقطاع غزّة وتحويله إلى «إمارة تكفيرية» بتشجيع صهيونيّ بحيثُ لا يجد الجنرال «سامي توردجمان» قائد المنطقةً العسكرية الإسرائيلية الجنوبية في تصريح للشبكة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي « بديلا عن السلطة التي تمارسُها حركة حماس فيها لفرض الهدوء والأمْن في القطاع» .

(5)

وانطلاقاً من رؤيتهم الدينية لسياسة إيران الخارجية توَهَّمَ قادَةُ الجمهورية الإسلامية أنّ السيناريو الذي جاء بهم إلى سدّة الحكم في طهران يتكرر مع سيناريو «الربيع العربي» الذي أوصلَ الإخوان المسلمين إلى سدّة الحكم في تونس وليبيا ومصر ، فالثورة في إيران انقسمتْ آنذاك إلى مرحلتين: دامت المر حلة الأولى من1977إلى منتصف1979وشهدَتْ تحالُفاً ما بين الليبراليين واليساريين والجماعات الدينية لإسقاط الشاه، أما المرحلة الثانية فقد خلعوا عليها اسم «الثورة الخمينيّة» لأنها شهدت بروزَ « آية الله الخميني» وتعزيزَ السلطة والقمع وتطهير زعماء الجماعات المعارضة للسلطة الدينية ، وفي هذا السياق عرفتْ الجامعاتُ الإيرانية ماسمِّيَ حينها «الثورة الثقافية الخمينية».

ويبدو أنّ قادة إيران وجَدُوا في إجراءات حكم الإخوان المسلمين في مصر بقيادة محمد مرسي مشهدا أثار فيهم الحنينَ إلى طفولة «ثورتهم» فتعاطفوا معه ، كما تعاطف زعيمُ حركة النهضة التونسية راشد الغنوشي مع السلفيّين الجهاديين التونسيين الذين أرسلهم إلى جبهة التكفيريين في سوريا حين قال إنهم أبناؤه ويذكّرونه بشبابه، إلا أنّ الغريب حقا أنّ هذه الرؤية السياسية الدينية المضللة التي

حدَت بطهرانَ إلى مُبارَكَةِ تسلُّم الإخوان المسلمين برعاية أمريكية سدَّة الحكم في ما يُسَمّى «دُوَل الربيع العربي» في تونس ومصر وليبيا، مستذكرة الموقف الأمريكي من هروبِ الشاه ربما ، لم تتمَاهَ فقط مع الموقف الأمريكي في مناهضة ثورة الشعب المصري يوم 30حزيران2013التي استجابَ لها الجيشُ الوطني المصري وأطاح بالإخواني «محمد مرسي» ونظامه ، وعلى منوال واشنطن عدّت طهران ما حصلَ في مِصر انقلاباً، بل تغاضتْ القيادة الإيرانية عن موقف «مرسي» والإخوان مِن الكيان الصهيوني ، حيث التزَم «محمد مرسي» باتفاقيات كامب ديفيد ، وأرسلَ إلى الرئيس الإسرائيلي «شيمون بيريز» رسالة عدَّه فيها صديقه الحميم ، وعقدَ صفقة مع الإدارة الأمريكية لتصفيةِ القضيةِ الفلسطينية بإقامة الدولة الفلسطينية في قطاع غزة وسيناء. وقبْلَ إطاحَتهِ كان قد أعلنَ الحربَ على الدولة السورية وحكومتِها ورئيسها الشرعي المُنتَخَب ، فلم يحلْ كلّ ذلك دون القيادة الإيرانية وتقديمها الدعم السياسي والإقتصادي والمالي لنظام «محمد مرسي» الإخواني...، والأمر ذاته ينطبق على تعامل إيران مع حركة النهضة التونسية التي زار رئيسُها منظمة «إيباك» الصهيونية في واشنطن غداة فوز حركتِه في انتخابات المجلس التأسيسي التونسي والتزم أمامها بالحؤول دون أن يتضمن الدستور الجديد أيَّ كلمة تسيء إلى الصهيونية أو «إسرائيل» ، ووفى الشيخ الغنوشي بوعده فنوّاب حركته الدينية الإسلامية صوَّتوا ضدَّ تجريم التطبيع مع الكيان الصهيوني وضدَّ عَدِّ الصهيونية حركة عنصرية في أيِّ بند من بنود الدستور التونسي الجديد ، وفي ظلّ حكمِهم شاركتْ «إسرائيل» في تظاهرة زراعية تتعلق بزيت الزيتون أُقيمت بمدينة «المهدية» التونسية ،وأشرفت حركة النهضة على إرسالِ آلافِ

المسلحين التكفيريين التونسيين للقتال ضد الدولة السورية واستضافت أوَّلَ مؤتمر لأعداء سوريا ، وبادرتْ بقطعِ العلاقات كافة مع الدولة السورية ، وعلى الرغم من ذلك واصلتْ إيران دعمَها لحركةِ النهضة وحكومتها .

وعلى الرغم مِن خَلْعِ حركة «حماس» آخرَ أقنعتها في الأزمة السورية ، والزجّ بمقاتليها إلى جانب التكفيريين الإرهابيين ليس فقط في المخيمات الفلسطينية وبخاصة «مخيم اليرموك» ، بل على امتداد القرى والمدن السورية ، فإنّ طهران لم تكفّ عن دَعْمِ حركة «حماس» – ولو أصبح دعماً أقلّ مِن السابق كما صرّح بعضُ مسؤوليها.

وبُغية مَنْح غطاء عَجائبي لهذه السياسة الدينية التي تعتمدها دولة إقليمية كبرى وصديقة (؟)تشكّلَ في إيران ما يُسمّى «مجلس الصحوة الإسلامية» الذي أرادت من خلاله ليس فقط تبرير علاقات قائمة مع تنظيمات الإخوان المسلمين الحاكمة وغير الحاكمة في بلدانها ، بل استقطبت بعضَ «القوميين» ، الذين شبّوا وشابوا على النّضال بمقابل مالي، كما حصلَ ويحصل في تونس .

(6)

إنّ هذه السياسة الخارجية الدينية ، تجعل مِن إيران في المدى المنظور جزءاً مِن أمْرٍ واقِعٍ إقليمي يقوم على صراعاتٍ ذات طابعٍ طائفي يُعَزِّزُ مِن جهةٍ مُحاوَلة التكفيريين الوهابيين جماعاتٍ ودُوَلاً إرهابية، إستثمار الوعي القطيعي عند جماهير الطائفة السنية المكوّن الأكبر بين مكوّنات بلادنا ، كما يُعَزِّز المَسْعى الصهيوني إلى إعلان

«إسرائيل» دَولة يهودية في محيط إقليمي تقوم دُوله على أسس دينية.

وإذاكُنّا غير مَعْنيّين بخصوصيّةِ الواقع الداخلي الإيراني ومُعطياتهِ وحَرَكَتهِ ، إلا أننا نرنو إلى سياسة خارجية إقليمية ودولية إيرانية قَوامُها خدمة المصالح الوطنية الإيرانية وليس خدمة «العواطف» الدينية ، ذلكَ أننا فقط على المصالح الوطنية لكلٍّ مِن إيران وسوريا العريقتين في إرثِهِما وتَنَوُّعِهما الحضاري ونضالهما المشترك ضدَّ الصهيونية والإمبريالية والرجعية ، والتي تتناقَض مع مصالح المشروع الصهيو أمريكي الرجعي الأعرابي ، يُمكِننا أن نبني تحالُفاً استراتيجياً نَجْتَثّ في سياقِهِ الهَجْمَة التكفيريّة الوهابية مِن جذورِها الأعرابية.

....

*كُتِبَ هذا الفصل بِطَلَبٍ من «محمد كنايسي» رئيس تحرير صحيفة «البعث» السورية لصالح كتاب كان يُفتَرَض أن تنشرَهُ الجريدة المذكورة موضوعُه «إيران حليف أم عدوّ؟» ، واستجابَ الصديق الدكتور مصطفى الكيلاني لذات الطلب مِن ذات الشخص ، لكنّ الكتاب لم يصدر ومساهمتِنا - الدكتور الكيلاني وأنا - لم تُنشَرَا!.

أردوغان باشا مازال يحلم بأن تتويجه سلطانا لا يتحقق إلا على أنقاض الدّولة السورية

على العكس مما حاولت «صَحْوَة» الذين دَعَمُوا صَدْرَ الإرهاب التركي الأعظم «أردوغان» باشا في الإنتخابات البلدية الأخيرة، الإيحاء به من أنهم بذلك سيلجمونَ سُعار هذا الموتور السلجوقيّ وعدوانيّته الوحشيّة المطلقة ضدّ الدولة السورية ، فإنّ نتائج تلك الإنتخابات شجَّعَتْ لصَّ معامل حلب على مُواصلة جرائمه بإحياء إرث أجداده العثمانيين في الذكرى التاسعة والتسعين لإبادة مليون ونصف المليون أرمني ومئات الآلاف من الآشوريين والسريان والكلدان واليونان البنطيين في مجازر تمّ تدشينها سنة 1915 بإقدام العثمانيين على جمع المئات من أهم رموز الشعب الأرمني من مفكرين وشعراء وسياسيين وإعدامهم في ساحات مدينة اسطنبول.

وإحياء لذكرى جرائم أسلافه ضد البشرية ، جرائم الطرد والإبادة الجماعية المنظَّمَة ضدَّ الأرمَن شرقيّ تركيا ، أقدم أردوغان على جريمةِ إبادةٍ ضدَّ أحفاد ضحايا أجدادِه في بلدة «كسب» الحدودية في ريف اللاذقية ، ليس فقط بالتخطيطِ والدَّعم اللوجستيّ لخمسة

آلاف إرهابيّ تكفيري من جبهة النصرة والجبهة الإسلامية بل وبالإشتراك معهم ميدانيا في هذا العدوان بالدبابات والمدفعية التركية، مما تسبَّبَ في مقتل مئة مواطن سوري أرمنيّ.

وواقع الحال أنّ أردوغان باشا لم يَعُدْ معنيّاً بانتحالِ صورة الزعيم الديمقراطيّ الساعي إلى ضمِّ تركيا بقيادة «حزب العدالة والتنمية» إلى الإتحاد الأوربّي ، بل أصبح يستندُ في تظهير صورته الجديدة كدكتاتور سلجوقيّ فاشيّ جديد إلى دعْم أمريكي يغفر له ليس فقط إغلاقَ شبكات ومواقع الأنترنيت وإجراءات قمعية أخرى للتنكيل بحرية التعبير، بل وأيضا اعتقال العشرات وضربهم ضرْبا مبرحا بالهراوات داخل سيارات الشرطة في ذكرى أربعين مقتل الفتى «بيركين إيلفان» الذي قتلته جندرمة أردوغان عندما كان بصدد جلب الخبز إلى عائلته ، وكذلك قتل ثلاثة وثلاثين طفلا لأنهم تظاهروا ضدّ سياسة حكومتهِ ناهيكَ عن إخضاع مُحاكمة آلاف الأطفال الأتراك الذين لا يتجاوز عمرُ الواحد منهم ال12سنة ، لقانون الإرهاب فقط لاشتراكهم في المظاهرات المندِّدَة بسياسة «حزب العدالة والتنمية»، فلم تتحرَّك حساسية واشنطن المزعومة إزاءَ حقوق الإنسان على الرّغم من هذا وغيره كاستخدامِ خراطيم المياه والقنابل الغازية التي ذهبَ ضحاياه قتلى وجرحى كُثر . فهذا كلّه تغضّ واشنطن عنه البصَر والبصيرة مادام أردوغان خادماً مُطيعاً لسياستها الطائشة مثله مثل آلاتها الأعرابية (آل سعود ، آل ثاني، آل خليفة، آل نهيان...)، خاصة وأن الحكومة الإسرائيلية وجدتْ أنه ليس من مصلحتها تلبية الطلب الأمريكي بدُخول تل أبيب في الحرب مباشرة ضدَّ سوريا، ذلك أنّ العدوّ الصهيونيّ يرى مصلحته في أن يدعم الإرهابيين

التكفيريين في حربهم ضدَّ الدولة السورية وفق السياسة الإسرائيلية الجديدة التي أعلن عنها «موشيه يعالون» وزير الحرب الإسرائيلي قائلا: «سياستنا الجديدة أن نشكل ميليشيات عربية وإسلامية تحارب العدوَّ العربي والإسلامي فيكون القاتل والمقتول من الأعداء» ، إلا أنّ علاقة أردوغان وحزبه مع الجماعات المسلحة التي تقاتِل الدولة السورية تقوم على مرجعية عقائدية إرهابية تكفيرية واحدة. ومثلما قام بالإشتراك مع جبهة النصرة والجبهة الإسلامية في العدوان على «كسَب» لجأت قوّاتٌ عسكرية تركية إلى عناصر من تنظيم «دولة الإسلام في العراق والشام» (داعش) لتأمين الحماية لقوافلها ومرافقتها أثناء تنقلاتها. فحسب رواية صحيفة الأخبار اللبنانية دخل «رتلٌ عسكريٌّ تركِيٌّ الأراضي السورية عبر مَعْبر سروج الحدودي في مدينة عين العرب متوجها نحو ضريح سليمان شاه في قره قوزاك على بعد 25 كم من الحدود برفقةِ وحمايةِ تنظيم عناصر (داعش) بينما رافقتْ مجموعةٌ مُسلَّحة تابعة للتنظيم الإرهابي الرتلَ العسكريَّ التركيَّ مِن عند مفرق خروس على مسافة أربعة كيلومترات من الضريح المُحاط بمناطق يتواجد فيها التنظيمُ إلى مدينة منبج ، وفي حدود الثامنة والنصف ليلاً قام عناصر التنظيم الإرهابي بمرافقته في اتجاه قره قوزاك من جديد».

ولا بدَّ هنا من استحضار التسجيل الصوتي للإجتماع الذي يجمع بين داود أوغلو ومستشار جهاز المخابرات التركية هاقان فيدان ومستشار وزير الخارجية فريدون سينرلي أوغلو والرئيس الثاني للأركان الفريق ياشار كولار الذي يبيّن كيف أنّ أردوغان باشا يبحث عن إمكانية توجيه ضربة عسكرية لسورية ولو باختلاقِ ذريعةٍ بالتنسيق مع

المجموعات الإرهابية قد تكون توجيه ضربات محدودة ومتفق عليها باتجاه الأراضي التركية أو باتجاه تكية سليمان شاه في ريف حلب داخل الأراضي السورية.

وفي التسجيل يقول داود أوغلو لفيدان إن «رئيس الوزراء أخبرني بأن الاعتداءَ على تكيّة سليمان شاه يمكن أن يُصبح حجة لضربة عسكرية» ، فيردُّ فيدان : «أنا بإمكاني إرسال أربعة أشخاص إلى الجهة الثانية وإعطائهم تعليمات بضرْب ثمانية صواريخ لمنطقة خالية.. أنا لم أفهم لماذا التكية بالتحديد فبإمكاننا ضرْب أيّ منطقة أخرى وإذا اضطرَّ الأمر نحن نضرب أو الطرف الآخر».

وحسب ما يُفهَم من التسجيل فإن تركيا عن طريق أجهزة استخباراتها تسيطر على عدة مجموعات مسلحة وتوجّههم ، وقد أرسلتْ لهم حتى الآن نحو 2000 شاحنة مقطورة من الدعم العسكري.

وإذا كان وهْم الخلافة يحرّك أردوغان و «إخوانه» التكفيريين، فإن الولايات المتحدة تقاسِمُهم سَعيَهم إلى إسقاط الدولة السورية لإشاعة «فوضى خلاقة» في المنطقة تجرِّد الأخيرة من أيّ قوة بمقدورها الوقوف في وجه تسونامي الإرهاب الأصولي التكفيري.

ولذلك لاضير عند واشنطن في أن يُرضي أردوغان على هامش تنفيذ سياستها بعضَ نزواته الحاقدة كإبادة مئة أرمني من أهالي «كسَب» ذلك أنّه على الرغم من أن 42ولاية أمريكية ومايزيد على العشرين دولة في العالم تعترفُ رسمياً بإبادة الأرمن على أيدي العثمانيين الآثمة ، فقد سبَقَ لتسعة وخمسين مؤرخا أمريكيا أن نشروا في سنة 1985بياناً ينفي وقوع «عملية تطهير للأرْمن مِن قِبَلِ الأتراك» لكنّ تحقيقا أكّد

أن مُعظمَ هؤلاء المؤرخين باعوا ضمائرَهُم مُقابل مالٍ تركيّ دسّوه في جيوبهم الجشعة فإنّ ثمانية وستين مؤرخا منهم سَحَبوا تواقيعهم ، ليبقى على البيان توقيعُ أبرز هؤلاء المؤرخين ، أعني «برنارد لويس» الذي وضعَ خطة وخرائط الشرق الأوسط الكبير من الباكستان إلى مراكش لتصفية القضية الفلسطينية وإقامة دولة «إسرائيل» اليهودية الكبرى والتي يُطلق عليها الآن «ثورات الربيع العربي».

إن حكومة أردوغان التي تقود تركيا العضوَ في حلف الناتو وذات العلاقات التقليدية المتطوّرة مع الكيان الصهيوني ، وذات التبعيّة العمياء لإرادة الإدارة الأمريكية وسياساتها ، هي في ذات الوقت شريكٌ تِجاري لتنظيم «داعش» الذي يسرقُ النفطَ السوري ويبيعه لأنقرة ، كما أنّ إرهابيي التنظيم هُم الذين فكّكوا المعاملَ السورية في حلب ومناطق الشمال عموما وباعُوها في تركيا ، فعلاقة حكومة أردوغان بكل من «جبهة النصرة» وفرع تنظيم «داعش» في سوريا (وكذلك علاقتها بفرع هذا التنظيم في العراق) ، هي علاقة تقومُ على وهْم أردوغان بأنّ هؤلاء يستطيعون إسقاط الدولة السورية ومن ثم سيُصبِحون أدوات طيّعة لأنقرة التي «تتحكّم بخطوطِ إمدادهم وهُم مكشوفون تماماً أمامَ الاستخبارات التركية بحكم العلاقة الجديدة التي تربطها بهم».

ولئن أخذنا في الحسبان الحقيقة التي أكدَها الصحفيُّ الأمريكي «سيمون هيرش» بشأن وقوف «جبهة النصرة» وراءَ استخدام الأسلحة الكيميائية في غوطة دمشق الشرقية وقبلها في خان العسل ، وبشأن تسلُّم جبهة النصرة هذه الأسلحة الكيميائية من تركيا التي تسلَّمَتها بدورها من البنتاغون ، علما أنّ هيرش استند إلى مقابلاتٍ مع فريق

الأمم المتحدة الذي حققَ في استخدام هذه الأسلحة ، وكذلك إلى تقرير معهد بريطاني متخصِّص في الأسلحة الكيميائية أرسَلَ المعهدُ منه نسخةً إلى الإدارة الأمريكية - يؤكد على أنّ نوعيّة السلاح الذي استُخدِمَ في خان العسل والغوطة الشرقية لا تتطابقُ مع نوعيّة السلاح الكيميائي الموجود لدى الدولة السورية.

وإنْ أضَفنا إلى ذلك ما أشرْنا إليه حول التسجيل/الفضيحة الذي لم ينكرْ أردوغان مضمونَه المُخزي بل أرْغى وأزبَدَ على كيفيّة تسريبه ، وكذلك العلاقة العقائدية بين حكومة أردوغان والتنظيمات «القاعديّة» كداعش والنصرة وغيرهما .

وإذا كان المُخرجُ التركي «مصطفى التينوك» قد أكد على أن «أردوغان باشا» يُعاني من «اضطراب الشخصية النرجسية ويجب إعداد تقرير طبّي يؤكد عدَم أهليّته العقلية» - وهذا ما يُتَدَاوَلُ منذ مدّة بشأنِ الرئيس التونسيّ المؤقت «المنصف المرزوقي» أيضا، وبالتالي إذا لم يصدرْ تقرير طبّي يؤكِّد عدم أهليّة أردوغان العقليّة لاستلام وبالتالي البقاء في منصب رئاسة الوزراء» فإنَّ مخاطر العدوان على سوريا بحماقة أمريكية تركية مازالت قائمةً.

الغَرْب والصّهيونية : كما يتحالفان مع الإرهاب التكفيري في سوريا يتحالفان مع اليمين النازي في أوكرانيا

تُمْعِنُ السياسة الغَرْبيَّةُ الأمريكيَّةُ /الأوربيّةُ في سقوطها الحضاريّ والأخلاقيّ مُنْقَطِع النظير، خاصَّةً حينَ يَرْفَع هذا الغَرْبُ شعارات قِيَميّةً مَزْعُومَةً كالحريّة والدِّيمقراطيّة ومُناهَضَة الديكتاتوريّة ، ويُمارِسُ مُتَذَرِّعاً بهذِهِ القِيَم أبْشَعَ المَجازِر ضدَّ الإنسانيَّة ، ولا يَتَرَدَّدُ في شَنِّ الحُرُوب وتدميرِ الدُّوَلِ واحْتِلالِها وقَهْرِ شُعُوبها.

فالحرْصُ الكاذبُ على تَمْتيع الشَّعْب العِراقِيّ بالحريّة والديمقراطيّة التي «غَيَّبَتْهُما» عَنْهُ ديكتاتُوريّةُ الرئيس صدّام حسين جَعَلَتاهُ فَريسَةَ حصارٍ تجويعيّ حتى الموت دام ثَلاثَ عَشرَةَ سَنَة بَعْدَ أنْ تناثرت أشلاء أطفالهم ومِزَقُ فَرْوَةِ الواحِدِ منهُم على جدرانِ مَلجأ العامريّة - وقد شاهَدْتُ آثارَ هذه الجريمة بأمِّ عيني - ، ليتْبَعَ ذلكَ احْتلالٌ عسكريٌّ هَمَجيٌّ تَفَتَّحَتْ في ظلِّه «زُهُورُ» الدّيمقراطيّة الغَربيّةِ في سجْنِ أبي غريب قَذِرِ السّمْعة ، وتَشَظَّتْ وحْدَتُهُ الوطنيّة تُرابيّاً وإدارياً وديمغرافيّاً بِفِعْلِ سياسَةِ التّهييجِ الاستِعماريّةِ لِلوَلاءاتِ العِرْقِيَّةِ والعَشائريّةِ والدينيَّةِ

والطائفيَّةِ التي باتَ مُتَعَذِّراً إخمادُها في المَدَى المَنظور بينما ثروات العراق الطبيعيّة والبشريّة و شواهده الحضاريّة تُنْهَبُ وتُغْتالُ وتُسْرَقُ وتُدَمَّرُ.

وهذا الحرْص ذاتهُ على «تخليصِ» الشَّعْب الليبي مِن الدكتاتور معمّر القذّافي تُرْجِمَ في أسابيع معدوداتٍ بتحويلِ «جَمَاهيريَّتِهِ» إلى حُطامٍ وجَعْلِها جِهاتٍ تتباعَدُ بالنَّعْراتِ العَشائريّةِ والميليشيات الإرهابيّة المُسَلَّحَة بينَما ثرْوَته النفطيّة والغازيَّةِ تَذْهَبُ بينَ أطْماعِ شركات الدُّوَلِ الغَرْبيَّةِ الغازيَةِ وتَطَاحُنِ الميليشياتِ الباغِيَةِ على الفتاتِ.

والحرْص عَيْنهُ على «تحريرِ» الشَّعْبِ السُّوريّ مِن «دكتاتوريّة» رئيسهِ الشرعيّ المُنْتَخَب دَفَعَ هذا الغَرْبَ «الديمقراطيّ» وأدواته الإستراتيجيّة في الخليج الأعرابيّ وتركيا العثمانيّة وكيان الأردن الوظيفيّ إلى أن يستَعِينوا بالجَّماعاتِ الإرهابيّةِ التكفيريَّةِ ورُهُوط المُرتزِقةِ ومنظماتهم على غرار «بلاك ووتر /الماء الأسود» سليلة «فرسان القدّيس يوحنّا» الصليبيّة ، لتدمير البنى الأساسيّة للدولة الوطنيّة وإشاعة المجازر في القُرى والمُدُنِ السورية.

فهذا الغَرْبُ المُتَطاوِسُ بحضارَته وديمُقراطيّتِهِ المزعُومَتَيْنِ لم يَجدْ حَرَجاً (وهُو يُسْبغُ نِعَمَهُ على شُعُوب مَنْطِقتنا) في أن يستخدِمَ الجَّماعات التي تجهر بعدائها للديمقراطيّة والحريّة رافِعَةً الرّايات التكفيريّة السّوداء ، وَمُطْلقةً عُواءها الوَحْشيَّ أيْنَما حَلَّتْ فتجلد وتأخذ الجزْيَةَ وتقتِل وتذْبَح وتقطع الأيدي والأرجُلَ والرؤوسَ على مَرأى مِن عُيُون الغرْب الذي تُسبغ عليها منابرُهُ الصّفات «الثّوريّة» و«التحرّريّة».

وإذا كانت آلةُ التّضليلِ الإعلاميّةُ الغرْبيّةُ قد نَجَحَتْ إلى حينٍ في

اجْترارِ الخطاب «الدّيمقراطيّ» المَجّاح كغطاءٍ للجرائم التي ما فتئ يرتكبُها هُو وأدَواتُه ضدَّ شُعُوبنا العرَبيّة ، فإنَّ هذهِ المأساة سُرْعانَ ما انْقَلَبَتْ إلى مَهْزَلَة عندَما اسْتَعانَ الغَربُ بمُنَظَّماتٍ نازيّة مِن أجْلِ إشاعةِ «فَوضاهُ الخلّاقة» في أوكرانيا والإنقِلابِ على حكومةٍ مُنْتَخَبَة ديمُقراطياً مُتَجاهِلاً حقيقة أنّ أوكرانيا سَبَقَ وأن حصَلَتْ على حُريّتِها وأنَّ الحكومة التي انقلبَ عليها تمخَّضتْ عنها انتخاباتٌ حُرَّة ، وكان بعضُ عُمَلائهِ جزْءاً مُشارِكا في الحكومةِ ذاتها!، كما أرادَ «كزافيي تيري» تذكيرَ «برنار هنري ليفي» الذي ظَهَرَ فجأةً في «كييف» مُحاطاً بالمُحْتَجِّين النازيين ، تماماً كما سَبَقَ وأن ظَهَرَ في ليبيا بين المُتَعاونينَ مع الغُزاةِ / «ثوّار الناتو» الذينَ وَصَفَهُم القذّافي بالجّرذان، وظَهَرَ لاحِقاً في أوساط رُهُوط «المُعارِضين» السوريين في باريس.

فالوقائع الدّامغة تؤكّدُ أنّ ما شَهِدَتْهُ أوكرانيا ليسَ «انتفاضَةً شَعبيّة» غضِبَ المُشارِكونَ فيها مِن عَدَمِ توقيعِ الحكومة الأوكرانيّة على الإتفاقية الإقتصاديّة مع الإتحاد الأوربي كما نَبَحَتْ أبواق الإعلامِ الغَرْبيّ ، ولا هِيَ مُجَرَّد صِراع على السُّلطة كان يُمكِنُ تَفاديه كما مَاءَ «بيتر سيمو نينكو» زعيمُ الحزبِ الشيوعيّ الأوكرانيّ مُدَّعياً أنّ «استفْتاءً عامّاً لو أُجْرِيَ كان مِن شأنِه أن يُتيحَ المَجالَ أمامَ الشَّعبِ الأوكرانيّ لِتَحديدِ مَسارِ تَطَوُّر البلاد»أسْوَةً بمُواءٍ مُماثِلٍ صَدَعَ بهِ رؤوسَنا رفاقُهُ اليساريّون العَرَبُ العراقيّونَ والسوريّون خاصَّةً.

إنَّ «الكتْلةَ اليمينيَّة» التي تَصَدَّرَتْ الحِراكَ المَشْبُوهَ في أوكرانيا تتكَوَّنُ مِن أحزابٍ قوميّة مُتَطَرِّفَة وجَماعاتٍ فاشيّة بَيْنَها حزْبُ «الحُريّة» الذي تأسَّسَ عام 1991وَدَعَتْ مُنَظَّماتٌ دَوليَّةٌ غَربيّة تحديداً إلى حَظْرِهِ لأنَّهُ حزْبٌ نازيٌّ جديد ، وفي سنة 2012احْتَلَّ زعيمُهُ

«أوليك تاغنبوك» المرتبة الخامسة في قائمة ضَمَّتْ أخطَرَ عشرة أشخاص «مُعادِينَ للسّاميّة»، وبينَ أحزاب تلك الكتلة أيضاً «حزب وطنيّي أوكرانيا» و «المجلس القومي الأوكراني» وغيرهما مِن القوى الأوكرانيّة الفاشيّة التي تُجْمِعُ على عَدِّ «منظّمةِ الأوكرانيين القوميّين» سيّئة السّمْعَة ، مَرْجِعِيّة مُقَدَّسَة لها ، علْماً أنّ المنظّمة الأخيرة كان قد أسَّسَها عَمِيلٌ لألمانيا النازِيّة يُدعى «ستيبان بانديرا» مِن أجل النشاط ضدَّ الاتحاد السوفياتي، وإليها تُنْسَبُ أبْشَع الجرائم التي اقْتُرِفَتْ خلالَ سَنَوات الحرب العالميّة الثانية.

وَالمُفارَقَةُ هُنا - وما أكثر مُفارَقات السياسة الأمريكيّة! - أنّ الولايات المتّحدة وحليفاتها الأوربّيات تدعم حزبَ «الحريّة» الأوكرانيّ الذي بين أعضائه 12 ألف عنصر مُسلّح ، بعشرين مليون دولار أسبوعياً ، ضمن مُخَطَّطٍ لإِحياءِ النازية في أوكرانيا بدأ الإعدادُ له قبلَ سنتين من أحداث «كييف» الأَخيرة ، وأثمَرَ ليس فقط ما كشفتْ عنه المكالمة الهاتفية بين «كاترين أشتون» ووزير خارجية أستونيا «أورماس بايت» قال فيها الأخير إن جميع الشهادات الموثّقة تؤكّد أنّ هؤلاء المسلّحين النازيين هم الذين كانوا يُطلقون النار على «المحتجِّين» في «كييف» وليس رجال الرئيس « فيكتوريانو كوفيتش» المعزول، بل إنَّ مِن الثِّمار ما سُرِّبَ عن أنّ القنّاصة الذين ظهروا في تونس عشيّة إطاحة الرئيس زين العابدين بن علي جُلِبوا مِن أوكرانيا وأُعِيدُوا إليها.

إنَّها إذن ثِمار دَعْم أمريكيّ لِمُنَظَّماتِ «الكتلة اليمينيّة» الأوكرانية بدأ مع عَهْد الرئيس الأمريكيّ الرّاحل «رولاند ريغن» لأهدافٍ تَجَسُّسيّة ، وفي اليوم الثالث عَشَر مِن شَهْر كانون الأوّل / ديسمبر الماضي أدْلَتْ « فيكتوريا نولاند» مساعدة وزير الخارجية الأمريكية

الحالي «جون كيري» بتصريح قالت فيه : « لقد استَثْمَرْنا أكثر مِن خمسةِ مليار دولار منذ سنة 1991 (العام الذي ظهر فيه حزبُ الحريّة النازي) لمساعدةِ أوكرانيا على تطوير مفهوم الدّيمقراطيّةِ فيها» .

إنَّ ما أشاعَتْهُ وسائلُ الإعلامِ الغَرْبيّة عن «مُواجَهة بين (سلطة مُجرِمَة) و(مُتظاهِرين سلميّين)» كَما كانت تشيع عن الأحداث التي شهدَتْها ليبيا وسوريا مثَلاً ، كان في الحقيقةِ إقدامِ القوى النازيّة الأوكرانيّة على استِفزازاتٍ الهدَفُ مِنها تصعيد الأحداث ووقوع المواجهات الدّامية مع السلطة الدستورية الأوكرانيّة ، وصُولاً إلى أعمالِ تخريبٍ وقَتْلٍ إنتقاميّة شملتْ حتى تماثيل لينين وأبطال الحرب ضدّ الفاشية ، تماماً كما قامت وبدَوافِع مُوازية ولكن شبيهة بما ارتكَبَتْهُ ، الجّماعاتُ التكفيريّة في سوريّا مِن كَسْرِ رأس تمثال أبي العلاء المعرّي وتدمير الكنائس ومَقامات الأولياء إلى غير ذلك مِن المُمارسات الطائفيّة الحاقِدَة والجَّهُولة.

والخطيرُ أنّ هذهِ القُوى النّازيّة الجديدة تستَهْدِفُ مُكَوِّناتٍ عِرْقيّةً عديدةً مثلَ الرُّوس الذين يُشكّلون 17,3 بالمئة ، والبيلاروس: 6بالمئة، وتتار القرم والمولداف الذين يشكل كل منهم : 0,5بالمئة، والبلغار:0,4بالمئة ، والمجَر والرومانيون والبولنديون الذين يشكل كلٌ منهم 0,3بالمئة ، واليهود والأرمن واليونان والتتار الذين يشكل كُلٌ منهم 0,2بالمئة.

وكان النازيون الجدد يُراهِنُونَ على التباعُد الثقافي بين سكّان غَرْبِ أوكرانيا وشَرْقِها ، لإضرامِ حرب أهلية.

وإذا كانَ ثمّة مَن يَجْتَهِدُ في أنَّ وَراءَ دَفْع الأوكرانيين إلى هذا

النّزاع أو التدمير الذاتي أيديولوجيا ترتكز عليها المؤسسةُ البريطانيّة الإقتصاديّةُ المُهَيْمِنَةُ عبْر مؤسّساتِها الماليّة على الأنظمةِ السياسيّةِ في الغَرْب ، مُتَقَصِّدة عن وعْي وسابق إصْرار تدمير اقتصاد بلدانِها هِيَ على حساب شُعُوبِ هذهِ البلدان ، لدرجةِ أنَّ الأزمة المالية والإقتصاديّة في هذه الدُّوَل باتَ مَيؤوساً مِن إيجادِ حُلُولٍ لَها على الرُّغم مِن مُحاوَلاتِ الإنعاشِ التي بدأتْ سنة 2008 بضَخٍّ «السّيولة النقديّة» بصورة غير مَسبُقة .

وإذا كانَ التدميرُ الذاتي مِن سماتِ الإمبراطوريّاتِ التي تلجأ إلى الشرِّ في حُدُودِهِ القُصْوَى، مُذَكِّرَةً في هذا السِّياق بمُحاوَلَةِ إشْعال حَرْبٍ إقليميّةٍ فَعالَميّة ربّما إتكاءً إلى شَنِّ عُدْوانٍ على سوريا في شهْرِ آب/أوت 2013 ، أجْهَضَتْه حِنْكَةُ الدّبلوماسية الرُّوسيّة - وقَد ذَكَّرناأصحابُ هذا الإجتهاد لِدَعْمِه بما فَعَلَتْهُ النّخْبَةُ المالية العالميّة المُتَمَركِزَةُ في لندن وربيبتُها في شارِع المال «وول ستريت» بمدينة نيويورك سنة 1933بتمويل الحزْب النازي مِن قِبَلِ المصرفِ المركزيّ البريطاني مُمَثَّلاً بشخص «مونتغيو نورمن» ومِن المصرفِ الأمريكي / هاريمان برذرز مُمَثَّلاً بشَخص «بريسكت بوش» جَدّ الرئيس جورج بوش ، وبالتالي حَذَّرَ هذا الإجتِهاد مِن اندِلاعِ حَرْبٍ عالميّة انطِلاقاً مِن الأزمةِ الأوكرانيّة عبْرَ زَجِّ الولايات المتّحدة في مُواجَهَةٍ مع روسيا، إذا لم يتمّ عَزْلُ الرئيس «باراك أوباما» الذي وُصِفَ بأنّه أداة المؤسسة البريطانية المذكورة...

إلّا أنَّ مانَراهُ - مع تقديرنا لهذا الإجتهاد وضرورة أخذِهِ في الحسبان - هُوَ أنّ الدّافعَ إلى مُحاوَلة إشاعة «الفوضى الخلّاقة صهيو أمريكيا» في أوكرانيا وُصُولاً إلى حَرْب أهليّة وقودُها الأوكرانيون ومُواطِنوهم

مِن ذَوِيِّ الأصْلِ الرّوسي ، هُوَ النَّيْلُ مِن المَصالِح الرُّوسيّة وخاصة في شبْهِ جزيرةِ القرم المتمتّعة بحكم ذاتي ، والتي منَحَها لأوكرانيا الزعيم السوفياتي «نيكيتا خروتشوف» (ولد في 15 نيسان /أفريل1894 في بكالينكوفا بمقاطعة كورسك الواقعة على الحدود الفاصلة بين روسيا وأوكرانيا) تشجيعاً لها على الإنضِمام إلى الإتحاد السوفياتي عام 1954 ، وبدَوْرِه عزَّز هذا الأمرالواقِع الزعيم السوفياتي الأوكرانيُّ الآخَر «ليونيد بريجنيف» (ولد ليونيد بريجنيف في 19 كاون الاول / ديسمبر عام 1906 في مدينة كامنسكوي - دنيبرودزيرجينسك حاليا- الأوكرانية)، وكما هو مَعلوم فإنّ ميناء جزيرة القرم الوحيد يحتضن أسطول البحر الأسود الروسي .

ويُعَوِّلُ الأمريكيّون وحلفاؤهم عل أنَّ روسيا لن تقبل بحكومة أوكرانية قد تكون دفّتها في قبضة حزب «الحريّة» الذي تعودُ جذورُه الفكريّة إلى ثلاثيناتِ القرن المُنْصَرِم ، والذي عُرِفَ أسلافُهُ بتعاوُنِهِم مع الجيوش النازية لاحتِلال البلاد ، لاسيما وأنّ روسيا كانت قد قدَّمَت ثلاثين مليونَ شهيد مِن مُواطِنيها ذَوْداً عن حياضِها ضدَّ الغَزْوِ النازِيّ لأراضيها خلالَ الحرب العالميّة الثانية.

ولكن غابَ عن الحُمْق الأمريكي أنَّ روسيا التي يجري استفْزازُها يقودُها زعيم استثنائي هو «فلاديمير بوتين» الحريصُ على استِعادة كُلّ ذرّة مِن تُراب وطنه تمَّ التفريطُ بها في أي ظَرْف تاريخيّ ، وعلى ترسيخ دور روسيا كقطْبٍ آخَر فاعِل بامتياز في إدارة السِّياسة الدولية ، والذي يَحظى بإرادةٍ وطنيّة تجذبُ إليها قلوبَ وعُقول المواطنينِ الرُّوس الذين ينظرون بحَسْرَة إلى كلِّ شبْرٍ مِن تُرابِهِم الوطنيّ تمَّ التَّفْريطُ به في العَهْد السوفياتيّ خاصّةً ، فكانتْ الأزمةُ الأوكرانيّةُ

الضارَّةَ النافعَة لِرُوسيا ، والسُّمَّ الزُّؤامَ الذي سَيَتَجَرَّعُهُ الأوكرانيّون مِن جرّاء حَماقاتِ مواطنيهِم النازيين الجدد الذين يدعُونَ إلى «صفاء» العِرْق الأوكراني وَمُقامَرَة الغَرْب بِهِم وبمُستَقبَلهم ، ذلكَ أنَّ عَوْدَة شبْه جزيرة القَرم إلى حُضْن روسيا الأمّ حلم كلِّ مُواطِن أوكرانيّ مِن أصْل رُوسيّ ، ناهيكَ عن أنّ مواطنيّ الشَّرْق الأوكرانيّ يتكلّم مُعظَمُهُم اللغةَ الروسية وينعمونَ بعائدات مالية ضَخْمَة مِن جرّاء التجارة الناشطة مع روسيا ، بينما يُعاني مُواطِنوا الغَرْب الأوكرانيّ الذين يتكلمونَ اللغةَ الأوكرانية مِن أوضاع مَعيشيّة مُزْرِيَة ، وفي حين يبلغ التبادُل التجاري الأوكراني سنويا معً روسيا الخمسينَ مليار دولار ، فإنه لايَصلُ مع الغَرب الأوربي حتى إلى خَمسةِ مليارات دولار ، وكما هي عادَة الغَرْب مع الدُّول والشعُوب التي يُغامِرُ ويُقامِرُ بالتدخُّل في شؤونِها فإنّه سَيَتْرِكُ مُواطِنيّ غَرْب أوكرانيا لِمَصيرهِم الذي سيزدادُ بؤساً عندَما تتخَلّى روسيا عنهم .

والمفارَقة هُنا أنّ هذا الغرْب الفاجر الذي كان يدعو إلى حَظْرِ ومُعاقبَةِ المنظَّمات النازية الأوكرانية كحزب «الحرية» العضو في تحالُفِ الحركاتِ القوميّة الأوربيّة الذي يضمّ أحزاباً فاشيّة مثل حزب «جوبيك» الهنغاري والحزب القومي البريطاني ، يغضّ الطّرفَ الآنَ عن جرائم الأحزاب الأوكرانيّة النازيّة ، وتتدافَعُ حكوماتُهُ إلى فَرْضِ العقوباتِ على روسيا.

ولا شكَّ في أنَّ المُفارَقَة الأخرى في الملفِّ الأوكراني هي التَّوَرُّط الصهيونيّ في أحْداث «كييف» ، فالصّهاينة الذينَ يبتزّون الغرْبَ منذ قرْن بأنّهم كانوا ضَحايا النازيّة الأوربيّة ، يتحالفون علناً مع القوى النازية الأوكرانيّة ضدَّ روسيا . ولئن كانوا يُحاوِلون إيجاد

غطاء لتدخّلهم بالزعم أنّهم يقدّمون مساعدات عاجلة ليهود أوكرانيا ويعملون على تعزيز أمْن المؤسّسات اليهوديّة فيها ، فإنّ الوقائعَ تؤكد على دَور تخريبيٍّ لجهاز «الموساد» الإسرائيلي إلى جانب القوى النازية الأوكرانية ، كما أنَّ الدوائر الصهيونية كانت تحضّ على تدَخُّل عسكريّ في أوكرانيا ضدّ تدخُّلٍ روسيّ مزعوم ، بل إنّ التضليلَ الصهيونيَّ المتواطئ مع الحِراك النازيّ الأوكرانيّ حَدا بفيلسوفِ «الربيع العربي» وقائده الفكري الميداني الفرنسي الصهيوني «برنار هنري ليفي» إلى الرَّبْطِ الصّفيق والتحريضيّ والزائف بين «القمْع الحكوميّ» المزعوم للمتظاهرين في «كييف» وبين «مَذابح القوقاز بحقّ اليهود ، ومجازر المجاعة التي نفّذها ستالين ، وضحايا الهولوكست في بابي يار الأوكرانية» مما حدا بصحيفة «لوفيغارو» الفرنسية إلى القول : «إنّ ليفي الذي طالما نادى بالتدخّل العسكري من سراييغو إلى سوريا، لم يعترفْ يوماً بأنّه أخطأ وأساءَ التقدير» مُذَكِّرَةً بالنتائج العكسيّة للتدخُّل العسكريّ في العِراقِ وليبيا ، ومؤكِّدَةً بأنَّه «مِن الصَّعب جدّاً تَذَكُّر أيّ تدَخُّل عسكريّ نَجَحَ في تحقيقِ أهدافِهِ خصوصاً حينَ نتحدَّث عن تَدَخُّلِ الغَرْب في الشَّرْق».

هِيَ فضيحةٌ أخرى لِلغرْب والصهيونيّة اللذين يَبنيان خطابَهما السياسيَّ المُوحَّد كضحايا للنازيّة رافِعين شعارات الحرية والديمقراطية وتجريم مُعاداة السّاميّة ، لكنّهما يتحالفان مع النازية ضدّ الشعب الروسي الذي له الفضْل في تخليصِ البشريّة مِن الكابوسِ النازيّ مُقدّماً مِن أجْلِ ذلك عشرات المَلايين مِن الشهداء .

مَخاطِرُ الأزْمَة الأوكرانيّة على الأمْنِ القَوميّ العَرَبيّ

كما حدَثَ ويحدُث في مَيادين الربيع الصهيو - أمريكي حَدَثَ ويحدُثُ الآنَ في أوكرانيا وللأهداف ذاتها : الهَيْمَنة الغرْبية الإمبريالية على العالم ونَهْبِ ثرواته ، حمايَةُ أمْن إسرائيل وإنهاء الصراع العربي - الصهيوني بتصفية القضية الفلسطينية.

فكما ظَهَرَ الصهيونيّ الفرنسيّ المَوتُوربرنار هنري ليفي «مُفكِّراً مَيدانيًّا» في بَنْغازي في فاتحةِ سيناريو الإطاحة بـ «قائد ثورة الفاتح»، ظَهَرَ هُو عَيْنُه ذاتُه أيضاً في «كييف» للإطاحة بالرئيس الأوكراني «فيكتور فيدورفيتش يانوكوفيتش» الذي فاز يوم 2010/1/17 في الجولة الثانية من انتخابات شرعية ديمقراطية نزيهة ، على مُنافِسَته «يوليا تيموشينكو» بنسبة 3.48%،إلا أنّ الغرْب الإمبريالي يضربُ عَرضَ حائط المَبكى الصهيونيّ بالشِّعارات الزائفة عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان حين لا تُفْضي نتائجُ انتخاباتٍ ما في بَلَدٍ ما إلى تَسَلُّم مُرشَّحِ مَصالِحِهم هُم دفّةَ الحكم في ذلكَ البلَد، ولذلكَ لم يهدأ للدوائر الصهيو أمريكية بالٌ حتى نجحتْ في تدبير انقِلابٍ يُبْعِدُ

«يانوكوفيتش» عن قصر الرئاسة في «كييف» بقوّةِ «سيناريو تدمير ذاتي» مُماثِل لما شهدتْهُ عدّةُ دولٍ عربية مع أوائل سنة 2011 .

وكما توافَدَ مسؤولٌ أمريكيٌّ تلوَ الآخر إلى تونس بعدَ ما حَدَثَ يوم 2011/1/14 ، تتالتْ زياراتُ المسؤولين الأمريكان إلى العاصمة الأوكرانية بَدْءاً مِن «جو بايدن» نائب الرئيس الأمريكي وصولاً إلى «جون برينان» رئيس وكالة الاستخبارات الأمريكية أو بالعكس.

ومثلما رافقَ «برينان» ضبّاطٌ من الموساد «الإسرائيلي» ومن أُصُولٍ روسية وأوكرانية وخبراءٌ من شعبةِ الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية فتمَّ توقيعُ اتفاقيات عسكرية «إسرائيلية» مع سلطاتِ الانقلاب في «كييف» التي أعدّتْ قائمةً باحتياجاتِ الجيش الأوكراني من الأسلحة والعتاد العسكري، واستعدّت لوضع مجموعاتِ اليمين المتطرِّف الأوكراني المُوالي للغرْب الأمريكي الأوربي في غَربيّ أوكرانيا تحْتَ أوامر محطة الموساد «الإسرائيلي» في الدّاخل الأوكراني، بل إنّ فِرَقَ استخباراتٍ أميركية و«إسرائيلية»، توظِّف هذه «الفوضى الخلاقة» التي تئنّ تحْتَها أوكرانيا في إعادةِ «خَلق» مجموعاتٍ مِن تنظيم «القاعدة» الإرهابي، عمودُها الفقريُّ مقاتلون قوقازيّون من الشيشان والتتر والشركس، الذين قاتلوا في سوريا على مدى ثلاث سنوات واكتسَبُوا مَهارات قِتالية، كما صرَّح الأرْعَن «روبرت فورد» صانعُ فِرَقِ الموت في العراق و سوريا مُتَوَعِّداً أصدقاءنا الروس.

وعلى هذه الشاكِلة تسلَّلتْ عناصرُ الموساد الإسرائيلي لِنَصرةِ «جبهة النصرة» و «الجيش الحرّ» و «داعش» وغيرهم من عصاباتِ الإرهابيين التكفيريين ، وحمَلَتْ جرحاهم لمعالجتهم في المشافي الإسرائيلية.

وعلى غرار «استغاثة» العميل «كمال اللبواني» ممثل ما يُسمّى «ائتلاف الدوحة» بالكيان الصهيوني ، والذي صرَّح بأنّ «إسرائيل» هي أمَلهُ هو و «ائتلافُ الخَوَنة» وأنّ « هناك مصلحةً إسرائيلية بإسقاط الحكومة السورية وإن الطريقَ الوحيدَ لفعْلِ ذلك هو أن تدعم إسرائيلُ « ائتلافَهُ المعارضَ»، هذه الاستغاثة التي نَجَمَ عنها حسَب صحيفة «يديعوت أحرونوت» لقاءٌ جَمَعَ في برلين «يتسحاق هرتسوغ» رئيس حزب العمل الإسرائيلي «المُعارِض» إلى «مسؤولين في المعارضة السورية» ، قام «بيترو بوروشنكو» وزير الخارجية الأوكراني السابق وأحد المرشحين للرئاسة الأوكرانية بزيارة سريّة إلى «اسرائيل» التقى خلالها (حسب الإذاعة الإسرائيلية في الثلث الأخير من شهر نيسان 2014) شيمون بيريز وأفيغدور ليبرمان ، طالبا منهما أن تقدِّمَ «إسرائيلُ» دعْماً لأجهزة الأمْن الأوكرانيّة.

وبما أنَّ الكَيْلَ بمِكيَالَيْن هُو دَيْدَن السياسة الغربيّة الأمريكية والأوربية فإنّ واشنطن وحليفاتها مِن العَواصم الأوربيّة لم تجدْ حَرَجاً في إفشال الاجتماع الرباعيّ (روسيا ، أوكرانيا، الاتحاد الأوربي، الولايات المتحدة) يوم 17 نيسان / أفريل 2014 لِتسوية الأزمة الأوكرانيّة ، وتشجيع حكومة «كييف» الانقلابية على دفع عساكرها المَدعومِين بالمَجموعاتِ الفاشية المُسَمَّاة «القطاع الأيمن» إلى اقتحام مُدن جنوب شرق أوكرانيا وارتكابِ المجازر التي أفظَعُهَا المجزَرةُ التي ذهبَ ضحيَّتها أربعون مواطناً قامت المجموعاتُ النازية بحرقِهم داخلَ مَبنى النقاباتِ في مدينة «أوديسا» ، لأنّ مُواطِنيّ مُقاطَعات جنوب شرق أوكرانيا وخاصّة جمهوريتا «دونيتسك» و «الدونباس» يرفضون الانتخابات الرئاسية الأوكرانية المُزمَعة ، ممّا

دفعَ «الدونيتسك» و «الدونباس» إلى تشكيل جيشٍ شعبيٍّ لكلٍّ منهما للدفاع عن الأهالي الذين يتعرَّضون لهجوماتٍ وحشية تقوم بها مجموعاتُ «القطاع الأيمن» النازيّة بإشراف فِرَقٍ من المخابراتِ الأمريكية.

فالغَرْبُ الذي دبَّرَ الانقلابَ على الرئيس الأوكرانيِّ الشرعيّ المُنتخَب «يانوكوفيتش» يُريد فرْضَ انتخاباتٍ لتعويضه برئيسٍ مُوالٍ للدوائر الصهيو أمريكية ويرفض في ذات الوقت أن يُجري مواطنوّ جمهوريّات جنوب أوكرانيا استفتاءً بخصوص تقريرِ مصيرِهم .

وعلى الرغم من أنّ الرئيس «فلاديمير بوتين» دعا إلى وقْفِ كلِّ أشكال زعزعة استقرار أوكرانيا ، مُقترِحاً قيامَ دولة فيدرالية فيها تلبِّي المطالبَ الشرعية لسكانِ مناطقِ جنوب وشرق أوكرانيا عبْرَ عملية إصلاح دستوري ، وفي الوقت ذاته تقديم ضماناتٍ لموسكو بأن لا تنضمّ أوكرانيا إلى حلف «الناتو» كشرْطٍ لبقاءِ موسكو محايدةً إزاء الأزمة الأوكرانية ، وعلى الرّغم مِن أنّ الرئيس الروسي دعا إلى تأجيلِ انتخابات جمهورية الدونباس وجمهورية دونيتسك وفي الوقت ذاته تأجيل الانتخابات الرئاسية الأوكرانية ، ودَفْع جميع الفُرَقاء الأوكرانيين إلى حوارٍ وطني ، فإنَّ الغرْبَ دَفَعَ حكَومةَ «كييف» إلى رفْضِ الفيدرالية والعَرْض الروسيّ والتمسّكِ بخيارِ الانتخابات الرئاسية مما حدا بمواطِنيّ الدونباس والدونيتسك إلى التمسك بدورهم بمَوْعِدِ انتخاباتهم ، مما يعني استمرار الأزمة وتصاعُدها.

ولئن كان خيار انتخاباتِ مُقاطعات جنوب شرق أوكرانيا سيصبُّ مَوضوعِيّاً في النهاية في صالح روسيا لأن هذه الانتخابات المتوقَّعة سَتفْضي إلى إعلان هذه المقاطعات انضمامها إلى الاتحادِ الروسي

عاجِلاً أو آجِلاً، فإنّ الخاسرَ الأكبر ستكون الدولةُ الأوكرانية التي جَعلَ الغرْبُ مِنها محْرَقة لتآمُرِه على روسيا تماماً كما جعَلَ مِن الجماعات التكفيريّة الإسلامويّة وأعرابِ الخليج وسلاجقةِ تركيا وسِواهم محرقةً في تآمُرِه على سوريا .

وإذا كان الغرْبُ يسعى بالأزمتين السورية و الأوكرانية إلى إيجاد بدائل للغاز الروسي المُصَدَّر إلى أوربا بغيةَ حُرْمان موسكو مِن مَردوداته بالعملة الصعبة وبالتالي إضعافَها اقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً وعلميًّا ونُفُوذاً سياسياً دَوليًّا ، فإنّ موسكو بمقدورها أن تَجدَ بديلا لتسويق غازِها عن السوق الأوربية في سُوقِ الصين وشرقِ آسيا ، لكنّ أوكرانيا التي كانت تستوردُ الغازَ الروسيَّ بسعْرٍ رمزيٍّ فإنّها مهدَّدَةٌ الآن بدفْعِ زيادةٍ تُقدَّرُ بثمانين بالمئة لكلِّ مترٍ مُكعَّبٍ مِن الغاز عن السعرِ السابقِ الذي كانت تقبله منها موسكو ، كما أنّ «قروضَ الإنقاذ» التي يَعِدُ الغربُ بها الأوكرانيين عن طريق «صندوقِ النقد الدوليّ» لن تُمنَحَ لهم إلا بعد تنفيذِ شروطٍ مُجحِفة مثل رفع الدعم عن الطاقة وتخفيض الرواتب ومعاشات التقاعد وطرْد أعدادٍ من الموظفين ، بحيث يتحكم هذا «الصندوق» المشؤوم بمصائر هذا الشعب ويدفعه إلى ذات المصائر التي تتربّص بشعوب ما يُسمى «الربيع العربي» التي تتخبّط الآن تحت وطأة تداعيات «ثورات الفوضى الخلاقة».

لكن وكما أنّ «إسرائيل» هي المستفيدُ الوحيدُ من هذا «الربيع العربي» الذي دمّرَ الجيوشَ والثروات البشرية والبُنى التحتية للدول العربية مثلما مَزّقَ نسيجَها الإجتماعيَّ ، وجَعَلَ تل أبيب تستفرد بالفلسطينيين ، وبينما هي بصدد تدمير أولى القبلتين وثاني الحرمين وتحفرُ المزيدَ مِن الأنفاق تحت المسجد الأقصى تزيد حماسةُ حركةِ

المُقاوَمة الإسلامية «حماس» في حَفْرِ الأنفاق أسْفَلَ المباني الأثرية في سورية وتحت عمارات الفلسطينيين في مخيم اليرموك لتَدميرِها ، ويحشدُ « رائد صلاح» أنصارَ «حركتِهِ الإسلامية» المرخَّص لنشاطِها من السلطاتِ الإسرائيلية في أراضي الـ48 ويدعوهم إلى الزحف لتحرير سوريا مِن «البعثيين»! ، فإنّ باكورة الحصاد الإسرائيليّ في تدخُّلِ «تل أبيب» أو (تلّ الرّبيع) في الأزمة الأوكرانية كما أعلنتْ الوكالة اليهوديّةُ يوم الأحد 2014/5/4 ، هُو أنّ «عددَ المهاجرينِ من الأوكرانيّين اليهود إلى «اسرائيل» زادَ بنسبة 142 % خلالَ الأشهرِ الأربعةِ الأولى مِن السنةِ الحالية مُقارَنةً مع الفترة نفسها من عام 2013»، وتوقعتْ أنْ تزدادَ هذه النسبة مع تصاعُدِ الأزمة في هذا البلد.

وأوضحتْ ذاتُ الوكالة التي تعنى باستقدام اليهود إلى «إسرائيل» أنَّ 762 مُهاجراً أوكرانياً وصلوا خلالَ الأشهرِ الأربعةِ الاولى من السنةِ مُقابلَ 315 خلالَ الفترةِ نفسها من العامِ الماضي.

وتتزايدُ نسْبَة ارتفاعِ الهجرة حيث بلغتْ نَحْوَ 200 % في آذار / مارس و295 % في نيسان /أفريل 2014 مُقارنة مع هذين الشهرين من العام 2013.

إزاءَ هذه المُعطَيات رُبّما مِن السّذاجةِ أن نُنبِّهَ النّظامَ العَرَبيَّ الرَّسمي إلى أنّ الخطَرَ على أمْنِنا القوميّ قادمٌ مِن الأزمةِ الأوكرانيّةِ أيضاً التي تُغَذّي المشروعَ الصهيونيَّ وتَوَسُّعَهُ الاستيطانيَّ مِن أجلِ إقامة «دولةِ إسرائيلَ اليهوديّة» ، ولكننا نلفت القوى العربيّة الحيّةَ المُناهِضة للصهيونية ومشروعِها الذي لن يتحقّق إلا على أنقاضِ وُجودِنا الوطنيّ والقوميّ والإنسانيّ ، إلى أنّ سيناريو التآمُر الغربيّ

الصهيونيّ على روسيا بقيادة الزعيم فلاديمير بوتين ، تارةً عبْر جورجيا وأخرى عبْر الشيشان وثالثة عْبر أوكرانيا هُو في الوقت ذاته تآمُرٌ على سوريا وفلسطين والأمْن القومي العربيّ ، كما أنّ استهدافَ سوريا تارَةً مِن لبنان وأخرى مِن الأردن وثالثة من تركيا هُو استهدافٌ لاقتصادِ وأمْنِ ووُجُودِ روسيا والصين وإيران ودُوَلِ البريكس مادامتْ هذه الدُّوَل حريصة على رَفْضِ الهيمنةِ الغرْبيّة الصهيونيةِ على مصالِحها وعلى مصائرِ شعوبها.

بَعْضُ المُثَقّفِين العَرَب جَاوَزَتْهُ الأحداث

حِوار أجْراه :رياض عَمايرَة

هادي دانيال هُوَ أكثر كُتّاب العَرَب إنتاجاً وأكثرهُم ثَباتاً في المَواقِف ، نَبَّهَ مِن خُطُورَةِ ما سُمِّي ب»الربيع العربي» منذ بدايتِهِ وأصْدَرَ في ذلكَ كُتُباً عديدة . واجَهَ الرِّياحَ وسارَ ضدَّ التيّار ولَمْ يَخْشَ لأنَّ النّضالَ يَجْري فيهِ مَجْرى الدِّماء ، نَشأَ ضِمْنَ منظّمة التحرير الفلسطينيّة ودافَعَ عن قضيّتِهِ بكلِّ الأسلحة ، جَمَعَ بينَ عَدِيد الأشياء ، فَمِنَ الكِفاحِ إلى الكتابةِ والشِّعْر. كانَ لنا معه الحِوار التالي :

* كيف تنظر اليومَ إلى ما سُمّيَ بالربيع العربي ؟

-في الكتب الأربعة التي أصدرتها أجبتُ بإسهابٍ عن هذا السؤال و كذلك في الحوارات الصحفيّة الأخيرة التي أُجْرِيَتْ معي حَوْلَ هذا الشأن ، و بما أنّه في الفكر السياسي قد يكونُ التكرار مُفيدا كما عَلَّمنا الكاتبُ الكبير محمد حسنين هيكل (خلافاً لما هو مُتعارَف عليه في الكتابة الإبداعية) فإنَّ موقفي مما أسميتُه مؤامرة الربيع العربي يَنطلِقُ مِن أنني في البداية نظرتُ بتشكّكٍ إلى ما حصل بَدْءاً مِن تونس اعتِماداً على معرفتي و مُعايشتي للثورات التي تقوم بها عادة قوى ثوريّة

لها نظريّة ثورية و برنامج ثوري واضح، مِمّا يَعني أننا نقوم بالثورة ونحنُ على وَعْي ثوري بواقِعنا الذي نثورُ عليه و بالأداة التي نستخدِمُها و بالمستقبل الّذي نروم الوصولَ إليه. ما حَصَلَ بَدْءاً مِن تونس أنّه في هذه اللحظة و بعد ثلاث سنوات من الإطاحة ببن علي لا أحد يعرفُ مَن هِي القوى الثورية التي قامتْ ب «الثورة التونسية» و ما هو برنامج تلك القوى ، و لكن الكُلّ أصبحَ يَعرف أنَّ ما حصلَ في تونس أطاح بنظام كان قائماً ، وأطِيحَ بهِ تحت شعاراتٍ ،المُواطن التونسي قبل غيره يُقرّبأنّه لم يتحقق منها شيئٌ بل هو يائس من أن تتحقق هذه الشعارات في الأفق. هذا التشكّك دَعاني إلى البحْثِ المُتعمِّق أكثر فيما يحصل في محاوَلةٍ لِفهْم الواقِع فعثرْتُ على وثائق خطة برنارد لويس لإقامة الشرق الأوسط الكبير من باكستان إلى مراكش ، وهذه الخطة وُضعت بعد أحداث 11 سبتمبر/أيلول 2001 و انهيار البرجين في نيويورك و بَدأ تنفيذُها تحتِ شِعار مكافحة الإرهاب أو الحَملة الدولية لمكافحة الإرهاب التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية وبدأتْها بحَرْبَين على أفغانستان و العراق ،وعندما دفعتْ ثمناً باهظاً خِلال هاتين الحربَيْن لجأتْ إلى سيناريو الإطاحة بأنظمة أوروبا الشرقية الذي استخدمتْ فيه برنامجَ «جين شارب» للإطاحة بالأنظمة الدكتاتورية بوسائل سلمية ، و التي تم تنفيذها في تونس و مصر.

***لكن لماذا نجحت هذه المخططات في بقيّة البلدان بينما فشلت في سوريا ؟.**

- عندما حاوَلوا نَقْلَ السيناريو إلى ليبيا لم تتوفَّر عناصِرُ تنفيذِ خطّة «جين شارب» فلجأوا إلى سيناريو أقربَ إلى السيناريو العراقي عندما تدخَّلَ «الناتو» وأسقط نظامَ القذافي و أدْخلَ ليبيا في هذهِ الفوضى

العارمة. و لكن في سوريا التي لم يتوفر فيها أيضا عَناصِرُ تطبيق هذه الخطة وانتصرتْ سوريا بصمودها على مَشروع الشرق الأوسط الكبير، كما فشلوا أيضا في تطبيق السيناريو الليبي بسبب وجود الجيش العربي السوري العَصِيّ على الإختراق ، و بسَبب العلاقات الإقليمية و الدولية التي حصَّنَتْ سوريا من التدخُّل الخارجي و خاصة الحؤول دون إيجاد غطاء دولي من الأمم المتحدة ، لهكذا تدخُّل عندما استخدمت روسيا و الصين حق الفيتو ثلاث مرّات لصالح الدولة السورية.

***أين هي القضية الفلسطينية في كل ما يحدث ؟**

- مُؤامَرةُ الربيع العربي تستهدِفُ في الأساسِ القضيّة الفلسطينية، ففي سياق إقامة الشرِّق الأوسط الجديد يتمّ تدمير أكبر أربعة جيوش عربية وهي التي تشكل خطرا إستراتيجيا على أمن «إسرائيل» وهي الجيش العراقي،والجيش السوري، والجيش المصري والجيش الجزائري لاحِقاً ،كما استُهْدِفتْ الترسانة النووية الباكستانية التي تعدُّها «إسرائيل» خطرا إستراتيجيا عليها كونها ترسانة إسلامية ،وفي ذات السياق نجد الكيانَ الصهيونيّ يرنو إلى الحؤول دون تمكن إيران من الحُصُول على أسلحة نووية.

مِن جهة أخرى نحن نرى كيف لا يتمّ فقط تعطيل الجيش السوري عن القيام بدوره التقليدي الكابح و الرادِع للتوسع الصهيوني و كذلك محاولة إغواء و إدخال المقاومة الوطنية اللبنانية «حزب الله» خاصّة،في الصراعات الداخلية ، و في الوقت نفسه شق القوى الفلسطينية بين قوى لها مشروع وطني كفتح و الجبهة الشعبية مِن جهة و قوى مُلحَقة بالمشروع الإخواني الدولي المُرتبط بالمشروع الصهيوني الأمريكي كما هو حال حركة «حماس» حاليا من جهة ثانية.

و جميعنا يُلاحظ الآن كيف أنّ «إسرائيل» باتتْ حليفاً علنياً ليس فقط للمُسَلحين الإرهابيّين الذين يُقا تِلون في سوريا و يُعَالَجُون في المستشفيات الإسرائيلية.

و أيضا لِقطر و السعودية و تركيا ، هذه الدول التي تتناوب في دعم الإرهاب الذي يستهدف سوريا تمويلاً و تسليحا و تجنيداً للمُسَلحين ، و في هذا المناخ الذي تدعَم مُعطياتُه دعماً مُطلَقاً المشروعَ الصهيونيّ لِتصفيةِ القضية الفلسطينية ، تُواصِلُ « إسرائيلُ» بناءَ المُستوطَنات و استكمالَ تهويدِ القدس و مُواصَلة فرْض شروطِها على القِيادة الفلسطينية بدعم أمريكي غَرْبي و تواطؤ عَرَبي.

*** ماهو دور المثقف العربي في ظل هذا الواقع؟**

- كلّ يوم يُؤكِّد مَن يعدُّونَ أنفسَهُم مثقَّفين أنَّهُم على علاقة ضعيفة بمَعْنى كلمة «مثقَّف» ،فأن تكونَ مثقَّفاً يَعني أن تكتسِبَ مِن المعارفِ ما يُوَسِّعُ و يُعَمِّق وَعْيَكَ بواقِعكَ السياسيِّ و الاجتماعيِّ والاقتصاديّ و الثقافيّ و يُحَمِّلك هذا الوعيُ مسؤوليَّةً إزاءَ المجموعةِ البشريَّة التي تنتمي إليها و إزاء التاريخ البشَريّ ، و من هُنا جاءت مقولة أنَّ المثقَّفَ ضميرُ شعبِه، يعني هكذا يُفترَض أن يكون. فعَلى هذا المثقف تقع مسؤوليّة مُراقبة حَرَكة الواقع و إيجاد النظريّات لإصلاحِه أو الثورة الإيجابيّة لِتغييره جذريًّا ، و بالتالي عندما أقول إنَّ جميع الدُّول التي استهدفتْها مؤامرةُ الربيع العربي هي مُتوَفِّرة على الشروطِ الموضوعيّة لِقيام الثوراتِ الشعبيّة فيها و لكنّها تفتقرُ إلى الشروط الذاتية لِقيام ثوراتٍ شعبيَّة وطنيَّة تنقِلُ واقِعَ شعوبِ هذه الدُّوَل مِن واقِع رديء إلى واقِع أفضل تطيب فيه الحياة ، و كَوْن افتِقاد هذه الدّوَل إلى الشرْطِ الذاتيّ للثورة جَعَلَ الدوائرَ الصهيوأمريكية

تُمْلئ هذا الفراغ بما أَسْمَته حراكات إسقاط الأنظمة و إيهامنا بأنّ من أسقَطَها ثورات شعبية ، كُلّ ذلك يَجعلنا نُحَمِّل المثقف جزء اً كبيراً مِن مسؤوليّة هذه المؤامرة ، خاصّة و أنَّ كثيرين من المَحسوبين مُثقفين عرباً تمَّ توظيفَهُم في مُحاولة تغطية هذه المؤامرة لِدرجة أنّنا أصبحنا نرى مثقفينَ يسارِيِّين باتَ دورهم تبريرَ ما حدَثَ و يحدثُ مِن تدمير للدُّوَل الوطنيّة و إشاعة الفوضى في مُجتمعاتِنا و إقامة الإمارات الظلاميّة على أنقاضِ مُؤسَّسات الدولة المدنيّة ، بَل إنَّ تحالفاً باتَ مُعْلناً بين بَعْض المثقفين اليسارِيِّين و أُمراء التنظيمات الإرهابية. ولعل آخر تجلياته المُقزِّزة تلك الرسالة التي أرسلها «ميشيل كيلو» إلى أحَد أمَراء الذبْح و الظلام في سوريا. فأمثالُ هؤلاء لا أُعدّهُم في عِداد المثقفين ، إنّما هم تقنيُّو مَعْرفة و تُجَّار حبْرٍ و دَم ، لأنَّ الثقافة تفترِضُ مِن الذي يَنتمي إليها انحيازاً مُطلقاً إلى كلِّ ما هُو خَيِّر و مُضيء وتقدُّميّ في الإنسان ، لكنَّ أدعياءَ الثقافة هؤلاء الذين يَرفعون زُوراً و بُهتاناً شعارات الحرِّيَّة والديمقراطيَّة و حُقوق الإنسان في سوريّا من مَنابرٍ يُمَوِّلها أعداءُ حُقوق الإنسان و الديمقراطيّة و الحريّة في الكياناتِ الخليجيّة في الرِّياض و الدَّوْحَة خاصّة ليسوا أكثرَ مِن أنّهم يَبيعُون بثمَنٍ بَخْسٍ ليس فقط ضمائرَهُم التي أشكّ شخصيّاً بِوُجُودِها بين حَناياهُم بل يبيعون أهْلَهُم و الترابَ الذي نبَتوا مِنه ، و أنا أعتقدُ أنَّ مَن عَرَّفونا بأنفسِهم على مَدى عُقودٍ كصادق جلال العظم أو ميشيل كيلو أو رياض الترك و أتباعهم كياسين الحاج صالح بأنّهم يساريُّون ماركسيُّون يَخونُون أوّلاً فِكرَهُم عندما يُوَظِّفون رصيدَهم لِصالح المَشروع الأمريكيّ الصهيونِيّ الخليجيّ الوهّابيّ. كما أنّني أعتقِدَ أنَّ مَن قَدَّمَ نفسَهُ لِشَعْبه على مَدى عُقود على أنَّه ناصِريٌّ كما هُوَ حَالُ حَسَن عبد العظيم ثُمَّ نَجِدُهُ في تَحالفٍ مع الإخوانِ

المسلمينَ يَخُونُ أوَّلاً التجربةَ النَّاصِريّة التي تَمثَّلتْ في الأساس بصِراع لم يَهدأ منذ نَشْأتِها مع الإخوانِ المُسلمين. إذنْ هؤلاء المثقفون خانوا فِكرَهِم في الوقتِ الذي يَخونُون فِيهِ أوطانَهُم.

***كيفَ تستقي الشِّعْرَ؟ و ماهي المواضيع التي تفضِّلها ؟**

- كما قلتُ في مناسباتٍ سابقة إنَّ الحياة الشخصيّة و حياة المُحيطين بي و المُعاصِرين لي هي المَصدر الأساس عنْدِي لِكتابة الشِّعر. الأساس هُنا بما أنَّ الكتابةَ الشعريّة هِيَ نشاطٌ شخصِيٌّ ، فقد يتحوَّل الموضوعُ المُتعلِّقُ بشأنٍ عامٍّ إلى شأنٍ خاصّ كي يُصبح التعبيرُ شعريَّاً عنه مُمْكناً ، فلذلكَ مَن يقرأ مُدَوَّنتِيَ الشِّعريَّة يَجِد أنَّها مُتنوِّعَة الأغْراض إذا صَحَّ إستخدامُ هذا المُصْطَلح القديم، المُهِمُّ أن تكونَ مَوهِبتي قد بَلغت النُّضْجَ و أن تكونَ مَهاراتي على درَجَة عاليَة من الكفاءة حيث أنَّ القارئَ يَجد فيما أكتبُه ليسَ تعبيراً عن ما أحسُّهُ أنا فقط إزاء مُعْطيَاتٍ مَا بل عن ما يحسُّهُ هُوَ أيضاً.

***لو تلخص لنا هؤلاء في كلمة؟:**

نزار قباني؟

-السهل الممتنع.

محمود درويش ؟

- رَمْزٌعال للثقافة الفلسطينية.

سوريا؟

-سُرَّة العالم.

تونس؟

- حضن دافِئٌ لِرُوحي.

فلسطين؟

-بُوصلة العَقلِ و الوجدان.

القومية العربية؟

-مَشرُوعٌ لم يَبدأ بَعْد؟

الإخوانُ المسلمون؟

- سَرَطانٌ وَجبَ اجتِثاثُهُ.

اليَسار؟

- مازالَ وَهْمَاً.

المُثقّف؟

- رَكيزَةٌ نَفتقِدُها.

الحياة؟

- فُرْصَتُنا كي نَكون.

الشِّعْر؟

- لا يُعَرَّف.

الحُبّ؟

- نافِذتُنا على الأمل.

*نُشِرَ هذا الحِوار في صحيفةِ «الصَّحْوَة التونسيّة» الأسبُوعِيَّة ، العدد الصادر يوم 11 جوان/حزيران2014.

الجيشُ العربيّ السوريّ هُو التّجَلّي المَادّي لِرُوحِ شعبنا العَظيم

حِوارٌ أجْراهُ : هَيْثَم صالِح

هادي دانيال، شاعِرٌ وكاتبٌ ومُفكر سياسيٌّ سوري مِن مُحافظة اللاذقية، انتقلَ منذ زمَنٍ للعيشِ في تونسَ سعياً وراء مَشروعٍ شعريٍّ يقول عنه، إنه ذاته وحياته، فلم يخبْ مسعاه، وكان حصاده سبع عشرة مجموعة شعرية حتى الآن، لكن طموحَه لم يُبْقِه في خضمِّ الشِّعر ورحابِه، بل حدا به إلى مجالاتٍ وعوالم أخرى، فأنجَزَ ما يربو على عشرة كتبٍ تشعبت بين النقد الثقافي والسينما والفكر السياسيّ، آخرها كتاب بعنوان «سورية التي غيّرتْ وجْه العالم» الذي صَدر قبل فترة قصيرة.

هادي الذي له من اسمه نصيب، لم يضيّع البوصلة كما حصَلَ للكثير مِن المثقفين «تقنيِّيّ المعرفة» حسب توصيفه لهم، غادرَ سورية منذ سنِّ السابعة عشرة، ولم يتخلَّ عن جنسيّته السورية، عادَ إلى الوطن عندما غادره آخرون، قومِيٌّ عرَبيٌّ جسَداً وفكراً، قضيّتُه المركزيَّة فلسطين شأنه شأن الأغلبيّة الساحقة من السوريّين، ولذلك انضمّ إلى منظمة التحرير الفلسطينية ليكون من أعضائها مناضلاً بالكلمة بين صفوفها.

زرناه في مقرِّ إقامته في فندُقِ«الداماروز» وكان لنا معه هذا الحوار:

• لنبدأْ مِن آخر إصدارٍ لكَ، كتاب «سورية التي غيّرت وجه العالم»، لماذا اخترتَ هذا العنوان؟

لأن من يتابع مُجريات ما يمكن أن نسمّيه الآن «الحربَ الكونيَّة على سوريا» باتَ مِن غير الصَّعب أن يستنتجَ أنَّ المُقارَبة الإقليمية والدولية للمسألةِ السورية غيّرتْ السياسة الدولية مِن سياسةِ القطب الواحد إلى سياسَة تعدُّدِ الأقطاب، وذلك بدءاً من اتخاذ روسيا والصين للفيتو المزدوج أكثر مِن مَرَّة الذي كسر إرادة الإدارةِ الأمريكية في فرْض مشروعِها الذي بدأْتْهُ في الحَرب على أفغانستان والعراق، وهذا التغيُّر في السياسةِ الدولية ما كانَ يُمكن أن يكونَ لولا صُمود الجيش العربي السوري في مواجهةِ هذه الحرْب الكونية الإرهابية وتماسُكِ الدولةِ السورية التي كانت مُستهدَفة مِن هذه الحرب.

مادام العدوان على سوريا اندرَجَ في إطار ما يُسمّى «الربيع العربي» كيف تنظر إلى هذا «الربيع»؟

•• أعتقدُ أنَّه كما بيّنتُ في مجموع كتبي المتعلقة بهذا الموضوع أنّ المسألة بدأتْ بعد انهيار البُرْجَين في نيويورك وهجمات واشنطن في 11أيلول عام 2001 بعمليّة مشبوهة لأنه حتى اليوم لم يتعرّف العالمُ على نتائج التحقيقات المُفترَضة بشأنِ مَنْ كان وراءِ هذه العملية، أمَّا أهداف هذه العملية فبدَأنَا نُدركها منذ الحرب على أفغانستان ثم الحرب على العراق التي استؤنفت فيما بعد بمؤامرةِ «الربيع العربي».

كيف ذلك؟

بعد انهيارِ البُرْجَين بمدَّةٍ وجيزة وَضَعَ المفكرُ البريطاني الأمريكي

الصهيوني «برنارد لويس» خطة الشرق الأوسط الكبير من الباكستان إلى مراكش، هذه الخطة التي تهدفُ إلى تقسيم الدُّولِ الوطنية القائمة حالياً في الحيِّزِ الجغراسياسي الذي أشرتُ إليه إلى دويلات فاشلة تقومُ على أُسُسٍ دينية وطائفية وعرْقية وتدورُ جميعها في فلك «إسرائيل اليهودية الكبرى»، ولتحقيقِ ذلك باعتقادي ومن أجْلِ إيجاد المناخِ الملائم لتنفيذِ هذه الخطة بدأوا ما سُمِّيَ في الولايات المتحدة «الحرب الدوليّة الاستباقية على الإرهاب» فحمَّلوا مسبقاً مسؤوليّة انهيارِ البُرجَين للجماعات الإسلامية ولتنظيم «القاعدة» تحديداً، وبما أنَّ أفغانستان كانت نقطة ارتكاز هذا التنظيمَ الإرهابي ونظام «طالبان» الحليف اللصيق بتنظيم «القاعدة» ، فبدأتْ هذه الحرب وكأنَّها حربٌ على الإسلام ، ثم انتقلتْ هذه الحرب إلى العراق، وهُنا يجب أن نضعَ في أذهاننا أنَّ الحربَ على أفغانستان لم تكن تشمل أفغانستان وحدها، بل أيضاً باكستان لأنَّ باكستان دولة تمتلك ترسانة نووية، وحسب النظرة الاستراتيجية الصهيونية، هذه الترسانة تشكِّلُ خطراً استراتيجياً على أمْنِ «إسرائيل»، صحيح أنَّ الحكومات الباكستانية المُتعاقبة هي حكوماتٌ مُوالية للولايات المتحدة الأمريكية، ولكنْ ربَّما تأتي حكومة تنقلبُ ضدَّ «إسرائيل» ، هكذا يفكّر الصهاينة في استراتيجياتهم.

إذنْ، إضافة إلى الترسانةِ النووية الباكستانية التي تندرج كخطر استراتيجي على «إسرائيل» هُناك البرنامج النووي الإيراني ومسعى إيران إلى امتلاك مُفاعِلٍ نووي للأغراض السلمية، وفي سِياق شَيْطنته تُروِّجُ الصهيونية أنَّ هدَفَ هذا المفاعل هو امتلاك أسلحة نووية، كما يندرجُ في سِياق الأهدافِ الاستراتيجية من مؤامرة «الربيع العربي»

التخلُّص مِن أربعةِ جُيوش عربيَّة تهدِّدُ أمْنَ «إسرائيل» الاستراتيجي، وهي الجيش العراقي الذي جرى التخلُّصُ منه، والجيشُ المصريّ الذي على الرّغم مِن تكبيله في اتفاقيات «كامب ديفيد» إلا أنّه الآن يجري توريطه في سيناء مع عصاباتٍ إرهابية، والجيشُ السوري الذي نشاهد الآن عملية استهدافِه ومحاولة إنهاكِه في قِتالِ العصابات الإرهابية التكفيرية القاعديّة الوهابية، والجيشُ الرابع هو الجيشُ الجزائريُّ، ولذلك الآن المؤامرة مستمرّة لاستهدافِ الجزائر من حدود تونس وليبيا، وتحريك المملكة المغربيّة، وكما قلتُ استهدافُ الجيوش لأنها جيوشٌ تشكِّلُ خطراً استراتيجياً على أمْنِ الكيان الصهيوني.

مِن وراءِ كلّ ذلك أرادَ «برنارد لويس» وَاضِعُ الخطة ، إقامةَ دويلاتٍ فاشلة مُتناحِرَة على أسُسٍ دينيّة وطائفيّة وعِرْقيّة تدورُ جميعها في فلكِ «إسرائيل» الكبرى ،والنتيجة الحتمية النهائية تصفية القضية الفلسطينية كهدَف أساسٍ، ولمَّا كانت عملية الغزو المُباشر عملية مُكلِفة جدّاً مِن النواحي المادّية والبشريّة والأخلاقيّة حيثُ سقطتْ الولايات المتحدة وحلفاؤها في العراق سُقوطاً أخلاقياً كامِلاً ، حتى أمام المجتمع الأمريكي نفسه، لذلك تمَّ إيقافُ هذا المخطط للتفكيرِ في استئنافه بطريقةٍ أخرى ووسائل أخرى أقلّ تَكلِفة، فكانَ استئنافُها عن طريقِ ما يُسَمَّى «ثورات الربيع العربي».

لماذا لا تعدّها ثورات؟

لأنَّني أقِرُّ أنَّ الدولَ العربيّة التي استُهدِفتْ والتي لم تُستهدَفْ بَعد، ولاسيما التي لم تُستهدَف ، بَعْدُ تُعاني مشكلات كثيرة أقلّها وجود أزمة بين الحاكِم والمَحكوم، ويجب أن نعترفَ بها، وهي بحاجةٍ إلى إصْلاحاتٍ وتَغييراتٍ، ولكن لا توجَد ظروفٌ ذاتية وعَوامِل

ذاتية لقيام ثوراتٍ فيها، والعوامِلُ الذاتية هي: القوى الثوريّة ذاتُ النظريةِ الثوريةِ والبرنامجِ الثوريّ والأداةِ الثوريّة التي تقومُ بهذهِ الثورةِ. وأصحابُ المشروعِ الصهيوأمريكي في مراكزِ بُحوثِهم يُدركون ذلك، فأرادُوا استخدامَ هذه الفجوة «العُنصر الذاتي» بتعويضِها بما يُسمونه هُم «الحِراكات» فاستُدْعِيَتْ طريقةُ «جين شارب» وهذا يُعَدُّ واضِع برامجِ التغييرِ السلميّ التي اعتُمِدَتْ في أوروبّا الشرقيّة وبدأ اعتمادُها في تونس ومصر.. (جين شارب) وَضعَ حوالي 198 وصيّة للإطاحة سلميّاً بالأنظمةِ عن طريقِ تدريبِ كوادر «مجموعاتٍ» لقيادةِ هذه الحِراكات عن طريق الانترنيت للإيحاءِ بوُجُودِ ثوراتٍ، ولكنّ الذي يقومُ عملياً بالتغيير الحقيقي هو «عملياتٌ انقلابية مخابراتية» ولذلك ماذا يحصل؟ أوَّلاً شَيْطنة أجهزة الأمْن ووَضْعُ أجهزةِ الأمْنِ في مُواجَهة «الجماهير» التي تبدأ بالتحرُّشِ بعناصرِ هذه الأجهزة ثم تحييد الجيشِ للإيحاءِ بأنَّ الجيشَ يَدْعَمُ التحرُّكَ، هذه الطريقة استُخدِمتْ في تونس ونجحتْ ونُقِلتْ بسُرعة إلى مصر.. وبالمناسبة «لا نعرف في التاريخ أنَّ ثورات انتقلتْ بالعدوى» وكأنها كوليرا، وهذا يؤكد أنَّها مؤامرة تُحرِّكها جِهَة واحدة، ثم عندَما تمَّ الانتقالُ إلى ليبيا التي لا يُوجَدُ فيها جَيْشٌ مُسيطَرٌ عليه مِن الاستخباراتِ الأمريكية كما هي الحال بالنسبة إلى تونس ومصر، وعلى أقلِّ تقدير، قيادات هذين الجيشَيْن كانت في ذلك الوقت خاضِعة لسيطرةِ الاستخباراتِ الأمريكيّة والغربيّة، أمّا في ليبيا فهناك كتائب كانت تتولى حماية «القذافي» ويُسَيطِرُ عليها أبناؤه، ولذلك استُخْدِمَ «الناتو». طبعاً كلُّ ما حدث – بحسب المحللين وأنا منهم- كان الهدف منه الوصول إلى سوريا لاستهدافِها.

لماذا سوريا؟

لأنَّها خندَقُ المُقاومة الأوَّل ضدَّ الكيان الصهيوني، وهي حاضِنة المقاوَمة وداعِمتها تاريخيًّا، وهي التي يُعوَّلُ عليها في حَسْم الصِّراعِ العربيّ- الإسرائيليّ ، وكما أسلفتُ سابقاً، الهدَفُ الرئيسُ للغرْبِ وأمريكا والكيان الصهيوني هو تصفيَة القضيّة الفلسطينيّة ولن يتحققَ هذا الهدفُ إلّا مِن خِلال إنهاء حالة سورية المُمانعة والمقاومة، وباختصارٍ أيضاً وَضْع اليَدِ على ثرواتِ المنطقةِ بشكلٍ نِهائيّ، وهذا يَعني الإمْساك بمصائرِ الكون، ولكي نعرفَ لماذا تقفُ روسيا والصين مَعنا في هذهِ المُواجَهة لابدَّ مِن أن نَعلمَ أنَّ الدولتين مُستهدفتان أيضاً في مرحلةٍ لاحقة لو -لا سمح الله- سقطتْ سوريا، سواء بحُرمانِ روسيا من أهمِّ مصدر للعملةِ الصعبة مِن خِلالِ استبدال الغاز الروسيّ لأوروبا بالغاز القطَريّ الذي كانَ مُخَططاً له أن يمرَّ عبْر سوريا إلى تركيا ومن ثمَّ إلى أوروبا، وكذلك الأمْر بالنسبة إلى الصين التي هي مُستهدَفة أيضاً بهذا المشروع «الشرق الأوسط الكبير» مِن خِلالِ السيطرةِ على الجزائر كهدَف مازالَ قائماً تمهيداً للسيطرةِ على شمالِ أفريقيا بالكامِل وضَرْب الصِّين اقتصادياً، لأنه كما هو معروفٌ الشركاتُ الصينية هي المستثمرُ الأكبرُ في أفريقيا حالياً وأفريقيا مازالت قارة بِكْراً، فبَعْدَ أن طردتْ أميركا فرنسا والنفوذَ الفرنسيَّ مِن هذه القارَّة تَجِدُ «أمريكا» نفسَها في الوقت الرَّاهِنِ في مُواجَهةِ الصينيّين وطبعاً فإن الصينيين فهمُوا ذلك ، ومِن المخاوفِ الروسية والصينية أيضاً عدا عن الجانب الاقتصاديِّ انتشارُ الإرهابِ ، فلو لم تصمد سوريا في وجْهِ هذه المؤامرة لانتشرَ الإرهابُ التكفيريُّ وتصَاعدَ نفوذهُ وخطرُه ليصِلَ إلى الصين وروسيا اللتين تُعانيانِ مِن هذه المُشكلات أصْلاً . وبالنتيجة ، لهذه العوامِلِ المُتشابكةِ جميعاً اختزلَ الصُّمودُ السوريُّ مصالِحَ دُوَلٍ إقليميَّةٍ ودولية كثيرة في مُواجهةِ الأطماعِ

الأمريكيّة والصهيونيّة والغربيّة، ولذلك هُم أيضاً لو لم يَجِدُوا صلابةً في الجيشِ العربي السوري وفي الدولة السورية وفي التفافِ مُعظَمِ الشعب السوريّ حَوْلَ الجيش والدولة لما راهَنَ الرُّوسُ والصينيُّونَ والحلفاءُ الآخرون على سوريا ولمَا استمرُّوا في دَعْمِهم لها وبِما يَتوافق مع القانونِ الدوليّ الذي يَحْظِرُ التدخُّلَ في شؤون الدولِ الداخلية، بهذا المعنى تكون سوريا قد غيَّرَتْ وَجْهَ العالم ، هذا هُو الذي قصَدْتُه في كتابي ولم أقصدْ أنَّ سوريا هي (سوبرمان) أو رامبو العالم الجديد.

من المعروفِ لدينا في سوريا أنَّ تونس منذ بداية استلام حكم حزب (النهضة) الإخواني اتخذتْ قراراً عِدائياً ضدَّ سوريا بدأ بتصريحاتٍ وباستضافاتِ ما يُسمّى (مؤتمر أصدقاء سورية) وانتقلتْ بعد ذلك إلى تجنيدِ الإرهابيين من كلِّ بقاع تونس وتوجيههم ونقلِهم إلى سوريا لقتلِ الشعب السوريّ ، لِماذا برأيكَ هذا التوجُّه باتجاهِ سوريا؟

لأنَّه حتى يتمَّ تقسيمُ هذه الدول إلى دويلاتٍ فاشلة (حسب نظريّتهم) تجب إشاعة (الفوضى الخلاقة) الصهيونيةً الأميركية، لذلك هُم راهَنوا على إصعادِ الإخوان المسلمين إلى السلطات في هذه الدُّولِ المستهدَفة مِن مؤامرة (الربيع العربي) ، فكما نعلم الإخوان المسلمون لم يشاركوا فيما جرى في الدول العربية و كانوا إمّا في السجونِ وإمّا في الخارج،أقله على الساحة التونسية – ولكنْ كان هُناك اتفاقٌ مُسْبَقٌ معهم في تونس وفي مصر وفي غَيرها على أن يصعدوا إلى السلطة لأنَّ أمريكا والغرْب والصهيونية يعلمونَ أنَّ «الإخوان» هُم عنصرُ تجزئةٍ وتقسيم للمجتمعاتِ ولذلك دَفعوهم إلى السلطة ليُعَمِّقوا الانقسامَ داخِلَ المجتمع العربيّ ، ولأنهم يُدَركون أيضاً أنَّ «الإخوانَ» ليس لهم مشروع وَطنيّ ولا قوميّ ومشروعهم الوهميُّ هو إقامة الخلافةِ

الإسلامية ، ولذلك استخدَمتْ أمريكا وَهْمَ الإخوان وظيفياً للقيام بهذا الدَّور وهو إشاعة الفوضى الخلاقة ، ولذلك نرى أنّه لم يستقرَّ أيُّ بلدٍ عربي أو دولة عربية تم استهدافُها بمشروعِ (الربيع العربي) ولن تستقر إلى أنْ يتمَّ تقسيمُها حسب المخططِ إذا لم تتمّ المواجهة لهذا المشروع ، وقد بدأتْ المواجهة في سوريا بشكل حاسِم مِن سوريا لِرَدّ السِّحْر على الساحِر ، ولذلك هُم عندما أرسلوا إرهابيينَ إلى سوريا من تونس قصدوا من وراء ذلك هدَفين رئيسيّين الأول التخلُّص من البطالة التي تفاقمَتْ بَعْدَ حكمِهم وعَجْزهم عن تحقيقِ وُعُودِهم، وثانياً خدمة المُشَغِّلِ الذي كان يدير المشروعَ الإرهابيَّ على سوريا وهي (قطَر) ومَن يقف خلفَها ، وقد تمَّ غَسْلُ عُقولِ الشبابِ التونسيين عن طريقِ إغرائهم بالمالِ وإيهامِهم أنَّ سوريا أرضُ «جِهادٍ» ومَن يُقتَلُ مِنهُم سوف يصعد إلى الجنة وسيجد الحوريات في انتظارِهِ.

أنتَ لم تتوقفْ عندَ هذه الرؤية في كتابكَ (سوريا التي غيَّرتْ وجه العالم) بل سَبقتها رؤية أُخرى من خلال كتابٍ سبَقه بعنوان (أوهام الربيع العربي : الوعي القطيعي) ما المقصود من هذا العنوان ؟ ،هل هو مُوَجَّهٌ إلى عموم المجتمع العربي، أم كنت تقصد شريحة بعينِها؟

العامَّة كانت مُستهدَفة منذ البدايةِ مِن خِلالِ وسائلِ الإعلام – شَيْطنة أيّ نظام يتمُّ استهدافُه والعامَّة تسيرُ في هذا الاتجاه – وهذا ليس غريباً على تاريخِ الشعوب ولكنَّ الغريبَ في رأيي أنَّ هذا الوعي القطيعيَّ شمَلَ النُّخبَ الثقافيّة والسياسيّة.. أنا أستغرب من شخص يساريٍّ يَنساق وراءَ خطابِ «الجزيرة» ، ولاسيما أنَّ أيّ يساريّ ماركسيّ يُفترَضُ أنّه تعلَّمَ مِن خِلال قراءاته أنَّ هناك شيئاً اسمه «تناقضٌ رئيسٌ وتناقض ثانوي»، ففي صراعكَ داخِلَ الدولةِ الوطنية

تناقضُكَ مع الحاكِم أياً يكن هو تناقض ثانويّ في حال تعَرَّضتْ هذه الدولة إلى خَطرٍ خَارجيّ، فأنا أستغرِبُ كيف أنَّ هؤلاء اليساريين ينساقون إلى الانخراطِ في عُدوانٍ خارجي ضد دولة، لأن الذي تتعرَّضُ له دُوَلُ (الربيع العربي) وليس فقط سوريا، هو حربٌ وجوديَّة تهدفُ إلى تدميرِ الدولةِ بكاملِها، وما يزيد في استغرابي كيف لهذا (المثقّف اليساري) أن يكونَ في الخندقِ الامبرياليِّ المُفترَض أنه ضدَّه إيديولوجياً ثم في الوقت نفسه أن يكونَ حليفاً للدولةِ الرجعيةِ (قطر والسعودية) ، ثمَّ كيف يُبرِّرُ أن يرفعَ شعارات الحريةِ والديمقراطيةِ مثلاً في سوريا مِن خندق الكيانات الخليجية التي تمْنَع حتى تداوُل هذه المُفرَدات؟ هُنا لا يُمكِنُ أن تدرِجَ وَعْيَ هذا المثقف إلا في سياق الوعي القطيعي مثله مثل العامّة ويزيد عليهم أنّه يَخُون الفكرَ الذي يحمله فَضْلاً عَن خيانةِ الوطن الذي ينتمي إليه، وولاؤه يكون فقط للأموالِ التي يقبضها وبذلك يتحوَّلُ إلى خائن مُرتزِق وعن وَعْيٍ وسابِقِ قصْدٍ وإصْرارٍ ولا شيء آخر يبرِّرُ له ذلك.

سَبَقَ هذين الكتابين وفي السياق ذاته، كتابٌ ثالثٌ حمَلَ عنوانَ (الربيعُ العربيُّ يَتَمَخَّضُ عن خريفٍ إسلاميٍّ بغُيُوم صهيونية) ، أُنتَ تشير بشكل مباشر إلى أن «إسرائيلَ» هِيَ مَن تقف وراءَ ما يُسمّى الربيع العربيّ، هل هُوَ استقراءٌ موضوعي مَبنِيٌّ على دلائل ووقائع، أم هُو مُجَرَّد حَدْس؟

الحدْسُ السياسي ليس حالة ميتافيزيقية ، الحدسُ يأتي عن تراكُم تجارب ومَعارف ولكنْ هُنا لا أستند إلى حدْسٍ وإنما إلى معلوماتٍ وتحليلِ هذه المعلومات ، وسبَق لي أن كتبتُ مقالاتٍ ونشرتُها في تونس في سنة 2008 عن حركة «حماس» كيف بدأتْ ولماذا وإلى

أين تذهب؟ وهي كانت أنموذجاً ، وقد ضمَّنتها في الجزء الأخير من هذا الكتاب تحت عنوان «قراءة استشرافية في مسار حركة حماس».

انخراط حركة «حماس» في هذا (الربيع العربي) بمجرَّد أن طُلِبَ مِنها ذلك، هذا يُعطي إضافةً إلى ما تحدَّثنا به سابقاً عن دَوْرِ «الإخوان المسلمين» في هذه المؤامرة بالإشارة إلى الخريف الإسلامي الذي تمخَّضَ عنه (الربيع العربي) ، أمَّا بغيوم صهيونية فهذا ما تبيَّن لاحقاً وهو ما حصَلَ في مِصْرَ لجهةِ الصفقة التي أبْرِمَتْ بين نظام «مرسي» المخلوع والولايات المتحدة الأميركية والتي تمَّ الحديثُ عنها أنها بقيمة من 85 إلى 150 مليار دولار لبيْع سيناء بحيث يُضَمُّ جزء مِنها إلى قطاع غزّة والجزء الثاني يتمّ تبادلَه مع أراضٍ في النقب مع (إسرائيل) والجزء الثالث على البحر تُقامُ فيه قواعِدٌ أمريكيّة ،هذا في سياق تصفية القضية الفلسطينية وهذا هو مفهوم الدولتين الحقيقي بالنسبة إليهم، دولة غزّة الإسلامية يُضافُ إليها (حسب الخرائط التي شاهدتُها) مُرَبَّعٌ مِن سيناء فتُصبِح على شكلِ الساطور، ودولة قائمة على أساس ديني أيضاً(دولة إسرائيل اليهوديّة) وهذا هو مشروع «برنارد لويس» بالضبط.

منذُ بداية ما تؤكِّدُ على تسميتِه مؤامرة (الربيع العربي) كنتَ سَبَّاقاً في استقراءِ المشهدِ وأصدرتَ كتاباً في عام 2011 أطلقتَ عليه تسمية (ثوراتُ الفوضى الخلاقة : سِلالٌ فارغة) وكان كتابك الأوّلَ بين هذه الكتب التي استعرضناها في هذا الحوار ، كيف استطعتَ أن تصل إلى هذه الرؤية الدقيقة مُبَكِّراً في حين تاه الكثيرُ من المثقفين؟

أريدُ أولاً أن أقولَ إنَّ هذا الكتاب تمَّتْ مُحاكمتي عليه أنا والناشر بعدما رفعَ عليَّ مُمَثلُ «مجلس اسطنبول» في تونس دعوى قضائية

وكانت النتيجة ردَّ القضاء التونسي للدعوى.

أهميّة هذا الكتاب تنبعُ مِن أنَّه يتحدَّث عن الأدواتِ التي استُخدِمَتْ في هذه المؤامرة ومَن هُم هؤلاء الأدوات، لأنك لا يُمكِنُ أن تَصِلَ إلى هَدَفٍ نبيلٍ بوسيلةٍ قذرة ، والوسائلُ كانت «قناة الجزيرة» القطرية و «عزمي بشارة» و «الغنوشي» و «عبد الله تركماني» وغيرهم مما ذكرناهم سابقاً ، وقد ساهمَ في فتحِ العُيون قليلاً وفي مرحلةٍ مُبكّرة على هذه المؤامرة لتتضح فيما بَعْد بالوقائع والوثائق ، فالرؤية الدقيقة جاءت مِن خِلالِ قراءتي للأدواتِ المُستخدَمة وخلفيّاتها الفكريّة والسياسيّة ومَن يقِفُ خلفها.

بعيداً عن الرؤيةِ السياسيّة والتحليلِ السياسيِّ الذي يجبُ أن يكونَ في ذهْنِ كلِّ مثقفٍ حقيقيّ، أنتَ شاعِرٌ ولكَ سبع عشرة مجموعة شعرية، ما الذي دَفعكَ للاهتمام بما يحدثُ في العالم العربيّ وخاصّة ما يتعلَّقُ بالجوانب السياسية وتحليله تحليلاً سياسياً موضوعياً؟

الموضوعُ ليس جديداً عَليَّ ولا طارئاً ولكنَّ الجديد أنني لم أُصْدِرْ كتُباً في المجالِ السياسي، صحيحٌ أنَّني خرجتُ من سوريا وعُمري سبعة عشر عاماً بدافعِ مَشروعٍ شِعريّ، ولكنّي تكوَّنتُ سياسياً في بيروت وفي منظمة التحرير الفلسطينية، وبدأت العمَلَ في مجلة الهدف «مجلة الجبهة الشعبية لِتحرير فلسطين» التي أسَّسَها الشهيد غسان كنفاني فوجدتُ نفسيَ في خِضَمِّ حِراكٍ سياسيٍّ هائلٍ ومُتشابكٍ، وكنتُ جزءاً من هذه الحالة الموجودة في لبنان، وأنا لستُ شاعراً رومنطيقياً وعندما أكتبُ عن شأنٍ عامٍّ لا أكتبُ عنه إلّا عندما يتحوَّلُ في داخِلي إلى شأنٍ خاصٍّ ، ولذلك الشأنُ السياسيُّ عندي هو جزءٌ مِن هُمومِيَ الخاصّة.

وحتى بَعْدَ أن خرَجْنا من بيروت كتبتُ مئات المقالات السياسية وكنتُ أعتمد على المعلوماتِ من خِلالِ مُتابَعاتي الذاتيَّةِ ومِن خِلال قراءاتي المباشرة ، وكنت أقرأ السياسة على طريقة الطفل الذي رأى الملك عارياً، كما كنْتُ أعْتَمِدُ إلى الحدْسِ الشعري، لأن الشاعر برأيي يمتلكُ مخيّلة وحدْساً ومجسّات أكثر من السياسيّ ، فعندما نقول الشاعر رائياً ليس معنى ذلك أنه يحلم أو ينجِّم، بل معنى ذلك أنَّ حواسه تُستَفَزّ وتَستنفرُ إلى أعلى مستوى بحيث يرى الواقعَ أكثر مما يراه غيرُه وبالمناسبة أنا اخْترْتُ مجموعة من هذه المقالات وأصدرتُها في كتابٍ بالتزامُنِ مع كتاب «ثورات الفوضى الخلاقة: سلال فارغة» عنوانه «حروب المصالح الصهيوأمريكية: محرقه البشرية».

هذا يعني أنكَ لستَ مع الرأيِ القائلِ إن المثقفَ يجب أن يكون حيادياً؟

لا يُوجَدُ كائنٌ عاقِلٌ على وجْه الأرضِ حياديّ، الغرْبُ عندما فكَّرَ بغزونا وبأنْ يُنفِّذَ هذه المؤامرة علينا بدأ بمحاولةِ إيهامنا بعد انهيارِ الاتحاد السوفييتي بانهيارِ الإيديولوجيا وأنَّ الليبرالية بدأت تنشط سياسياً وثقافياً إلى آخره، واقتصادياً زيَّنَ لنا ظاهرة الخصخصة على أنَّها أحَدُ جوانبِ الرفاهيةِ للمجتمعات، وهذا كلّه لتدجينِ فكرِنا ، وهُو كان يفعلُ ذلك مِن مُنْطَلقِ مصالِحهِ الإمبرياليةِ ، فأينَ الحيادية في هذا الموضوع؟.

إذَنْ ، كيفَ تُقيِّم حالَ المثقفين العرب حالياً؟ خاصّة مَن انساقَ منهُم وراءَ وَهْمِ الديمقراطية من خِلال ما يُسَمّى «الربيع العربي»؟.

برأيي ، وهذا الرأيُ سَجَّلتهُ في هذه الكتب التي صدرتْ منذ

العام 2011 حتى الآن، المثقف العربيٌّ باستثناءات قليلة «كما يُقال الاستثناء الذي يؤكدُ القاعدة» تبيَّنَ انه تقني مَعرفة، أي أنّه لديهِ معارف اكتسَبها وَهُوَ مُستعِدٌّ لتحويلِها إلى سلعةٍ يُتاجِرُ بها ، فالثقافة ليست تجميعَ معارف وحَمْلها وترديدها كالببغاواتِ ولا حتى معرفة مناهج أكاديميّة، الثقافة سلوكٌ، أنا عندما أقرأ جبَلاً من الكتب وأتصرَّفُ كأي «بدوي جاهل» أنا عندئذ لستُ مثقفاً . كيف أكونَ مثقفاً وليس لدَيَّ وَعْيٌ وطنيٌّ؟ كيف أكونُ مثقفاً وأنا لا أعرفُ الخيرَ من الشرِّ؟ وهل يمكن لِمُثقف أن يقفَ مع الشرِّ ضدَّ الخير؟ كيف أكون مثقفاً وفي الوقت نفسه أكونُ مستعدّاً لان أبيعَ معارفي إلى آل ثاني الذين سجنوا شاعِراً «بالنبطية» لأنه توَهَّم بأنّ قطَرَ كانت تقودُ ما يُسمّى «الربيع العربي» فتحدَّث بأنه يَوَدُّ أن يأتيَ هذا الربيعُ العربي إلى بلدِهِ مِن خِلالِ قصيدةٍ نظمَها فحَكمَ عليهِ آلُ ثاني بخمس عشرة سنة من السجن؟!

كيف يُمكِنُ أن أكونَ مثقفاً وديمقراطياً وأنا أرتمي في حضنِ آلِ سعود الذين يُحَرِّمُون على المرأة قيادة السيّارة؟. الذي يبيعُ معارِفَهُ واسمَه ورصيدَه إلى هؤلاء الجهلوت في السعودية وقطر ومشيخاتِ الخليج كلها ، هذا لا يمكن أن يكونَ مثقفاً، هذا ببساطة «كالحمار الذي يحمل أسفارا» لكن الفرق أنَّ الحمار مسكينٌ لا يستفيدُ مِن هذه الأسفار ولا يُتاجِرُ بها فهُوَ أكثر براءة مِن هؤلاءِ «المثقفين».

كما قلنا آنفاً صَدَرَ لك سبع عشرة مجموعة شعرية توزَّعتْ بين موضوعات متعددة، أيّ الموضوعات تستهويك أكثر للتركيز عليها في قصائدك؟.

القضيّة ليست استهواء، القضية أنَّ مصدرَ شِعري هو الحياة

التي أعيشها ، فعندما كنتُ في بيروت في فترة الحرب الأهلية، في القصيدة نفسها التي انعكستْ فيها أجواءُ الحربِ الأهلية انعكستْ فيها علاقتي العاطفية مع فتاة، انعكستْ فيها نظرتي إلى إشراقةِ شمسٍ، انعكستْ فيها تفاصيلُ حياتي اليوميّة التي وجدتُ فيها مصدرَ إلهامٍ لكتابةِ سَطرٍ في هذه القصيدة، وبما أنَّ الحياة هي المصدَرُ الأساسُ لشِعري فجميعُ الموضوعات يمكن أن تكون شِعريَّةً أو أن تكون غيْرَ شِعرية، وفق مدى تفاعُلِي معها، ومدى دوافِعي الداخلية وإحساسي بها، واندِفاعي للتعبير عنها.

هل تعتقدُ أنَّ ثمة انعطافة لديكَ فيما تكتبُه من شِعرٍ بسبب ما يحدثُ اليوم مِن قتْلٍ وتخريبٍ وتدميرٍ في مُجْمَلِ المنطقةِ العربية؟.

شِعري يتضمَّنُ هواجسيَ الوجدانيّة، وفيه جانِبٌ سَرديٌّ مِن سِيرتي الذاتيةِ والفكريَّةِ ولذلك فإن مسارَ تفكيري ومسارَ توجُّهي منذ بدأتُ الكتابة الشعريّة حتى الآن هو مسارُ الانشغالِ بالهمِّ العربيّ الوطني والقومي، هذا إذا استخدَمنا التعبيرَ المُباشر، ولكنْ في الوقتِ ذاته أنا حريصٌ دائماً على أن أعبِّرَ بأعلى مستوى فنيٍّ عن الشأنِ العام الذي أهتمُّ به.

في ديوانكَ «عندما البلاد في الضباب والذئاب» الذي صدرَ العامَ الحالي، قصيدة أهديتَها إلى الجيش العربي السوري.. ماالذي دفعك لذلك؟.

الجيشُ العربيُّ السوريُّ هو التجلي الماديّ لرُوحِ شعبِنا العظيم ، وأنا كإنسانٍ مُواطِنٍ وشاعِرٍ أدركُ بوجداني وبإحساسي وبوَعْيي أهميَّة هذا الجيش، هو عِظامُ الدولةِ ويُدافِعُ عن وجودِها وعن إرْثِها الحضاريّ

كلِّه وليس عن الجيلِ الحاليّ فقط، هو يتصدَّى لغزوٍ وحشيٍّ إرهابيٍّ هدَفه تدميرُ الدولةِ السورية ويُدافِعُ عن كيانِها من جذوره إلى آفاقِهِ.

ولذلك وفي لحظة تاريخية يتركَّزُ الوَعْيُ ويتكثف الإحساسُ بأنَّ وجودَنا الجمعيَّ والفرديَّ يتقرَّرُ مصيرُه بإرادةِ واقتدارِ هذا الجيش الذي تتشرَّفُ القصيدة بمقاربةِ بطولاتهِ وصمودِه وجدانياً، وفضلاً عمَّا تكتنزُه الذاكرة مِن صُوَر ومَعانٍ تتعلقُ بمكانتهِ الرفيعةِ فإنني أجِدُ فيه وفي انتصاراتِه انفتاحاً للآفاقِ أماميَ ، فهُوَ رِهانيَ وليس لديَّ رهان آخر سواه، ولذلك فمِن الطبيعيّ أن تترى القصائدُ من وجدانيَ أولى وثانية وثالثة وموضوعها جميعاً بسالة وتضحيات وإشراقاتُ أبطالِ جيشنا الباسل الذي يرتفعُ شهداؤه على صليبِ خلاصِ الشعبِ والوطن.

مَن يُتابعُ الشاعِرَ هادي دانيال يجد أنَّ له إبداعات متنوِّعة سواء في الشعر أو النقد الثقافي، هل تعتقد أنَّ الاهتمامَ بجانبٍ مُعَيَّنٍ من الإبداعِ يؤمِّن صعودَ المُبدِعِ وارتقاءه، أمْ أنّ تنوُّعَ الاهتمامِ يعطيه أفقاً أوسع؟.

أعتقدُ أن نضوجَ الشاعر وارتقاءه بنصِّهِ أكثر مُرتبِطٌ برصيدِه المعرفيّ الواسِعِ والمُتواصِل، فهو شَرْطٌ بالنسبة لي لِتطوير قصيدتي، وفي هذا السِّياقِ كان اهتماميَ بحقولٍ ثقافية أخرى كالسينما والمسرح والنقد الأدبي والفلسفة.

في النتيجة أرى أنَّ الشاعرَ وإن امتلكَ كتُباً في النقد الثقافي وغيرِه مِن المجالاتِ الإبداعيّة الأخرى فإنَّ ذلك لا يُعطيهِ قيمة أكثر كشاعرٍ، فقيمة القصيدةِ تكمُن في ذاتِها ومضمونِها.

إذا طلبتُ منكَ أن تختمَ هذا الحوار شِعراً فماذا تختار؟

أختارُ قصيدة بعنوان «الشمس رايتُه والشامُ مُهرته» وأهديها للجيش العربي السوري البطل حامي سوريا والمُدافع عن حاضرها ومستقبلها كما دافع عن ماضيها وإرثها الحضاري، يقولُ مَطْلَعُ القصيدة:

في بزّةِ الكاكي
نهارٌ لا ينامُ
الشمسُ رايتهُ
وأقمارٌ تُضاءُ بظلِّهِ
والأرضُ مُهرَتَهُ
إذا جمحتْ
يُرَوِّضُها على مَهَلٍ
وإنْ حرنتْ
تُعَوِّضُهَا الشآمُ
نشبَ الظلامُ نُيوبَهُ في لَحْمِنا
فخَلعْتَها مِن جذرِها
حتى تمرَّغَ تحتَ نَعليكَ الظلامُ

حَسبوا بلاديَ مُضْغَةً
فتَخلَّعت أشْداقُهُم
عجْزاً ، وصاموا

هُم يحلمونَ بأنها «أُحُدٌ»
يحصون قتلاهُم على عَجَلٍ
ويلتفُّونَ حَوْلكَ
إن سَهَوْتَ

وقامُوا

لاغمد للسَّيفِ الدمشقيِّ
الصَّقيلِ كخَدِّ غانِيَةٍ
فبريق خَدِّكَ
رغبة وحِمامُ
فأعِدْ لهُم «بَدْراً» و«يَرمُوكاً»
ولا ترأفْ بِهمْ
واحْذَرْ مُخاتَلة السهامْ

كَي نرفعَ الحُزْنَ المُقِيمَ
عن المدائنِ والقُرى
ويزقزقَ الأطفالُ أغنية السلامْ:

في خوذةِ الجنديِّ
قَدْ بَاضَ الحَمام!.

* نُشِر هذا الفصل/الحِوار في جريدة «تشرين» السورية، العدد الصادر بتاريخ2013/12/30

طريق تحرير فلسطين وحدها طريقنا الصحيحة إلى الحريّة

حوار أجراه : عمّار النعمة

بعد ثلاثين عاماً من الغياب... كان اللقاء مع الشاعر والكاتب السوري هادي دانيال في دمشق وفي جريدة «الثورة» تحديداً ، حيث كان العِناق وتبادُل الأحاديث وإهداء كتابه الجديد لنا الذي عَنْوَنَهُ ب (سوريا التي غيَّرتْ وجْهَ العالم) ، ليؤكِّد من خلاله أن المؤامرة قد تحطَّمتْ على صخرة صمود الجيش العربي السوري ، وهوامتداد للموقف الذي اتخذه دانيال منذ بداية مايُسَمّى الربيع العربي.

«الثورة» التقت الأديب والشاعر هادي دانيال، وكان اللقاء التالي:

في كتابتك مواكبة حقيقية لهموم أمتنا العربية وآمالها، ماذا تحدثنا عن هذه الكتابات ولمن تكتب؟

الكتابة عندي وسيلة لا أملّ من ابتكارها وإعادة هذا الابتكار، كما هي غاية أواصل منذ أربعة عقود ونيّف الركضَ وراء سراب بلوغها، هي طريق حبريّة صاعدة أواصِلُ شقّها بتعبٍ لذيذ في أحراش المعاني وضباب الأحاسيس وصخور التجربة الوجودية وتفاصيل الحياة اليومية،

عساني أصل إلى مسافة - مهما كانت ضيِّقة - من حقيقة الكائن البشري، لم يصلها غيري بعد، ولذا أُعنى بتطوير هذه الوسيلة الحبرية وتثقيفها باطّراد بقدر عِنايتي بالقبض على ما هوجوهريّ في الواقع وما ورائه، اعتقاداً منّي بأنّ الوسيلة يُفترَض أن ترقى جمالياً إلى نُبْلِ الهدَفِ ورِفْعته ، هكذا أحرصُ على أن تكون كتابتي نقدية كشّافة واستشرافية ما أمكنني ذلك ، وبقدر ما يشغلني الموضوع والمعنى الكونيان فإنّ كلّ مغامرة إبداعية شعرية أونقدية، أومغامرة فكرية، تنطلق من ذاتي المسكونة بالشأن العام الوطني والقومي والإنساني بقدر ما هي مسكونة بما هوكونيّ كالحبّ والموت والصِّراع الأزليّ بين الخير والشر، ذلك أنّ الحياة بدءاً من حياتي الخاصة هي مصدر كتابتي ، إذن فأنا بقدر ما أعبّر بالكتابة عن ذاتي وهواجسها ومعاناتها وطموحاتها، أعبّر عن المجموعة الوطنية والقومية التي أنتمي إليها، عن واقعِها في حركته وسكونه وعن آلامها وآمالها ، وبالتالي أطمح إلى أن يجدَ كلّ قارئ لكتابتي ما يعبّر عنه في الأحوال والحالات التي أشرتُ إليها.

في خضمّ ما يجري على الساحة العربية من أحداث ما يسمّى (الربيع العربي)، كيف تنظر إلى هذا المشروع الوهمي والكاذب؟.

كما عبّرتُ في الكتب الأربعة التي أصدرتُها بشأن مؤامرة (الربيع العربي) وهي «ثورات الفوضى الخلاّقة: سلال فارغة - 2011» و«الربيع العربي يتمخّض عن خريف إسلامي بغيوم صهيونية - 2012»، و «أوهام الربيع العربي: الوعي القطيعي - 2013» وكتابي الذي صدر منذ أسابيع « سورية التي غيّرت وجه العالم»، وجميعها صدرت في تونس، أرى أنّ هذه المؤامرة تمّ التخطيط لها من قِبَلِ

المؤرّخ البريطاني الأمريكي الصهيوني « برنارد لويس» عندما وضعَ خطة (الشرق الأوسط الكبير من الباكستان حتى مراكش) على أثر انهيار البرجين في نيويورك واستهداف البنتاغون في واشنطن يوم 11 أيلول 2001، والتي ترمي إلى تدمير الدول الوطنية في هذا الحيّز الشاسع لتُقام على أنقاضها دويلاتٌ فاشلة على أسسٍ دينية وطائفية وعرْقية تدور في فلك (دولة إسرائيل اليهودية الكبرى)، وفي سياق ذلك يتمّ وضع اليد الصهيوأمريكية على الترسانة النووية الباكستانية والحؤول دون امتلاك إيران سلاحاً نووياً، وتدمير الجيوش العربية الأربعة الكبرى: الجيش العراقي السابق، والجيش العربي السوري، والجيش المصري، والجيش الجزائري، ليتمّ من خلال ذلك حماية أمن «إسرائيل» الاستراتيجي ، وفي الوقت نفسه تضع الشركات الاحتكارية الامبريالية الأمريكية خاصة يدها على الثروات الطبيعية في هذه المنطقة المستهدَفة، ليس فقط على حساب مصالح شعوبها بل وعلى حساب مصالح قوى كبرى وخاصة القوتين الروسية والصينية، وفي هذا السياق يريدون تصفية القضية الفلسطينية ، وقد بدأ تنفيذ هذه الخطة بالحربين على أفغانستان بذريعة الحرب الدولية المزعومة على الإرهاب، وعلى العراق بذريعة امتلاكه أسلحة دمار شامل، ولأنّ هاتين الحربين كلّفتا الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاءها خسائر فادحة في الجنود والعتاد والمال فضلاً عن الخسائر الأخلاقية تمّ استئناف تنفيذ هذه الخطة التآمرية بما أُطلِقَ عليه (الربيع العربي) الذي كانت فاتحته أحداث تونس وإطاحة الرئيس زين العابدين بن علي ، وبما أنّ عملية تقسيم الدول الوطنية المُستهدَفة تتطلب التمهيد لها بما يُسمّى (الفوضى الخلّاقة) جرى اللجوء إلى «الإخوان المسلمين» الذين يفتقدون أيّ مشروع وطني أوقومي، ويقوم

مشروعُهم الوهمي على إقامة الخلافة الإسلامية، فتسلّموا دفّة الحكم في جميع الدول التي أُطيح بأنظمتها لإنجاز مهمة وظيفية هي زعزعة تماسُكِ مُجتمعات هذه الدول والزجّ بها في صراعات طائفية وعرْقية تفضي حتماً إلى تقسيمها كما حصل في العراق وليبيا والسودان واليمن ويسعون جاهدين و(مُجاهدين) إلى حصوله في مصر وسوريا، إلا أنّ (تسونامي الربيع العربي) بدأ بالانحسار نسبياً عندما اعترضته باقتدار صخرتا الجيش العربي السوري والجيش الوطني المصري، وقد تمكّن جيشنا العربي السوري بصموده وتضحياته وبَسالتِه والتفافِ الشعب ومؤسسات الدولة بقيادتهما الوطنية حوله، مِن جَعلِ سوريا ميداناً جغراسياسياً تلتقي فيه مصالح الدول والشعوب المتضرّرة مِن سياسة القطب الواحد الأمريكي، وبالتالي أفضت الأزمة في بلادنا من خلال مقاربتها إقليمياً ودولياً إلى «سوريا التي غيّرت وجه العالم» كما عنونتُ كتابي الأخير، سوريا التي حافظتْ على كونِها دولة مُمانعة ومقاومة ضدَّ المشروع الصهيوني، وكانت بوابة تغييرِ السياسة الدولية من الرضوخِ للقطب الصهيوأمريكيّ الواحِدِ إلى فرْضِ سياسة متعدّدة الأقطاب، بمعنى أنّ موسكووبكين أصبحتا حاسِمتين في صياغة السياسة الدولية بعد أن كانت واشنطن تنفرد بهذه الصياغة. وكما لم يعد خافياً انكفأتْ الكياناتُ التابعة لواشنطن وبخاصة قطر وتركيا والسعودية إلى أحجامها الحقيقية بينما تصعد في المُقابل دوَلُ البريكس وإيران والتحالف البوليفاري إلى جانب روسيا والصين لتعيدَ صياغة الوضع البشري الجديد سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وثقافياً، والفضل في ذلك كله عائد كما بات جلياً إلى دمشق قلب العروبة النابض وسوريا سُرّة العالم وجيشنا العربي السوري الذي من دماء شهدائه الزكية تفتّحت أزهار الأمل الإنساني.

أنتَ اليوم في دمشق قادماً من تونس التي تعيش فيها منذ ثلاثين عاماً ونيّف.. ماذا وجدتَ أوشاهدتَ في دمشق، وعلى ماذا يدلّ؟.

عندما نطلّ من مكتب صديقي «ديب علي حسن» العالي في جريدة «الثورة» الغرّاء، على دمشق عاصمة مجد الشرق الجديد، أوْ مِن شرفة غرفتي في الفندق المستظلّ بشموخ قاسيون، أوحينما نتجوّل نهاراً وليلاً في شوارع دمشق العَبِقة برائحة الياسمين وبين عماراتها الدافئة الحنون، أزداد يقيناً بأنّ هذه المدينة العريقة التي عُرِف عنها أنّها تذيب في حضنها ذاتَ كلِّ وافدٍ من داخل سوريا أوخارجها لاجئاً سياسياً أوإنسانياً أوعاطفياً فتحوّله إلى مواطنٍ دمشقيّ بامتياز، دمشق هذه قادرة على سحق جرذان أنفاق الشّر الذين تسرّبوا إليها من مختلف الزوايا المظلمة في هذا الكون والرَّمْي بهم إلى مزابل التاريخ ، إنّ دويّ القذائف التكفيرية التي تغفووتستيقظ هذه المدينة وأهلُها المؤمنون الطيّبون على إيقاعه المستمرّ ليلاً نهاراً، لم يزِدْهُم إلا تمسكاً بتراب الوطن وبنمَطِ حياتهم اليوميّة الحضاريّ، بل إنّ إرادة الحياة فيهم لم يزدْها الإرهابيون المبشِّرون بالموت والخراب إلا اشتداداً وابتكاراً لأساليب الصمود والمقاومة حتى النصر الذي وحْده يليق بأهل دمشق ومعاناتهم الدامية.

أنت صوت عربي سوريّ حمل البندقية مع الكلمة ، كيف تقيّم هذه التجربة؟

الأدقّ أنني في السنوات التسع التي قضيتُها في صُفوف منظمة التحرير الفلسطينية خلال الحرب الأهلية اللبنانيّة، وعلى مدى عملي في مؤسسات منظمة التحرير الإعلامية منذ سنة 1973 وحتى الآن في بيروت وصنعاء وعدن والجزائر ونيقوسيا وتونس كنت دائماً أرفعُ

الكلمة فقط حتى في غابة البنادق اللبنانية. ذلك أنّ البندقية التي كنتُ أحملها مَجازاً، لم تكن معبّأة بالرصاص القاتل، إنما بالحبر الذي ينطلق من فوهتها كلماتٍ تتفتّح في طريقها إلى المُتلقي موقفاً ونقداً واستشرافاً وجمالاً وغناء على طريق تحرير فلسطين التي أعتقد أنها وحدَها طريقنا الصحيحة إلى الحرية الفكرية والإبداعية والسياسية والاجتماعية ، وعلى الرغم من كلّ ما حفّ من التباسات متشابكة بالقضية الفلسطينية المستهدَفة في النهاية من مؤامرة الربيع العربي الصهيوأمريكية فإنّ سوريّتي وعروبتي وإنسانيّتي تتجلّى في نَصِّيَ الإبداعي كلما اقتربتُ أكثر من جوهر هذه القضية التي تبقى قضيتي المركزية والتي أتلمّس قضيّتي الوطنية السورية بشغاف قلبي جزءاً منها ومن تداعياتِها.

ثمة مَن يَرى أنّ الالتزامَ في الإبداع صار مقولة من الماضي ، ماذا تقول في ذلك؟

لقد راجتْ هذه المقولة أكثر بالتزامُن مع رَواج مقولة انهيار الإيديولوجيا وتحويل المثقف العربي إلى تقني معرفة جاهز لتوظيف مهاراته في مجالات الكتابة كافة لصالح المشروع الامبريالي الرجعي، فقبل أن تنصاع ممالِكُ وإمارات الرمل لأوامر سادتها الغربيين فتُمَوِّل السلاحَ والمسلّحين الذين يُنفذون مؤامرة الربيع العربي كانت ومازالت تموِّل عمليات إفساد المثقفين والمبدعين والمفكرين العرب، ومثلما تزعم هذه الكيانات الخليجية أنّها تقود عمليات «دمقرطة» الوطن العربي و«تحريره» سياسياً من «الديكتاتوريات» الوطنية، وهي التي تفتقد سياسياً وإعلامياً وثقافياً وقانونياً واجتماعياً ومؤسّساتياً إلى ألف باء الديمقراطية والحرية، كانت قد تحوّلت إلى فضاءات ثقافية

وإعلامية مُصطَنعة لتدجين المثقفين والمبدعين والمفكرين العرب بإغوائهم وإغرائهم وإغراقهم بالمال مُقابل إفراغ نتاجهم الفكري والإبداعي من أيّ معنى وطني أوقومي أوإنساني ، فما الذي يعنيه مثلاً أن تَستقطِبَ المجلاتُ الثقافية المُمَغنطة بالمال كتّابَ المشرق والمغرب العربيين؟ وماذا يعني أن يُقامَ مهرجان سينمائي في الإمارات المتحدة أوقطر اللتين لم تشهدا نتاجاً سينمائياً محلياً؟. في هذا السياق تجري محاولة شيطنة الالتزام وتصويره زوراً وبهتاناً وكأنه على النقيض من الإبداع، بينما يُؤكّد تاريَخُ ثقافات الشعوب وإبداعاتها أنَّ أعظمَ الأعمال الإبداعية نتجتْ عن التزام كتّابها الكبار بالقِيم الوطنية والقومية الإنسانية والكونية ، فالإيهام بَأنّ الالتزام مجرَّد صَياغات نمطية تقريرية للشعارات السياسية ما هُوإلا ضرْب من محاولات تزوير الحقيقة الثابتة التي تؤكد أنَّ العملَ الفنيَّ الخالد هو بناءٌ جماليٌّ للمعنى الذي يُعالِج هواجسَ الإنسان الكاتب والمتلقي وقضاياه ومعاناته وتحوُّلاته الاجتماعية والفكرية والنفسية والروحية، وحركة واقعه الاقتصادي والسياسي، في كلِّ زمان ومكان.

حلّ الإعلامُ مكانَ الثقافة ولكنه يحمل رسالة مضلِّلة ، كيف نُواجهه بالثقافة، وما السبيل؟

لاشكّ أنّ تكاثرَ الفضاءات الإعلامية وتنوعها، بات يشكّل خطراً على النشاط الثقافي، لأنّ هذه الفضاءات كما يُريد منها مُموِّلوها ومديروها يتمّ توظيفها لتضليلِ الرأي العام وتوجهيه في خدمة أهداف هؤلاء المموِّلين التي بات معلوماً أن مشاريعهم الإعلامية لا تندرجُ في سِياق مشاريع وطنية وقومية إنسانية تقدمية، بل هي على العكس من ذلك تشوّشُ على كلِّ ما هو وطني أوقومي إنساني تقدمي ، بل

الكثير من هذه الفضاءات الإعلامية هي أدواتٌ في مشاريع تآمرية كما هوحال قنوات تلفزيونية فضائية مثل (الجزيرة القطرية والعربية السعودية) وما شابههما، وبالتالي فإن الشأن الثقافي يتمُّ اختزاله في النتاج الفقير معرفياً والاستهلاكيّ الذي يعزّز تسطيحَ الوعي عند المتلقي.

أمّا كيفية مواجهة هذا الفيض الإعلامي الذي يستهدف وعيَنا المعرفي ولاوَعينا الجمْعِيّ وآليّات الإبداع عندنا إنتاجاً وتلقياً، فيكون بحركة نقدية جادَّة تشمل الإعلامَ والثقافة معاً. إذنْ، نحن في حاجة ماسة إلى حركة نقدية تُغربل النتاجَ الثقافيَّ في مجالاته كافة، مما يُساعِد على رفع سويّة النتاج الثقافي وذائقة متلقّيه معاً وفي آن واحد، وفي الوقت نفسه يجب توفير الفضاءات الثقافية مِن مجلات جادَّة ودُور سينما ومسرح ومراكز ثقافية، التي تأخذ في الحسبان ما تفرزه الحركة النقدية مِن مَقاييس ومعايير جديدة وجادّة تضع حدَّاً لهذه الفوضى المدمِّرة التي تعمّ المشهدين الإعلامي والثقافي العربيين والتي تستهدف عقلنا ووجداننا وطاقاتنا الفكرية والعلمية والإبداعية ، وإذا كنتُ أؤمن بأنّ الحرية شرْطٌ من شروط الإبداع، فإنني أعتقد أيضاً بأنّ الحرية المطلوبة والناجعة هنا هي الحرية المسؤولة في أفق وطني وقومي إنساني تقدُّمي، وليس الفوضى الفاسدة المُفسِدَة.

كيفَ ترى المشهدَ الشِّعري في الوطن العربي؟

إنّه للأسف مشهدٌ شاحبٌ ذلك أنّه يفتقد إلى المواهب القوية الخصْبة التي تستلهم تراجيديا صِراعنا الوجودي ضدّ قوى الشرّ الامبريالية الصهيونية الرجعية الظلامية، كي تصوغَ من هذه المعاناة الكبرى نشيدَ الأمل العربي الشامل، هذا النشيد الذي أحاول بما

أوتيتُ من تجربة وإحساس ومخيّلة ومعرفة ومهارات أن أكتب فيه سطراً مضيئاً.

هل تتواصل مع الشعراء والكتاب السوريين وتقرؤهم؟

أنا في طبعي أميلُ إلى العزلة المُنتجة، وأنفرُ مِمّا يُمكن تسميته بالعلاقات العامّة ، ولذلك فإنّ علاقاتي الشخصية مع الشعراء والكتاب العرب والسوريين قليلة إن لم تكن نادرة ، وكانت آخر علاقاتي الجادة مع شعراء وكتاب سوريين كبار سناً وإبداعاً معظمهم غادرَنا، ولم يبق من أصدقائي المبدعين السوريين الذين أعتزّ بصداقتهم الحميمة غير الكاتبين حيدر حيدر وزهير جبور والشاعر فؤاد كحل على الرغم من أنّ لقاءاتنا القريبة حَوْلية، بينما آسف مثلاً لأنني لم ألتق منذ سنوات العزيزين حيدر وفؤاد. ولكنّ صِلتي بنتاج الشعراء والكتاب السوريين لم تنقطع، وأتابع هذا النتاج بلهفة عبر الدوريات أوالكتب التي أتمكن من الوصول إليها في تونس، خاصة خلال معرض تونس الدولي للكتاب الذي يُقام سنوياً.

نُشِرَ هذا الفَصْل / الحِوار في جريدة «الثورة» السورية في دمشق بتاريخ2013/12/30

المثقّفُ الإمبرياليّ الصهيونيّ الغربيّ وتابعُهُ تقنيّ المعرفة العربي

-1رُبّما أمْعَنْتُ مُقارَنَةً بغَيْري مِن المعنيّين بالشأنِ العامّ في تدوين «شَهادَتي الحبْرِيّة شعْراً وفكْراً» على المرحَلة الرّاهنَة التي انْعَطَفَتْ بمنطِقَتنا دُوَلاً وَشُعُوباً وَمُجْتَمَعاتٍ وأفراداً انعطافاً دامياً منْذ «الحرب الصليبيّة» الجديدة على أفغانسانَ والعراق ، كما زَلَّ لِسانُ جورج بوش الإبن ذات خِطابٍ حَربيّ، فَدَوَّنْتُ مَقالاتٍ عديدة نشرتُها في عدَّة صُحُفٍ ومجلاتٍ بشأنِ غَزْوِ واحْتِلالِ كابولَ وبَغْدادَ ، تَضَمَّنَ كِتابِيَ «حُرُوب المصالِح الصهيوأمريكيّة: محرقة البشَريّة» مختاراتٍ منها . ولكنّني استأنَفْتُ هذه الشهادة الحِبْرِيّة بَعْدَ أَحْداثِ 14جانفي/ كانون الثاني2011لتَحْتَلَّ على مَدَى قُرابَة الثلاث سَنَوات مَجْمُوعَتَيْن شِعْرِيَّتَيْن هُما «خَريفٌ مِن أجْلِ حَطّابيّ السّماء – 2012» و «عندما البلاد في الضّباب والذّئاب – 2013» وأربعة كُتُب في مَجالِ الفكرِ السياسيّ أسَّسَتْ مَشرُوعيَ الخاصّ لِمُقاوَمَةِ مؤامَرَة «الربيع العربي» الصهيو أمريكيّة ، وعَنْوَنْتُ هذه الكتُب على التوالي «ثوراتُ الفوضى الخلاقة: سِلالٌ فارِغَة – 2011» ، «الربيعُ العربي يتَمَخَّضُ عَن خريفٍ

إسلاميّ بغُيُوم صُهْيُونيّة – 2012» ، «أوهامُ الربيع العربيّ : الوَعيُ القطيعيّ – 2013» و «سوريا التي غَيَّرَتْ وجْهَ العالم – 2013 أيضا».

وَجميعُها صَدَرَتْ في تونس ، ثانيها عن «دار بَيْرَم» والبقيّة عن «دار نقوش عربية». وبما أنّ هذه الكتُب جميعُها مُتَوَفِّرَة في هذا المعرض الذي نجتمعُ ونتحدَّثُ على هامشه ، ممّا يُعْفيني إلى جانبِ الحيِّزِ الزَّمَنِيّ الضيّق المُخَصَّص لهذهِ المُداخَلَة من عَرْضٍ مُوجَزٍ وافٍ لهذه الكتُب الأربَعَة ، فسأحصر حديثيَ في كيفيّة وَضْع ثالوث ثقافي إمبرياليّ صهيونيّ غربيّ خطّة هذه المؤامَرَة وبرامج أدَوات تنفيذها وقيادَة وقائعها مَيْدانياً ، وَمِن ثَمَّ انْخِراط تقنِييّ المعرفة العرب في تسويقِها مَحلّياً.

-2 إنَّ الثقافةَ فَضاءٌ غيْر مَحْدُود مِن الحقولِ المَعْرِفيَّة التي تُشَكِّلُ مُجْتَمعَةً البُنْيَةَ الفَوْقيَّةَ للدَّولةِ والمُجْتَمَع ، وتتعامَلُ جَدَليّاً مع بُنْيَتِهما التحتيَّة بوسائلِ وعلاقاتِ الإنتاج فيهما. ومثْلَما تُخَيِّمُ على الدَّولة والمجتمَع الإمبرياليّين اللذين تُحَدِّدُ مصائرَهُما شركاتٌ إحتكاريَّةٌ صناعيَّةٌ (عسكريّة ومدَنيَّة) وماليّةٌ وإعلاميَّةٌ ، بُنْيَةٌ فَوْقيَّةٌ تُنْتِجُ مَنْظُوماتٍ فكريّةً سياسيَّةً وفلسفيَّةً وتأريخيّةً يتمُّ تَوظيفُها في خدمَةِ المشروعَيْن الإمبرياليّ و الصهيونيِّ القائمَيْن على الغَزْو والإحتلالِ والنَّهبِ لِتَدْعيم مصالِح الشّرِكاتِ الإحتكاريَّةِ الكَونيَّة ، يتمُّ أيضاً تَوظيفُ شَرائح ثقافيّة في الدُّوَل والمُجتمَعاتِ المُسْتَهْدَفَة ، تكوَّنَتْ باستِهْلاك وتَسْويق - لأنَّ إعادَةَ الإنتاج هُنا ليستْ عِبارةً دقيقةً - للنتاجِ الثقافيّ الإمبرياليّ الصهيونيّ. مِن هذا المَنْظُورِ نرى الدَّوْرَ الذي قامَ بهِ المُثَقَّفُ الإمبرياليّ الصهيونيّ الغَرْبيّ في مؤامَرَة «الربيع العرَبيّ» التي اقتَصَرَ دَورُ «المُثَقَّف» العربيّ فيها على تَسْوِيقِ الأضاليلِ بغْيَةَ تَمْريرِ المؤامَرَةِ في لِباسٍ فولوكلوريّ وشِعاراتٍ كاذِبَة لِهذهِ «الثوراتِ» مُسْبَقَةِ الصّنْع في دوائرِ الإستِخباراتِ

الإمبريالية الصهيونيّة وتَوابِعِها الخليجيّةِ الأعرابيّةِ والتركيّةِ السَّلجوقيَّةِ -كما باتَ يُدرِكُ بالمَلموسِ كُلُّ مُواطِنٍ عَربيّ ولو بَعْدَ خَرابِ حاضِرِهِ ومُسْتَقْبَلِهِ المَنْظُور -وذلكَ مُقابل استمرارِ إقامَة هذا «المثقَّف» العَربيّ السابقة واللاحقَة في العَواصِمِ الغَرْبيّة ،ونَفْخ جُيُوبِهِ بأجْرٍ نُقُوديٍّ مُقْتَطِع مِنَ الرَّيع النَّفْطِيّ - الغازيّ الخَليجيّ الذي أخَذَ على عاتِقه تمْويلَ تنفيذَ هذه المُؤامَرَةِ . وإذا كانَ دَوْرُ المُثَقَّفِ الإمبرياليِّ الصهيُونيّ «عُضْوِيًّا» (ونستخدم هنا مصطلح غرامشي بتصرُّف ونُخرجُه عن سياقه التاريخي محتفِظين فقط بكونه يُعبّر عن المثقف الذي يُعبِّر قولاً وفعلاً عن مشروع فكري ثقافيّ يَخدم طبقة أو كتلة تاريخيّة ما وتعامَلَ مع هذا الشأن العامَّ كأنّه شأنٌ ذاتيّ) وقائداً لأنَّهُ دَوْرٌ مُنْسَجِمٌ مَع مَسارِهِ التاريخيّ المعرفِيّ، فقد كانَ ومابَرَحَ دَوْرُ «المُثَقَّفِ» العَرَبيّ الاستِهلاكِيّ تقنيًّا تَسْويقيًّا تابعاً ، برَصيدِهِ الزَّائفِ ومَسارِهِ التاريخيّ المُتَقَلِّبِ مِن الماركْسيّةِ والقوميّةِ إلى الليبراليّةِ إلى السَّلَفِيَّةِ السافِرَةِ أوالمُقَنَّعَة.

-3 ويَتَمَثَّلُ عنْدي الثالُوثُ الثّقافيّ الإمبرياليّ الصهيونيّ الغَربيّ في : أولاً الصهيونيّ «برنارد لويس» المولود بلندن من أمٍّ يهوديّة بتاريخ 31 ماي/أيار 1916، وهو أستاذٌ فخريٌّ بريطانيٌّ أمريكيٌّ لدراسات الشرق الأوسط في جامعة برنستون، ومُتَخصِّص في تاريخ الإسلام والتفاعُلِ بين الأخيرِ والغَرْب. فهو الذي وضَعَ خطَّةَ مؤامَرَةِ «الربيع العربيّ» قبل أن يُخْلَعَ عليها هذا الإسم ، وذلكَ مُباشَرَةً غبَّ أحداث 11سبتمبر/أيلول2001في نيويورك وواشنطن،مِن أجْلِ إقامَة «الشَّرْقِ الأوسَطِ الكبيرِمن إسلام آباد حتى مرّاكش» وذلكَ على أنقاضِ الدُّوَلِ الوطنيّةِ القائمةِ في هذا الحيِّز الجّغرافيّ الشاسِع ،بَعْدَ تدميرِ قُدراتِها العسكريّة و الإقتصاديّة والعلْميّة وَتُراثِها الحضاريّ وتَمزيقِ نسيجِها

الإجتِماعيّ، وإشاعَةِ الفوضى «الخلّاقة صهيوأمريكيًّاً» لِتَقْسيمِها وفْقاً لخرائط جغراسياسيّة جديدة وَضَعَها «برنارد لويس» إلى دُوَيْلاتٍ فاشلَة تقومُ على أسُسٍ دينيَّةٍ وطائفيَّةٍ وعِرْقيَّة تَدُورُ جميعها في فَلَكِ «دَوْلَة إسرائيل اليهوديّةً الكُبرى» المركَزِيّةِ للمنطقةِ بأسْرِها. والهَدَفُ مِن ذلكَ وَضْع اليدِ الإمبرياليّةِ نِهائيّاً وبشكْلٍ مُطْلَقٍ على ثَرَواتِ المنطقة الطبيعيّة بدْءاً مِن النّفْط والغاز ، وحمايةُ أمْن «الدولة اليهوديّة» الإستراتيجيّ، وتصفيةُ القضيّة الفلسطينيّة بإقامَة دولة غزَّة الوهابيّة بَعْدَ أن يُضافَ إليها مُرَبَّعٌ جغرافيٌّ واسِعٌ مِنٍ سيناء حسْب صفْقَة أبْرَمَها الإخوانُ المُسلِمون في مِصر مع الإدارةِ الأمريكيّةِ.

وفي هذا السِّياقِ تتمُّ السيطَرَةُ الصهيوأمريكيّةُ على الترسانةِ النوويّةِ الإسلاميّةِ الباكستانيّة ومَنْعُ إيران مِن إنجاز ترسانة نوويّة مُشابهة ، وتفكيكُ الجّيُوش العربيّة الأربعة التي يَعدُّها العدوُّ الصهيونيُّ خَطَراً استراتيجيًّاً على كيانهِ (جيوش العراق سابقاً ، ومصر وسوريا والجزائر حاليًّاً).

والثاني في هذا الثالوث الثقافيّ الغَرْبيّ هُو «جين شارب» الذي وُلِدَ بولايةِ أوهايو الأمريكية في (21 جانفي/كانون ثاني 1928) لأبٍ يهوديٍّ و أمٍّ مسيحيّة ، و هو أستاذ العلوم السياسية في جامعة ماساتشوستس في دارتموث ومرشح للحصول على جائزة نوبل للسلام ويعيش الآن في بوسطن،وارتبط اسمُهُ بالكتابة والتأليف في الموضوعات الخاصة بما يُسَمّى «الكفاح السلمي»وقد اسْتَقتْ من كتاباتهِ العديدُ من التحركات المناهضة للحكومات في أوربّا الشرقيّة برامِجَها الميدانيّة. وخاصّةً وصاياه ال198التي أبرزها شَيْطَنَة قوى الأَمْنِ وتحييد الجيش في الدولةِ المُسْتَهْدَفَة ، كما حَصَلَ في تونسَ ومِصْرَ ، واستِخْدام شبكة الأنترنيت

مِن قِبَلِ شبابٍ تَمَّ تدريبُهُم مُسْبَقاً على ذلك . وأبرز رموزِهم «القياديّة» على هذا الصعيد التونسي «سليم عمامو» والمصريّ «وائل غنيم» اللذان جَرى تغْييبُهُما مع حلُولِ الدَّوْر «الإخوانيّ» في تنفيذ خطّةِ «برنارد لويس»، كما عَرَضَتْ قناةٌ أعرابيّة فضائيّة وقائعَ استقبالَ جين شارب شباباً سوريّين لهذا الغَرَض عشيّةَ اندلاع الأزمة السوريّة ، لكنّ عَدَم تمكّن اختِراق الجيش العربيّ السوريّ بغيَةَ تحييدِهِ حالَ دُون فعاليّة وصايا «شارب» هناك.

أمّا ثالثهُم : فهُوَ «برنار هنري ليفي» الذي وُلِدَ لعائلة سفاردية يهودية ثرية في الجزائر في5 نوفمبر/كانون الأول 1948 بمدينةِ بني صاف الجزائرية إبّان الاحتلال الفرنسيّ للجزائر، وقد انتقلتْ عائلتُه إلى باريس بعد أشهُرٍ مِن ميلادِه. وقد درّسَ الفلسفةَ في جامعة فرنسيّة راقيةٍ وعلّمهَا فيما بعد، واشتهر كأحد «الفلاسفة الجدد»، وهم جماعة انتقدت الإشتراكيةَ بلا هوادة واعتبرتها «فاسدةً أخلاقياً»، وهو ما عبَّرَ عنه في كتابهِ الذي تُرجِم إلى عدَّةِ لُغاتٍ تحت عنوان: «البربريَّةُ بوجهٍ إنسانيّ». كما أنَّهُ مِن أبرَزِ رُمُوزِ اليهودِ المُحافِظين الجُدُد على غِرارِ المسيحيّين المُحافِظين الجُدُد ، وهُو الذي قادَ المعركة ميدانيّاً في ليبيا ضدَّ نظام الشهيد معمَّر القذّافي تمهيداً لِتَدَخُّلِ «الناتو» نَظَراً لافتقاد الحالة الليبيّة الشَّرْط الأبْرَز بين وصايا «جين شارب» ، أعْني وجُود الجيش الذي يجب «تحييدَه» أو بالأحرى الإستقواء به عَمَليّاً ، وقد حَمَلَ «برنار ليفي» هذا رسالةً شهيرةً مِن قادَة «ثوّار الناتو» الليبيين إلى القيادَةِ الإسرائيليّة ، وتبَاهى في لِقاءٍ تلفزيونيٍّ عَلَنيّ في تل أبيب مع وزيرة الخارجيّة الإسرائيليّة السابقة»تسيبي ليفني» (رائدة جهاد النّكاح اليهودي حسب اعتِرافاتِها المعروفة) بأنّه بعْدَ ما حَقَّقَه في ليبيا عازِمٌ

على فِعْلِ الشيء نَفْسِه في سوريا . ولذلك كما صرَّحَ مِراراً فقد التَقى نُخَباً ثقافيّة وسياسيّة سوريّة لهذا الغَرَض في العاصمة الفرنسيّة قَبْلَ أن تُوكَلَ هذه المهمّة إلى «عزمي بشارة» عضو الكنيست الإسرائيلي لستِّ دَورات برلمانيّةٍ سابقة قبْلَ أن يخترِقَ مِن خِلالِ «عبد الحليم خدّام» الدّولَةَ السوريّة و «حزبَ الله» ويصبح زميلاً للقومي «مَعْن بشّور» والإسلامي «راشد الغنّوشي» في مايُسمّى «المؤتمر القومي العربي»ومِن ثَمَّ يستأنِف مهمّتَه التآمُريّة مِن دَوْحَةِ حَمَدَيِّ آل ثاني سابقاً وتميمِهما لاحِقاً.

وقد تَحَرَّكَ هذا الثالوث الثقافي الغَرْبي الصهيونيّ بناءً على مَعْرِفَةٍ وإدْراكٍ وثيقَيْن ، واعتِماداً على تَقَصِّي مراكز بُحُوثٍ ودراساتٍ مُخْتَصَّة، لواقِعِ المَنطِقةِ السياسيّ والإقتصاديّ والإجتِماعيِّ والثقافيّ، وبالتالي لحقيقةِ أنَّ جميعَ الدُّوَلِ المُسْتَهْدَفَة تتوفّر فيها الشروطُ الموضوعيّةُ لِقِيامِ ثوراتٍ إجتِماعيّة في أُفُقٍ وطنيٍّ ديمُقراطيّ على أنظِمَة الحكم فيها ، وهذا ماكان يَخشاه الغرْبُ الإمبرياليّ والكيانُ الصهيونيّ وأنظمةُ الخليج الأعرابيّة ومثيلاتُها الأوليغارشيّة في الأردن والمغرب، لكنّ الظّرفَ الذاتي أي القوّة السياسيّة الثوريّة المُنَظَّمَة والتي تمتلِكُ نَظَريّةً وبرنامَجاً ثوريّين واضحين ، كانَ شَرْطاً غائباً.

ولذلكَ أَخَذَ هذا الثالوث الشيطانيّ على عاتِقِهِ مَدْعُوماً بالإستخباراتِ الأمريكيّةِ تَعْويض هذا الشرط الثوريّ الذاتيّ بحراكات الربيع العربيّ المسرحيّة ، وهذا ما يُفَسِّرُ عَدَم تَنَطُّع أيّ قوّة سياسيّة للإدّعاء بأنّها مَن فَجَّرَ «الثورةَ» المزعومة في هذه الدولة أوتلك بدْءاً مِن تونس وصولاً إلى السودان حالياً مروراً بمصر واليمن . أمّا في ليبيا فتَدَخُّل «الناتو» الخارجيّ كانَ فَظَّ الوُضُوح، وفي سوريا تَمَّ الرِّهانُ الخاسِر بعَونِ الله

وإرادَة شعبنا وجيشِه الباسِل ، على المجموعات الإرهابيّة التكفيريّة التي تمَّ استِقْدَامُها مِن القاراتِ الخَمْس بما في ذلكَ ماخُور البحر المُتَوَسِّط المُسَمّى «مالطة»!.

-4 إذَنْ ليسَ مُسْتَغْرَباً أن تَفْتَقِدَ دُوَلُنا ومُجْتَمَعَاتُنا المُثَقَّفَ العضويَّ الوطنيّ الذي يَرى ويَعْرف ويُدْرك ويَحْدسُ ويقودُ حَرَكَةَ وَعي استشْرافيّ عندَما تلتَقِطُ راداراتُهُ المَعْرفيّة بحسّها الوطنيّ الإنسانيّ العَالي ما يُدَبَّرُ لشعبه ودولته الوطنيّة ليس فقط مِن مكائد تستهدفُ مصالِحَها القوميّة أوالوطنيّة بل أيضاً مِن مؤامرة كونيّة إباديّة وجوديّة ترْمي بوحشيّة وحقْد غيْر مَسبُوقيْن إلى مَقاتِل الدولة الوطنيّة ومكوّنات شعبها ، فيُنَبِّهُ هذا المُثَقَّف ويُحَذِّر بل يَقُودُ بوَعْيِه المُقاوِم مَعْرَكَةَ الوجُود الوطنيّ مؤجّلاً كلَّ ما يستدعيه التناقُضُ الثانويُّ مع هذه القوّة الوطنيّة أو تلك في النظام والمُعارَضَة ، لتوحيد كُلّ شَعْبه في خَنْدَقٍ واحد لحَسْم التناقُض الرئيس مع الخطَر الخارجيّ المُحدِق بكلِّ شبْرٍ مِن الوطَن وبكُلِّ مَجْمُوعَةٍ أو فَرْدٍ مِن المُواطِنين.

ليس مُسْتَغْرَباً افتقادنا هذا الطِّراز مِن المُثَقَّفين ، لأنّ مُجْتَمَعاتنا الإستِهلاكيّة عاجزةٌ عن إنتاج ماتستهلكُهُ حتى في المجال الثقافيّ، لذا مُثَقّفنا لايُنتِج لمُجْتَمَعِه خبْزَ رُوحِه بَلْ يستَوْردُ له الفكرةَ وآليّةَ التفكير والإيقاعَ والَته واللون والفرشاةَ والخطّ واللحن وطريقةَ أداء الصَّوْت ، لذلكَ هُو تقنيّ وعارِضُ مَعْرِفَة مُسْتَوْرَدَةٍ في سوق المجتمَع الإستِهلاكيّ وفي أحْسَنِ الأحوالِ وكيلُ اخْتِراع علميّ أوإبداع فكريّ أو أدبيّ أوفنّي مُسَجَّلَ في سجلّاتِ التّراكُم المعرفيّ الغَربيّ ، لذا نراه تارة قوميًّا وأخرى ماركسيّا وثالثة ليبراليّا ، يلبسُ الأيديولوجيا ويزهو بها معْطَفاً مِن ماركةٍ عريقةٍ وموديل حديثٍ ، وحينَ تَنهارُ في الغَرْب وتَنْهَضُ على

أنقاضِها أيديولوجيا غَرْبيّة جديدة يَخْلَع سابقتَها كأنّها حِذاءٌ بالٍ وينحازُ إلى الحادِثَةِ بتَطَرُّف أخْرَق . وعندَما وجدَ نفسَه في لحظةٍ تاريخيّة فارقة في الدركِ الأَسْفَلِ مِن سُلَّم الحضارَةِ البشريّة ، عاجِزاً حتى عن مُواكبَةِ الحضارَةِ الغربيّة استهلاكاً نَكَصَ إلى ماضي الأسلاف السحيق ليس بغيةَ اسْتِلهام إرادَة الخَلْق والإنتاج في خَلْق وإنتاج مُعاصرَيْن ، بل لِاستِهلاك أفكارٍ عَطِنَة وخَنْقِ أرواح الأجيال الصّاعدةً بأرغِفَةِ الرَّمادِ والغُبار.

هؤلاء هُم رُمُوز ثقافَتِنا مِن «برهان غليون» صاحبُ كتاب «بيان من أجل الدّيمقراطيّة» في سبعينات القرن الماضي الذي يُقَدّم أوراق اعتمادِه لشيخ الإرهابيّين يوسف القرضاوي في الدّوحة كناشط سياسيّ في العقد الثاني من القرن العشرين ، إلى «فَضْل شاكر» المُغَنّي الرّومانسيّ الذي بَعْثَرَ روحَهُ الغُولُ الطائفيّ الوهابيّ فأطلَقَ لحْيَتَهُ والرصاصَ مِن بندقيّته وتحوَّلَ إلى طريد العدالة. ومن «صادق جلال العظم « صاحب كتاب «نَقْد الفكر الدّيني» في ستّينات القرْن الماضي الذي يتحَوَّل من واشنطن على صفحات نشرةٍ خليجيّة إلى مُحَرِّض طائفيّ يَحْدو أهْل السنَّةِ في سوريا كي يتمَرّدوا على «علويّةٍ سياسيّةً» مَزْعُومَة - محاكاةً مَرَضيّة للمارونيّة السياسيّة سيّئة السّمْعة التي عرفَها لبنان في حربه الأهلية خاصة - حاكّاً بذلكَ على الجَّرَبِ الوهابيّ التكفيريّ ، إلى «ميشيل كيلو» الكاتب اليساري الذي يُتَوِّج نضاله الدّيمُقراطيّ بأمْرٍ من الأجهزة الإستخباراتيّة الفرنسيّة مَثْنيّ الركْبَتَيْن يتلقّى وصايا النّضالَ من أجل الحريّة والدّيمقراطيّة من رئيس المخابرات السعوديّة «بندر بن سلطان» ويردّد في جَوْقَتِهِ مُرَيّلاً طَمَعاً في ريالاتِه عبارات تلُومُ أمريكا لأنّها تراجَعَتْ عن قصْفِ ما لم يصلْه الإرهابيون التكفيريّونَ من مُدُن

سوريا وقُراها.

هؤلاء وغيرهم مِن المَحْسُوبين على الثقافةِ السورية سَبَقَ وأن لبُّوا دعوةَ «عَزْمي بشارة» إلى «دَوحَةِ الرّبيع العربي» كي يُنَسِّقوا مع «حَمَد جيفارا الثاني» لشَنِّ حَربِ العصاباتِ الفكريّة والثقافيّة والإعلاميّة ضدّ النظام الوطنيّ في دمشق.

والمُفارَقة الكوميدراميّة هُنا أنّ «عزمي بشارة» وَجَوْقَتَه لا يَروْنَ حَرَجاً في قَرْع طُبُول الحَرْب على النظام الوطنيّ في سوريا بذريعةِ أنّه ديكتاتوريّ وفي الوَقْتِ نَفْسِهِ لايجدونَ أنْفُسَهُم مَعنيّين برجّ نظام الدَّوْحَةِ شاعراً قطَريّاً في غياهب الزنازين والحكم عليه بالسجنِ النافذَ خمْسَ عشَرَةَ سَنة لأنّه انتَقَدَ بقصيدةٍ نبطيّة الأميرَ وتمنّى أحداثاً في الدّوحَةِ مُسْتَلْهَمَةً من الأحداث التي افتتحَتْ تونُس بها ما يُسمّى «ثورات الربيع العربي».

فإذا كانَ «عزمي بشارة» مَثلاً يعتقدُ بينَهُ وبينَ نَفْسه أنّ المُسمّاة «قَطَر» دَولة وأنّ القَطريّينَ شَعْبٌ يحقّ له و بمَقْدُورِه أن «يُريد» ، أليسَ مِنَ الأولى بأن يعقدَ هذا المثقّف العربيّ الديمقراطيّ التّحرير العَزْمَ ويُبَشِّرَ بمَشروعٍ وطَنيٍّ ديمُقراطيّ ينقل قَطَرَ وشَعْبَها مِن هذا النِّظام الأوليغارشيّ القائم منذ عقود إلى نظام مؤسسات ديمقراطي مَدَنيٍّ عادِل ؟، فما الذي يَمْنَع «بشارة» وجَوْقَتُه مِن الإهتمام بحريّةِ وديمقراطيّة الشعب القطَريّ المُفْتَرَض في دولتِهِ القطَريَّة المُفْتَرَضَة؟. ألا يحقّ لنا مُطالَبَة هؤلاء المُثقّفين والإعلاميين العرب في قطَر أن يبدأوا بكَنْسِ الطُّغيانَ مِن حَوْلِهِم قبل أنْ يُوهِمونا بأنّهُم مَعْنيّونَ بكَنْسِ الطّغيان في أقطارٍ وقارّاتٍ أخرى؟.

إذَنْ هُم يَتَصَرَّفُونَ على أساسِ أنَّ قطَرَهُم هذه قاعدتان أمريكيّتان حَوْلَ ينابيع نَفْطٍ وغاز ، تحكمُها شكْلاً عائلةٌ أوليغارشيّة وتُوظِّفُ ستوديو المونتاجِ التلفزيوني للفبركة والتزوير المُسَمّى «قناة الجزيرة» وريْعَ النفْطِ والغاز في مشروعٍ صهيوأمريكي للتدخُّلِ في شؤون شُعُوب ودُوَلِ المنطِقة تنفيذاً لإملاءاتِ واشنطن وتل أبيب.

ولكنّ فجورَ تقنيّي المعرفة العرَب جاوزَ ماتقترفه المُومِساتُ المُحترفات تحت وطأة الحاجة الماديّة التي قد تسدّها المبالغُ المتواضِعة التي يتلقّينها مقابل بَيْعِ أجسادِهنّ ، لكنّ هؤلاء المُنافِقين العرب ربّما تحت وطأة حاجة أخرى إلى جانب المبالغ الطائلة من المال ، أعني حاجتهم إلى البقاء في المشهد بغضّ النظر عن التغيُّر الحادّ للمُعطيات أحياناً ، كما هو حال الأفّاق «عزمي بشارة» الذي بَزَّ يهوذا الأسخريوطي والعلقمي تنكُّراً وخيانةً مقابل الدراهم القطَريّة، لكنّه الآن بعد أن تَمَّ وَخْز البالون القطَري وافرَنْقعَ نافثاً أُوهامَه ذات الرائحة الكريهة ، يتشاطَر مُحاوِلاً أن يُقدِّمَ نفسَه «مؤرِّخاً موضوعياً» للأزمة السورية... فَيُصْدِرُ عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الذي يديره في العاصمة القطَريّة كتاباً بعنوان «سورية ودرب الآلام نحو الحرّية: محاولة في التاريخ الراهن» ، تخالهُ فيه يُسَوِّق نفسَه على طريق التوبة المستحيلة ، لأنّه كما يقول الكاتب الأمريكي فوكنر في «الصخب والعنف» روايته الشهيرة : «عاهرةٌ يوماً عاهرةٌ دَوماً» .

ففي هذا الكتاب ، وخلافاً لِما كان «عزمي بشارة» يزعمه على قناة «الجزيرة» السوداء الذي كان من بين مهامه الصهيو قطَريّة «تبييضها» يكشف عن أنّ «بوادر التسلح لدى المعارضة السورية بدأت تظهر منذ الأسابيع الأولى للثورة وليس بعد شهور حيث دارَ الكلامُ على أنّ

التسلّح لم يظهرْ إلّا بعد ستّة أشهر من اندلاعِ الاحتجاجات (ص 9). وقد ظهر التسلّح، أول مرّة، غداة اقتحام الجامع العمري في درعا في 23 مارس/آذار 2011 حين ظهر بعضُ الشبّان وَهُم يَحملون السلاح. وفي أفريل / نيسان 2011 بدأت عمليّاتُ تهريبِ السلاحِ من لبنان إلى حمص (ص 192)، وقام محمد علي بياسي، وهو من أنصار عبد الحليم خدام، بتأمين شحنة سلاح إلى بانياس بلغت 20 كلاشينكوفًا ورشّاشين و6 بنادق بومباكشن وقاذفي آر بي جي. ويمكن التأريخ لبداية الظاهرة المسلّحة في الهُجوم على المراكز الأمنيّة في جسر الشغور في مطلع حزيران/يونيو 2011 الذي قتلتْ المعارضة في أثنائه 120 جنديًا سوريًا. وأعقبَ ذلك في 9جوان/حزيران 2011 إعلانُ المقدّم حسين هرموش تشكيل لواء الضبّاط الأحرار. وفي 29جويلية/ تموز 2011 أعلنَ العقيد رياض الأسعد تأسيسَ الجيش السوري الحُرّ».

ونواصِلُ هُنا نقلَ ما اقتَطَفَهُ الصديق «صقر أبو فخر» في عَرْضٍ لهذا الكتاب بدا لنا مُحاوَلة لإعادَةِ تسويقِ «بشارة» ،فيشير أبو فخر إلى أنَّ عزمي بشارة يُفَنِّدُ في كتابهِ الذريعةَ القائلة إنَّ التسلّح كان يهدفُ إلى حماية المُتظاهِرين السلميِّين، لأنّ السلاحَ، بحسْب رأي بشارة، لا يَحْمي التظاهرة السلميّة من إطلاق النار عليها، بل يزيد الحدّة والقسوة، ويُحوِّل التظاهرة السّلمية إلى تظاهرة مسلّحة (ص 198). وقد كان للتسلّح آثار سلبية جدًا؛ فالمُعارضة السوريّة حين نضجتْ للعمل الجماعِي، كان قد جرى تهميشُها بأسلحةِ العملِ العسكري في الداخِل، وأصبحتْ أوساطٌ واسِعة مِنها أسيرة التشاوُر معَ الدُّول الداعمة لها (ص 404). وفي هذا السِّياق يُدِين بشارة قيامَ مجموعاتٍ مِن المُعارضة بعمليّات «سلبطة وتشليح وخطف» للحُصُول على الأَموال

بحجّةِ شراءِ السِّلاح أو دَعْم الجَّماعات المسلّحة، وإرغام التجَّار على التبرُّع بالمال كما حصَلَ في حلب ودمشق حيث تقيم شريحةٌ كبيرة من البرجوازية السوريّة، أو كما وَقع في مدينة مَسْكنة في ريف حلب (ص 371). ويُضيف بشارة : أصبحَ للثورة «شبّيحة»يعتدُون على الناس وعلى من يُخالفهم الرأي، ولهم أيضًا شبّيحة إعلاميُّونِ . وظهَر هؤلاءِ الشبيحة في البرامج الإعلامية، وقاموا بضرب خصومهم وشتْمهم بطريقةٍ رثّة ورديئة لا تختلف عن طريقة شبيّحة النظام الإعلاميين (ص 270). وقد اشتهرَ في أعمالِ السرقة في حلب «حركةُ غرباءِ الشام»وقائدُها حسن جزرة، وكذلك الجيشُ السوري الحرّ نفسُه (ص 210). لذلك كانَ إقدام المُسلَّحين على إرغام الصناعِيِّين والتجّار على دَفْع الأموال لحماية مصانِعهم، وعلى الخطف للحصولِ على الفدْية، وسرَقة السيّارات واغتيال الأثرياء وأبنائهم، ظواهر دفعتْ الجميعَ إلى التمسّك بالاستقرار (ص 206)، ما جَعلَ هؤلاء يَظهرون كأنّهم أقربَ في مواقفهم السياسيةِ إلى النِّظام.

ويُتابع أبو فخر : «يُدين الكاتبُ - بشارة - العمليّات التفجيريّة والإعدامات التي قامتْ بها الجماعاتُ التكفيريّة، ولا سيّما «جبهة النصرة»، ويقول إنّ العنفَ الجِّهادي الذي مارسَته جبهة النصرة كانَ من أبرز المَخاطر التي هدّدتْ الثورة كحراكٍ سلميٍّ مَدَنِي (ص 350). فمَع إطالة أمَدِ الثورة ظهَرتْ المجموعاتُ الجنائية المسلّحة والعناصرُ الجهادية السلفية، ووقعتْ، في هذا السياق، مذابحُ وجرائمُ الكراهية على خلفيَّةٍ طائفية، الأمْر الذي زادَ حدّةَ الإستقطاب في المُجتمع السوري، وجعَل الثورةَ تسيرُ على حافة التحوُّل إلى حرْبٍ أهليّة. ويقول عزمي بشارة إن العناصرَ الجهادية لا تشارك الثورة أهدافها التي انطلقتْ

مِن أجلِها، فهي لها رُؤيتها الخاصّة، أيْ إقامة دَوْلة الإسلام بحسب الشريعة. لكنّه يلاحظ «أنَّ أيَّ منطقة تحرّرت (من النظام) تحرّرتْ مِن سُكّانِها أيضًا» (ص 205)، و «أدّى تمركزُ مجموعاتِ الجيش الحر في المدُن (...) إلى حالاتِ نزوحٍ خوفًا مِن الآتي»).

ويُضيف «في هذا المقام بادَرَ عزمي بشارة إلى كشْفِ الحقائق ودَحْضِ الأباطيل فسَخرَ من «شهودِ العيان» الذين كانوا يتكلّمون من باريس على حوادث كانت تجري في دمشق مثلًا (ص 14)، ومن بعض الضباط الذين كانوا يتحدّثون إلى وسائل الإعلام من اسطنبول عن أمُور سمعوا بها مِن وسائل الإعلام نفسها (ص 197). وانتقدَ إعلامَ المُعارَضة لأنّه ضَلَّلَ الجمهورَ في شأنِ معاركَ حاسمة، وهزئ من بعض المعارضين والقادة العسكريين في اسطنبول الذين كانوا يُصْدِرون بياناتٍ مِن دُون أن يكون لهُم أيّ اتّصالٍ بالواقع على الأرض (ص 176). وفي الميدان نفسه فنّد بشارة في كِتابِه اتّهامَ المعارضةِ للنظام بقتل 120 من جُنود الجيش النظامي في جسر الشغور (ص 195)، وقال إنَّ مثلَ هذه الاتّهامات التي تكرّرت أوقعَ الإعلامَ المُعارِضَ في خطيئتين: التضليلُ وفقدانُ الصّدقيّة. وكانت المُعارضة اتّهمتْ النظامَ السوريَّ بإعدام 120 جنديًا في جسر الشغور لأنّهم كانوا على وشك الانشقاق، وتبيّنَ أنَّ المُعارضة هي التي أعْدَمَتْهُم في هجومِها على المراكز الأمنيّة في تلك المنطقة (ص 440). ولِمزيدٍ من كشف الحقائق ذكرَ الكاتبُ أنَّ المعارضة اتّهمتْ النظامَ السوري بقتلِ الصحافي الفرنسي جيل جاكيه في 11نوفمبر/كانون الثاني 2012، وحقيقة الأمْر أنَّ مُسلّحي المُعارضة أطلقوا قذائف آر بي جي على مسيرة مؤيِّدَة للنظام فقُتل جاكيه الذي كان يُتابع هذه المسيرة (ص 441). واتّهمتْ المعارضةُ النظامَ السوريَّ

بقتْلِ رئيس قِسْم جراحةِ الصَّدر في المستشفى الوطني في حمص الدكتور حسن عيد في 24أوت/آب 2011، واغتيال العميد الركن نائل الدخيل نائب مدير كلّية الكيمياء العسكرية في حمص، واغتيال محمد علي عقيل نائب عميد كلية هندسة العمارة في جامعة حمص، واغتيال المهندس النووي أوس عبدالكريم خليل في حمص أيضًا، وتبيَّنَ أنّ المعارضة هي من قتلتْهُم جميعًا (ص 440)».

إذَنْ يَعترِفُ «عزمي بشارة» الآن بأنّ «الثورة» المزعومة لم تكن سلميّةً منذ انطلاقتِها في درعا بدون أن يُعَرِّج على أكذوبةِ الأطفال الذين تمَّ نزْعُ أظافِرهم ، وبأنّ «شهودَ العيان» كانوا يختلقون أكاذيبَ لا أساس لها (لكنّه كان يعتمدها في تحليلاته التضليلية على قناة الجزيرة) وأنّ «الثوار السلميِّين» و «شبِّيحة الثورة» و «الجيش الحرّ» هم الذين كانوا يعدمونَ المدَنيِّينَ والجنودَ الذين يرفضون الإنشقاقَ والصحفيينَ الأجانب ، و أنّ أولئكَ «السلميّين» ينْهبُون ويدمِّرون ويَعتدُون على الجيش العربي السوري وعلى بقيّةِ المواطنين ، وهم الذين تسبَّبُوا في حركة النزوح الداخلية والخارجية.

حَسَناً ، لاعترافاتِ هذا المُرْتَزِق فائدة واحدة وهي أنّه كانَ كَتَقنيّ مَعْرفة بامتياز لسانَ الثوّار العملاء ومُموّليهم القطريِّين ، وهكذا بلسانهم نُدينُهم، أمّا ماتبقّى مِن خِطاب هذا «المُفكّر» الضليع في الغَدْر والخيانة ، فهو مَحْض هُراء.

***شهادةُ هادي دانيال في ندوة «المثقّف شاهداً على المرحلة»التي انتَظَمَتْ في قصر المعارض بالكرم شماليّ العاصمة التونسية ضمن النشاطات التي تنظّمها إدارةُ معرض تونس الدولي للكتاب في دورته الثلاثين من 25-10-2013 حتى 3-11-2013.**

قراءات استشرافيّة
في القضية الفلسطينية
والتطبيع مع «اسرائيل»
والمسألة الأوكرانية وغيرها

المطلوب تفعيل مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية في الداخل والخارج

ربّما لن يَنْسَ العالَمُ بَعْدُ أنّ الولايات المتّحدة والمملكة المتّحدة شَنَّتا على الرغم مِن أنْفِ الأمم المتّحدة حرباً عدوانيّة متوحّشةً على العراق يتّفِقُ المُحلِّلون السياسيُّون في أرجاءِ كوكبنا أنّ «إسرائيل والنفط» هما في صُلْب دوافع هذه الحرب القذرة وأهدافها .

وما أن تمَّ احتلالُ العاصمة العبّاسيّة بغداد ، وعُيِّنَ الأخ محمود عبّاس رئيسَ وزراءٍ للسلطةِ الوطنيّة الفلسطينيّة وَشَكَّلَ الأخيرُ حكومةً وافَقَ وصادَقَ عليها الرئيس والمجلسُ التشريعيُّ الفلسطينيّان ، حتّى وَزَّعَتْ الإدارةُ الأمريكيّةُ (خارطةَ الطّريق) التي تُساوي أقلَّ مِن الهيكلِ العَظْمِيّ لمبادَرَةِ وليّ العهد السعوديّ التي خَلَعَتْ عليها قِمَّةُ بيروت العربية الأخيرة عَباءَةَ النّظام العربيّ الحائلة حينَ عَدَّتْها «المُبادَرة العربيّة» ، تماماً كما حصَلَ لمبادَرةِ الملك فهد في قمّةِ فاس قَبْلَ أكثر مِن عَقْدَيْن.

وإذا كانَ جورج بوش الأب بَعْدَ حَرْب الخليج الثانية قد «كافأً» العرَبَ الذينَ تسابَقُوا إلى التَّخَنْدُقِ معه في «حَفْرِ الباطِنِ» ، بتنظيمِ

مؤتمر مدريد للسلام المزعُوم ، الذي تَمَخَّضَ عن اتِّفاقِيَّتَيّ «أوسلو» و «وادي عَرَبة» ومُفاوَضاتٍ لم تكتَمِلْ بين تل أبيب ودمشقَ - أيْ تَمَخَّضَ المؤتمَرُ عَمَليّاً عن مُكافأةِ «إسرائيلَ» على سياسة ضَبْطِ النَّفْسِ التي اسْتَقْبَلتْ بها حكومَةُ اسحق شامير الليكودِيّة أيضاً صَواريخَ سْكُود العراقيّة - فإنَّ جورج بوش الإبن بَعْدَ تمكينِهِ مِن احتِلالِ العِراق لن يُكافِئَ الدَّعْمَ العربيَّ الرسمِيّ الباطِنيَّ له بأكثر مِن تدميرِ نظام صدّام حسين الوطنيّ الذي كان وُجودُه يُؤرِّقُ أكثَرَ مِن حاكِم عَرَبيّ ، عَبَّرُوا عَشيَّةَ وخلال العدوانِ عَن رَغْبَتِهِم في رؤيةِ الرئيس صدّام حسين بعيداً عن كُرسِيِّ الحكْمِ في بغداد.

أمّا (خارطة الطريق) التي هي بمثابةِ القاسم المُشترَك لرؤيةِ الولايات المتّحدة والإتحادِ الأوربيّ وروسيا والأمم المتحدة إلى كيفيّةِ حَلِّ الصِّراعِ الإسرائيليّ - الفلسطينيّ ، فإنَّ واشنطنَ ولندنَ اللتين وعَدَتا بإقامةِ دولة فلسطينيّة مُقابلَ غطاء شَرعيّ لحربهما العدوانيّة على العراق، لن تأبَها بَعْدُ لِفَرْضِ حَلٍّ ولَو كانَ هزيلاً على «إسرائيل» إنْ لم تقبَلْ الأخيرةُ به ، خصوصاً وأنّ هذا الحَلَّ وُضِعَ بالإشتراكِ مع الأطرافِ التي رَفَضَتْ إصدارَ قرارٍ مِن مَجلِسِ الأمنِ يُسَوِّغ العدوانَ على العراق.

فَمن المعلوم أنّ كلامَ طوني بلير بشأنِ تنفيذِ القراراتِ الدّوليّة المتعلّقة بالقضيّة الفلسطينيّة وادِّعاءهُ الحرْصَ على تمكينِ الفلسطينيّين مِن حقوقِهِم فَوْرَ حَلِّ المسألة العراقيّة ، وكذلك كلام جورج بوش الإبن المتعلّق بإقامةِ دولة فلسطينيّة ، كلّه كان في سياقِ حَشْدِ تأييد عَرَبيّ لِما كانَ يُسَمّى «الحرْب المُحتمَلة» على العراق. وما أنَّ حَصَلَ العدوانُ حتى دَفَعَ بلير وبوش كلامَهما إلى دائرةِ النّسيان غَيْرَ

مُهْتَمَّيْن بأن يتّهِمَهما أحَدٌ بالكذبِ لأنّه حسْب هنري كيسنجر كاهِن الصهيونيّة الأمريكيّة الأعْرَق «يستطيع القَويُّ أن يكون كاذباً حين يشاء». بَل إنّ الضّعيفَ حسب هذا المنطِق مُجْبَرٌ على أن يرى الأمورَ والأشياءَ كما يُملى عليهِ أن يراها ، كأنْ يَرى الأبيضَ رَماديًّا ، أو كأنْ يرى الأسْوَدَ ناصِعَ البَياض. وبالتالي على الضعيفِ أن ينتَظِرَ مِن القَويِّ وَضْعَ الخريطةِ التي تُحَدِّد له الطريقَ إلى ما قد يعترف له القويُّ مِن «حقوق» و «حقائق».

نَحْنُ نَعْلمُ أنّ «خارطةَ الطريق» جَبَّتْها الحربُ العدوانيّةُ على العراق مثلما جَبَّتْ كلامَ بلير وبوش المُشارَ إليه أعلاه ، لأنّها ليستْ مِن وَضْعِ الولايات المتّحدة وَحْدَها بل هي مِن وَضْعِ ثلاثة أطرافٍ دوليّة هي على خِلافٍ واضِحٍ مع واشنطن ولندن بشأنِ المسألة العراقيّة ، لِذا ليس مُستبعَداً أن يكون بين أهدافِ التواطؤ الأمريكيّ مع الرّفْض الإسرائيليّ لخارطةِ الطريق أن يُدْرَجُ تطبيق الأخيرة بين أوراقِ الضَّغْطِ الأمريكيّة على الإتحاد الأوربي وروسيا والأمم المتحدة ، لِمَنْح العدوان الأنجلو - أمريكي على العراق شرعيّةً دوليّة مُتأخِّرَة ، تَضَعُ بمُوجبها واشنطنُ اليَدَ نِهائيًّاً وبدونِ مُنافِسٍ على نَفْطِ العراق . ولكن ماذا تربَحُ تلك الأطراف الثلاثةُ مِن تنفيذِ «خارطة الطريق» إذا خسرتْ عقودَها النفطيّة المُبرَمة مع نظام الرئيس صدّام حسين ، وديونَها عليه؟. هذا السؤال يجعلنا أكثر ريبةً بالسلوكِ الأمريكيّ.

إنّ الإدارة الأمريكيّة وحكومة شارون تُدركان أنّ الفلسطينيّين قَبلوا «خارطة الطريق» ويُلِحُّونَ على تنفيذِها على الرُّغم مِن أنّها لا تُؤمِّنُ لهم أكثر مِن دولة مؤقّتة غائمة الحدود ، ومِن تَجميدٍ لبناء المستوطنات، وانسِحابٍ مِن الأراضي الفلسطينيّة المُحتلّة سنة 1967، بدون إشارة

إلى أنّ القدسَ هي عاصمة الدّولة المُستقلّة ، وبدونِ ذكْرٍ لقضيّة اللاجئين. لكنّ الفلسطينيين قبلوا بالخارطة المذكورة لأنّها تسويةً أوّليّة للصِّراع بإشرافٍ وَرِعايةٍ مُباشرة مِن أبرز القوى الدّوليّة التي لا يخفى أنّها الآن في حالةِ صِراعٍ على مَن يُقرِّر وجْهةَ السياسة الدّولية . وبالتالي فإنَّ الإختلالَ الفادِحَ في مَوازينِ القوى الإقليميّة والدّوليّة بعْد احتلال العراق وتداعياته في المنطقة يَفرِض على الفلسطينيّين إعادةَ النّظَر في سياستِهِم الدّاخليّة والخارجيّة لأنَّ تنفيذَ مايُسَمّى بالإصلاحات الدّاخليّة قامتْ به السلطة الوطنيّة ورئيسُها الأخ ياسر عرفات على أساسِ أنّهُ نُزُولٌ عنْدَ الإرادة الدّوليّة لا عِنْد الإرادة الإسرائيليّة - الأمريكيّة. وَبَعْد أنْ أخَذَت العزّةُ بالإثْم والعدوانِ واشنطنَ وتل أبيبَ وحُلفاءهما باتَ شارون والدّوائرُ الصّهيونيّة في الولاياتِ المُتّحدة يَضغطان مِن أجْلِ المزيدِ مِن التّنازُلاتِ الفلسطينيّة على خلفيّةِ خَلْقِ أمْرٍ واقعٍ جديد في الضفّة الغربيّةِ وقِطاعِ غزّة أسْوَأ مِن الواقِعِ الحالي، هذا الواقع الذي يصُوغُهُ بقَسْوَةٍ الجنرالُ أرئيل شارون بالدّبّابات وطائراتِ الأباتشي الأمريكيّة ، وبعمليّاتِ الاغتيالِ وَهَدْمِ المَنازِلِ الفلسطينيّة ، وفي الوقتِ نفْسِهِ بدَعْمِ النّشاطِ الاستيطانيّ المحمُوم الذي لم يكتَفِ بقَضْمِ أكثرِ مِن عشرَة بالمئة مِن الأراضي الفلسطينيّة في الضفّة الغربيّة لِيَبْدَأ بقَضْمِ أراضٍ في قطاعِ غزّة!. إزاء ذلك تقومُ واشنطن تارةً بتوزيعِ نُسَخٍ مِن «خارطةِ الطريق» وتطلبُ مُوافَقةً عرَبيّة عليها لِتَبْدُو وكأنّهَا لاتزالُ عازمة على دَعْمِ حَلٍّ للصراع الفلسطيني - الإسرائيلي ، بَينما تُقلِّلُ مِن شأنِ رَفْضِ شَارون لها تارةً أخرى لِتَصِلَ في خطْوَةٍ لاحقة إلى طَلَبِ صريحٍ على لِسان كولن باول يوم الخميس 2003/5/15 الذي يُصادفُ الذّكرى الخامسة والخمسين لنكبةِ فلسطين ، يقول فيه « حانَ الوقتُ بالنسبةِ للطّرفَين

- يقصد الفلسطينيَّ والإسرائيليَّ - ليكونا مُسْتَعِدَّيْن للقيام بتنازُلاتٍ ولا يُمكننا البقاء في النقطةِ التي نحن فيها الآن». ولا نحتاجُ إلى ذكاءٍ إضافيّ لِنَفهَمَ مِن كلامِ وزير الخارجيّةِ الأمريكيّ أنّه على الفلسطينيّين أن يتنازلوا ويقبلوا بالتعديلاتِ التي يطلبها شارون ، لكي «يتنازلَ» الأخيرُ ويَقبلَ بتطبيقِ «خارطةِ الطريقِ» المُعَدَّلَة.وبما أنَّ الهدَفَ مِن أيّ تَعديل على الخارطة المذكورة هو دَفْع الشارع الفلسطيني ، بل المُجتمَع الفلسطينيّ وقُواه الحيّة إلى اقتتالٍ داخِليّ أو إلى حربٍ أهليّة - لاسَمَح الله ، لأنّه على الأقلّ مِن المستحيلِ على السلطةِ الفلسطينيّة مَهْما أوتيَتْ مِن قوَّةٍ وإمكاناتٍ ونُفوذٍ شاملٍ أن تَضْمَنَ قبْلَ إقامةِ الدّولة الفلسطينيّة - أنْ لا يخرجَ عليها ولَو فلسطينيّ واحِد يقوم بإطلاقِ الرَّصاص على الجانب الإسرائيلي ، فكما قال عضو الكونغرس الأمريكي «نك رحال» يستحيل على الإدارةِ الأمريكية نفسها أنْ تضمَنَ خلُوَّ أيّ ولاية أمريكيّة من أحداثِ عُنْفٍ لمدَّةِ عَشر ساعات!.

نَحْنُ إذَنْ إزاءَ إرادَةٍ إسرائيليّة - أمريكيّة مُشتَرَكَة لإفشالِ «خارطةِ الطريق» ، لأنّها أوّلاً خطَّةُ سلام دوليّة لا تَلْقى حماسةً أمريكيّة بَعْدَ احتِلالِ العراق ، ولأنّها على هزالِها قَدْ تُعيق طموحات الجنرال شارون الذي أعلنَ في برنامجِهِ الإنتخابيّ قبل سنوات أنّه يعتقد أنّ الدولة الفلسطينيّة قائمة - يقصد الأردنّ ، وليس في نيَّتِهِ مَنْح الفلسطينيين «دولة ثانية» في «يهودا والسامره» على حَدِّ تعبيرِهِ.

إنَّ السياسة الإسرائيليّة - الأمريكيّة تقوم على الكذب والتسويفِ والمُماطَلة إلى أن ندخلَ سنة 2004 حيث يُعلِن التّذرُّعَ بالانتخاباتِ الرّئاسيّة التي ترَشَّحَ لها جورج بوش الإبن رسميّا ، وبالتالي تأجيل

كلّ حديث عن حَلٍّ للصراع الفلسطيني - الإسرائيلي إلى ما بَعد هذه الانتخابات ، كما يَحصل عادةً . وإذا كان البعْضُ يتوَهَّمُ أنّ بوش الإبن يُراهِنُ على تسويةٍ للمسألة الفلسطينية لدَعْم ترشُّحه فإنّه يتناسى حقيقةَ أنّ «المسألة الصهيونيّة» وليس «المسألة الفلسطينيّة» هي التي تُلْقِي ظِلالَها دائماً على الانتخاباتِ الرئاسيّة الأمريكيّة. فماذا علينا أن نفعلَ إذَنْ؟.

لَن أهدرَ نقطةَ حبْرٍ إضافيّة في الكلامِ على دَوْرٍ عربيٍّ رسمِيّ ، فالمُجرم أرئيل شارون وبدعْم كامِلٍ شامِلٍ مِن الإدارة الأمريكيّة يُنفِّذُ يوميّا سياسته الخاصّة للتعامُلِ مع المسألةً الفلسطينية ، وهي سياسة تقضي بإبادَةِ ما أمْكَنَ مِن الفلسطينيِّين في الضفّة الغربيّة وقِطاع غزّة بل وفي الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1948 إلى أن يَحينَ الوقتُ المُناسب لترحيلِ ماتبقّى إلى الأردنّ والعِراق ، وتسوية مسألة اللاجئين في سوريا ولبنان مع حكومَتيّ بيروت ودمشق مُقابل إيجاد تسوية لِمَزارع شبْعا ومُرتفعاتِ الجولان . وإزاء هذه السياسة الشارونيّة لا يُحرّك النظامُ العربيّ الرسميّ ساكناً إلاّ القول في الوقت غير المُناسب: نَحْنُ نَقبل بما يقبَلُ به إخوانُنا الفلسطينيّون ، بدونِ أن يُحدِّدوا : مَن يَعنُونَ بإخوانِهِم؟. الأخ أبو عمّار الذي كانَ ينتظِرُ سَماعَ هذا الكلام منهم قبل عشرين سنة وليس الآن؟!، أم يَعنون الفصائل المستقلّة عن منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية أو الخارجة عليهما ، وتتبنّى العمليّات الإنتحارية التي تُقدِّم الذرائعَ الإضافيّة لشارون كي يقومَ بالمزيدِ مِن عمليّاتِ الاغتيالِ وهَدْمِ المنازِلِ على رؤوس أصحابها أحياناً؟!.

لم يَعُدْ ثمّة جِهة مَعنيّة حَقّاً بالمسألةِ الفلسطينيّة غيْر القيادة

الفلسطينيّة نفسها ، وكي نكونَ صريحينَ لم يكُن ثمّة جِهة مَعنيّة بالفلسطينيين وقضيّتِهم غيرها ، بما في ذلك مَن رَفَعُوا شِعارَ القضيّة القوميّة المركزيّة. ولِذا على القيادة الفلسطينيّة برئاسةِ الأخ أبي عمّار تقع في هذه المرحلة أكثر المسؤوليّاتِ التاريخيّة صُعوبةً ، حَيْث الراية الفلسطينيّة ثقيلة جدّاً ويتطَلّبُ إبقاؤها مَرفوعَةً المزيد مِن الجّهود الإضافيّة لِتَدعيم المُنجَزات الرمزيّة داخلَ فلسطين المُحتلّة . فهاهُو الفلسطينيّ يجدَ نَفْسَه وحيداً ومُحاصَراً ومُطالَباً بالتّنازُلِ عن وُجُودِه مَرّة أخرى. فكيفَ يُدافِعُ عَن هذا الوُجُود الأعْزَل؟.

أعتقدُ أنّ أقوى ورقة في يَدِ القيادةِ الفلسطينيّة هي ورقة منظّمة التحرير الفلسطينيّة التي يجب إحياء وتفعيل مؤسساتِها ليس فقط داخِل الأراضي المُحتلّة بل وفي المخيّمات المُنتشِرَة في الجّوار العربي وفي المنافي كافّة . وبلا رَيْب لا أقصدُ بتفعيلِ مؤسسات منظّمة التحرير المُغامَرَة بالمُنْجَزاتِ السياسيّة على المستوى الدّولي في ظلِّ الخَلْطِ المقصُود بين الإرهاب والكفاح المسلّح المَشروع ضدّ الإحتلالِ الأجنبي بما فيه الإحتلال الاستيطاني. ليس لأنّ الكِفاح المُسلَّح باتَ في مَوْضِعِ اتِّهام دوليّ ، بل لأنّه ليس الشكل الوحيد للنضال ضدّ الاحتلال الأجنبي ، ولا نعتمدُه إلا إذا كان ضروريّا وناجعا ويعود بالفائدة على مَسارِ نضالنا الشامِلِ مِن أجْلِ الاستِقلالِ ونَيْلِ الحُقوق المشروعة كافّة بما فيها حَقّ العَودة وتقرير المَصير وإقامة الدّولة الفلسطينية المستقلّة وعاصمتها القدس الشريف.

إنّ منظمة التحرير الفلسطينية هي الإطار النضاليّ الذي يستوعب ويَجْمَعُ ويُوَحِّدُ الفلسطينيّينَ داخِلَ الوطَنِ وفي الشّتاتِ العربيّ والأجنبيّ ، وإلى أنْ تقومَ الدولةُ الفلسطينية المستقلّة تَبْقى الوطَنَ

الرَّمْزِيَّ والمُمَثِّلَ الشَّرْعِيَّ الوحيدَ للشعْبِ الفلسطينيّ ، وبالتالي تَبْقى الخلفيّةَ والمَرْجِعَ الذي لا يَجوز تجاوُزَهُ لصالِح أيِّ شَكْلٍ مِن أشكال السلطة الوطنيّة الفلسطينيّة ، واللاجِم بقوَّةٍ وَحَسْمٍ لِكُلِّ مَنْ يجد نَفْسَه في مَوْضِعِ المُفَرِّطِ بأيِّ حَقٍّ مِن حُقوقِ الشعب الفلسطيني.

فليس مُهمّاً رُبّما إلقاء السلاح داخلَ الضفّة والقطاع ، فقد يكون مِن الصَّوابِ القَول إنّ المرحلةَ مرحَلَةُ عَمَلٍ سياسيّ وإعلاميّ ، ولكن المُهمّ بل الأَهَمّ أن لا يتمّ التوقيع على أيّ اتِّفاقٍ مع «إسرائيل» يتضَمَّن تفريطاً مُباشراً بأيِّ حَقٍّ مِن حُقُوقنا الفلسطينية المَشروعة، أو يكون هذا الاتّفاق جسْراً إلى التّفريطِ بحُقوقٍ مَشروعة. فالصُّمُود السياسيّ الذي مَثَّلَ القائدُ الرَّمْزُ في السَّنواتِ الأخيرة أنْصَعَ تَجَلِّياتِهِ كما مَثَّل سابقاً صفحاتٍ مجيدة مِن المُقاوَمَة المُسلَّحَة والصّمودِ العسكريّ كان القائدُ ياسر عرفات عُنوانَها الزَّاهي ، هُوَ الصُّمُود المَطلُوب حاليّا بأيّ ثَمَن ، فأيّ تنازُلٍ على هذا الصّعيد السياسي سيصْعُبُ على الأجيالِ القادمة تجاوُزَهُ. وكي لا نَضيع عن هذا الهدَف السّامي يجب التَّمَسُّك بالرئيس ياسر عرفات بُوصلتنا الوطنيّة ورَمْز وُجودِنا الآنَ وفي المستقبل وإحاطَته بوَهْجِ العُقُول ونَبْض الأفئدة.

إنَّ القوَّة العمياء قَدْ تَدْفَع شارون إلى حَماقةٍ ما ضدَّ الأخ «أبوعمّار»، وعلينا أن نُدركَ أنّ الهَدَفَ مِن هذه الحماقة لن يكونَ جَسَد عرفات الأشدّ نُحُولاً مِن جسَدِ يَسُوع ، بل الهَدَف المُباشر هُو تَماسُك الفلسطينيين حَولَ قائدهم ورَمْز وُجودِهم ، وفي وَقْتٍ كهذا ليس مَسمُوحاً بالخطأ بغَضِّ النَّظَر عَن النَّوايا.

*تونس2003/5/19

مِن أجْلِ الاقتصادِ في الدّمِ الفلسطينيّ والاقتِصاصِ لَهُ!

أنْ تخوضَ حرَكة «حماس» الانتخابات التشريعيّة وتَفُوزَ ، ويُكَلِّفُها الرئيس محمود عبّاس بتشكيلِ الحكومة ، فقد كانَ ذلك سياقاً ديمقراطيّا مِن أبرزِ إنجازاتِهِ رَفْضَ الإدارة الأمريكيّة له لأنّه لم يحملْ إلى المجلس التشريعي والحكومة مَن تعدّهم واشنطن «مُعتدِلين» ، والإنجازُ هُنا هُوَ تأكيد أنّ الديمقراطيّة التي تدعو السياسةُ الأمريكيّة إلى اعتِمادِها في المنطقةِ العربيّة هِيَ تلك التي تستجيب بنتائجها لإرادة المصالِحِ الأمريكيّة وليس لإرادة الشعب العربي المَعْنِيّ ومَصالِحِهِ.

وبَعْد هذ الإنجاز الفلسطينيّ عبْر انتخاباتٍ نزيهة واجَهَتْ الإردةُ الصهيو - أمريكيّة المُنْكَسِرَةُ نتائجَها بكُلِّ شراسة ، كانَ مُنتَظَراً مِن حَرَكةِ «حماس» أنْ تكونَ أكثَرَ حِكْمَة ، فتَلْجأ بَعْدَ تسجيلِها هذا «الهدَف التاريخيّ» في المَرْمى الأمريكي - الإسرائيلي ، إلى التنسيقِ في سياقِ العَمَلِ الوطنيّ مع السلطة الفلسطينيّة لتي يرئسُها الأخ «أبو مازن» ، وتتخلّى عن استِفْرادِها بالحكومةِ (على الرّغْم مِن شرعيَّةِ هذا الاستِفرادِ نظريّا وفي الظروفِ الطبيعيّة) لِصالِحِ حكومةِ وحدةٍ وطنيّة

تَحْمي مَصالِحَ الشعبِ الفلسطينيّ الرّاهنة والاستراتيجيّة مِن تَصاعُدِ ردودِ الفِعْلِ الصهيو - أمريكيّة المُتوَحِّشَةِ في ظلِّ مَوازين قُوى إقليميّة ودوليّة لا تسمح بمَوْقِفٍ راديكاليّ على الرّغم مِن شرعِيَّتِه النظريّة كما أسْلَفْنا ، لكنّها سُرْعان ما انْقَلَبَتْ على حكومةِ الوحدةِ الوطنيّة ، بذرائع تدعونا إلى التساؤلِ : على ماذا كانت «حماس» سَتُقْدِمُ أكثر مِن الذي أقْدَمَتْ عليهِ لَو تَعَرَّضَتْ إلى واحِدٍ بالمئة مِن الضُّغُوطِ التي يَتَعَرَّضُ لها «حزْبُ الله» في لبنان ، والتي يُواجِهُها بالصَّبْر والحكمةِ على الرّغم مِن انتصارَيْهِ على العَدوِّ الصهيونيّ سنَتَيّ 2000و2006 واقتِداره العسكريّ والسياسيّ والاجتماعيّ ، لكنّه آثَرَ أن يتنازَلَ لأبناءِ شعبهِ كي لا يضطرّ يوماً إلى التنازُلِ للعَدُوّ؟.

لكنّ «حماس» تَرَكَتْ الأمْرَ يتطَوَّر إلى إحْكامِ الحصارِ على قطاعِ غزَّة وعدّه كياناً مُعادِياً ، وَتَرْك مجتمعه الفلسطينيّ ينقسِم ويتآكَلَ تحْتَ ضُغُوطٍ إسرائيليّة وعرَبيّة رسميّة ودوليّة/أمريكيّة.

وإذا كان النّاخِبُ الفلسطينيّ ، قد اخْتارَ «حماسَ» نِكايَةً بالفَسادِ الذي جَلَبَهُ تَسَلُّمُ السلطةِ إلى حركة «فتْح» المُسَيْطِرَة على مؤسساتِ هذه السلطة ومجتمعِها ، والذي كان يحدُّ مِن مَخاطِرِه وُجُودُ الرئيس ياسر عرفات بِمالَهُ مِن «كاريزما» ورَمْزيّة وطنيّة تاريخيّة ، فإنّ «حماس» قَبْل أن تُدفِئ كُرْسِيَّ السّلطةِ فَضَّلَتْ الاحتفاظَ بهذا الكُرسِيّ على وحدةِ الشعب الفلسطينيّ وَحَقْنِ دمائه وَتَحْصينِ نضالِه في مُواجَهَةِ خَطَرِالإنشِغالِ بالخلافات والإنقسامات الدّاخليّة ، فقامَتْ بانْقلابٍ أخْطَر ما فيهِ السُّلوكاتُ التي رافَقَتْهُ مِن خَطْفٍ وَقَتْلٍ وتَمثيلٍ بالجُثَث ، والتي جاوَزَتْ اسْتِهْدَافَ «فَتْح» ورُموزها إلى مُخْتَلِف فَصائل الشّعْب الفلسطينيّ بما في ذلك القريبة منها أيديولوجيّا كحركة «الجّهاد»!.

وقد نَعدّ ذلك قِلَّةَ خبْرةٍ سياسيّة ، على الرّغم مِن مَعرفتنا بالظّروفِ التي رافقَتْ نشْأةَ «حماس» وتشجيعها مِن النّظامِ الأردنيّ آنذاك ومِن جهاتٍ أخرى للتشكيكِ بوحْدانيّةِ التمثيلِ الفلسطينيّ بَعْدَ اعترافِ الأممِ المتّحدة ، وجامعة الدّول العربيّة ، ومُنَظَّمَتَيّ دُوَل عدَم الانحياز والمؤتمر الإسلاميّ وغَيْرها مِن الهيئاتِ الدّوليّة والإقليميّة بمنظّمة التحرير الفلسطينيّة مُمَثِّلاً شَرعِيًّا وحيداً للشعب الفلسطيني داخِلَ فلسطين المحتلّة وخارِجها ، وكذلك على الرّغم مِن مُراقَبَتنا للدَّعْم الماليّ والإعلاميّ والسياسيّ الذي لَقِيَتْهُ «حماس» مِن الدُّول الخليجيّة وغيرها بَعْد خُروج الشيخ «أحمد ياسين» مِن السجن ، وأيضاً بَعْدَ فَرْض الحِصار على الرئيس عرَفات لأنّه رَفَض التّفريط بحُقوقِ الشعب الفلسطيني في كامب ديفيد2.

وَنحنُ إذْ نُنَزِّهُ قَواعِدَ «حَماس» وجماهيرَها عَن تَقَصُّدِ ما حَدَثَ مِن انقِلابٍ على السلطة الوطنيّة في غزّة ومِن تداعياتِهِ المُستمرَّة إلى الآن ، فإننا نؤكّد على أنَّ الفِعْلَ السياسيَّ يُقاسُ ويُقَيَّمُ بمَدى نجاعته، وتحقيق تَقَدُّم ما على طريقِ تحقيقِ أهدافِ الشَّعب الفلسطينيّ ونِضالِهِ مِن أَجْلِ استعادَةِ حُقوقِهِ في العَودَةِ وتقرير المصير وإقامةِ دَولته المُستقلّة وعاصمتها القدس ، ولا يَعْتَقِدَنّ عاقِلٌ أنّنا بتَعْريضِ الشعب الفلسطينيّ يوميّا إلى المَجازِرِ التي تستهدفُ البَشَرَ والدّمارَ الذي يستهدِف الحَجَرَ والشَّجَرَ ناهيكَ عَن الحصار المُرَكَّبِ (حصارَ إسرائيلَ وحصار الأجهزة) مُقابل تعريض بَعْض المستوطنين لِجُروحٍ طفيفة ، نَقُوم بفِعْلٍ مُقاوِم!.

إنَّ المُقاوَمةَ ، كما هِيَ في لبنان والعراق ، إعدادٌ وعَتادٌ وجَلَدٌ وشِدَّةٌ ومُطارَدَةٌ للعَدوِّ وتكبيدُهُ الخسائر تلو الخسائر حتّى يُذْعِن

ويَعترف بحُقُوقِنا الوطنيّة.

ولا نعتقدُ أنَّ مُراقِباً نزيهاً تفُوتُهُ مُلاحَظَةُ أنَّ الواقِعَ الحاليّ يُضْعِفُ كلّاً مِن السلطةِ الفلسطينيّة برئاسةِ الأخ محمود عبّاس و(وزيره الأوّل) سلام فيّاض، والسلطة التي تفرضُها «حماس» على غزّة برئاسة (اسماعيل هنيّة).

وإذا كانت السلطة الوطنية الفلسطينية تَرى في المفاوضات قاعدةَ وُجودِها وسَقْفَهُ، ذلك أنّها سلطة أنْتَجَتْها إتفاقياتُ «أوسلو» التي تَوَّجَتْ مفاوَضاتٍ مع الكيان الصهيوني، وبالمُقابل يرى خطابُ حركة «حماس» في المُقاوَمةِ شَرعيَّتَها، وسَقْفُ هذه الشرعيّة تحريرُ كُلّ شبْرٍ مِن فلسطين التاريخية، على الرّغم مِن الخطاب المُرْتَبِكِ الذي يُذيعُهُ «هنيّة» عَن قُبُولٍ مُؤقَّتٍ بدولة في حدود حزيران1967، فإنّ الواقِعَ الرّاهِن هُو أنَّ السلطةَ لا تُفاوِضُ و «حماس» لا تُقاوِم. وبالتالي فإنّ الرابحَ الوحيدَ مِن هذا كلّه هي «إسرائيل» وَحْدَها.

وما يجبُ فِعْله للخروج مِن هذا المأزق ليس الإمْعان في هذا الإذْعان المازوشيّ للساديّةِ الإسرائيليّةِ أو استدْعاءها المَرَضِيّ لارتكابِ المزيد مِن المَجازِرِ والدَّمارِ ومُقابلتهما بمزيدٍ مِن النُّواحِ وَجَلْدِ الذّاتِ الوطنيّة، بل المطلوب هُو عَوْدَة «فتح» و «حماس» وجميع الفصائل الفلسطينيّة، وبدُونِ تأجيل، إلى المرجِعيَّةِ الوطنيّة التي يُمَثِّلُها نَهْجُ الزّعيم الشهيد ياسر عرفات الذي عادَ إلى فلسطينَ مِن ثُقْبِ «أوسلو» لِيَبْنِي مَشروعَ دولةٍ مُستَقِلّة تكون السلطةُ فيه قاعدَةً للمُقاوَمَةِ والتّفاوُضِ في آنٍ مَعاً.

فالرَّجُلُ الذي خَصَّصَ وزارةً للمفاوضاتِ هُوَ الذي أسَّسَ في الوقتِ

نفْسِهِ «كتائبَ الأقصى» لِمُقاوَمَةِ هذا العدوّ.

وإلّا كيفَ نُقاوِمُ إذا لم تَكُنْ لدَيْنا أهدافُنا الواضحة والمَقبُولة التي نُفاوِضُ عَدُوَّنا على تحقيقها؟، وكيفَ نُفاوِضُ إذا لم تكن لدَينا مُقاومةٌ تَضْغَطُ على عَدُوِّنا كَي يأخذَ مَطالِبَنا بِجِدِّيَّةٍ؟.

ألَمْ يَقُلْ لُقْمانُ الحكيم « لا تَكُنْ قاسياً فَتُكْسَرْ ولا طَرِيًّا فَتُعْصَر»؟. وَبَيْنَ قَساوَةِ «حماس» وَطَراوَةِ السلطةِ يُكْسَرُ الشّعْبُ الفلسطينيّ وتُعْصَرُ قضيَّتُهُ!.

ونأملُ على ضَوءِ قَوْلِ الرئيس عبّاس مُعَزِّيًا الزّهّار في نَجْلِهِ الشهيد : « إنَّ الدَّمَ يُوَحِّدُ الفلسطينيّين»، أن يرفَعَ الجميعُ الآنَ شعارَ (الإقتصاد في الدَّم الفلسطينيّ) ، وأن يتنازَلَ الفلسطينيُّ للفلسطينيِّ الآنَ كَي لا تُواصِلَ جميعُ الأطراف الفلسطينيّة تنازلاتها أمامَ العَدُوّ الإسرائيليّ.

* نُشِرَ في صحيفةِ «الصريح» التونسية بتاريخ 2008/1/26

مُفارَقاتُ المَشْهَد الفلسطينيّ بين «المُفاوَضاتِ» و«المُصالَحةِ»!

يَبْدُو أنَّ مَشْهدَ القضيّة الفلسطينيّة الرّاهِن ينحَصِرُ بين قوسين ، الأوَّلُ هُو المُفاوَضات الفلسطينيّة - الإسرائيليّة ، والثاني هُو المُصالحَة الفلسطينيّة - الفلسطينيّة.

فالمُفاوضاتُ كما هو مَعْلوم ارتَطَمَتْ بجدارِ الاستيطانِ الصهيونيّ الذي أبْقاه الطَّرَفُ الإسرائيليّ حائلاً دُون التقدُّم في المفاوضات مما دَفَعَ الطَّرَفَ الفلسطينيّ إلى وَقْفِها وَفاءً منه لالتِزاماتِه وتَمَسُّكاً بثَوابتِهِ الوطنيّة ، مُبْلِغاً في الوقتِ نفْسِه الطَّرَف الأمريكي بأنّ المُفاوَضات لن تُسْتأنَف إلا بَعْدَ أنْ تُوقِفَ «إسرائيلُ» وبشكلٍ كاملٍ نشاطاتها الاستيطانيّة ، وأيضاً بَعد أن تُعْلِنَ الولاياتُ المتّحدةُ الأمريكيّة اعترافَها بقِيام دولة فلسطينيّة في حدود 4 حزيران / جوان 1967، وَبَعْد أن تنتهي مهْلَةُ الشَّهْرِ التي حدَّدَتْها لجنةُ المتابعة العربيّة لإدارةِ باراك أوباما عَساها تتمكّن مِن الضّغطِ على «إسرائيل» لِوَقْفِ الاستيطان الصهيونيّ في الأراضي الفلسطينية ، وإلا فإنّ الخطوةَ العربية الفلسطينية ستكون رَفْع القضيّة إلى مجلس الأمن ومُطالَبته بالإعترافِ

بقِيام الدولة الفلسطينية في حدود1967/6/4 أو كَحَدٍّ أدنى وَضْع الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة تحت الوِصاية الدّوليّة تمهيداً لإقامة الدولة الفلسطينية . وفي حالِ تَعَذُّرِ ذلك على مجلس الأمن فإنّ الطَّرَفَ الفلسطينيّ سيُطالِب «إسرائيلَ» بِدَفْع تكاليفِ الإحتلال المُلقاة حاليّاً على عاتِقِ المجتمع الدّولي ، وبخاصّة الاتحاد الأوربي ، ويُمارِس الفلسطينيّون حَقَّهم المَشروع في مقاومةِ الإحتلال بأشكالِ المُقاوَمة المَشروعة كافّة.

وفي الوقتِ نفسِه رَفَضَتْ القيادةُ الفلسطينيّة وعلى لسانِ الرئيس محمود عباس المُناوَرَةَ الإسرائيليّة الجديدة بدعوةِ نتنياهو وليبرمان الطَّرَفَ الفلسطيني إلى الإعتراف ب «إسرائيل» دَولةً يهوديّةً ، لما تُسْفِرُ عَنْهُ هذهِ الدّعوة العُنصريّة المدَعَّمة بقانون إسرائيلي يربطُ مَنْح الجنسيّة الإسرائيليّة بالوَلاءِ ليهوديّة «دولةِ إسرائيل»، مِن مَخاطِرٍ على بَقاءِ عَرَب 48 في بيوتِهِم وأرضِهِم.

وقد لَقِيَ تَمَسُّكُ «إسرائيل» بنشاطِها الاستيطانيّ وهُرُوبِها إلى الأمامِ مِن استحقاقِ السلام ، بقانونِ الجنسيّة الجديد وطَرْح فكرةِ «إسرائيل دَولة يهوديّة» ، سَخْطاً ورَفْضاً مِن المجتمع الدولي بما فيه الدُّوَل الغَرْبيّة ، بينما يَلْقى الموقفُ الفلسطيني تَفَهُّماً مُتَزَيداً.

أمّا على صعيد المُصالَحة الفلسطينية - الفلسطينية فقد أفضَتْ المُفاوَضاتُ التي أدارها الرئيسُ «أبو مازن» بحِنْكَةٍ على الرغم مِن اختِلالِ مَوازينِ القُوى لِصالِحِ «إسرائيل» واقعيّا ، إلى انكشافِ مَوقِفِ حركة « حماس» الذي لم يَكُن واحِداً ولا مُوَحَّداً لا مِن المُفاوَضاتِ ولا مِن المُصالَحة ، لِدَرجَةٍ تَدعُونا إلى التساؤلِ : هَل هذا المَوقِف المزدوِج بل المُتناقِض يُعَبِّرُ عن انقِسامٍ حادٍّ في قيادةِ حركةِ «حماس»

أم أنّه توزيع أدوارٍ ، الهَدَفُ مِنْهُ إبقاء الحال على ماهُو عليه بمُحاوَلَةِ إفشال المُفاوَضاتِ والمُصالَحَة مَعًا؟.

كيف ذلك؟

فإزاء المفاوضات صرّح الدكتور محمود الزّهّار لصحيفةِ الشرق الأوسط (2010/09/03)بأنّ رؤية الرئيس عباس للمفاوضات «كرؤيتنا» وأنّه «إذا كانت هناك دعوة (للرئيس عباس) مِن واشنطن فلا بُدّ أن يذهب» ، وأضافَ مؤكّداً رأيه : «إنّ أبامازن سيفعَل ما فَعَله أبوعمّار ، إنّه لن يتنازَلَ عن الثوابتِ وينتهي الأمر».

واعترَفَ الزّهّار بأنّ مشروع «حماس» الآن هو «تحرير الضفّة وغزّة» و «نحن لا نتحدّث عن تحرير كلّ فلسطين» وأنّه لا يستبعِدُ أنّ هذه المُفاوَضات «قد تؤدّي إلى لاشيء».

ومَوقِفُ الزهّار هذا جاءَ مُناقِضا لموقِفِ «سامي أبو زهري» و «فوزي برهوم» اللذين كالا الاتّهامات لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية، وخِلافاً لِمَوقِفِ «خالد مشعل» الذي تَبيَّنَ أنّه هُو مَن أوْعَزَ بتنفيذِ عمليّتَين في الضفّةِ تزامُناً مع بَدْءِ المُفاوَضات.

أمّا إزاء المُصالحة الفلسطينية - الفلسطينية فقد انقَلَبَتْ المَواقِفُ ورُدُودُ الفعْلِ الحمساويّة ، فبينَما رَحَّبَ «خالد مشعل» بوَفْدِ «فتح» الذي قادَهُ «عزّام الأحمد» والتَقى خلاله قادةَ «حماس» وبقيّة الفصائل الفلسطينية ، وَصَدَرَ عن لقاءِ وَفْدَيّ «حماس» و «فتح» بيَانٌ شديدُ التفاؤلِ نسبيّاً ، تَطَيَّرَ «الزّهّار» مِن هذا اللقاء وأوْعَزَ لمَلَثَّمين أن يعقدوا مؤتمَراً صحفيّاً في غزّة مُوَجِّهاً ضدَّ «فتح» ومُشكّكاً بلِقاءِ دِمَشْق.

في ذاتِ الوَقْت أثارَ مَوْقِفُ «حماس» المُزْدَوج أو المُنْقَسِم على نَفْسِه حفيظةَ الفصائل الأخرى ، كُلّ مِن مَوقِعِه ومَرْجِعيَّتِه. ففي لِقاءِ الفصائل الفلسطينية الحادي عَشَر في سوريا يوم الأربعاء 2010/09/29 انْتَقَدَ «رمَضان شَلَّح» الرجُلُ الأوّلُ في حركة «الجهاد الإسلامي» مَوقِفَ «حماس» مِن المُصالَحَة وعَدَّه غِطاءً لاستمرار «أبو مازن» في المُفاوَضات.بل ذَهَبَ أكثر مِن ذلك في التلميحِ إلى أنّ «حماس» تَغْدرُ بهم ، وَهُم الذينَ ناصَرُوها على الرّغم مِن أنّهُم ليسوا طَرَفاً في الخلاف، وكأنّ «حماس» تطرح نَفْسَها كبديلٍ أو شَريكٍ في المُفاوَضاتِ ، حسب تعبيرِ «شَلَّح».

وذَهَبَ الرفيقُ «مُعْتَصِم حَمادَة» عضو المكتب السياسي للجبهةِ الدّيمقراطيّةِ لتحرير فلسطين أبْعَدَ وأوْضَحَ مِن ذلك في مَقالٍ نَشَرَه بمجلّة «الحريّة» لسانِ حالِ الجبهة ، وتصدر في دمشق (عدد 05 - 2010/09/30) ، عندما كَتَبَ « إنّ مسألة المُقاوَمة الشعبيّة لِطَرْدِ الإحتلال والاستيطان ، وشَقِّ الطريق أمام الدولة المستقلّة وعاصمتها القدس ، لاتحتلّ مكاناً مُهمّا في حسابات حماس ، بل يَطْغى على اهتِماماتِها ثلاثُ مسائل هِيَ :

-1 حماية سلطتِها في قطاع غزّة.

2 - الوصول إلى اتِّفاقِ شراكة مع فَتْح عبْر مُصالَحَةٍ ثُنائيّة تُسْبِغُ الشرعيّةَ على سلطةِ حماس في غزّة.

3 - اعتِراف دولي بدَوْرِ حماس إلى جانبِ فَتْح ومحمود عبّاس، في التسوية السياسية التي رَسَمَتْ حماس ملامِحَها : دَولة في حدود الرابعِ مِن حزيران ، مُقابل هُدْنَة طويلة ، يُؤجِّل البتّ بالقضايا الشائكة

الأخرى إلى وَقتٍ لاحِقٍ ...قد يأتي وقد لايأتي».

وأكَّدَ «حَمادة» في مقالِه أنَّ هاجسَ السلطة لَدَى الحركة الإسلاميّة هُو الطّاغي بَعْدَ أن تَراجَعَ هاجسُ المُقاوَمَة وتطويرها ، إلى حَدٍّ أنّها باتتْ تَفْرضُ على الآخَرين «تجميدَ» أنشطَتِهم القتالية في هدْنَةٍ غير مُعْلَنَة وبِلا سَقْفٍ زَمَنِيّ . وذكَّرَ بمَوقِفِ الزهّار عندما انتقَدَتْ السلطةُ في رام الله مواقفَ حَماس المُزدَوجَة ، حيث قالَ الزّهّارُ بعفويّة على هذا الإنتقاد : إنّ السلطة تُريدُنا أنَ نُعيدَ إطلاقَ الصَّواريخ على إسرائيل لِتُوَفِّرَ لِعَدُوِّنا ذَريعَةً لاغتِيالِ قيادةِ الحركة!.

كما أكّد (حمادة) أنَّ « قناعةَ حماس في دَور المفاوضات في الوصولِ إلى تسويةٍ مع العدُوِّ الإسرائيلي لا تختلفُ عن قناعة قيادةِ فَتْح، فخالد مشعل رئيس المكتب السياسي للحركة لا يكفّ عن إبلاغ الأمريكيّين باستِحالةِ الوصُول إلى حَلٍّ للصِّراعِ دُونِ إشراكِ حماس».

وفي عدَدِ «الحريّة» الصادر بتاريخ 28-22آب /أوت 2010 تساءلت المجلة الناطقة بلسان الجبهة الديمقراطية : لماذا تُنَسِّقُ حماس مع سلطاتِ الإحتلالِ على المَعابرِ إلى «إسرائيل» ، لتنظيم حركةِ البضائع مِن استيرادٍ وتَصدير ، وتنقل المَرضى لِلعلاجِ في «إسرائيل» ، وغير ذلك مِن المُتَطَلَّباتِ اليوميّة التي صارت أمراً واقعاً في القطاع لا مَهْرَب مِنْه ، وهِيَ مِن جِهةٍ ثانية (أي حماس) ترفضُ التنسيقَ مع السلطةِ في رام الله لِتنظيم مسألةِ التيّارِ الكهربائي ، وتعتبرها سلطة غَيْر شرعيّة ، حتى ولو أدّى ذلك إلى تعطيلِ المصالِحِ اليوميّة للناس.

والسُّؤالُ نفسُهُ يُخالِجُ المُراقِبَ بخصوصِ إقرار «خالد مشعل» بأنّه وافَقَ على لِقاءِ وَفْدِ «فتح» ب «حماس» تلبيَةً لِطَلَبِ الوزير المصري «عمر سليمان» ، بينما كان اعْتَرَضَ عل طلب الرئيس الفلسطيني «أبو مازن» إرسال هذا الوفد سابقاً.

أمّا «أبو مازن» - خِلافاً لِما يُكالُ لَهُ مِن اتِّهاماتٍ - فقد أبْلَغَ الأمريكيِّينَ المُنزَعِجينَ مِن لِقاءاتِ «فتح» ب «حماس» ، بأنّ هذه اللقاءات ستستمرّ لأنّها شأنٌ فلسطينيّ داخليّ ويتَعَلَّق بالمصلحةِ الوطنيّةِ الفلسطينيّةِ العُليا ، وكانَ آخر تأكيداتِ الرئيس عبّاس بهذا الخصوص في لقائه السيناتور ميتشل في رام الله بتاريخ 2010/09/30.

إذَنْ مَن الحريص على مصلحةِ الشعب الفلسطيني وقضيّتِهِ وثَوابِتِهِ الوطنيّة واستِعادَة حُقُوقِهِ المَشروعة كافّة في العَودَةِ وتقرير المَصير وإقامة الدَّولة المُستقلّة ؟، منظَّمةُ التحرير الفلسطينية ورئيسُها الأخ « أبومازن» أم حركة «حماس» وقادَتُها الذين يُمْلِي عليهم المُرشِدُ العام للإخوانِ المُسلِمين قراراتهم التي تُفْضي جميعها إلى إقامةِ إمارةٍ إسلاميّة إلى جانبِ «دولةِ إسرائيل اليهوديّة» التي يدعو إليها «ليبرمان»؟.

* نُشِرَ في صحيفةِ «الصريح» التونسية بتاريخ2010/10/21

يَهُوديّ تُونُسيّ يُفَنِّدُ خطابَ «العفيف الأخضر» ورَهْطه!

بِوُدٍّ واستِلطاف كان رِفاقُ السِّلاحِ أوائل سبعينات القَرْنِ الماضي يَروونَ الطّرائفَ عن «العفيف الأخضر» الذي مَرَقَ في سماءِ بيروتَ كالشّهابِ مُخَلِّفاً انتقاداته اللاذعة التي كانَ القادَةُ الفلسطينيُّون يتَقَبَّلُونَها بأريَحيّةٍ ويتَدَاوَلُونَها فيما بَيْنَهُم ويضحكون.

فقد احْتَضَنَ اليسارُ الفلسطينيُّ هذا المُثَقَّفَ التونسيَّ وتَرَكَهُ يَمْرَحُ على هَواه مُزَوَّداً بهويّة عسكريّة مِن «الجبهةِ الدّيمقراطيّة» ، وحينَ يفتقدُونَهُ كانوا يبحثونَ عَنْه في «شارع الحمراء» بينَ باعَةِ ثِمار شجرةِ «الصبّار» أو «الهنْدي» كما يُسمُّونها في تونسَ . لقد كانوا يُقدّرونَ «ثقافَتَهُ» المَوسُوعيَّةَ ويَسْتَمْلحُونَ آراءه الطّريفةَ السّاخِرَةَ ، ولكنْ لم يأخذ أحَدٌ آراءهُ وأفكارَه المُتَضارِبةَ مأخذَ الجِدّ ، الأمْرَ الذي دَفَعَهُ رُبّما إلى المُغادَرَة فُجاءةً صَوْبَ باريس.

إلّا أنّه حَسْب علمِيَ خَلَّفَ في بيروتَ أتْباعاً مِن الشباب كان أنْشَطهُم الصحفيّ السوريّ «صقر أبو فخر» والجزائريّان الراحِلان

«علي بن عاشور» و «محمّد بوشحيط» ، علْماً أنَّ الأخيرَ كان يحْرص على انتقادِ أفكار «العفيف الأخضر» المجالسيّة / الفَوضَويّة، ويؤكِّدُ أنَّ بينهما صداقة وَعَملاً نِضاليًا غير أيديولوجيّ يَتعلَّقُ بحملَة حَوليّة مِن أجْلِ إطلاقِ سَراح الرئيس الجزائريّ الأسْبَق أحمد بن بلّةً الذي مِن مُفارَقات «العفيف» أنّه كانَ يُقَدِّرُهُ تقديراً خاصًّاً ، فكانَ ينشرُ بياناً سنويّاً لَتذكيرِ (الضميرِ العربيّ والعالَميّ بمأساة «بن بلّه» حين كانَ سجيناً في قلب الصحراء) ، وكُنْتُ شخصيًّاً أُوَقِّعُهُ كُلَّ عام ، فكان هذا البيان أهَمَّ نشاطٍ مَوسِمِيّ لأتباعِ «العفيف» الذين كانوا يجمَعُونَ الإمضاءاتِ عليه ، إلى جانبِ توزيع نَشْرةِ «الرّغبة الإباحيّة» التي كان يُصدرها في العاصمةِ الفرنسيّة العراقيّ السُّورياليّ «عبد القادر الجنابي»! .

ومنذ خَمس سنوات خَصَّه مُواطِنُهُ الكاتبُ الصحفي «الصافي سعيد» بفَصْلٍ مِن كتابهِ «حمّى 42» تَوَتَّرَتْ لُغَتُه الغنائيّة بالمُبالغات العاطفيّة المُبَهَّرَة بالطّرائفِ التي كانت تُرْوَى عَنه في بيروت ، لكن ما يهمّنا هُنا قول الصافي سعيد إنَّ صاحبَه عَلَّمَه «النَّظَر باحتقارٍ إلى السلطة» ، وزَعَمَ أنّه ، أي الأخضر ، «يحتفظُ بطاقة الخجَلِ لمُحارَبَة النّذالة والتَّمَلّقِ والهَشاشَة» ، وقال إنّه رآه «مُدافعاً شَرِساً عَن الأفكار الكبيرة التي تتعَرَّضُ للخيانةِ أو للتَّشويهات» ، وأنّه غَرَسَ في الصافي سعيد « وعلى نَحْوٍ وجْدانيّ تلك النّزْعَة المتمرِّدَة على الدَّولة التي يراها كيفَما كان شَكلها ومُحتَواها على أنّها الإستلاب في أقصى دَرَجاته للإنسان وإنسانيَّته ...» وزَعَمَ الصافي أيضا أنّ صاحبَه «ظَلَّ على عُنفُوانهِ الأوَّل للفتْنَةِ والفوضى الجميلةِ ... ثُمَّ للوَفاءِ والإخلاصِ للرِّجالِ كما للأفكار».

ما أوْرَدْتُهُ أعْلاه ، عَبَرَ ذاكرتي دَفْعَةً واحدةً بَعْدَ أن قرأتُ العددَ

الأخيرَ مِن مجلّة «حقائق» الأسبوعية التونسية الذي تضَمَّنَ ملفّاً تحت عنوان (النَخبةُ التونسيّةُ والتطبيع) أكَّدَ مُعِدُّهُ أنّ عشرات مِن المثقّفين التونسيين يتعامَلون إيجابيًّاً مع «مكتب الاتّصال الإسرائيلي في تونس» ورئيسه «بني أومير» الذي ينشطُ كثيراً مؤخَّراً، وقد زارَ مُعظم المُتَعاملين الكيانَ الصهيونيّ ، الأمر الذي حَدا بمثقّفين تونسيين آخَرين أن يُكوِّنوا «لجنةً وطنيّة لمُقاومةِ التطبيع» دعا البيانُ الأوّلُ الذي صدَرَ عنها إلى «استدعاءِ أعضاء مكتب الاتصال (التونسيين) في تل أبيب وإقفال المكتب نهائياً ووَضْع حَدّ لمهمّة مكتب الاتصال الصهيوني في تونس وتجميد اتّفاقيات التطبيع» . وأوردَ مُعِدُّ الملفّ اسمَيْن مِن أسماء الذين زاروا «إسرائيل» هما « صلاح الدين بن عبيد» و «منذر بلحاجِ علي» المنبوذَان في الأوساطِ السياسية ، ولا يُمكن نسبَهما إلى الأوساط الثقافية على الرغم مِن صِفَتِهما الجامعيّة، إلا أنّ الحقيقة تُوجِبُ الإشارة إلى توافُر «فُقاعاتِ» ثقافيّة تونسية على أُهْبَةِ الاستعداد لزيارةِ الكيانِ الصهيوني ، حجّتنا في ذلك تمثيلاً لاحَصْراً، الزيارة التي قامَ بها إلى «إسرائيل» الصحفي «خميّس الخيّاطي» قبْل ستّ سنوات تقريباً ، والتي لم تَحُلْ دونَ عودَتِهِ إلى تونس قبل أكثر مِن سنتين مُراسِلاً لصحيفة «القدس العربي» التي امتدَح «العفيفُ الأخضر» جانبها التطبيعي في ملفّ «حقائق» الذي نحن بصدده، عندما قال «العفيفُ» في واحدٍ من أغرَب تصريحاته: إن القدس العربي عندما تنشرُ ما تكتبُهُ الصحافَةُ الإسرائيليّة «تُتيح الفرصةَ للمثقّفين العرَب لِتَفَهُّم نُظرائهم الإسرائيليين ومُحاوَرَتِهِم مُستقبَلاً».

لقد كان الحوار الذي أُجْرِيَ مع «العفيف الأخضر» مُفْجِعاً ، والذي خَفَّفَ مِن وَقْعِهِ عَلَيَّ شخصياً الحواراتُ الأخرى مع «جورج عدّة» ، «المُنصف ونّاس» و «مصطفى التواتي»، الذين فَنَّدَتْ آراؤهم الرافضة للتطبيع مَزاعِمَ «العفيف الأخضر» بأنَّ « «رَفْض السلام هو

عملية حمقاء» و «تقوم به القوى التي تسبح ضدّ التاريخ، القوى القومية المُترمّتة من جهة والقوى الأصولية من جهة أخرى ودونهما لانجد رفضاً للسلام» ، لكنّ العفيف الأخضر تلقّى الصَّفعةَ من مُواطِنه التونسي اليهوديّ «جورج عدّة» أحَد الوجوه السياسية والنقابيّة التي عَاشتْ المَفاصِلَ الكبرى في تاريخ تونس الحديثة ، وأحَد رمُوز الحركة الوطنية التونسية ، الذي رفَضَ صيغةَ «الدولة العبريّة» ، وقال بوضوح إن واقعيّته واقتناعاته تسمح له بتأكيد حقيقة هي أنه « لاشيء يكون دائما وقويّاً ، إذا بُنيَ على واقع الإغتصاب والقوّة والباطل، والأيديولوجيا الصهيونية برهنتْ على محدوديّتها ، فَسَجَّلتْ إفلاساً صارخاً ، فهي لم تنجح منذ 52 عاماً ، منذ أنَ أقامَت كياناً صهيونياً على الأرضِ الفلسطينية في أن توفِّرَ للأجانب المُسْتَقْدَمين أو المجلوبين من روسيا وبولونيا وتونس والمغرب...وغيرها ، الطمأنينة.لم تنجحْ في أن تجعلهم ينامُون ليلة واحِدَة مُطمئنِّين ، ذلك أنّ ال52 عاماً الماضية كانت زاخرةً بالحقدِ والكراهية اللتين يستحقّهما كُلُّ أجنبي ، ليس هناك أيّ مُستقبَل آمِن للأيديولوجيا الصهيونية لأنّ جوهرَها وطبيعتها ستظلُّ أبداً قائمة على الإغتِصاب والوحدانيّة العِرْقِيّة والدّينيّة في حين أنّ الإنسانيّة تتقدّم نحو شعوب ومجتمعات مستقلّة ومُتفتّحة».

وكأنّ «جورج عدّة» اليهودي التونسي يردّ على مُواطنه «العفيف الأخضر» الذي قال في حواره مع مجلة «حقائق» : « إنّ السلامَ قرارٌ دوليّ فَهُو واقِعٌ ، إذا فشلَ الآنَ فسيحدثُ غداً ، وإذا فشلَ غداً فسيحدث بَعْدَه ، فهو قرارٌ أساسيٌّ لا مهرب منه . وطبقاً لهذا علينا أن نكون واقعيّين وأن نقبل هذا القرار خاصة وأنه ليس مُجْحِفاً بنا نَظَراً لعلاقاتِ القُوى...».

وينصَحُ «العفيفُ» الواقعيُّ بالهروَلةِ إلى السلام ، لأنّ «إسرائيل»

بمقدُورها أن تحرمنا كلَّ شيء ، لكنّها قد تُقدِّم تنازلات (تحت ضغطٍ دوليّ أوربي وخاصة أمريكي) لِلعَرب والفلسطينيين!.

لكنّ واقعيّة العفيف الأخضر الإنهزاميّة تُواجهها وتفنِّدُها واقعيّة «جورج عدّة» الثوريّة حين يقول الأخير :(إنّ الحديثَ عن إنشاء «دولة صهيونية» مَعناه امتِهان المأساة التي يعيشها الفلسطينيون ، فالأمر هنا لايتعلّق بإنشاء دولة ، بل بتعزيز وتأكيد اغتصاب ونَهْب شَعْب بقرار ظالم ، نعم ظالم، مِن الأمم المتحدة أو «المجموعة الدولية» سنة 1947 . تقولونَ هذا الوجود أمر واقع وحاصل ، لكن بالنسبةِ لي أبداً ، وألف أبَداً . فالاغتصاب والنَّهب لن يصبحَ أمراً واقعاً وحقيقة ، إنِّي على يقينٍ عميق بأنَّ هذا النهب والاغتصاب سوفَ يكْنَسُ ولَو بَعدَ 10 أو 20 أوً 50 أو 100 سنة).

ويُعطي «جورج عدّة» أمثِلَةً تُعَزِّزُ مَوقِفَهُ مِن التاريخ ، وكأنّه يردّ على ذَوي المَواقفِ الرَّماديّة الذين يتذرَّعون بالمَوقف الفلسطينيّ الذي يُفاوِضُ العدوّ الصهيوني ، فيقول مُوَضِّحاً واقِعيَّتَه الثوريّة :(لا يجبُ الخَلط ولا المَزْج بين «المفاوضات» الفلسطينية - الصهيونية واحتِمال تطبيع العلاقات بين بلادنا «تونس» والكيان الصهيوني . يجب علينا أن نُعْلِنَ عالياً وبقوَّة أنّ للفلسطينيين حقّ اختيار تحرُّكهم وتحديد أهدافِهم على المدى القصير والطويل . إنّ مِن حَقِّهم وَحدَهم تقرير سياستهم ، وفي كلّ الحالات يجب علينا أن نكونَ بجانبهم لنُقَدِّمَ لهم كما فَعَلنا دائماً الدَّعمَ والتضامُنَ . لكن ليس مِن الضروري بالنسبةِ إلينا أن نَنْسَخَ موقفنا من موقِفِ الفلسطينيين ، فإبرام اتّفاق مع «باراك» يعدُّهُ الفلسطينيّون «مُهمّاً» لا يجب أن يفرضَ علينا أيَّ إلزام بإرسالِ سفيرٍ لنا إلى الكيان الصهيوني . فبإحْجامنا عن الاعترافً بالكيان الصهيوني وَعَدَم « تطبيع» العلاقات معه ، وَعَدَم الاتّصال بالجامعاتِ

الصهيونية ، نُقدِّمُ في تونسَ شَعباً وحكومةً الدّعمَ الدّائم لنضال الشعب الفلسطيني المُتَواصِل مِن أجل تَحَرُّرِهِ الكامِل).

إنّني أغرفُ بِشَغَفٍ مِن خطاب «جورج عدّة» الذي يُذَكّرني بخطاب حكيم الثورة «جورج حبش» ، عَساني أغسل المَرارة التي خَلَّفَها عندي إسفافُ «العفيف الأخضر» الذي يطلبُ مِن الفنانين والمثقّفين والصحفيين العرَب إظهار الودّ للإسرائيليين . لماذا؟. يهرف «العفيف» بتهافُت قائلا «... لكي يكسبَ المُفاوِضُ العربي ثقةَ الرأي العام الإسرائيلي باعتباره قوّة أساسيّة ضاغطة على حكّامه ، فالإسرائيليون يعيشون منذ ألفيّ عام في الخوف وهُم الآن خائفون مِن أن يبيدَهم العَرَب . وهذا الخوف ليس خَوفاً اصطناعياً كما يُرَوِّجُ البعضُ ولكنّه خَوفٌ حقيقيّ، فعلينا مِن أجل كُلِّ هذا أن نبتسِمَ لَهُم ونبني معهم الثِّقة المَفقودة».

ولا يكتفي العفيف الأخضر بإظهار كُلّ هذا «الحنان» إزاء الإسرائيليين ، بل يكيل المديحَ لِكيانِهم الغاصب قائلاً : «أعرفُ أنّ إسرائيل دولة ديمقراطية وأنّ المجتمع المدَني مُستَقِلّ وليس مُرتبطاً بالدّولة». وكُلّ هذا التَّمَلُّق والهشاشة اللذين لم يجدا عنْدَ «العفيف» (طاقةَ الخجَل لمُحاربَتِهما) ليس إلا طَمَعاً في أن تُوَجَّهَ إليه دَعوة سَوف يُلبِّيها دون تَرَدُّد حسْب قولهِ هُو : «إذا ما وُجِّهَتْ إليَّ دَعوة غيْر رسميّة مِن اتحاد كتّاب إسرائيلي مثلاً أو مِن إحدى الجامعات فإنني سأزور إسرائيل».

والعفيف الأخضر لا ينكر أنّه لا يثبتُ على رأي أو فكرة ، وهو سعيد لأنّه غَيَّرَ في مواقفه على عكس ما زَعَمَ «الصافي سعيد» ، بل إنّ هذا العفيف جدّا لم يُخْفِ مُداهَنَتْه السلطة التونسية حين قال إنه يتحدّث عن المثقّفين «دون الحكومات والتي أراها مُحِقّة في أن لا

تعترف بإسرائيل إلا بعد السلام الكامل» ، وهو الموقف الذي يُردِّدُه الرئيس زين العابدين بن علي، فَعَن أيّ نزعة تمرُّد على الدّولة وعن أيّ ازدِراء للسلطة كان يتحدّث «الصافي سعيد»؟.ألَم يُعْلِن العفيف الأخضر عشيّة وفاة الزعيم الحبيب بورقيبة أنّه ندمَ لأنه عارَضَ نظامَ حكمه؟. ثُمَّ مَن يذكر لنا كيف كان العفيف الأخضر مُعارضاً لنظام بورقيبة؟. ثمّ كيف يستقيم هذا التمرُّد مع الكتابة المُنتظِمة في مجلّة «الملاحظ» التونسية التي يُموّلها نظام السابع مِن نوفمبر؟. ثمّ كيف نُفَسِّر أن يُوَظِّف العفيف الأخضر طاقتَه التخريبية في مُقاوَمةِ القومية العربية والماركسية اللينينية في المشرق العربي خاصّة ، وَبَعْدَ فترَةِ سُباتٍ طويلة يستيقظُ فجاءةً لمُمارَسة هذا النشاطِ «التطبيعيّ» مِن خارجٍ تونس وباتّجاهها؟. ألا يَدعو الأمْرُ إلى التَّفَكّرِ في هذا السلوك الشاذّ، ولكن «النموذجيّ» في الوقتِ نفسِه؟!.

إنَّ الملفّ الذي نشرته مجلة «حقائق» التونسية ساقَ أيضاً آراءً تُفَنِّدُ كُلَّ كلمة قالها العفيف الأخضر فإضافة إلى ما اقتطفناه مِن آراء «جورج عدّة» أكّدَ اليساريان التونسيان «مصطفى التواتي» و «المنصف وناس» أنّ حجج الذين يُطبّعون ثقافياً مع مكوّنات «المجتمع الإسرائيلي» مَردودة عليهم ، ذلك أنّ «الدولة الإسرائيلية» ستُوَظِّفُ هذا التقارُب بين المثقفين ، وهِي بارعة في مثلِ هذا التوظيف للقَفْزِ على كلّ المستحَقّات الفلسطينية والعربية ، والذين يرفعون شعار «اعرَفْ عَدُوَّك» عبْر بوّابة التطبيع الثقافي يقعون في مُغالَطَة كبيرة ، فالإسرائيليون يعرفوننا جيّدا منذ خمسينات وستينات القرن الماضي بدون تطبيع ، لأنّ معرفتهم لنا ناتجة عن دراسات ومعاهِد مُختصّة وبُحوث اجتماعيّة ، وهذا ما ينبغي القيام به لِمعرفةِ العدوّ ودراسته اقتِصادياً وسياسياً واجتماعياً.

كما أكّد ونّاس والتواتي أنّ أيّاً كانت مُبرّرات التطبيع وأسبابه فإنّ الرّهان على «إسرائيل» ضَرْبٌ مِن الوَهْم ، لأنها - بحكم تركيبتها الخاصة - لن تمنحَ المجتمعات العربية أسبابَ التقدُّم. فالرّهان الحقيقي هُو الرّهان على الشعوب ذاتها ، مِن خِلالِ احترامها وتقديس كرامتها والعمَل على تشريكِها في اتّخاذ القرار وَفَتْح فضاءاتٍ أمامَها مِن أجْلِ التعبير والإبداع ، والرّهان الحقيقيّ يكمُن في تحديث المُجتمعات العربية ومُقاوَمَةِ التخلّفِ والأميّة وَنَشْر المعرفة وتكريس رُوح القانون.

إذَنْ ،انْدَلَعَتْ معركة التطبيع مع العدو الصهيوني في تونس مِن خلالِ مجابهةِ نشاط «بني أومير» بالإعلان عنِ اللجنة الوطنية التونسية لمقاومةِ التطبيع ، ولكنّ مُشاركة «العفيف الأخضر» في ملفّ مجلة «حقائق» يؤكّدُ حقيقةً مُهمّة هي أنّ «المُطَبّعِين» الذين استلّوا العفيفَ الأخضر مِن أرصفةِ باريس ليُشهروه في شارع فلسطين (مقر مجلة حقائق في تونس)، انْكَسَرَتْ أوهامُهُم على دِرْع «جورج عدّة» المناضل الأصيل المُتجَذِّر في الذاكرة الوطنية ، ولكنّ هذا كلّه نَبَّهَنا إلى إعادةِ النظَر في بعض الظواهر التي كنّا نتعامَل معها في السبعينات والثمانينات مِن القرن المُنْصَرِم بكثيرٍ مِن الحلم والأريحيّة والنوايا الطيّبة التي تُعَبِّد الطريقَ إلى جَهَنَّم!.

*كُتبَ هذا الفصل في 2000/09/18، ونُشِرَ في صحيفة «الوطن» القطرية.

مِن مُفارَقاتِ التطبيعِ الأكاديمي!

عندما نتخيَّل أنّ ستين عاماً مَضَتْ مِن فَرْضِ الكيانِ الصهيوني على أرض فلسطين بِقَتْل الفلسطينيين أو تهجيرهم عن بلادهم قد تعني أنَّ هذا الكيان الغاصِب قد دَخَلَ شَيْخُوخَتَه ، فبدأتْ خلاياه في تَحَلُّلِها وجسَدُهُ في تفَكُّكِه ومعه تتحلل وتتفكك نكبتُنا ، لا نسعى فقط إلى تسطيح القضيّة في مُحاوَلة يائسةٍ منّا لإراحةِ ضمائرنا المُتعَبة، بل نُحاول بذلك التنصُّل مِم مسؤوليّتنا المباشرة عن كلّ ما تعَرَّضت وتتعَرَّض له فلسطينُ وشعبُنا الفلسطيني في الماضي والحاضر مِن احتلال ومَجازر ومَيْزٍ عُنصُريّ.

ومَسؤوليّتنا لاتنحصر في أنّ جيوشَنا العربية مِن المحيط إلى الخليج لم تَخُضْ حرباً حقيقيّة واحدة مِن أجل فلسطين ، لأن حرب أكتوبر 1973 في نتائجها لم تُفْضِ سِوى إلى تحييد الجيش المصري وتكبيله باتفاقياتِ كامب ديفيد المُشينة ، بل جاوَزَ الأَمْرُ ذلك قبلَ هذه الحرب وبَعْدَها إلى إسالةِ دَم فدائيي الثورة الفلسطينية على أسلحةِ بعضِ الجيوش العربية بهَدَفِ كَبْحِ جِماحِ هذه الثورة وإجهاضِها .

وعلى الرّغم مِن نجاحِ هذه الثورة في فَرْضِ القضيّةِ الفلسطينية على

مسرحِ السياسةِ الدوليّة بَعْدَ أن كادَ الشعبُ الفلسطينيّ أن يتحوَّلَ إلى «هنودَ حمر» جُدُد في منطقتنا ، وتَمكّنها في أعقدِ الظروفِ الإقليمية والدولية مِن افتكاكِ سلطةٍ وطنيّةٍ على جزءٍ مِن أرضِ فلسطين، فإنَّ كُلَّ ما فَعَلناهُ ونفعَلُه عَرَباً ومسلمين بدلاً من دَعم هذه السلطةِ الوطنية كي تترسَّخَ وتتوَسَّع على ما أمْكَنَ مِنِ الأراضي الفلسطينية هو التشكيك في هذه السلطة وقدراتها ، بدلاً مِن الضَّغط على الكيان الصهيونيّ وعَزْلِه سياسياً واقتصاديا وأمنيًّا، بل وصَلَ الأمرُ بالعرب والمسلمين أن انشَغَلوا عن «إسرائيل» ، وكي لا يجعلوا مِن هذه السلطة خندَقاً مُتَقدِّماً للصراع العربي - الصهيوني ، تَذَرَّعوا بالإتفاقاتِ التي قامت بمُوجبها ليس فقط لإطالةِ الهدنةِ الأمنية مع «إسرائيل» بل وأيضاً لِنَسْج أشكالَ التطبيع معها مِن جهة ، ومُقاطعة مشروع السلطةِ النِّضاليّ (نُقاومُ ونُفاوضُ في آن معاً) بقيادة الرئيس الشهيد ياسر عرفات وخَلَفه الرئيس المُنْتَخَب محمود عباس ، لِيُعْلِنَ بعضُ الزُّعماء العرَب أنّه يقفُ على مسافةٍ واحدةٍ مِن «إسرائيل» والسلطة الوطنية الفلسطينية (هكذا؟!) .

وعندما وجَّه المجتمع المدني الفلسطيني في 9جويلية/تموز 2005نداءً لِمُقاطَعَةِ «إسرائيل» وسَحْب الاستثمارات منها وفَرْضِ العقوبات عليها وخاصّة في المجال الأكاديمي ، حَدَثَتْ المُفارَقةُ المؤسِفة.

فقد استجابَ الإتحادُ الكندي للموظَّفين العموميين ، وهكذا يفعَلَ الآن البرلمانيُّون الإيطاليون الذين شكّلوا لجنة برلمانية إيطالية مِن أجْلِ فلسطين ، وقَبْلَهُم فَعَلَ ذلك مثقّفون وأكاديميّون آخَرون في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، بينما تَوافَدَ أكاديميّون عَرب إلى «إسرائيل» والتقوا «نُظَراءهم» الإسرائيليين، مُتَجاهلين حقيقةَ أنّ المؤسَّسة الأكاديميّة الإسرائيلية هي التي وَقَفَتْ وتَقِفُ وراء اتِّخاذ

قرارات استراتيجيّة مِن أجلِ استمرار الإحتلالِ وسياستِهِ العنصريّة!.

وكما يُفيد «إيلان بابه» رئيس دائرة التاريخ في جامعةِ اسكتر البريطانية وصاحب كتاب «التطهير العرقي لفلسطين» فإنّ « جدارَ الفصلِ العنصري مثلاً هُو مِن بَناتِ أفكار علماء الجغرافيا في جامعةِ حيفا ، وخَطَّطَ له مهندسون معماريون في المؤسسةِ الأكاديمية الإسرائيلية ، ونفَّذَه مهندسون مِن مَعهَد تخنيون ، والمحاكم العسكرية التي تُشرفُ على توقيفِ آلافٍ مؤلَّفة مِن الفلسطينيّين مِن دُون مُحاكمة مُزَوَّدة بخرِّيجيّ قانون مِن الجامعات المُختلفة ، كما أنَّ خرِّيجيّ كليّةِ الطبّ هُم في حالةِ استعداد دائم «لمُعالجةِ» مَن يتعرَّضون للتعذيب على أيدي الجهاز السرّي الإسرائيلي ، فهذا الجهاز نفسه يطلب مِن كثيرين مِن مُوَظَّفيه أن يحوزوا على درجةِ بكالوريوس على الأقلّ ، مِن جامعةٍ إسرائيلية» لتجميلِ جرائمه!، ناهيك عن «السرديّة التاريخية والسياسية» التي يُنشئها الأكاديميّون الإسرائيليون لِتسويقِ الإحتلال كأفضَل طريقة لإدارةِ «العَرَب» ، فَضْلاً عن محاولة المؤرّخين الإسرائيليين استئصال الفلسطينيين مِن وُجود فلسطين ، على حدّ تعبير «بابه» دائماً!.

مِن هؤلاء الأكاديميّين الصهاينة ينتظر أكاديميٌّ عربي «عفيف» جداً أن تصلَه دعوة تُصبح زيارته إلى «إسرائيل» بمُوجبها «مُبَرَّرَة»!، وإلى جامعاتهم «يحجّ» جامعيُّون عَرَب ليمنحوا الإسرائيليين صَكَّ براءة مِن دَمِ الفلسطينيين الذي يُسْفَكُ يوميًّا!.

إنَّ هؤلاء الأكاديميين العرَب لم يُصْغوا إلى ولم يتعَرَّفُوا على مَعنى «فكرة فلسطين» التي أطلَقَها المفكّر الأكاديمي الفلسطيني الكبير «إدوارد سعيد» مِن الجامعاتِ الأمريكية ذاتها ، هذا المَعنى الذي هُو « تحقيق العدالة لأرضٍ مظلومة ، وهزيمة آخر الإحتلالات وأطوَلها في زمَنِنا المُعاصِر ، وَدَقّ مسمار في نَعْش المشروع الأمريكي» ،

وهي « عَودة أبناء فلسطين وبَناتها إلى بُيوتِهِم ، وبناء دَولة علمانيّة ديمقراطيّة يَنتَفي فيها الاضطهادُ والتمييزُ العنصريّ والدِّين وتكون جزءاً مِن الوطن العربي الحُرّ التّعَدُّدِيّ المَنْشُود» كما أشار الدكتور «سماح إدريس» المتخرّج مِن الجامعات الأمريكية ونَجْل الأديب الراحل «سهيل إدريس».

كما أنّ الأكاديميين العَرَب التطبيعيين لن يتمكّنوا مِن فَهْم مَعنى قول المثقَّف الباكستاني الكبير الراحل «إقبال محمد» لطَلَبَته : «كُلّ ليلة حين تضعون رؤوسكم على الوسائد يا أصدقائي ، اسألوا أنفُسَكُم: ماذا فَعَلنا اليوم مِن أجل فلسطين؟»».

وهؤلاء الأكاديميُّون لن يفهموا مَعنى «فكرة فلسطين» ليس لنقْص طبيعيّ في آليّاتِ إدراكِهِم ، بل لأنّ رنينَ النّقود الأمريكية المُخَصَّصَة لِنَشْر الدّيمقراطيّة بنَموذَجَيها تحتَ الإحتِلالَين الأمريكي والإسرائيلي في العراق وفلسطين ، يصمّ آذانَهم ويقصي مَداركَهم عن هذا المَعنى.

أمّا الذين اسْتَهْوَتْهُم اسطِوانةُ تبرير لِقاءاتِهم مع الصهاينة بلقاءاتِ قادة السلطة الوطنية الفلسطينية والقادة الإسرائيليين في سياقِ مفاوَضاتٍ لم يفعَل العَربُ إزاءها غَيْر إلقاء ثِقَلِهِم في كَفَّة المُفاوِض الإسرائيلي ، فَهُم أشْبَه بِمَن يُحاوِلُ تصوير التلاحُم الجسديّ بينَ مُتَصارِعَيْن في حَلَبَة على أنّه عِناقٌ بينِ أصدقاء ، فأولئكَ لا يعبأونَ بالدَّم الذي يسيلُ مِن أطراف الحَلَبَة ليُغَطِّي الشاشات التي يتثاءبُ أمامَها المُتَفَرِّجُون الذين أتْخموا تَسلِيَةً وتَنَصُّلاً مِن المسؤوليّةِ ، ناهيكَ عَن تَقَصُّدِ عَدَم قراءةِ دَلالاتِ هذا الدَّم!.

*نُشِرَ في صحيفة «الصّريح» التونسية بتاريخ 2008/7/11

كُلُّ تَطبيعٍ مَع «إسرائيلَ» خِنْجَرٌ صَدِئٌ في ظَهْرِ القَضيّةِ الفلسطينيّة

في غَمْرَةِ ما تَشهدهُ القضيّة الفلسطينيّة مِن تَجاذُباتٍ بينَ سؤالَيّ «المُقاوَمَة» و «المُفَاوَضات» أو الحرب والسلم مِن جِهَة ، وَبَينَ سُؤالَيّ المصالح الفلسطينية - الفلسطينية والحصار الإسرائيليّ المَضْرُوب على قطاع غزّةَ وتَداعياته مِن جانب آخَر ، انْسَحَبَ سؤالُ التّطبيع العَرَبيّ مع العدوّ الصهيونيّ إلى الظلّ إعلاميّاً على الرّغم مِن أنّه يَشْهدُ نشاطاً مَشؤوماً ومَسْمُوماً على أرض الواقِع منذ اتّفاقيّات أوسلو وَتَذَرُّعاً بها عبْر قَنواتٍ عَرَبيّة - إسرائيليّة عَلَنيّة تارةً وسِرِّيّة غالباً!.

ولئنْ كانت الأطرافُ العرَبيّة المَعْنيّة بهذا الحراك التطبيعِيّ مِن المُحيطِ إلى الخليج تَسْعى إلى التّكَتُّم عليه إلا أنّها بذلك تسلكُ سُلُوكَ النّعامَة ، لأنَّ الطَّرَفَ الإسرائيليّ بالمُقابل يَتَقَصَّدُ إخراجَه إلى العلن ، فَيَزعَمُ العَرَبُ المُطَبِّعون عندئذ أنَّهُم لم يَفْعَلوا غَيْر وَضْع عَرَباتِهم التطبيعيّة على سكّةِ السلطة الوطنيّة الفلسطينيّة ، وهذا زَعْمٌ يُجانِبُ الحقيقةَ ويَصبُّ في خانَةِ المُغالَطاتِ المَشبُوهة.

فالسلطة الوطنية الفلسطينية ومَرجعيّتها مُنظّمة التحرير الفلسطينيّة

كانتا ولا تزالان ضدَّ التطبيع مع العدُوِّ الصهيونيّ قبلَ إنهاء الإحتلال وإعلان الدّولة الفلسطينيّة المُستقلّة وعاصمَتُها القدْس الشريف ، وكُلّ خطوَة عرَبيّة رسميّة أو شبْه رسميَّة باتّجاه التطبيع مع «إسرائيل»تُعَزِّزُ الإحتلالَ وَتُبْعِدُ الفلسطينيين عَن نَيْلِ حُقوقِهم وَتُعَطِّلُ تنفيذَ مَشروعِهم الوطنيّ ، ذلك أنّ تبادُلَ الوفودِ السياسية والاقتصاديّة والثقافيّة والدينيّة بين تل أبيب وبَعْض العَواصِم العربيّة يُضْعِفُ المَوقِفَ الفلسطينيَّ الذي يَجِدُ في المُقاطَعَةِ العربيَة ل «إسرائيل» سِلاحاً ضاغِطاً على «إسرائيل» للانصياعِ لِقراراتِ الشرعيَّةِ الدَّوليّة .

فَمنذُ قيامِ السلطة الوطنيّة الفلسطينيَّةِ وَعَدَ العَرَبُ بِدَعْم مُؤسساتها سياسياً ومالياً وثقافياً واجتماعيّاً لكنّهم عَمَليّاً لم يَفُوا بوعُودِهم ، بل على العكس ذَهَبُوا في الاتّجاهِ الآخَر، فالفلسطينيّون في الضفّةِ الغرْبيّة وقطاع غزّة يَتطَلَّعُون إلى دَعْم سلطتِهم وارتباطِهم بِعُمْقِهم العربيّ مِن خِلالِ تَوجيهِ الاستثماراتِ العربيّةِ إلى الضفّةِ وغزّة لا إلى «إسرائيل»، وتبادُل وُفُود سياسيّة وثقافيّة ورياضيّة مع رام الله لا مع تل أبيب. والقيام بزياراتٍ نضالية إلى الخليلِ ونابلس وجنين لا إلى إيلات مثلاً ، وأن تكونَ هذه الزيارات للاحتجاج على الجدار العنصريّ وقَضْم القدْس لا للسياحة في المُدُن «الإسرائيلية» ، وأن تحدثَ هذه الزياراَت - إن كانَ لابُدَّ منها - بالتنسيق مع سفاراتِ منظمة التحرير الفلسطينية عبْر العالم التي تُؤمِّن العُبُورَ بأوراقِ مُرورٍ خاصّة تَحُولُ دُونَ تلطيخِ الجوازاتِ العربيّة بالأختامِ الإسرائيليّة.

إنَّ كُلَّ تطبيع عَرَبيٍّ مع «إسرائيلَ» خِنْجَرٌ صَدِئٌ في ظَهْرِ القضيّة الفلسطينيّة، وعندما يَصْدرُ عَن عَرَبيٍّ كان على علاقةٍ وثيقة سياسيّة أو إعلاميّة مع النّضال الفلسطيني ينعكسُ التطبيعُ في مرآةِ التاريخِ

غَدْراً وَخيانةً ، فأن أكونَ عضواً عربيًّا سُوريًّا مَثَلاً في منظّمةِ التحرير الفلسطينيّة يفترضُ بي أن أتَفَهَّمَ عَوْدَةَ أخي ورفيقي الفلسطيني للانغراسِ في تُرابهِ الوطنيّ مُغْتَنماً فرصة سياسيّة تُمَكِّنُه مِن ذلك، وأن يكونَ ذلكَ حافِزاً لي كي أضاعفَ الجّهْدَ لملءِ الفَراغِ الذي خَلَّفَهُ رفيقي وأخي العائد مِن ساحةِ النِّضالِ الخارجيّ ، لا أن أتَّخذَ مِن عَودتِهِ ذَريعةً للتَّراخي وَمُجامَلَة المُطَبِّعين والسُّكُوت عَن خَطاياهُم!.

أمّا أن يَغتَنِمَ فلسطينيٌّ وُجُودَهُ في الضفَّةِ لِزيارَةِ مَسْقطِ رأسه في حيفا أو عكّا أو يافا فهذه حالة استثنائيّة ، لا تختلفُ كثيراً عَن حالةِ بطَلِ رواية الشهيد غسّان كنفاني «عائد إلى حيفا» الذي زارَ بَعْدَ حرب 1967برفقةِ زوجته بيتَهما الذي استَوطَنَتْهُ عائلةٌ إسرائيليّة وتَبَنَّت الرّضيعَ الذي نَسِيَهُ أَبَوَاهُ في سريرِهِ تَحْتَ وطأةِ حربِ 1948 وأَهْوَالِها، كما أنَّ زَفّ عَروس سوريّة مِن الوَطَنِ الحُرِّ إلى ابنِ عَمِّها في الجُّولانِ المُحتَلّ وَعُبُورها إليه أمامَ عُيُون الحراساتِ الصهيونيّة المُدَجَّجَة بالسلاحِ وذلكَ الحوار الدّوريّ بمُكَبِّراتِ الصَّوت بينَ أهلِ الجولان على جانبيّ الشريط الحدوديّ المؤقَّت ، كُلّ هذه حالاتٌ إنسانيّة مُرَكَّبَة لِتَجسيرِ العلاقاتِ التي يَضْمَنُ الاحتلالُ استمْرارَهُ على أنقاضِها ، وبخاصّة العلاقة بين الفلسطينيّ والسوريّ وترابهما ونسيجهما الاجتماعيّ الوطنيين.

ولكن إذا ما كانَ بَعْضُ الفلسطينيين قد عادَ إلى جزءٍ مِن أرضِهِ المُحتلّة في سياقِ تنفيذِ مرحَلة مِن مَراحلِ برنامج وطنيٍّ استراتيجيّ - تَحريريٍّ اتَّفَقَ البعضُ معه أم اختَلفَ فَهَلْ يُجيزُ ذلكَ لبَعْضِ الحكوماتِ العربيّةِ أن يُرْسِلَ حَجيجَهُ العَربيّ الإسلاميّ إلى القدسِ عبْرَ مَطار بن غوريون وتستقبلُهُم المُجَنَّداتُ الإسرائيليّاتُ عبْرَ مَدارِج الطائراتِ التي

أَقَلَّتْهُم بذريعَةِ أنّ الحكومة السعوديّة التزَمَتْ بفَرْضِ حصارٍ على هذه الطائرات العربيّة ؟ ، وَهَل يُمكِنُ لِزيارةِ حاكِم عَرَبيّ إلى جنُوب لبنان دَعْماً لِلمُقاوَمَةِ فيه أن تُبرِّرَ زيارة هذا الحاكم نَفسه لاحِقاً إلى تل أبيب وتستقبله في المَطارِ المَذكُور آنِفاً رئيسةُ الحكومةِ الإسرائيلية آنَذاك؟.

ولكن ألا يَتَحَمَّل بَعْضُ الفلسطينيين مِن داخِلِ السلطةِ الوطنيّة الفلسطينية وخَارِجِها بَعْضَ الشَّطَطِ التطبيعيّ العربيّ أحياناً ؟. بالتأكيد تَقَعُ المسؤوليَّةُ أيضاً على هذا البَعْض.

فَواقِعُ الحالِ أنَّ أكادِيميِّينَ ومُثَقَّفين عَرَباً ناهِيكَ عَن بَعْضِ المَحسوبينَ على الطَّرَبِ والسينما العَرَبِيِّين ، لم يجدوا حَرَجاً في استِغلالِ الدّعواتِ الفلسطينيّةِ لِزيارةِ الشعب الفلسطينيّ مِن أجلِ عُبُورٍ (سياحِيٍّ) إلى «إسرائيل»! ، وهُنا لا بُدَّ مِن توجيهِ لَوْم قاسٍ إلى بَعْضِ المُثَقَّفين مِن عَرَب 48 الذين كانوا يحضرونَ إلى رام الله لاصطحابِ مُثَقَّفين عَرَبٍ لِزيارَةِ يافا وحيفا وتل أبيب ، خاصّةً وأنَّ مَن فَعَلَ ذلكَ يزْعَمُ أنَّه قومِيٌّ عَربيٌّ وشاعِرٌ مُقاوِمٌ وأعْرَق نِضالاً مِن ياسر عرفات وجورج حبش ؟!كما تُلامُ بالقدر نفسِهِ الجِّهة الثقافيّة الفلسطينيّة الرسميّة التي تسمَح بهذه التّجاوُزات.

وَقَد سَبَقَ للشاعر الرّاحل محمود درويش ، رَمْز الثقافةِ الوطنيّة الفلسطينيّة ، أن انتَقَدَ بشدَّة الزيارات التي قامَ بها مُثقفون عَرَبٌ إلى «إسرائيلَ» بمُناسَبة زياراتٍ يُفْتَرَضُ أنّها تقتَصرُ على الإلتقاء بأشقّائهم الفلسطينيين في الضفَّة والقِطاع شاجباً هذا التَّسَرُّب التطبيعيّ الخطير، ورافِضاً أن يكونَ الفلسطينيُّون وحاجَتُهُم إلى التّواصلِ مَع عُمقِهِم القَومِيّ جسْراً للتطبيعِ مع «إسرائيلَ» بأشكالِهِ كافَّة.

إنَّ قطارات التطبيع العربيّ مع العَدُوّ الصهيونيّ تُواصِلُ سَيْرَها بدُونِ صَفيرٍ عَبْرَ أنفاقٍ/قَنَواتٍ سِرِّيَّةٍ، في وَقتٍ يشهد إغلاقَ المَعابر السياسيّة والاقتصادية مع الشعب الفلسطيني في الضفّة والقِطاع بإيعازٍ صهيو - أمريكيّ دائماً، وهذه مُفارَقة تُوجِبُ علينا أن نَعُودَ إلى تأكيدِ البديهيّات لِنُفَرِّقَ بين الوِصالِ الطبيعيّ مع أشقّائنا الفلسطينيين تحت الاحتِلال والإتّصال التطبيعيّ مع المحتلين الصهاينة مِن جِهة، وكي نُفَرِّقَ بين مُقاوَمَةِ الاحتلال التي صارت تُسَمَّى إرهاباً بينما إرهاب الدّولة الإسرائيلية الذي يستَهْدِفُ الفلسطينيين العُزَّلَ صارَ يُسَمّى دِفاعاً عن أمْنِ هذه الدّولة المُدَجَّجَة بأَحْدَثِ أسلحةِ الدّمار الشامِل.

*نُشِرَ هذا الفصل بصحيفة «الصّريح» التونسية بتاريخ 2010/10/5

نُورْمنْ فنْكلستَيْنْ المُفَكّر اليهوديّ الأمريكيّ الذي أعْلَنَ أنّ المُسْتَوطنينَ في فلسطينَ المحْتلّة أهْدافٌ مَشْرُوعَةٌ لِلمُقاوَمَة

على أنْقاض الحرَكاتِ الرّاديكاليّة المُتَمَرِّدَة التي عَرَفَتْها الولاياتُ المُتَّحِدَة الأمريكيّة في الثّلثين الأوَّلَين مِن القَرْنِ المُنْصَرِم كالفُهُود السُّودِ تَمثيلاً لا حَصْراً ، والتي خَمَدَتْ لِظُرُوفٍ ذاتيَّةٍ زادَها تَعْقيداً تَرَاجُعُ المَدِّ اليَساريّ في العالم وانحسارُهُ بَعْدَ انهيارِ الاتحادِ السوفياتيّ غبَّ(حَرْبٍ بارِدَة) بين المُعَسكر الاشتراكيّ والمعسكر الرأسماليّ حُسِمَتْ لِصالح الأخير لأنّه تمَكّنَ مِن التطوُّر ليُصبحَ إمبرياليّاً بينما ظلَّتْ الشيوعيَّةُ عنْدَ المُعسكر الإشتراكي شِعاراً ميتافيزيقياً وأمْنِيَةً لا تُدْرَك!.

على أنْقاض الراديكاليّةِ الأمريكيّة ذات المَشارِب المُختَلفة : بَعْضها عرْقِيّ ، وبَعْضها دِينيّ ، وَبَعْضها فِكريّ مِثْل اعتراض (ماركوز) نَظَريّة الصِّراع الطَّبَقِي الماركسيّة بِنَظَريّته الماركُوزيّة القائمة على فكرةِ «صِراع الأجيال» ...نَشأ تيّارٌ يَساريٌّ نَقْديّ ظَهَرَ خُصُوصاً في الأوساطِ الأكاديميّة الأمريكيّة وتحديداً بين الأساتذة الجامِعيّين الذينَ

كانت لأفكارِهِم وَسُلُوكاتِهِم آثارها ليسَ فقط بينَ طَلَبَتِهِم ، بل تَمَكَّنُوا مِن لَفْتِ أنظارِ وَسائلِ الإعلام لِيُشِعُّوا إلى خارِجِ الولايات المُتّحدة باعتِراضاتٍ ذكيّة وَشُجاعَة على السياساتِ الخَارجيّةِ الأمريكيّةِ في مُختَلَفِ القارّاتِ وبينها السياسة المُعادية للقضايا العربيّة في العِراق وفلسطين الواقِعَيْن الآن تحت الإحتلال الصهيو أمريكي.

وتألَّقَ أكثَرُ مِن صَوْتٍ يَصْدَحُ بالحقيقةِ (النّسبيّة دائماً) ، مِن هذا التيّار الأكادِيميّ - إن صَحَّ التّعبيرُ - كانَ الأبرز بينَها إلى جانبِ الراحِلِ الفلسطينيّ الجميل «أدوارد سعيد» مُثَقَّفان أمريكيّان يَنْتَسِبانِ مِن حَيْثُ «الدَّم السُّلالِيّ» إلى «الجالية» اليهوديّة الأمريكيّة ، الأوَّل والأكثَر شِهْرَةً هُوَ «نَعُّوم تشومسْكِي» الناشِط السِّياسي والاجتماعي، أستاذ اللسانيّاتِ في مَعْهَدِ ماساتشوستس للتكنولوجيا منذ 37 سنة، والثاني هُو «نُورْمَن فنْكلسْتَيْنْ» أستاذ العلوم السياسيّة في جامِعة ديبول في شيكاغو ، وأشَدّ المُثَقَّفين الأمريكيّينَ عَداءً لِلُّوبي الصهيونيّ ، ومِن كُتُبِهِ الشَّهيرة عنْدَ المُهتَمِّين «صناعة الهولوكَسْت» و «صُعُود فلسطين وأفُولُها».

وَمَع تَفَهُّم لِوَلَعِ النُّخَبِ الثَّقافِيّة العَرَبيّة الوَطَنِيَّة المُتَمَسِّكَة بضرورةِ إنْضاجِ ثقافة المُقاوَمة وإشاعَتها في مُواجَهَة ثقافة الخنوع والاستسلام التي يُحاوِلُ الليبراليُّون الفرنكوفونيُّون والمُتأمْرِكُون تَسْويقَها ، بما يُقَدِّمُهُ «نَعُّوم تشومسكي» مِن إجابات نسبيّة عَن السُّؤالِ الذي يُفْتَرَضُ أن يُطْرَحَ عندَنا كما يُطْرَحُ في أوربّا ، بَدَلاً مِن طَرْح سؤال «مالفلسفة؟» أعني سؤال «ما أمريكا؟» حسب روايةِ صديقنا الكاتب الحُرّ (كما يَصِفُ نَفْسَهُ وكما تصِفُهُ كتاباتُهُ) سليم دَوْلَة ، الشّفَويّة ذات جلسَة صَفاءٍ إخوانيّة في مَكانٍ ما مِن هذا العالم الذي يَزدادُ ضِيقاً ونَزدادُ

بفَضاءاتِه المُتاحَة شَغَفاً!.

أقولُ مَع تَفَهُّمِي ، فإنّني كُنْتُ دائماً وما زلْتُ أَشْعُرُ أنَّ تشومسْكي (النَّعُوم) جِدَّاً ، يُناولُنا «لَبَناً مَغْشُوشاً قليلاً» ، ليسَ لأَنَّهُ (نَعُومٌ) جِدَّاً وأنا جَبَلِيٌّ وَعِرٌ مَثَلاً ، بل لأنَّ كُلَّ ما يختَزِنَهُ مِن مَعلوماتٍ وَما يَتَوَفَّر له مِن مُعطَيَاتٍ وَما يُشْهَدُ له مِن قِدْرَةٍ على التَّحليلِ بِنَباهَة وذَكاء ، لم يُبْعِدْهُ عَن خلفيّة يهوديّة تُساوي بينَ الضحيَّة والجَّلاد كُلَّما تَعَلَّقَ الأمْرُ بالصِّراعِ العَرَبيّ - الصهيونيّ ، لأَنَّ اليهودَ طَرَفٌ فيه ، بينما كانَ يُفْتَرَضُ بهِ أنَ يَتَفَهَّمَ رُدُودَ فِعْلِ الضَّحِيّة وَيُعَلِّق مَسؤوليَّتها على عاتِقِ الفاعِلِ حتى لوكانت ردود الفعْل مِن صِنْفِ الفِعْلِ نَفْسِهِ.

إنَّهُ لَمؤسِفٌ حَقَّاً أن يُطالِبَ «تشومسكي» الفلسطينيِّينَ بأن يكونوا ملائكةً في صِراعِهم مع الإسرائيليين المُعْتَدينَ دائماً ، بينما يدعُو إلى تَفَهُّم الإسرائيليّين والتَّعامُل معهم (إنسانياً) وبصِفَتِهم بَشَراً «يُخطئون» ، ولكن يجب أن لا يُعاقَبُوا على «خطأهم» بأن (نَقْسُوَ) عليهم «فَنُخْطئ» معهم أيضاً!.

لِذا لا يَعدّ المُقاوَمة الفلسطينية المُسلّحة مُبَرَّرَةً أخلاقيَّاً وَقانُونيَّاً (مجلة «الآداب» اللبنانية - عدد كانون ثاني /شباط 2002 ص23). ولا يعتقد أنّ مِن حَقِّ الفلسطينيّين العَودَةَ إلى بُيُوتِهم التي طُرِدُوا مِنها سنة 1948، لأنّ التّمَسُّكَ بمبدأ كهذا يَجْعَل (نعّوم تشومسكي) الأمريكي يسأل نَفْسَه (إلى أيّ دَرَجة يُمكِن أن أكونَ أنا ساكناً «طبيعيَّاً» للمَكانِ الذي أنَضِّد فيه هذه الكلمات ، وَهُو مَكانٌ سُرِقَ بوَحْشيّة مِن شَعْبٍ طُرِدَ أو أبيدَ؟).

إنَّ «صديقَنا» الذي يَنتقِد السياسات الدّاخليّة والخارجيّة للولاياتِ

المُتَّحدة بشَجاعَة إذا كانَ الأمرُ لايعني شأناً يمسّ الوجُودَ اليهوديَّ في فلسطينَ المُحتلّة ، ينطَلِقُ مِن واقِعِ أمريكيّ تُريدُ الإدارة الأمريكيّة تعميمَهُ لِمُناقَشَةِ الصِّراع الفلسطينيّ - الإسرائيليّ ، بينما في الوَقْتِ نَفْسه يُوحي لنا أحياناً أنَّهُ ضدَّ «أمْرَكَةِ» العالَم!. وفي هذا السِّياقِ يَتَنَزَّلَ قَوْلُهُ في «الآداب»(العَدَد نفسه ص22) نَصّاً : « لقد آذى الفلسطينيّون أنْفُسَهُم أذىً هائلاً بتكريسِهِم الجّهْدَ والحميّة للبحثِ عن تبريراتٍ على مُسْتَوَياتٍ تَجْريدِيّةٍ بعيدة عن الواقِعِ وغيْر ذات صِلة بالتّبِعاتِ البَشَريّة».

قد يَنْبَري مُنافحٌ عَن «تشومسكي» لِمُطالَبَتِنا أن نُدْرِكَ كَوْنَ (نَعُّوم) ليسَ عَرَبيّاً مُسلِماً ، بل هُو يهوديّ أمريكيّ ، وَعلينا أنْ نكونَ مُمْتَنِّينَ له كَوْنَهُ ينتقد بقوَّة السياسةَ الأمريكيّةَ إزاءَ العِراق ، فَيَعْتَرِضُ على عِبارَةِ «أولبرايت» الشهيرة وهي أنّ «نصفَ مليون طفل عراقيّ ربّما ماتوا وأنّ ذلكَ ثمَنٌ باهِظُ ولكنّنا على استعْدَاد لِدَفْعه» فيَقول «نَعُّوم» نَصّاً إنّ هذه العبارة « لا تبدو سائغَةً جدّا لأناسٍ يأبَهُونَ حَقّاً لِمَقْتَلِ نصف مليون طفل على يَدِ الولاياتِ المتّحدة وبريطانيا. وفي هذه الأثناء تُقَوِّي هاتان الدَّولتان نِظامَ صدّام حسين» ،(الآداب - عدد أيلول/تشرين الأول 2001)، لكن بعْدَ عامين بيَّنَتْ واشنطُن ولندن لِتشومسكي أنّها أكثر حرْصاً مِنْهُ على إطاحةِ نِظامِ الرئيسِ صَدَّام حسين!.

كما يَنْتَقِدُ (نَعُّوم) قَسْوَةَ وَوَحْشيَّةَ الاحتلالِ الإسرائيليّ ضِدَّ الشَّعب الفلسطيني الذي لا يجب أن يَرْفَعَ السِّلاحَ ضدَّ الإسرائيليين ، بل يجب أن يَبقى الفلسطينيُّونَ يَسْتَخْدِمُونَ الحجارةَ لِيَبقى تشومسكي «أمامَ شَعْبٍ يرمي الحِجارةَ ضِدَّ المُحْتَلِّينَ العَسْكر - وهذه مُقاوَمَة

مَشرُوعة بحسب كُلّ المَعايير الدَّوليّة» (الآداب - العدد نفسه ، ص7).

وكَي أكونَ مَفهوماً أكثر ، أشيرُ إلى أنني أدرِك جيّدا أنّ أفكارَ ومواقفَ «نعّوم تشومسكي» مِن الصّراع الفلسطيني - الإسرائيلي وَحَقّ الشعب الفلسطيني في العَودة وتقرير المصير ، وفي المُقاوَمة المُسَلَّحَة لِدَحْرِ الإحتِلال ، لَيْسَتْ أسواً مِن مَواقِف وسُلُوكات محمّد دَحلان الذي مافتِئَ جورج بوش الصَّغير يُعَبِّرُ عن إعجابه به بعِباراتٍ حميمة . لكنّني حَذِرٌ ومُرْتابٌ مِن أن يتمَّ تَمْريرُ هذه الأفكار والمَواقفِ الانهزامِيَّة عَبْرَ «نُجُومِيّة» تشومسكي مَثَلاً. إلا أنّ الذي يَهمُّنا أكثَر هُنا هُوَ إثبات أنّ «تشومسكي» ليسَ هُوَ أفضَل ما يُمْكِن أنْ تُفْرِزَهُ تَيّاراتُ مُقاوَمَةِ التَّصَحُّرِ الإنسانِيّ في زَمَنِ العَوْلَمَةِ وفي الولاياتِ المُتّحدة الأمريكيّة وجَالِيَتِها اليهوديّة تَحديداً.

بتَعبيرٍ آخَر ، عندَما يَلْتَزِمُ مُثَقَّفٌ نَقديٌّ حَيُّ الضَّمير عالِي الهِمَّة واسِعُ الاطِّلاع عَميقُ الثَّقافَة لاتنْقصُهُ المَعلوماتُ والمُعطَياتُ ، مَوقِفاً إنسانيَّاً عادِلاً في قضيَّةٍ هِي واضِحَة بِقَدْرِ ما هِيَ مُعَقَّدَة مثل القضيّة الفلسطينيّة ، فإنّه حتّى وإنْ كانَ يَهودِيَّاً وأمريكيَّاً مثل «نعّوم تشومسكي» فإنَّه لابُدَّ وأن يأخذَ جانِبَ الضحيَّة ،ويَقِفَ مَوقِفَها في المفْصَلِيِّ والتَّفْصِيلِيِّ ، وأن يَتَفَهَّمَ رُدُودَ الفِعْلِ «الطبيعيّة» عندَها على ما تَتَعَرَّض له مِن اعتِداءاتٍ وَحْشيَّةٍ يَومِيّاً.

وهذا هَوَ حالُ المُفَكِّر والكاتب النَّقْدِيّ (اليهوديّ الأمريكيّ مِن حيثُ الدِّين والجنسيّة) نُرْمَنْ فِنْكلسْتَيْنْ الذي عَدَّ تفجيرات نيُويورك وواشنطن ضَرْباً مِن العُنْفِ الذي تُمارِسُهُ الولاياتُ المتَّحِدَةعلى الآخَرِينَ وَقد ارْتَدَّ عليها (الآداب - عدد أيلول / تشرين الأول

2001، ص2)، بل يؤكِّدُ كِتابةً أنَّهُ «منْذ سُقُوطِ الاتّحادِ السوفياتي باتَ أعداءُ الولاياتِ المُتّحدة الرسميون (كالعراق وليبيا وإرهابيي المُخَدِّرات إلخ ...) بَعابِعَ وَتَلفِيقات اسْتَحْضَرْناها هُنا بأنْفُسنا لِنُبَرِّرَ - مِن ضِمْن أمُورٍ أخرى - ميزانيّتنا العسكريّة المُتصاعدَة أبَدًا» (الآداب ، العددُ نفسه، ص3). ويأخذُ فنكلسْتَيْن على الأمريكيين أنَّ مُعْظَمَهم يتصَرَّف (وكأنَّ لا عالمَ مَوجُوداً خارِجَ الولايات المتّحدة، ولِسان حالنا أنَّه إذا كانَ كُلّ الآخَرين يريدُونَ أن يكونوا مثلنا فلا يَنبغي أنْ نَعْرِفَ أو نَهْتَمَّ ببلدانِ العالَم مِن حَوْلنا إلا لِتَمْضيَةِ عطْلة مُحتَمَلة فيها . لم نُبالِ بقراءةِ الجرائدِ . وبالتأكيد لم نُضَيِّعْ وَقْتَنا في تَعَلُّم لُغاتٍ أجنَبيَّة ، وَلِسانُ حالنا يقول : ألا يتحَدَّث كُلّ إنسان في العالَم اللغةَ الإنكليزيّة ؟! ، وَحْدَها الدّولة المُسَمَّمَة بالغُرُور المُفْرط - والكَلامُ دائماً لِنُورمن فنكلستين - تستطيع أن تُنْتِجَ حرَكةً جاهِلَةً عَنيدَةً لا تُسَمَّى «الإنكليزيّة أوَّلاً» على مافي ذلكَ مِن جَهْلٍ وعنادٍ ، بل «الإنكليزيّة فقط»).

وَيُتابع نورمن : « ما لدَيْنا مِن المَشاكِل كانَ أعْظَمَ مِن أنْ يدفَعَنا إلى الاهتمام بمَشاكِلهم (هُم) ولكنَّ يومَ الثلاثاء ، انْهارَ العالَمُ على رُؤوسنا . وعَلينا الآنَ أن نَهتمَّ بمشاكِل(هِم) وإلّا ... بل إنَّ علينا أن لا نَقُومَ بذلكَ وكأنَّه فِعْلٌ خَيْريّ ، وإنّما بِوَصْفهِ ضَرورة لِبَقائنا على قَيْدِ الحَياة.

إنَّه لَيَبْدُو لي حَقّاً أنّنا نَحتاج إلى أن نَسْأَلَ أصْعَبَ الأسئلة عَن أنفُسنا . ألَيْسَ ثمّة ظلْم سِياسيّ في وُجُود حَفْنَةٍ قليلةٍ مِن الناس ، مُنْتَفخينَ بالمَال حتى حافّة الإنفجار، وفي مُقابِلِهم قِسْمٌ مِن البَشَريَّة يَعيشُ عيشةَ الكِلاب؟ وَواقِعُ الأمْرِ أنَّ هذا التَّشْبيه لَيس صحيحاً تماماً،

لأنَّ الكلابَ في الولايات المُتَّحِدَة تَحْظى عادَةً باهتمام ورعايَة يَفُوقانِ ما حَظِيَ بهِ نصْف مليون عِراقِي (أو نَحْوَ ذلكَ) ماتُوا نتيجَةً لِلعُقُوباتِ الأمريكيّة!». (الآداب - العدد نفسه - ص3و4).

ولِلمُنْبَهِرينَ بِنَقْدِ تشومسكي للسياسةِ الأمريكيّة ، نَقتَطِفُ مِن مقال نورمن فنكلستين (هَوامِش على دفترالإنفجاراتِ الأخيرة) هذه الفقرة : « إنَّ حكومة الولايات المتّحدة ، وهِيَ حكومة نَتَحَمَّلُ كُلّنا مسؤوليّة أعمالِها ، تُسَبِّبُ البؤسَ والرُّعْبَ ، مُباشَرَةً وبصُورةٍ غَيْر مُباشرة ، لأعدادٍ ضَخْمَةٍ من البَشَر . والبؤسُ والرُّعبُ سواء أكانا ماثِلَيْن في التدمير المنهجيّ لِلُبنان عام 1982 أم في العِراق عام 1991 أم في صَرْبيا مؤخَّراً ، يَتَّسِمان بالنسبةِ إلى مُعْظَمِنا بواقعيَّةِ ألعاب الفيديو . ففي هذه البلدان كانَ ثمّة قَتْل جَماعيّ دونَما تَبِعات تُصيب الأمريكان . لقد كانَ الأمْرُ مُسَلِّيَاً إلى حَدٍّ كبير. ولكننا الآنَ نَحصدُ الزَّوبَعَة المُرَوِّعَةَ التي زَرَعْناها».

إنَّ تشومسكي لايُريد أن تُطْرَحَ الأسئلةُ المُتَعَلِّقة بما هُو حَقّ وبما هُوَ باطِل ، بل هُوَ يُعَبِّر عن تَطَيُّرِهِ مِن هذه الأسئلة بكثيرِ مِن الاستعلاء، لكنّه يُقِرُّ أنَّ « الكفاحَ المُسَلَّحَ مازالَ في رأيي وَصْفَةً للبؤسِ والكارِثة» . لماذا؟ ؟ لأنّه دَفَعَ الكثيرَ مِن المُستوطنين الإسرائيليين إلى الرَّحيل، حسب اعتِرافِهِ! .(الآداب .عدد للكانون الثاني/شباط2002). فَما البديل عن الكفاح المُسلَّح.

يقول تشومسكي في الصفحةِ نفْسها : «لقد كنتُ أؤمِنُ دائماً ، وما أزال ، بأنَّ المُقاوَمة غَيْر العُنْفِيَّة ، مُمتَزِجَة بجهودٍ تعليميّة وتنظيميّة تتمّ بالتعاوُنِ مع إسرائيليين (يهود وعَرَب) وفي داخِلِ الولاياتِ المُتّحدة على نَحْوٍ حاسِمٍ بسببِ دَوْرِها الفاصِلِ ، كانت ستكون ومازال أكثرَ

الوسائلِ فعالِيَّةً في دَفْعِ قضيَّةِ التحرير قُدُماً».

إذَنْ على الفلسطينيين أن يرتاحوا وَيُسَلِّمُوا مَصيرَهُم للإسرائيليين (اليهود والعَرَب) وأن يكتَفُوا بِرَشْقِ العساكِر بالحجارةِ أمامَ كاميراتِ الصَّحافةِ الغَرْبِيَّةِ إنْ أمْكَنَ. هذه هِيَ وَصْفَةُ تشومسكي (النَّعُّومَة) جِدَّاً!... والتي يَبْدُو أنَّ الكثيرَ مِن المُعجَبينَ به بَدأوا يستسيغُونَها وَمِثْلَهُ يقولون « إنَّهُ أمْرٌ يَبْعَثُ على السُّخريةِ أن يَعتَقِدَ المَرْءُ أنَّ المُقاوَمةَ الفلسطينيّة المُسَلَّحة سَتَهزِمُ جَيْشَ الدِّفاعِ الإسرائيلي»(الآداب. العدد نفسه. ص54).

وبالمُقابِلِ ماذا يقول نورمن فنكلستين الذي أجْزِمُ أنَّه ليس ناصِريَّاً ولا بَعْثِيَّاً ولا قَومِيَّاً سوريَّاً ولا مِن «فتح» أو «حَماس» أو «حزب الله»، بل هُوَ أمريكي يَهودي وأستاذ العلوم السياسيّة في جامعةِ ديبول في شيكاغو ، كما أسْلَفْنا؟.

عَن استِهدافِ المَدَنيّين داخِل مناطِقِ 48 ، يقولُ نورمن :

« إنَّ تَفجيرَ باصاتٍ مليئة بالمَدَنيين الإسرائيليين عَمَلٌ خاطِئٌ بشكلٍ واضِح . ولكنْ بمَقدوري بالتَّأكيدِ أن أفهَمَ لِمَ قد يَقومُ الفسطِينيُّونَ - بَعْدَ دَفعِهِم إلى حافَّةِ الإنفجارِ - بارتِكابِ فَظائع كهذه أو بِدَعْمِها. فَذات مَرَّة سألتُ أمِّي الرَّاحِلَة ، وَهِيَ مِن بينَ النَّاجينَ مِن الهولوكسْتِ النازيّة ، عَن رأيها حينَ كانت الأنباءُ تَتَسَرَّب أثناءَ الحَرْبِ عَن أنَّ الحُلفاءَ يقصفُونَ المُدُنَ النّازيّةَ . «كُنْتُ أريدُ للألمان أن يَمُوتوا» أجابَتْ دُونَما تَرَدُّد ، «كُنْتُ أعلمُ أنّني لن أعيشَ ، فأرَدْتُ لَهُم المَوْتَ أيضاً. لقد كُنَّا نُهَلِّلُ لقاذفات الحُلفاء . كُنّا نُريد أن يُدَمِّرُوا كُلَّ ما هُوَ ألمانيّ . كُنّا نَتَمَنّى لَهُم المَوتَ كُلَّ ثانيةٍ في اليوم لأننا كُنّا

نُواجِه المَوتَ كُلَّ ثانية في اليوم».

وَيذهَب نورمن إلى أبْعَد من ذلك في هذا السِّياقِ قائلاً :

«إنّي أعتقدُ أنَّ اغتِيالَ وَزيرٍ في الحكومةِ الإسرائيليّةِ عقبَ قِيام إسرائيل المُتَكرِّر باغتِيالِ قادَةٍ فلسطينيين سياسيين إنّما هُو انتِقامٌ مَشْرُوعٌ».

وَخِلافاً لِزَمِيلِه تشومسكي يرى فنكلستين بوضُوح وبدُونِ المُوارَباتِ المَعهُودَة مِن «نعّوم»:

«إنَّ حرْمانَ إنسانٍ مِن حَياته ، تَحْتَ أيِّ ظَرْف، عَمَلٌ مُفْسدٌ أخلاقيًّا . ويجب - أوْ يحسُن - أَن يكونَ المَلاذَ الأخيرَ . ولكن أثناءَ الثورةِ العَرَبيّة في فلسطين بينَ عامَيّ 1936 و 1939 اعْتَرَفَ غانْدي نَفْسُهُ بأنَّ الفلسطينيّينَ « تبْعاً للقواعد المُقَرَّرَة حَوْلَ الخَيْرِ والشَّر» يملكونَ الحَقَّ في استِعمالِ القُوَّة العُنْفيَّة لِمُقاوَمَة الاحتِلالِ الأجنبيّ. كما أنَّ قرارات الأمم المُتَّحِدَة تُكَرِّسُ هذا المَبدأ نَفْسه. ولهذا فإنَّ الفلسطينيين يملكُونَ حَقَّ استِخدامِ القوّة المُسَلَّحة»(الآداب . العدد نفسه. ص27).

وعلى النَّقيضِ مِن تشومسكي يرى «فنكلستَين» بخصُوصِ ماهِيَّة المُستوطنين الإسرائيليين وَحَقّ الفلسطينيين في استِهداف المُستوطِنين خلالَ النِّضال الفلسطيني دفاعاً عَن حَقِّ العَودَةِ الذي يتَهَكَّم تشومسكي عليهِ ، يرى فنكلستين نَصّاً :

«شُعُورِيَ الخاصّ هُوَ أنَّ المُستوطنين أهدافٌ مَشروعَة للمقاوَمةِ المُسلّحة ، فإذا اقتحَمَ أحَدُ البالِغِينَ مَنزِلَكَ بصورةٍ غَيْر شَرعيّة واسْتَولى

عليهِ ، فإنَّ لكَ الحَقّ في أن تطرِدَهُ بالقوّة . تجدر المُلاحَظة - بغضِّ النَّظَر عن المسائل القانونيّة المُعَقَّدَة - أنّ ذلكَ هُوَ إجماع الفلسطينيين في الأراضي المحتلّة [مناطِق 67]. فحين أصْدَرَتْ منظّمة «بتسليم» تقريراً يُدين الفلسطينيين لاستِهدافِهم المستوطِنين الإسرائيليين، شَجَبَتْ كُلُّ منظّمة جماهيريّة تقريباً ذلكَ التقرير . إنَّ الأحكامَ الأخلاقيّة لا تَعْدُو فيَ الغالبِ أن تكونَ حُدُوساً سليمة. ولا أرى سبباً للشّكِّ في حَدْسِ الفلسطينيين الناشِطين في قضايا حُقوقِ الإنسان، الذينَ أعرِفُ كثيراً منهم وأجلُّهُم إجلالاً عظيماً . لقد كانَ مألُوفاً أن يُدانَ الأمريكيون الأصليُّون [«الهنود الحُمْر»] الذين يُقاوِمُونَ بعُنْفٍ غزوات المُستوطِنين الأوربيين ، فيُوصَفُوا ب «المُتَوَحِّشين» - وهُوَ المُعادِل في تلكَ الأيّام لكلمةِ «الإرهابيِّين». وأجابتْ «هيلين هانت جاكسون» ، وَهِيَ مُدافِعةٌ صلبةٌ عن حُقوقِ الأمريكيين الأصليِّين في ذلكَ الزَّمَنِ بالقول : إنّ «الهنودَ الحُمْر الذين ارتكبوا تلك الفظائع إنّما كانوا ببساطة يَطرِدُونَ بالقوَّةِ رجالاً سَبَقَ أن اغتصَبوا وسَرَقوا أراضيَهُم، ويقتلونهم أثناء الصِّراعاتِ النّاجِمة عَن هذا الطَّرْد القَسْرِيّ ... تُرى ماذا كانت ستفعلِ مجموعةٌ مِن الرِّجالِ البِيضِ لو كانت في مَوْقِعِ هؤلاءِ الهُنود تماماً؟»(الآداب . العدد نفسه . ص26).

وكَي لا يظنّ البَعْضُ أنَّ صديقنا نورمن فنكلستَين يُريدُ أن يَدفَعَ بنا إلى التَّهَوُّرِ وارتكابِ حَماقاتٍ سياسيّة ، نُطَمئنُهُ بأنَّ «نورمن» أحْرَص على قضيّتنا مِن عَرَبٍ وفلسطينيينَ كثيرين، فَهُوَ إذْ يقول مُستَشْهِداً بالمؤرِّخ الإسرائيليّ «زئيف ستيرنهال» إنّه ثمّة عقيدة صهيونيّة مركزيّة هِيَ « عَدَم التخلّي عن مَوْقِعٍ أوْ أرض إلا إذا أجْبَرَتْنا على ذلكَ قُوَّةٌ عُظمى» ، يَسْتَنْتِجُ أنَّ «إسرائيلَ لن تَنسَحِبَ مِن الأراضي المُحْتَلّة

إلا إذا اسْتَجْمَعَ الفلسطينيّون مِن القوَّةِ ما يَكفي لِتَغييرِ حِساب الكلْفَةِ لَدَى إسرائيل : أيْ أن يَجعَلوا ثَمَنَ الإحتِلالِ باهِظاً لإسرائيل».

ويؤكِّدُ نورمن أنَّ «السِّجِلَّ التاريخيّ يَدْعَم هذه الفَرَضيّة ، فقد انْسَحَبَتْ إسرائيلُ مِن أراضٍ احْتلتها في ثلاثِ مُناسَباتٍ : انْسَحَبَتْ مِن سيناء عام 1957 عقْبَ إنذار إيزنهاوَر ، وَمِن سيناء مُجَدَّداً عام 1979 بَعْدَ عَرْض مصر المؤثِّر وَغَيْر المُتَوَقَّع في حَرب أُكتوبر 1973، وَمِن لُبنان عام 1985 ثُمَّ عام 2000بعد الخَسائر التي أنْزَلَتْها بها المُقاوَمةُ اللبنانيّة.».

لكنّ نُورْمَن يَرى أنّه بَعْدَ إحباط الإنتفاضة الأولى (1988 - 1989)، لا تبْدُو الحربُ التقليديّة ولا حَرْب العصابات خَيارَيْن قابلين للتّطبيق ، وفي الوقت نفسِه لن تتدَخَّلَ الولاياتُ المتّحدة إلا حين تتعرَّض مصالحُها الحيَويّة للخطَر أو حين يُجْبِرُها الضّغْطُ الشعبيُّ على ذلك ، لِذا يَعْتَقِدُ أنَّ « عصياناً مَدَنيَّاً لا عُنْفيَّاً ، شأن ما حَدَثَ أثناء الإنتِفاضَة الأولى ، قَد يُغْرِق جَيْشَ إسرائيلَ ، وَيُبْطِلُ تأثيرَهُ ، ويَخْلِقُ حالَ استِقطابٍ داخِلَ المُجتمع الإسرائيلي ، وَيُحَرِّك الرأيَ العامّ العالمي بما فيه الرأي العامّ الأمريكي الحاسم الأهمّيّة».

نَحْنُ بالتأكيدِ لا نَعْتَقِدُ بالضَّرورة ، مايَعْتَقِدُهُ «نورمن» على المستوى التّفصيليّ ، لكنّنا نُكْبِرُ فيه أنَّه على الرّغْم مِن اختِلافِ مَوازين القُوى وَعَجْز اللجوء إلى حَرْب العصاباتِ عَن «تَعديله» وربّما يَشمَلُ هُنا العمليّات «الاستِشهادِيّة» أيضاً ، إلا أنّه لم يُسْقِطْ خيار المُقاوَمة ، بل أبْقاه كَوَسيلة وحيدة (وشكله هُنا العصيان المَدَني) كي تكونَ كلفةُ الإحتِلالِ باهِظَةً على «إسرائيل»، وفي الآنِ نَفْسِه وسيلة ضَغْط على الولايات المُتّحدة على افْتِراضِ أنَّ «العصيانَ المَدَنِيَّ»

قد يَفتح عُيُونَ الرأي العامّ الأمريكيّ على المُمَارَساتِ القَمْعيّة ل «إسرائيلَ» كَدَولة احتِلالٍ ويُحَرِّك الشارعَ الأمريكيّ نَحْوَ الضَّغْط على حكومتِهِ لاتّخاذِ مَوْقِفٍ لِفائدَةِ الفلسطينيين / الضحيّة . المُهمّ أنّ «نورمن فنكلستين» لا يُخالِج تفكيرَهُ مَنْطِقُ المُساوَمَةِ على حُقُوقِ الضَّحايا تَحْتَ أيِّ ظَرْف، فَهُو لا يَدعُو إلى مُهادَنَة الغاصِبِ والتَّخَلّي عن الحَقّ ، بل يُفَكِّرُ مَع صاحِبِ الحَقّ السَّليب عَن الوَسائل الأنْجَع لاستِرجاعِهِ.بل هُوَ في مَوطِنٍ آخَر وَمِن مَوقِع الحِرْصِ يَنْتَقِدُ القيادَةَ الفِلسطينيّة لِعَدَمِ التِزامِها تعبئةً طاقاتِ الشّعب الفلسطيني كامِلَةً وَتَرْتيب البَيْتِ الفلسطينيّ واستِغلال الفرَص التاريخيّة لِتَحقيقِ أهدافِهِم وَنَيْل حُقوقِهِم وفْق استراتيجيّة واضحة كما هو حال الحركة الصهيونيّة التي تُسَمِّي كُلَّ فرْصة تاريخيّة «مُعْجِزَة» بينما كانت الحركة المَذكورة تُوَظِّفُ كُلَّ رَصيدِها بشكلٍ شامِلٍ لاستِغلالِ فُرَصٍ تاريخيّة ضئيلة ، فَنَجحوا في الحُصُولِ على «مُعجِزات» وَعْد بلفور، وقَرار التقسيم، وإخلاء الأرض مِن سكّانِها في حرب 1948، وحرب حزيران 67، وقُدُوم اليهود السوفيات إلى فلسطين ... ولكن عوَضاً عن ذلك ، وتَصديقاً لكلامِ «نورمن» ، وبتخطيطٍ صهيونيّ لِحُرمانِ الفلسطينيين مِن استِغلالِ فرصة تاريخيّة تَمَثَّلتْ في قرارِ محكمة لاهاي ضدَّ جدار العَزْلِ العُنصُريّ والنشاط الاستيطانيّ الإسرائيليّ تَمَّ إفسادُ مَفعُول هذا القرار بحركةِ تَمَرُّدِ غَزَّةَ وتداعياتها المُخجِلة !، والتي ثبتَ أنَّ وراءها كانَ أولئكَ الذين «يَتبَنَّونَ» أفكاراً إزاء الصّراع الفلسطيني - الإسرائيلي تَتماهى مع أفكار تشومسكي آنفة الذّكر.

نَعَم ، يُمكِن أن يكون الدكتور «نُورمن فنكلستَين» ضَميرَ أمريكا المُعَذَّب الذي يَنوءُ بالجَّرائم التي تُراكِمُها عليه الإداراتُ الأمريكيّة

المُتتالية ، كما تُراكِمُ «إسرائيلُ» على جانبِه اليهوديّ ما يُمكنُها أن تُزايِدَ بهِ على مُجْرميّ التاريخ ، لكنّ هذا يُمكِن أن يكونَ افتراضاً ليس إلا ، ذلكَ أنَّ «نورمن فنكلستين» لا تربطه بأمريكا واليهود غيْر الجنسيّة وانتماء «الدَّم السُّلاليّ» ، أمّا فِكرهُ وآليّة تفكيرِه ونَبْض وجْدانه ورؤيته إلى العالَم وإلى الإنسان وقضاياهما فَجَميعُها ترسمُ لنا مَلامِحَ مُثَقَّفٍ نَقديٍّ يُنَظِّرُ ويُحَلِّلُ ويَنقدُ ويُحَرِّضُ مِن أجْلِ تمكينِ البَشَريّة وخُصُوصاً مِنها أولئك «المُعَذَّبين في الأرض» أو المُستباحَة حُقوقهم بِغَزْوٍ أجنبيّ ، مِن ثَقافَة مُقاوَمَة تُعيدُ إلى البَدَهيّاتِ مكانَتَها ، وتكون سِلاحاً فاعلاً ضدَّ أساليبِ التّضليل كافّة ، بما فيها تلك التي تَصدُرُ عن «مُثَقَّف نَقدي» لكنّه يكيلُ بأكثَر مِن مِكيالٍ ويَتَحَوَّل إلى «تَقَنيّ مَعْرفة» عندَما يتَعَلَّق الأمْرُ بشأنٍ قد يكون اليهودُ وكيانُهم في فلسطين المحتلة طَرَفاً فيه ، فيُشيع خِطاباً تَيْئيسيَّاً!.

إنّها لَمُفارَقَةٌ حَقّاً أن يكون الدكتور «نورمن فنكلستين» أقلّ شهْرَة عنْدَ العَرَب والتقدّميين منهم الذين يُفْتَرَض أن يتَنَزَّلوا في خانَةِ المُناهِضين لأمْرَكةِ العالَم ، مِن الدكتور «نعّوم تشومسكي» الذي يدعو مَوضوعيَّاً العَرَبَ والفلسطينيين إلى قَبُولِ شَريعَةِ الغاب والتّكَيُّفِ مَعها؟.هَل هِيَ مازُوشِيَّة عندَ الطَّرَف العَرَبيّ الذي يَلتَذُّ بخطابٍ يَقومُ على إرْعابِ الضحيّة بِقُوَّةِ الجَّلاد وتَحْذيرها مِن أنَّ مُقاوَمَةً قد تَجْرحهُ رُبَّما تُودي بحياتِها، لِذا يجبُ الإستكانة، عَساها تَكْسَبُ عَطْفَه أو عَطْف الرأي العامّ الذي رُبّما يَرِقُّ قلبُه لِعَذاباتِها فَيَضغَطُ على الجلاد ليلقي بها بَعيداً عَن بَراثِنه؟.وما سِرّ انتشار هذا الخِطاب الذي يُرَكِّزُ على إبرازِ أخطاءِ الضحيّةِ واتِّهامِها بمُحاوَلَة تقليدِ جلّادها في مَساوئها، ولَوْمِها وَنَعْتِها إنْ تَمَكَّنَتْ مِنه يَوماً وأَصابَتْ فيهِ مَقْتَلاً ،

بالوَحْشيَّةِ أو «الإرهاب» ، بينما يمرّ سريعاً على تَوصيفِ الجلّادِ بإيجازٍ مع استطرادات أو جُمَل اعتراضيّة تؤكِّدُ أنَّ كُلَّ صِفاته الشرّيرة لا تُبيحُ للضَّحيّة الانتقامَ منْهُ لأنَّهُ نَفْسٌ بَشَريّة!،وكأنَّ الضحيّةَ المُعْتَدَى عليْها بالقَتْلِ اليَوميّ نَفْسٌ أعْلى أوْ أقَلّ مِن بَشَريَّة!.

لقد قامَتْ دارُ الآداب اللبنانية بنشْر كتاب «صناعة الهولوكست» لصديقنا «نورمن فنكلستين» أوائلَ سنة2001 ، فَمَن قرأه مِن المُهْتَمِّين العرَب ، إذا استَثْنَيْنا قُرّاء مجلة «النَّشْرَة» التي نَشَرَتْه على حَلَقاتٍ قبْلَ اخْتِفائها باغتيال رئيس تحريرها الصديق الأعزّ «خليل الزّبن» برصاص «إصلاحيّي» غَزَّةَ (دَحْلان وشُركاه) الدِّيمقراطيّين جِدّاً؟!.

وثمّة سؤالٌ يُخالِجُني ، هُو : هَل قرأ أولئكَ الذينَ لا يكفّون عَن إظْهارِ انْبِهارِهم بنَعُّوم تشومسكي كُتُبَهُ المَعْنيَّة مُباشَرَةً بالصِّراعِ العَربي - الصّهيوني وفي سِياقِهِ أوْ كفرْع منه الصِّراع الفلسطيني - الإسرائيلي، أو على الأقلّ ما اجْتَهَدَتْ مجلّة «الآداب» مَشكُورَةً في إطْلاعِنا عَلَيْه، أم أنَّهم يُكَوِّنونَ انطباعاتِهم عَنْه وآراءَهُم حَوْلَه مِن تلكَ المَقالات التي يتمّ تَدبيجَها حَوْلَ «تشومسكي» لِتَلمِيعِهِ وتمرير أفكارٍ مُعَيَّنة عَبْرَه؟.

قَد تُشْتَمُّ مِن تساؤلاتي رائحةُ مَوْقِفٌ يعتمدُ كثيراً نظَريّة المؤامَرة. لَن أنفِيَ ذلكَ ، لكنني بَدْءاً آمَلُ أن أكونَ قد أثَرْتُ الفُضُولَ لِقراءةٍ جديدَة وجادّة لِتشومسكي ولفنكلستين للتَّعَرُّفِ على «أمريكا أُخرى» هِيَ أيضاً ذات علاقة واضِحة باليهودِ والصهاينة إمّا سَلبيّة وإمّا إيجابيّة.

المُهمّ أن نُخْضِعَ آراءَ ومَواقِفَ وكِتابات أولئكَ المُثقّفين النَّقديين في الولاياتِ المُتَّحدة لِقِراءاتٍ نَقديَّة مُتواضِعَة . لِمَ لا؟.

أخيراً ،أختمُ بفَقرَةٍ مِن «نورمن فنكلستين» بخصُوص أحداث الثلاثاء 11سبتمبر 2001، تُضيء أكثَر الرُّوحَ النَّبيلة لِهذا المُفكِّر التّقدُّمِيّ الأمريكيّ. يقول نورمن :

« الجَّواب السَّهْل عَمّا حَدَثَ يومَ الثلاثاء هُوَ أن أن نكتفيَ بهَزِّ رؤوسَنا غَيْر مُصَدِّقِينَ ما ارتَكَبَهُ أولئكَ المَجانين - المَعْتوهون - المُتَعصِّبون - الأُصُولِيُّون - الشَّرق أوسطيُّون - العَرَب - المسلمون - إلى ما هُنالِكَ مِن نُعُوت ، وأن نَخْتَزِلَهُم بِوَصْفِهِم جنْساً مُخْتَلِفاً عَن جنْسنا نَحْن ، بل أن نَقولَ إنَّهم أدْنى مِن جنسنا بعِدَّة دَرَجات . ولكنَّ رَدّاً أَصْعَب إنّما يَتَمَثَّل في أن نَعتَرِفَ بالإنسانِ داخِلَ هؤلاءِ الناس ، وأن نُقرَّ مُعاناتِهم والمَهانَةَ التي يُقاسُونَها ، غَيْرَ أَنَّ الرَّدَّ الأقسى هُوَ أن نَنْظُرَ نَظْرَةً فاحِصَةً إلى أَنْفُسِنا وإلى مَسؤوليَّتِنا عن عَذابِهِم».

كانَ فنكلستين يتحَدَّث بهذا إلى طَلَبَتِه في شيكاغو بَعْدَ يَومَيْن فقط مِن تَفجيراتِ نيويورك وواشنطن ، فالجُّرحُ كانَ مازالَ نازفاً وحارَّاً، لكنَّ صَوْتَ العَقْل النَّقْدِيّ الإنسانيّ كان أَعْلى مِن شَخيبِهِ في جامعةِ ديبول. أمّا تشومسكي الذي يزعمُ أنّ الهجوم على المارينز في لبنان 1983 نَفَّذَتْهُ شبَكاتٌ مَوَّلَتْها السعوديّة ودَرَّبَتْها السي آي إي (أي تنظيم القاعدة؟)- وَهِيَ مَعلومَةٌ خاطئة يُحاوِلُ الإسرائيليُّون ترويجَها - فَقَد كانت «مَشاعِرُهُ مُتَضارِبة» في (20سبتمبر) إزاءَ الإعتداءاتِ على الجَّوامِعِ في الولايات المتّحدة الأمريكيّة!.

*نُشِرَ هذا الفصل في المُلحَق الثقافي لصحيفة «الشعب» الأسبوعية التونسية سنة 2004.

وَقائعُ الإنتخابات الأوكرانية : مَظاهرُ حَرْبٍ بارِدَة تَقْتَحِمُ مَشْهَدَ السياسةِ الدّولِيّة!

لم يَعُدْ ثمّة شَكّ في أنّ رئيسَ الاتحاد الرّوسي قَرّرَ زَجَّ بَلَدِهِ في حَرْبٍ بارِدَة مع الولايات المتّحدة وارِثاً الاتحاد السوفياتي في ذلك أيضاً.

وهذا القرار الرُّوسيّ ليس هُجُومِيّاً ، بل هُو قرارٌ دِفاعِيٌّ على خلفيَّةِ استفزازٍ أمريكيّ مُتَواصِل لِموسكو منذ تَحَوَّلتْ إلى عاصمةٍ رُوسيّة بعْدَ أنْ كانت عاصِمَةً سوفياتيّة. وقد ازدادَ الاستفزازُ الأمريكيّ مع وُصُولِ فلاديمير بوتين إلى الحُكم بِمَشرُوع طَمُوح لإعادة روسيا إلى مَكانَتِها الفاعِلة والعالية في السياسة الدَّولِّيّة بَدَأَ تَطبيقُهُ بالتّصَدِّي الصَّارِم الحاسِم لِتَحَرُّكٍ صهيونيّ مِن أَجْلِ إغْراقِ رُوسيا في فوضى الهَدَف مِنها إيصال مِلياردير يهودي روسي (صهيوني) إلى الكرملين.

وفي سِياقِ مُحاصَرَة رُوسيا وتَطَلُّعات بُوتين المَشرُوعَة حاوَلَتْ المُخابَراتُ الأمريكيَّةُ التَّدَخُّلَ في السياسة الدّاخليّة لِرُوسيا البيضاء عندما دَعَتْ أحزابَ المُعارَضة فيها عَلَناً إلى الإلتفافِ حَوْلَ المُرَشَّحِ فلاديمير غونشاريك المُنافِس للرئيس الحالي ألكسندر لوكاشينكو

المُقَرَّب مِن بوتين والذي كانَ أَحْبَطَ مُحاوَلَةً مِن السفيرِ الأمريكيّ تَمَثَّلَتْ بِتَنظيم مَجمُوعات مُثيرة لِلشَّغَبِ عَساها تُفْلِح بإقالةِ لوكاشينكو بَعْدَ أَشْهُرٍ مِنَ إقْدَام خرِّيجُ الجامعاتِ الأمريكيّة ، الجورجيّ الذي يَحْمِلُ الجنسيّةَ الأمَريكيَّةَ أيضاً ميخائيل ساكاشفيلي على إسقاط إدوار شفيرنادزة المُقَرَّب مِن موسكو.

لقد صارت المُخابَراتُ الأمريكيّة تَسْتَخْدِمُ (الدِّيمُقراطِيَّةَ) ذَريعَةً وغِطاءً لِتَغييرِ أنظِمَة الحُكم خُصُوصاً في أوربّا الشرقيّة وَدُوَل الاتحاد السوفياتيّ المُنْهَار ، فَهِيَ دائماً لَها مُرَشَّحُها الذي تُمَوِّلُهُ ، والذي يُواجِهُ عادَةً مُرَشَّحاً قريباً مِن مُوسكو . وإذا لم يَنْجَحْ مُرَشَّحُ الإدارَةِ الأمريكيّة تأمُر عُمَلاءها مِن جَماعاتِ مُثيريّ الشَّغَب التي تَمَّ تَشكيلُها في السَّنَواتِ الأربَع الماضية لِفَرْضِ نَجاح مُرَشَّحِيّ المُخابَراتِ الأمريكيّة الذين يُحَدِّدُونَ (نَزَاهَةَ) أيِّ انتخاباتِ بِفَوْزِهم ، وإلاّ تُتَّهَمُ كُلّ انتخاباتِ لا تكونُ نَتائجُها لِصالِحِهم بالتَّزْوِيرِ. وهذا ما حَصَلَ مؤخَّراً في أوكرانيا.

إذا كانت أهميّةُ جورجيا أمريكيَّاً تَعودُ إلى مُرورِ أنابيب تَصدير النَّفْطِ إلى الولايات المُتّحدة مِن أراضيها ، فإنّ أوكرانيا التي يبلغُ عددُ سُكّانها 49 مليون نسمة كانت ثالثَ دَولة نوويّة في العالم ، وسكّان المَناطِقِ الشرقيّة منها يعدُّونَ أنْفُسَهُم رُوساً لُغَةً وثقافةً ناهيكَ عن الرَّوابطِ الإجتماعيّة والتّجاريّة . وَلِذا أدْرَكَتْ واشنطن أنّ السيطرة على «كييف» تَجعَلُها أكثَرَ قدْرَةً على التَّحَكُّم بمَصائر روسيا وَلَجْماً لِطُمُوحات بوتين.لذلكَ هَيَّأتْ المُخابَراتُ الأمَريكيَّةُ جَماعاتِ مُثيريّ الشَّغَب لِلتَّحَرُّك إنْ جَرَتْ الانتخاباتُ الأوكرانيّة عَكْسَ ماتَشْتَهي سُفُنُهَا . وَفِعْلاً ، ما أن أعْلنَتْ النتائجُ في الانتخابات فَوْزَ المُرَشَّحِ

فيكتور يانوكيفيتش حتى نزلتْ إلى الشارع «جَماعاتُ مُثيريّ الشَّغب مِن أجْلِ الديمقراطيّة الأمريكيّة» ، التي أُطْلِقَ عَليها اسم (الشبيبة الدّيمقراطيّة) في أوكرانيا ، بِلَوْنِها البُرتُقالِيّ ، تُوَزِّع عَشَرات الآلاف مِن المُلصَقات والميداليّات التي تُلصَقُ على القمْصان، إضافَةً إلى استخدام مُكَثَّفٍ لِمَواقِعِ الأنترنيت لِلدِّفاع عن حَقٍّ مَزْعُوم بالرِّئاسَة لِمَرَشَّحِ المُعارَضة فيكتور يوتشينكو ، فَبَدا لِلمُراقِبِ وكأنَّ أوكرانيا كُلّها تؤيِّد هذا المُرَشَّح الأمريكيّ الذي رَفَضَ نتيجةَ الانتخاباتِ التي جَرَتْ في 2004/11/21وأسْفَرَتْ عن فَوْزِ يانوكوفيتش بِفارِقِ ثلاث نِقاط على مُنافسه يُوتشينكو ، وكادَتْ مُظاهَراتُ (الشبيبةِ الدّيمقراطيّة) والمُظاهَراتُ المُضادَّة لَها المؤيِّدَةُ لِموسكو أن تُفْضِي إلى حَرْبٍ أهليَّة لم يُخْفِ أنصارُ «يُوتشينكو» اسْتعدادَهُم لِخَوْضِها. فاجْتَمَعَ البرلمانُ الأوكرانيُّ تحتَ هذا الابتزازِ بتَهْديدْ وحْدَةِ أوكرانيا وأصْدَرَ قَراراً لإعادَة إجْراءِ الانتخاباتِ مِن جَديد بأغلبيّة 255من 450صَوْتاً ...وأقَرَّ يَوْمَ 26 كانون الأوّل الجاري مَوْعِداً جديداً لها. وَتَمَّ إقرارُ تَعْديلات ، بِأغلبيّة ساحِقة، تَحُولُ دُونَ تَزْويرِ العَمَليَّة الانتخابية ، فَتَمَّ بِمُقْتَضى هذه التَّعْديلات نَقْلُ سُلُطاتِ تَعْيينِ كُلِّ المَناصِبِ العُليا باستِثناءِ رِئاسَةِ الوزراء ووَزيريّ الدِّفاع والخارِجيّة مِن الرئيس إلى البرلمان، وَتَمَّ مَنْحُ الأقاليم المَزيدَ مِن الصَّلاحيّات لإرضاءِ مَناطِقِ شَرْقِ البِلادِ خاصَّةً.

ولأنّ القانونَ الأوكرانيّ يَنُصُّ على أنّه لا يُمكِن إقالة رئيس الوزراء، فقَد مَنَحَ الرئيسُ ليونيد كوتشما رئيسَ وزرائه يانكوفيتش إجازَةً للقيام بحَمْلة للانتخاباتِ الجديدة ، وبذلكَ فَوَّتَ على المُعارَضة فُرْصَةَ التَّمَكُّنِ مِن إقالةِ يانكوفيتش مِن رئاسةِ الوزراء على الرّغم مِن تَصويتِ البرلمانِ على حَجْبِ الثِّقة عن الحكومة.

وفي سِياقِ حَمْلتها الانتخابيّة تُحاوِلُ المُعارَضة ابتِزازَ النّاخِبين عاطِفيًّا بتَوظيفِ التَّشَوُّه الذي طَرأ على مَلامِح مُرَشَّحِها يُوتشينكو ، فَتَحَوَّلَتْ وَسامَتُهُ إلى نَقيضِها ، وَخلافاً لِمَوْقِفِها مِن تَعرُّض الرئيس الفلسطينيّ ياسر عرفات لِعَمَليّة تَسَمُّم رَفَضَتْ فرنسا تأكيدَها على الرغم مِن أنّها لم تذهبْ في مُغالطاتِها إلى حَدٍّ نَفْيِها كاحتِمالٍ وارد، فإنَّ «فيينّا» سُرعانَ ما استَنْفَرَتْ مُخابراتها لتأكيدِ تَعَرُّض يوتشينكو إلى عَمَليّة تَسَمُّم بِوساطَةِ الحساء في عَشاءٍ حَضرَه مُديرُ المُخابَراتِ الأوكرانيّة (تَصَوَّروا كيفَ تَتَّسِعُ الذِّمَمُ الغَرْبيّة لهذه التفاصيل عندما يَتَعَلَّقُ الأمْرُ بِمَصلحة أمريكيّة!) ، علماً أنَّ الطبيبَ المسؤولَ في «رودلفينرهاوس» العِيادَة الخاصّة التي أُدْخِلَ إليها يوتشينكو الشهْرَ المُنْصَرِم في فيينّا ، وهُوَ الدكتور «ميكايل زيمفر» صَرَّحَ أنّه إذا كانَ يوتشينكو قد تَعَرَّضَ لِلتسميم « فَسَوفَ يَصعُبُ على الأرجَحِ إثْباتُ ذلك» ! .

هذا ما حَصَلَ بَعْدَ أنْ تدَافَعَتْ وُفُودٌ أوربيّة وأمريكيّة إلى الاجتماع بِزُعَماءِ الأحزابِ السياسيّة بذريعَةِ الخَوْفِ على الدّيمقراطيّة المُهَدَّدَة (مَن يُهَدِّدُها؟) في أوكرانيا. وبالمُقابِلِ سارَعَتْ موسكو لِتَفْرِضَ حُضُورَها في هذهِ الأزمة مُعْرِبَةً عن تأييدِها لِحَلٍّ سلميٍّ بشأنِ الخلافِ على الانتخاباتِ بَعْدَ أن كانَ الرئيس بوتين قد أعلنَ فَوْزَ «يانوكوفيتش» وقالَ «إنَّ هذه الانتخابات ونتائجَها لا تحتاجُ لِمَن يؤكِّدُها مِن الخارِج» ، وفي برقيّة تهنئة تَمَنّى أن يُساعِدَ فَوْزُ يانوكوفيتش على «التَّقَدُّم بالشراكةِ الاستراتيجيّة الأوكرانيّة - الرُّوسيَّة إلى مُستوى أعلى»، لِيُصَرِّحَ فلاديمير بوتين نَفْسُه أمامَ قادَةِ الاتّحادِ الأوربّي في 2004/11/26 : « ليس لنا أيّ حَقّ أخلاقي في دَفْع دَوْلة أوربّية مثل أوكرانيا إلى حالَةٍ مِن الفوضى

المُكَثَّفَة وَلْنَتْرِكْ المسألة للشَّعْب الأوكرانيّ صاحبِ الشأن».

ولكنْ هذا التَّراجُع النّسبيّ لِبوتين ليسَ أمامَ الإدارة الأمريكيّة التي عَدَّتْ تَعْديلات البرلمان الدستوريّة ستَسْمَحُ بانتخاباتٍ «حُرَّة وعادلة ومَفْتُوحَة» حسب كولن باول ، بَل أمامَ الاتحاد الأوربِّي الذي تَرغَبُ موسكو في تَحييدِهِ إنْ لم يَكُن بالإمكانِ جَرّه إلى صَفِّها ، على الرّغم مِن أنَّ مُنَسِّقَ السياساتِ الخارجيّة فيه خافيير سولانا عَدَّ التأييدَ البرلمانيَّ القويَّ لِلتغيير «إشارةً مُشَجِّعَة بشأنِ عَمَليّة المُصالَحَة». فَفِي هُجُومٍ دِفاعِيّ تَعَمَّدَتْ مُوسكو مُؤَخَّراً الإعلانَ عن تَطويرِها لِقدرة صاروخيّة «لا يُمكن لأيّ قُوَّة صَدَّها ، الآنَ أو بَعْدَ ربْع قَرْنٍ على الأَقَلّ». وبِهذهِ الطّريقة عَرَضَتْ رُوسيا بُوتين عَضَلاتها النّوويّة والصّاروخيّة أمامَ القُطْب الأمريكيّ والعالَم بلَهْجَةٍ صَريحة. وعلى الرّغم مِن أنَّ واشنطن كَظَمَتْ غَيْظَها ، فإنَّ مَظاهِرَ سِباق التَّسَلُّح النّوويّ وغَيْر النّوويّ بَدَأَتْ تَظْهَر لِلعَيان مُذَكِّرَةً بالمَظاهِر التي كانت سائدَةً خِلالَ الحَربِ الباردة.

وَهَاهُوَ رئيسُ الاتّحادِ الرُّوسيّ فلاديمير بوتين يَصِل تركيا العُضْوَ في الحلفِ الأطلسيّ وَيَعْقِدُ معها صفقات عسكريّة واقتصاديّة مُهِمّة بَعْدَ أنْ شَنَّ مِن الهنْدِ أعْنَفَ حَمْلَة على الولايات المُتَّحدة الأمريكية عندَما وَجَّهَ خطاباً إلى المَدعُوِّينَ خِلالَ أحَد لِقاءاتِ زيارَتِهِ الرَّسميّة ، قالَ فيه خُصُوصاً : إنَّ السياسات المُستنِدَة إلى مبادئ الثكنة العسكريّة لعالَم أحادِيّ القُطْب يبدو أنَّها ستكون خطيرَةً للغاية». بل إنَّه واصَلَ مَوْقِفَ روسيا الرَّافِضَ للحَرْبِ على العِراق ، وانْتَقَدَ العمليّات العَسكريّة التي تَقومُ بها القُوّاتُ الأمريكيّة في الفلّوجَةِ وغَيْرِها مِن المُدُنِ العراقيّة عندَما قال « هذا يَضَعُ نِقطَةَ استِفهام حَوْلَ إجْراء انتِخاباتٍ حُرَّة

وديمقراطيّة في العِراق كما هُوَ مُقَرَّرٌ لها أوائلَ العام القادِم».

بالتأكيدِ لا يَستأنِفُ بوتين حَرْباً بارِدَة مع واشنطن إلّا لأنَّ الأخيرةَ باتَتْ تُهَدِّد مَصالِحَ بِلادِهِ، وقد أدْرَكَتْ الإدارَةُ الأمريكيّةُ جِدِّيَّةَ الرئيس الرُّوسيّ في عَزْمِهِ على وَضْعِ حَدٍّ لِغَطْرَسَتِها، فَخَفَّفَ كولن باول مِن الحِدّة التي عُرِفَتْ بها الإنتقاداتُ الأمريكيّة لِلمَسيرةِ الديمقراطيّة الرُّوسيّة، فَبَعْدَ أن كانَ أوائلَ هذا العام قد قالَ إنَّ السياسة الرُّوسيّة تَخْضَعُ بِشَكْلٍ غَيْر كافٍ لِحكم القانون وأنَّ روسيا تتراجَعُ عن الإصلاحات الدّيمقراطيّة، وأنَّ هُناكَ حُدُوداً للعلاقاتِ الأمريكيّة الرّوسيّة في غِيابِ قِيَم مُشْتَرَكة، قالَ باول منذ أيّام لـ «رويتر»: «أعتقد بأنّ روسيا لن تَعُودَ إلى أيّام الاتحاد السوفياتي، وأعتقدُ أنَّ روسيا أصبَحَتْ لها جُذُورٌ راسِخَة في الدّيمقراطيّة».

لقد تَخَلّى باول عن فَظاظَته أمامَ تصريحاتِ بُوتين التي لم ينتقِدْ فيها واشنطن ولندن فقط لأنَّهما تَدْعَمان الإرهابيّينَ ضدَّ بلادِهِ بَيْنَما تَزْعَمانِ شَنَّ حَرْبٍ على الإرهابِ الدّوليّ، بل لانَّ حَرْبَهما على العِراقِ حَوَّلَتْهُ إلى مَفْرَخَةٍ لِلمُتَشَدِّدين، على حَدِّ تَعبير الرئيسِ الرّوسي.

وبالتأكيدِ أيْضاً مِن حَقِّ بُوتين أن يأمَلَ دَعْماً عَرَبيّاً في هذه الحرْب البارِدَة ليس فقط على خَلفِيَّةِ العلاقات العَرَبيّة - الرُّوسيَّةِ العَريقة، بل على خَلفيّة التَّهديدِ الصهيو - أمريكي لِلمَصالِح الوطنيّة ولِلقيَم الإنسانيّة التي يَتَصَدّى لَها بُوتين بِديناميكيّة وَنَجاعَة في بلادِهِ، وفي الوقتِ نَفْسِهِ يَفْتَح آفاقاً إيجابيّة ويُوَفِّر فُرْصَةً جَديرةً بالإغْتِنام لِلعَرَبِ الذينَ يَتعامَلونَ مع الهجمةِ الصّهيو - أمريكيّة المُتَوَحِّشَة على وَطَنِهِم وأمَّتِهِم بِسَلْبيَّةٍ مُطْلَقَةٍ مُتَرَحِّمينَ على أيّام الاتحاد السوفياتي الذي كانَ يلجِمُ اندِفاعَ الوَحْشِ الإمبرياليّ الامريكيّ. فليسَ بَعيداً ذلكَ اليوم

الذي تَشْهَدُ فيه العَواصِمُ العَرَبيّةُ «جَماعات مُثيريّ الشَّغَب مِن أجْلِ الدِّيمقراطِيّة» يَنْزِلُونَ إلى الشّارِعِ لِفَرْضِ مُرَشَّحِيّ السَّفارات الأمريكيّة في الانتِخابات الرِّئاسيّة العَرَبيّة، هذا إذا لم تُعَمَّمْ (التجربةُ الدّيمقراطيّة العِراقيَّة) ونَشْهَد انتِخابات رئاسيّة عربيّة في ظِلِّ الإحتِلالِ الصهيو - أمريكيّ المُعَمَّم!.

لاشَكّ أنَّ بُوتين لا يَتَوَهَّمُ تَغَيُّراً جذريّاً في المَوَاقِفِ العَربيّة الرَّسميّة، وَيُدْرِك جَيِّداً ارتِباطَ مُعْظَمِهِم بالإدارَةِ الأمريكيّة ارتِباطَ أياد عَلّاوي الذي اسْتَقْبَلَه في الكرملين، بِها، لكنَّ بُوتين كَرَجُلِ أمْنٍ قَديم يُراهِنُ رُبَّما على أنَّ عَلّاوي قد يكون أكثَر قابِليَّة «للإستقلالِ» عن الإرادَةِ الأمريكيّةِ مِن «زُعَماء» آخَرين، كَوْنَهُ جَرَّبَ التَّعاوُنَ مع حوالي 15 جِهاز استِخبارات أجنبيّة بَيْنَما غَيْرهُ نَشأ وتَرَعْرَعَ وَشَبَّ وشَابَ في أحْضانِ المُخابَراتِ الأمريكيّة أو الإنكليزيّة!.

أعْنِي بذلكَ أنَّ القُوى الحَيَّةَ العَرَبيّة هِيَ المَعْنيَّة، مع بَعْضِ النِّظام العَرَبيّ، بأن تَفْتَحَ جَيِّداً عُيُونَها وَتَقرأ بِدِقَّةٍ وانْتِباهٍ الدَّرْسَ الأوكرانيَّ لِتَتَفادى تَداعياتِ النَّجاحِ الأمريكيّ باستِخدامِ جَماعاتِ مُثيريّ الشَّغَب مِن أجْلِ الدِّيمقراطِيّة البائسة مِن جِهَة، وأنَ تَرْفَعَ شِعارَ (عَدُوّ عَدُوِّي صَديقِي) في حَرْبٍ بارِدَة تَقْتَرِبُ فيها مَصالِحُ مُوسكو مِن مَصالِحِنا في التَّحَرُّرِ مِن قَبْضَةِ الجّيوشِ والمَصالِحِ الصّهيو - أمريكيّة!.

*نُشِرَ هذا الفصل في صحيفةِ «الوطن» القطَريّة بتاريخ 2004/12/5

أيّ دَوْر صهيو - أمريكي لأوكرانيا في الشرق الأوسط والعالم؟!

لم تَكْتَفِ الولاياتُ المتّحدة الأمريكيّة بِما يُقَدِّمُه لها الأعْرابُ التابِعُونَ لها مِن خَدَماتٍ على حِسابِ مَصالِحِ بلدانِهِم وَشُعُوبِهِم، لتُكَلِّفَ تابِعينَ لَها مِن أوربّا الشرقيّة بخاصَّةً بِمهمّاتٍ استِخْباريّة وتَخْريبيّة في مَنْطِقتِنا المُبْتَلاةِ ب «إسرائيلَ» والنّفْط!.

فَبَعْدَ أنْ نَجَحَتْ مِن خِلالِ «الثّورةِ البرتقاليّة» بوَضْعِ مَقاليدِ الحكْم في أوكرانيا رَهْنَ قَبْضَةِ أتباعِها مُحاوِلةً إحاطَة (الدُّبِّ الرُّوسيّ) بِفَخٍّ جَديد ، جَعَلَتْ مِن «بُرتُقاليِيّ»هذا البلد أدلّاء أمنيّين لِلمَصالِحِ الأمريكيّةِ في العَالَمِ كُلِّه وبِخاصَّةٍ في الشَّرْقِ الأوسط.

فَوَاشنطن لم تحثّ أتباعَها اللبنانيّين المَعْرُوفين بِفَريقِ «114آذار» على نَسْخِ نَمُوذَج «الثورة البرتقاليّة» الأوكرانيّة تحْتَ عنوانِ «ثورة الأرْز» فقط ، بل حَثَّتْ بالمُقابل سلطات «كييف» على تَوريدِ الأسلِحة إلى هذه القُوى اللبنانيّة المُوالية لِلغَرْبِ في إطارِ «التِزاماتِ» واشنطن إزاء حركة 14آذار!.

وفي هذا السِّياقِ يبذلُ الرئيسُ الأوكرانيّ البرتقاليّ «فيكتور يوشتيشينكو» مَساعِيَهُ المَحْمُومَة لِضَمِّ بِلادِهِ إلى الحِلْفِ الأطلَسِيّ مُمَهِّداً لِذلك بإعلانِ استعْدادِ بلادِهِ للإشتراكِ في خططِ حلفِ /النّاتو/ وَبَرامِجِهِ العديدة وخاصّة في العِراق وأفغانستان وكوسوفو ، وأيضاً بجَمْعِ المَعْلوماتِ في الشرقِ الأوسط وأماكن أخرى مِن العالَم ونَقْلها إلى الجِّهاتِ التي تَخْدم المَصالِحَ الغَرْبيّة الصهيو - أمريكيّة تحديداً.

وذَهَبَتْ «كييف» أبْعَدَ مِن ذلكَ لِتَطلبَ مِن «موسكو» نَقْلَ القاعِدَةِ العسكريّة الرُّوسيّة مِن أوكرانيا إلى الساحِلِ السوريّ (؟!)، رُبَّما بِتَوصِيَةٍ مِن رَجُلِ الأعمالِ السُّوريّ الأصْل «حارث عبد الرحمن يوسف» الذي عَيَّنَهُ الرئيسُ الأوكرانيّ مؤخَّراً مُستَشاراً له لِشؤونِ الشرق الأوسط، بَعْدَ أنْ كانَ قَدْ عَيَّنَهُ سنة 2005 مُسْتَشاراً للشؤونِ الإقتصاديّة كَوْنَهُ مَعْرُوفاً مُنذ 15 سنة في السُّوقِ الإقتصاديّة الأوكرانيّة ، وهُو صاحب شركة «الحارث» التي تَرعى الأعمالَ الفنّيّة والمَهرجاناتِ وَدَعْم النشاطاتِ الثقافيّة في سوريا(؟!) .

وقد تكون الإشارةُ لازِمَةً هُنا إلى أنَّ «إسرائيلَ» كانت في مُقَدِّمَةِ داعِمِيّ (الثّورة البُرتُقاليّة) الأوكرانيّة مِن خِلالِ رِجالِ أعمالٍ يَهُود في روسيا وأوكرانيا أبرزهُم اليهوديّ الأوكرانيّ الذي يَحمِلُ الجّنسِيَّةَ الإسرائيليّة (سيمن موجليفيتش)!.

وفي إطارِ خدْمَةِ الاستراتيجيّة الإسرائيليّة تَمَكَّنَتْ أوكرانيا مِن إقناعِ دُوَلٍ عَربيّة كانت تتسَلَّح مِن الاتحاد السوفياتي عندَما كانَ الرئيس السوفياتي مِن أصْلٍ أوكرانيّ «نيكيتا خروشوف» يَنْتَهِجُ سياسةَ انْفتاحٍ وتَفَهُّم وتأييدٍ إزاءَ العالَم الثالث فاتَّخَذَ مَوْقِفاً حاسِماً مِن العُدوانِ الثُّلاثِيِّ على مِصْرَ ، وَقَدَّمَ المُساعَدات لِبناءِ السُّدّ العالي، بأنْ تَقُومَ

بصيانَة الأَسلحَة الرُّوسيّة القديمة التي تَمتَلِكُها هذه الدُّوَل العربيّة وتُسَلِّح جُيُوشَها (وبخاصّة الجيشَيْن المصريّ والجّزائريّ) بأسلحَة رخيصَة الثَّمَن لكنَّها مُكَوَّنَة مِن نَماذِج قديمة ذات تقنيات مُتَخَلِّفَة!، الأمْر الذي يَزيدُ عَمَلاتيًّاً في خَلَلِ التَّوازُنِ الأمنيّ والعسكَريّ العربيّ الاستراتيجيّ في مُواجَهَةِ الكيانِ الصهيونيّ الذي يَتَزَوَّدُ بأَحْدَثِ الأسلِحَةِ الامريكيّة ذات التّقنية المُتَطَوِّرَة.

إنّنا إزاء مُفارَقة مِن حَيْثُ المَظْهَر، يَطرَحُها استذكارُنا إقدامَ «نيكيتا خروشوف» الذي كانَ على رأسِ الهَرَم السوفياتي مِن سنةِ 1953 إلى عام 1964، على خَلْعِهِ حِذاءَه وَهُو جالِس في مَقعَدِهِ على رأسِ الوَفْدِ السوفياتي في الدَّورَةِ العامّة للأمم المُتَّحدَة سنة 1960 والدَّقّ به على المنَصَّة في مُواجَهَة تاريخيَّة مع الولايات المُتّحدة الأمريكيّة عُرِفَتْ بأزمَة الصَّواريخ الكُوبِيَّة أَوْصَلَتْ البَلَدَيْن إلى حافَّة حَرْبٍ عالَميَّة لتَنْتَهي بتَراجُع خرُوشُوف وَسَحْبِ الصَّواريخِ السوفياتيّة مِن كوبا مُقابِلَ تَعَهُّد واشنطَن بِعَدَم غَزْوِ الجّزيرة.

ولكن هَل يَسْتَلْهِمُ الرئيسُ الأوكرانيّ الحاليّ تَصَرُّفات سَلَفِه خروشوف عندَما قَرَّرَ سنة 1961 سَحْبَ الخُبَراء والفنِّيين السوفييت مِن الصِّين وَوَقْف المُساعَدات الإقتصاديّة عَنها ، مُقَدِّماً بذلك آنَذاكَ خدمَةً جليلةً للإمبرياليّة الأمريكيّة ، مُبَرِّراً ذلكَ بِخَوْضِه حَرْباً مَسْعُورَةً على «الستالينيّة» قَد تكونُ مِن مرْجِعيّاتِ «الثورةِ البرتُقاليّة» التي تُحاوِلُ المُخابَراتُ الأمريكيّة تَعميمَها تَحْتَ شِعاراتِ الدّيمقراطيّة وحقوق الإنسان؟.

وَهل يُفَسِّر كُرْهُ «خروشوف» ل «عبد الرحمن عارف» - لأنَّ الأخيرَ أطاحَ «عبد الكريم قاسم» حَلِيفَ الشيُوعِيين العراقيين ، وعندما

حاوَلَ «جمال عبد الناصر» أن يُصالِحَ «خروشوف» مع «عارف» قائلاً للزعيم السوفياتيّ :(عارف وَطَنِيٌّ يَسْعى إلى التَّقارُبِ مَعكُم) صَرَخَ «خروشوف» : (لَن أَقْضي حاجَتي مَعه في مَكانٍ واحِد) ، فَتَرَدَّدَ المُتَرْجِمُ في نَقْلِ هذا الكلام ، لكنّ «خروشوف» صَرَخَ به: (تَرْجِمْ حَرْفِيّاً ما قُلتُ)! - هَلْ يُفَسِّرُ هذا الكُرْهُ انْدفاعَ أوكرانيا الحاليّة في المُشارَكَة بقُوّاتِها في غَزْوِ العِراق ، لأَنَّ صَدَّام حسين رَفَضَ العُرُوضَ العسكريّة (وَبَعْضها كانَ مِن خِلالِيَ شَخصيّاً إذْ حَمَّلَني الرئيسُ الأوكراني في تسعينات القرن الماضي خلالَ زيارته تونس رسالةً شفهيّة إلى القيادةِ العِراقيّة بهذا الخصوص) لِتسليحِ جَيْشِهِ بَعْدَ انهِيارِ الاتِّحادِ السوفياتي.

وَمِن جِهَةٍ أخرى هَلْ سَيُقْدِمُ الأوكرانيّون على تصحيح سياسةِ حُكومَتِهم الحاليّة التي تَضَع مَصالِحَ أوكرانيا في خدْمَةِ مَصالِحِ الولاياتِ المُتَّحِدَة و «إسرائيل» ، كما أقدَمَ السوفياتُ على تصحيحِ سياساتِ «خروشوف» المُتَناقِضَة ، فَوَضَعُوا حَدّاً لها سنة 1964؟.

*نُشِرَ هذا الفَصْل في صحيفةِ «الصَّريح» التونسيّة بتاريخ 2008/7/19.

مُحاوَلَةٌ تَنْسِيس التّاريخ ، مُراهَنَةٌ أمريكيّةٌ بائسة على مُغامَرةٍ أوكرانيّة حَمقاء

منذ انْهِيارِ الاتّحادِ السُّوفياتي سارَعَتْ الولاياتُ المتّحدة الأمريكيّة إلى اغتِصابِ سدَّة حُكم العالَم الافتِراضيَّة، وَتَنْصيب نَفْسِها سَيِّداً أوْحَدَ ذا صَلاحيّاتٍ مُطْلَقَة في إعَادَةِ صِياغَةِ السياسة الدّوليّة بِما يَخْدِمُ مَصالِحَها.

وَقَدْ انْتَهَزَتْ الصُّهيُونيّة العالميَّةُ الفرْصَةَ كعادَتها ، واسْتَغَلَّتْ غَطْرَسَةَ المُحافِظين الجُدُد الذينَ أَخَذَتْهُم العزَّةُ بالإثْم واسْتَعارُوا نِكايَةً بحمورابي وقانُونِه وَدَلالاته الرَّمزيّة قانُونَ الغاب مَرْجِعاً لها في إدارَةِ السّياسَةِ الدّوليّة ذات القُطْب الواحِد ، الذي هُوَ القطب الصهيو - أمريكي.

وكادَ هذا القانون الذي أطْلَقَ عليهِ حَمْقى البيت الأبيَض مُصْطَلَحَ «الفوضى الخَلّاقة» أن يَسُودَ العالَمَ بِدُوَلِهِ وَشُعُوبِه كافّة بَعْدَ ابتِزازِ البَشَريّة بأحداثِ 11 سبتمبر/أيلول2001 التي لم تَكن القُوى الصهيو

- أمريكيّة بَعيدَةً عن التخطيط لها وَجَرّ (تنظيم القاعِدَة) رَبيب «السي آي إي» إلى أفغانستان للتَّوَرُّط في تنفيذها ، مثلما كانَ للصهيُونيّة دَوْرها الذي باتَ مَعْرُوفاً في دَفْع الحكْم النّازيّ في ألمانيا إلى إقامَة (الهولوكست) الذي بِهِ تَبْتَزُّ الحَرَكةُ الصهيونيّة وكيانُها العُنْصُريّ الغَرْبَ الأوربيّ بِعامَّة وألمانيا بخاصَّة إلى الآن.

وَبَعْدَ أن «نَجَحَ» سادَةُ النِّظام الدوليّ الجديد في الإتِّكاءِ إلى «مَنْطِقِ» قانُونِ الغاب وشَنِّ الحرْب على العِراقِ واحْتِلالِهِ خُرُوجاً على الشّرعيّة والقانونِ الدّوليّين واسْتِهْتاراً بالرأي العام الدّولي بما في ذلك الرأي الغَرْبي الأوربّي والأمريكي الذي عَبَّرَ بمُظاهَراتٍ ضَخْمَة وأشكالِ تَعبيرٍ ديمقراطيّ أخرى عَن رَفْضِه لهذه الحَرْب العُدْوانيّة ، لكنّ المَصالِحَ الصهيو - أمريكيّة في السَّيْطَرَةِ على نَفْطِ العالَم وغَازِهِ والحِفاظ على أمْنِ «إسرائيل» ، هِيَ وَحْدَها التي تُمْلِي وَتُحَدِّدُ مَسارَ السياسَةِ الدّولية بقيادَةِ واشنطن.

وإذا كانت هذه السياسة قَدْ غامَرَتْ باتِّخاذِ العُدوَان والاحتِلال العَسْكَرِيَّيْن شَكلاً وَوَسيلَةً لِتحقيقِ أهدافِها الاستعماريّة في العِراق مَثَلاً فَإِنَّها ارْتأَتْ نَشْرَ «الفوضى الخلّاقة» في رُوسيا وَحَوْلَها وكذلكَ في أمريكا اللاتينيّة بأساليب استخباراتيّة كاستِثمارِ المالِ السياسيّ الصهيونيّ (كَي لا نَقُول اليهوديّ) في روسيا وَجِوارِها بغْيَة الوُصُول إلى الكرملين في موسكو ، والقَبْض على دفّة الحكم في جورجيا وأوكرانيا وسواهما من خِلالِ نَشْرِ بِدْعَة (الثَّوراتِ البُرتُقاليّة أو المُلَوَّنَة) للإتيانِ بأنظِمَةِ حكْمٍ تَخدم المَصالِحَ الصهيو - أمريكيّة.

لكنَّ غَرَقَهم في المُسْتَنْقَع العِراقِيّ بِفَضْلِ المُقاوَمة الوطنيّة العراقيّة الباسِلة وَفَشَلَهُم الذَّريعَ في استِيلادِ «شَرْق أوسط جديد» بِعَمَلِيّةٍ قَيْصَريّة

هيَ حَرْب 2006 العُدوانيَّة على لبنان مِن حَمْلٍ ثَبَتَ أنَّهُ كانَ كاذِباً أو فاسِداً ، وَقَبْلَ ذلك اصطدامهم بِواقِعٍ جديدٍ في فنزويلا وبوليفيا وَمُعْظَم أمريكا اللاتينيّة وظُهُور «فلاديمير بُوتين» ذي الطُّمُوح الوَطَنِيّ والقَومِيّ المَشْرُوع في استِعادَةِ روسيا لِدَوْرِها القُطبيّ في السياسةِ الدّوليّة كَي تكونَ موسكو مِن جَديدٍ هِيَ الثِّقَل المُوازي لِواشنطن في ميزانِ السياسةِ الدّوليّة، تَماماً كما كانت في عَهْدِ الاتّحاد السوفياتي وأكثر ، كُلّ ذلك كانَ إرْهاصات لِتَغييرٍ تَشْهَدُهُ السِّياسةُ الدّوليّة نسبيًّا.

وَبَعْدَ فَشَلِ واشنطن في إضعافِ التّحالُفِ الدّولي الذي تَشَكَّلَ مَوضُوعِيًّاً في مُواجَهَةِ العدوانيَّةِ الصّهيو - أمريكيّةِ مِن دُوَلٍ مُهَدَّدَة في وُجُودِها الوَطَنِيِّ والقَوْمِيِّ مِنَ الصِّين إلى فنزويلا وَمِن رُوسيا وَكُوريا الشّماليَّة إلى إيران وسوريا ، واعتِقاداً مِن صانعيّ القَرارِ الصّهيو - أمريكيّ الأحْمَق بأنَّ «عَرْقَنَةَ» العالَم و «أفْغَنَتْهُ» مُمْكِنَةٌ، وبأنَّ رُوسيا قد تكون عَصَبَ جبهَةِ المُمانَعَةَ الدّوليّة التي تَعْتَرِضُ السِّياسةَ الخارجيَّةَ الأمريكيّة الإستعماريّة ، فَقَدْ فَكَّرَتْ في اختِبارِ مَدى جِدِّيَّة مُوسكو في تحقيقِ طُمُوحاتِها المُعْلَنَة وَعَدَم سَماحِها بِمَسِّ سِيادَتِها وَمَصالِحها والمجال الحَيَوِيّ لأمْنِها القَومِيّ ، فَدَفَعَتْ واشنطن دُمْيَتَها في «تبليسي» إلى استِفزازِ مُوسكو وإرهابِها بارتِكابِ المَجازِرِ ضِدَّ مُواطِنينَ رُوسٍ وَتَدمير وإبادَة قُرى بِكامِلِها في أوسيتيا الجّنوبيّة على أيْدي الجيشِ الجورجي الذي يَتَلَقّى تَدريباً إسرائيليًّا وأسلِحَةً إسرائيليّةً وأمريكيّة في ظِلِّ رئيسِ جمهوريَّةٍ يَحمِلُ الجّنسيَّةَ االأمريكيّة ووَزيرِ دِفاعٍ يَحْمِلُ الجنسيَّةَ الإسرائيليّة إلى جانبِ جنسيَّتِهما الجورجيَّة!.

وَرَدَّتْ مُوسكو الرَّدَّ المُناسِبَ والمُوجِعَ ، وَكَشَفَتْ عَن مَدَى تَوَرُّطِ جورجيا في خِدْمَةِ السياسةِ الصهيو - أمريكيّة ، لِدَرَجَةِ أنَّ خطَّةَ ضَرْب

المُنْشَآت النّوويّة الإيرانيّة بِطائرات إسرائيليّة حَرْبيَّة تُقْلِعُ مِن قَوَاعِدٍ عسكريّة في جورجيا ، كانت جاهِزَةً لِلتّنفيذ!.

لِذا بَدَأَتْ واشنطن بإعلانِ المُوَاجَهَة مع موسكو كاشِفَةً عن ما لَدَيْها مِن أوراقٍ شَيْطانيّة. وَمِن هذهِ الأوراقِ دَفْع دُمْيَتها الأخرى (فيكتور يوشينكو) إلى التَّحَرُّش بِمُوسكو في مُغامَرَةٍ مِن نَوْعٍ آخَر يُمكِن أن تكونَ سابِقَةً على المُستَوى الدّولي مِن خِلالِ استِخدامِ النّظام الأوكراني الحالي تَسْييس التّاريخ ، وَتَوظيف هذا التّسييس في خدْمَةِ مَصالِح صهيو - أمريكيّة ، وَتَعْزيزاً لِمَواقفهِ بِصِفَتِه نِظاماً تابِعاً لِواشنطن وَيَدُورُ في فلكِ سياستِها الخارجيّة.

وَتَسييسُ التاريخ يَتَمَثَّلُ هُنا في استِحْضارِ المَجاعَةِ التي شهدَتْها أوكرانيا في عامَيّ 1932و1933 بسببِ سياسةِ الجورجيّ «جُوزيف ستالين» لإخْضاعِ القوقاز لِلنِّظامِ البلشَفِيّ.

فَقَد تَهَيَّأ لِسُلطاتِ «كييف» البرتقاليّة التي بالتأكيد هِيَ مثلها مثل سلطات «واشنطن» غَيْر مَعنيّة بإعادَة العَدالة التاريخيّة ، أنّها بإعادَةِ طَرْحِ هذهِ المَجاعَة لِلتَّداوُلِ ، وبخاصَّةٍ مِن أَجْلِ مُناقَشَتها واتِّخاذ قَرارْ بشأنِها في مجلسِ الأمم المتّحدة لِحُقُوقِ الإنسان عنْدَما انْعَقَدَ في 10سبتمبر /أيلول الجاري بجنيف ، على أساسِ اعتِبار هذهِ المَجاعَة مُتَعَمَّدَة وَتَنْدَرِجُ في سِياقِ الإبادة الجَّماعيّة التي تَسْتَهْدِف عادَةً السُّكّانَ الأصلِيِّين مِن أَجْلِ فَرْضِ تَغييرات ديمُغرافيّة لأهْدافٍ سياسيّة عِرْقيّة أو أيديولوجيّة أو طائفيّة، أَوْ مِن أَجْلِ فَرْضِ استِعْمارٍ استيطانِيّ على قاعِدَةِ (أَرْض بِلا شَعْب لِشَعْب بلا أَرْض) الصُّهيونيّة ، أو انطِلاقاً مِن شُرْعَةِ الغابِ التي تأسَّسَتْ الولاياتُ المُتَّحِدَة وفْقَها وعلى حِسابِ «الهنُود الحُمْر» السُّكّان الأَصلِيّين.

لَقَد تَهَيَّأَ ل «كييف» و «واشنطن» أَنَّهُما بِنَبْشِ هذه المَجاعَة ومُلابَساتِها تكونان قَد عَثَرَتا على آلِيَّة ناجِعَة لِضَرْبِ الأسافين في العلاقات الرُّوسيَّة الأوربيَّة والإساءة إلَيْهَا مِن خِلالِ الإيحاءِ بأَنَّ عَوْدَةَ رُوسيا بِقُوَّةٍ إلى مَسْرَحِ السياسةِ الدّوليّة بأَدْوارٍ رئيسيَّة ، وليس كَمُجَرَّد «كومبارس» كما كادَتْ تكون في عَهْدِ «يَلتسين» سيِّءِ السُّمْعَة، يُمكِن بالإسقاطِ التّاريخيّ ، أن تكونَ عَوْدَةً على حِسابِ شُعُوبِ القوقاز ، فتَدْفَع الآنَ ثَمَنَ نُهُوضِ مُوسكو الرُّوسيّة كما سَبَقَ وأن دَفَعَتْ في ثَلاثِيناتِ القَرْنِ الماضي ثَمَنَ نُهُوض مُوسكو السوفياتيَّة.

فَتَسييسُ التّاريخ الآنَ هُوَ لُعْبَةٌ صهيو - أمريكيّة ذاتُ حَدَّيْن ، لأَنَّ الولايات المتّحدة و «إسرائيل» هُما النَّمُوذَجان في هذا المَجال حَيْثُ وُجِدَتا أَصْلاً بإبادَةِ السُّكّانِ الأصليين (الهُنُود الحُمْر) و(الفلسطينيّين)، وقد انتبَهَ الشاعرُ الرَّاحِلُ محمود درويش في واحِدَةٍ مِن قَصائِدِهِ الأساسيَّةِ إلى ذلك.

كَمَا أَنَّ بَطَلَ حادِثَة المَجاعَةِ هُوَ جُورجِيٌّ وَليسَ رُوسِيَّاً ، وَجَرائم الإبادَة الجَّماعِيَّة التي اقْتَرَفَتْها القوّاتُ الجورجيّة في عُدوانِها الأَخير على أُوسيتيا الجّنوبيّة يَجْعَلُ مِن هذا التّسييس لِلتّاريخ سُلُوكاً أَحْمَق يُوصِلُ إلى عَكْسِ ما أَرادَتْ أُوكرانيا والولاياتُ المتحدَة الوصُولَ إليه، فالمُحاوَلَةُ الأُوكرانيّة لن تقولَ في النّهاية غَيْر أَنَّ الخَلَفَ الجُّورجِيّ (ميخائيل سكاشفيلي) كان سنة 2008 يُكَرِّرُ في أوسيتيا الجنُوبيّة أَفْعالَ سَلَفه (جُوزيف ستالين) الحَمْقاء في أُوكرانيا سنة 1932 ، وكأَنَّ في الأَمْرِ خَللاً جينِيَّاً إنْ أَرَدْنا التَّفَكُّهَ والسُّخْرية!.

وَواقِعِ الحال أَنَّ الشيءَ مِن مأتاهُ لا يُسْتَغْرَبُ ، فَواشنطن التي لم تُصَدِّقْ بَعْدُ ، أَنَّ العالَمَ الآنَ في لحظةٍ انتِقاليَّةٍ حاسِمَة مِن سياسةٍ دوليّة

ذات قطْب واحد ، إلى سياسة دوليّة مُتَعَدِّدَة الأقطاب وأكثر تَوازُناً، لاتزالُ تَتَوَهَّم بأنَّ العالَم مَضْبُوعٌ إلى الآن بِهَوْلِ افتراسِها لِلعِراق. والإدارة الأمريكيّة التي تتعامَلُ منذ أوائلِ تسعيناتِ القَرْن المُنْصَرِم مع الأمم المُتّحدة في نيويورك وكأنّها دائرة تابعة لِوَزارَةِ الخارجيّة في واشنطن ، استَطاعَتْ جَعْلَ الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة تُلغِي في التّسعيناتِ قَراراً يَعدُّ الصهيونيَّةَ حَرَكَةً عُنصُريَّةً كانت الجمعيَّة العامَّةُ أصْدَرَتْهُ سنة 1975، وإمْعاناً في الغَطْرَسَةِ دَفَعَتْ واشنطن الجَّمْعِيَّةَ العامَّةَ إلى أنْ تَتَبَنّى بالإجماع قَراراً يُحَدِّدُ 27جانفي/كانون الثاني مِن كُلِّ عام يَوماً سَنَوِيَّاً لِتَخْلِيدِ ذِكرى اليهود الذينَ يُقالُ إنَّهُم قَضُوا في المحرقةِ النّازيّة «الهولوكست» خِلالَ الحرب العالميّة الثانية.

وعلى الرّغْم مِن أنَّ مؤتمر «ديربان» بجنوب أفريقيا في سبتمبر / أيلول 2001 كَانَ قد دَعا إلى إعادَةِ تَجديدِ القَرارِ الأمَمِيّ الذي يَعدُّ الصّهيونيَّةَ حَرَكَةً عُنْصُرِيَّةً ، لكنَّها بَقِيَتْ دَعْوَةً تَتآكَلُ بِمُرورِ الوَقْت!.

وَإذا كانت موسكو قد تَمَكَّنَتْ عن جَدارَةٍ مِن تَعْويم الألغام والفِخاخ الصّهيو - أمريكيَّة في رُوسيا وَدُوَلِ الجِّوار وَنَزْعِ فَتائلِها وَتَفكيكِ مَخاطِرِها في الوقتِ المُناسِبِ لِيَجيءَ رَجْعُ الصَّدى مِن فنزويلا وبوليفيا اللتَيْنِ طَرَدَتا السفيرَيْن الأمريكيّين فيهما لِتَدَخُّلِهما في الشؤون الداخليّة لهذين البلدين اللاتينيّين ، فإنَّ ذلك لا يَعْني أنَّ النّمرَ الجريحَ سيستسلِمُ بِسُهُولةٍ ، بَلْ سَيَبْقى أسيرَ سُلُوكِهِ الإمبرياليّ الذي لم تَزِدْهُ هَزائمُهُ في الفيتنامِ والعِراق وأفغانستان وَلبنان إلّا المَزيدَ مِن العُنجُهِيَّة والحَماقة بحيثُ تَكونُ شُعُوبُ الدُّوَلِ الدَّائرة في الفلكِ الأمريكيّ ومَصالِحُها ضَحايا مُغامَراتِ الحُكّام بأمْرِ واشنطن ، والذينَ كما يَبْدُو تَوَرَّطُوا في سياسةِ الهُروبِ إلى الأمام في أنْفاقِ السياسةِ

الأمريكِيَّةِ التي تَنهارُ وَراءَهُم أيضاً ، الواحد تِلْوَ الآخَر.

ولكنَّ المُهمّ ليس فقط أنْ نُصَفِّقَ لِمُوسكو من مَوقِعِ المُتَفَرِّج ، بَلْ أن نَنْهَضَ بِدَوْرِنا لِنَتَذَكَّرَ أنَّ لَدَيْنا حُقُوقاً أزِفَتْ لَحْظَةُ اسَتعادَتِها الآن، ويكونُ ذلكَ ليسَ فقط باستِعادَة كُلِّ بَيْضِنا مِن السلَّة الأمريكيّة ، إنَّما أيْضاً بِفَكِّ ارتِباطِ مَصائِرنا بالمَصالِحِ الصُّهيو - أمريكيّة التي بِصَدَدِ الإنهِيار ، قَبْلَ فَواتِ الأوان!.

*نُشِرَ هذا الفصل في صحيفة «الصّريح» التونسية بتاريخ 2008/9/26.

مَن يَجسر الهُوّة بينَ تونسَ وَدِمَشْق؟

باتَ جَلِيًّاً أنَّ موقف الرئاستين المؤقتتين للجمهورية والحكومة في تونس المعادي للجمهورية العربية السورية بَدْءاً مِن الاصطفاف المُتحمِّس خلف الدعوة الخليجيّة لتجميد عُضويّة سوريا في جامعة الدول العربية مُروراً باستضافة مَجلسِ اسطنبول العميل وُصُولاً إلى قطع العلاقات الدبلوماسية وغيرها مع سوريا واستضافة «مؤتمر أعداء سوريا» كانَ في مُجْمَله مَوقفاً مُمْلى بالضغط والإغراءات الخليجيّة والغربيّة حيث واصَلَ المُتآمِرون الغربيّون وصندوقُ مالِهم الخليجيّ استخدامَ تونسِ كمُخْتبَر لثورات الفوضى الخلاقة وتداعياتها بما في ذلك حْربهم المُنظَّمة على سوريا لإطاحتها كعروة وثقى لتحالفٍ إقليمي ودولي مُمانِع ومُقاوِم ضدَّ الهيمنة الصهيو- أمريكية على العالَم ..

وفي هذا السِّياق الاختباريّ أقدَمَتْ تونسُ على مغامرة بسِمْعتها لم تُقدِمْ على مثلها حتى الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا وبعض الدول الخليجية مُضَحِّيَة بالمَصالح الوطنيّة والقومية والإستراتيجية التونسية ناهيكَ عن تسبُّبِها بآلام مُضافة لآلافِ التونسيِّين والسوريين المُقيمين في القطرين الشقيقين بينَما لم تحصدْ بالمُقابل ما يُوازي هذه المغامرة.

وإذا كُنّا لا نأمل برأس الدبلوماسيَّة التونسيَّة الذي أخطأ في تقدير طُوْل الشريط الساحليّ لبلادِه وذهبتْ به الظنون إلى أنَّ اسطنبول هي عاصمة تركيا حليفة الحركة التي ينتمي إليها ، أن يُقْدِمَ على إصلاح خطيئة دبلوماسيّة ما فتئ يُبَرِّر بل ويُفاخر بها .. كما لا نأملُ من حركة النهضة التي تنفِّذ سياسة الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في تونس وخارجَها أنْ تدرك مَعنى أن تقاطع تونسُ سوريا .ذلكَ أن النهضة لم تجدْ حَرَجاً أخلاقِيَّاً في التحالف مع أمير قطر المُنقلِب على أبيه ضدَّ سوريا الكيان الحضاري الخصْب المُشِعّ والدور الإقليميّ المُقاوم والمُمانع ، فإننا نتوجَّه إلى بقيّة القوى الفاعلة في المشهد السياسي التونسي بما في ذلك ضِلْعَي الترويكا الحاكمة الآخرَيْن : حزب المؤتمر من أجل الجمهورية وحزب التكتل الديمقراطي من أجل العمل والحريات ، للبحث عن سُبُل تجسير جديد يجبُّ هذه المُغامرة الحمقاء التي لم يحسب من أقدموا عليها أو تواطأوا معهم عواقبها غيْر الحميدة خاصّة وأنَّ عاماً وربع العام من عملِ الثورة في تونس وقتٌ كافٍ للتأكُّد مِن المُراهنة على الغرْب وتابِعَيهِ الخليجي والتركي لم تفْضِ تونسيَّاً إلى غيْر الهَباء .

إنَّ رجالَ دولةٍ ذويّ خبرة سياسية ودبلوماسية وزعماء أحزاب يسارية وقومية يُفترَضُ بِهِم أن يُفرِّقوا بينَ التناقضِ الرئيسيّ والتناقضِ الثانويّ، يُتابِعُون مُجرياتِ الأحداث في سوريا ولَدَيهم مِن البصَر والبَصيرة ما يَجعلهم يُدركون أنّ الصراع الحقيقي ليس داخِلَ سوريا بين أطراف ذات برامج سياسية واقتصاديّة وثقافية وطنيّة مُتناقضة ومُتنافسة بقدْر ما هُو صِراع على سوريا بين قوى إقليميّة ودوليّة تستخدِمُ ما يُسمَّى مجلس اسطنبول والجيش السوري الحرّ كإطارين زائفين للتدَخُّل في الشأنِ السوري تدخُّلاً عسكرياً ومالياً وإعلامياً باتَ مفضوحاً ويصرِّح به المَعنِيُّون به يوميَّاً وبالتالي بإمكانِهم بناء جُسور لِوَصْلِ ما انقطع مع

دمشق.

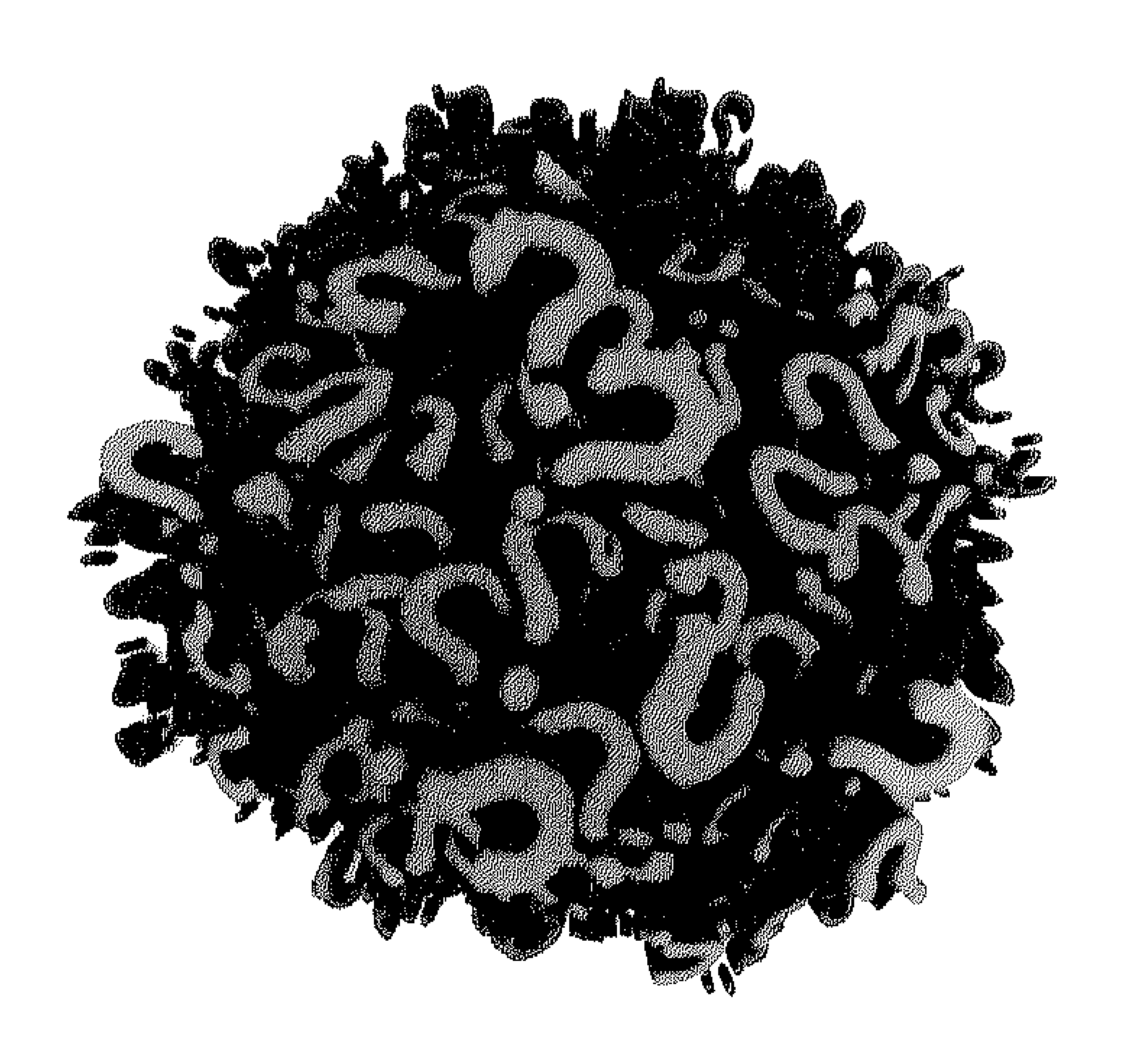
إنَّ تونسَ التي تُفاخِر اليومَ باستشهاد أبنائها على أرض فلسطين لن يكون بمقدورها الآن أو في المستقبل أن تُفاخر بوُجودِ أبنائها مُقاتلين وقتلى على أرضِ سوريا وحتى «مالي» خِدْمةً لأجندات ليستْ وطَنيَّة ولا قوميّة بل ذهبوا ضَحِيّة تضليل تساهِم فيه سياسة خارجيَّة مُرتبِكة إنْ لم نقل مَشبوهة الدَّوافِع والأهداف.

إنَّ سوريا بمَقدُورها الاستغناء دَهْراً عن العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والاتصالية بأشكالها مع تونس فالمَجال الحَيَويّ الاقتصادي لِسوريا يمتدُّ مِن دِمشق إلى بكين عبْر بغداد وطهران ودلهي شرقاً وموسكو شمالاً وجنوب إفريقيا والبرازيل وفنزويلا غربا ولا شك أغفلنا عواصم وبلدانا عديدة أخرى ولكنّ قلبَ العروبة النابض يُؤلِمُه أن ينسدَّ دون خفقاته أحَدُ شرايين الجسد العربي.

وبما أنّ القلبَ سيُواصل خفقانه فهل ننتظِرُ من هذا الشريان المسدود أن ينتفِضَ على انسداده وينظِّفَ ذاته الوطنيّة مِن أوهام الرّهان الخاسر سَلفاً على الغرب الأورو- أمريكي وأدواته الخليجيّة والتركية التي لن ننتظر طويلا حتى نسمعَ قراراً ينهي صلاحيّة هذه الأدوات على الرّغم مِن استماتتِها مِن خلال استباحة كلّ مَحظور أخلاقي قومي أو إنساني يتعلق بالأزمة السورية عَساها تمَدِّد ما أمكنها ذلك، تاريخَ صُلوحيَّتِها في خدمةِ السيِّد الصهيو- أمريكي.

* نُشِرَ هذا الفصْل في صحيفة «تانيت برس» الألكترونيّة التونسيّة بتاريخ 27 تموز/جويلية 2012.

الفهرس



*الربيع العربي يتمخض عن خريف إسلامي بغيوم صهيونية / فكر سياسي- دار بيرم للنشر. صفاقس 2012

*عندما البلاد في الضباب والذئاب/ شعر- دار نقوش عربية 2013

*أوهام الربيع العربي- الوعي القطيعي- / فكر سياسي -دار نقوش عربية تونس 2013

*في وضح الردى أراقص الجبال / شعر -داربيرم للنشر والتوزيع تونس 2014.

صدر حول الشاعر:

* هادي دانيال حمامة رصيف العالم- وليد الزريبي- سلسلة تكلم حتى أراك تونس 2008

* هادي دانيال صقر الرؤى - مختارات شعرية - إعداد وتقديم د. مصطفى الكيلاني - دار الفرقد - دمشق -2009

* مرافئ أوليس اللاذقي قراءة في الاعمال الشعرية لهادي دانيال - نور الدين الخبثاني. دار نقوش عربية 2009.

* أحلام المسافر:قراءة في عالم هادي دانيال الشعري- د.مصطفى الكيلاني-نقد أدبي. دار بيرم للنشر والتوزيع 2014

تصميم الغلاف. عــادل التليلي

مؤامرة الربيع العربي
القضية الفلسطينية

في ظلّ انْشغال العَرَب وشُعُوب المنطقة والعالَم بحروب "الربيع العربي" القَذِرَة تغْتَنِمُ نَهَّازَةُ الفُرَصِ "اسرائيل" فرصَةً شارَكَتْ في اختلاقِها ، لتَجْريد الشَّعب الفلسطينيّ حتى من مُكْتَسَبات نضاله المَلْحَميّ على مَدى سَبْعَة عُقُود ، بقَضْمِ القرار تلوَ الآخَر مِن القَرارات الأمَميّة التي تَدعَم حُقُوقَ هذا الشَّعب المَظلوم في العودة وتقرير المَصير وإقامة دولته المُسْتقلّة في حدود 4حزيران/جوان 1967 ، وعاصمتها القدس الشريف.

وهكذا تتآمَرُ النُّخَبُ العربيّة السياسيّة والثقافيّة والإعلاميّة على القضيّة الفلسطينيّة وتُساهِمُ في مُحاوَلَة تَصفيَتَها وتُشارِكُ في نَهْشِ اللحمِ الفلسطينيّ الحيّ نيّئاً فيُكافئها المُستوطِنُون بحَرْق هذا اللّحْم المُسْتَباحِ وشَيِّه وتَقْديمه إلى هذه النُّخَب على مَوائد مؤامَرة "الربيع العربي" العامِرة بالأجسادِ المَحروقة والصُّدُور المشقُوقة والأكباد المُنْتزعة [illegible] المقتلعة والرؤوس المقطوعة والرّقاب المَذبُوحَة والجُثَث المَشْبوحة [illegible] إلى دمشْق ،مِن أرْضِ الكنانة إلى أرْضِ السّواد ، [illegible] إلى طَرابُلْس،ومِن جبَلِ الشعانبي إلى جبَلِ ضين. متاهَةٌ [illegible] السماءِ والدُّخانِ والخَرابِ والضّبابِ كي يضيعَ ما تَبَقّى من فِلسطين [illegible]

ISBN: 978-9938-865-22-6



السعر: 12 دت



دار بيرم للنشر والتوزيع
طريق سيدي منصور كلم 4 حبانة1 زنقة حمام بوديّة
ص.ب139- 3094 صفاقس - الجمهورية التونسية
الهاتف :181 281 24 216+ الفاكس: 979 874 74 216+
E.mail: bayramedition@yahoo.com